سلسلة
آفاق عالمية

المائة كتاب
100/25

جوڤاني بوكاتشو

الديكاميرون (٢)

مكتبة بغداد

ترجمة (عن الإيطالية): د. عبدالله عبدالعاطي النجار
عصام السيد

تقديم: د. حسين محمود



چوڤانى بوكاتشو

الديكاميرُون

(الجزء الثانى)

ترجمة عن الإيطالية:

د. عبدالله عبد العاطى النجار

عصام السيد

تقديم: د. حسين محمود



https://telegram.me/maktabatbaghdad

اليــوم السَّــادس

أُسدل الستار على اليوم الخامس من الديكاميرون، ليشرع شروق شمس اليوم السادس في الإطلال بوجهه من جديد. وفي هذا اليوم، يدور الحديث، تحت حكم الملكة "إليزا"، حول شخص يتم استفزازه؛ إلا أنه يتمكن من التعويض عن ذلك بكلمات ذكية، تكون بمثابة المخرج له من هذا المأزق الذي وُضع فيه، أو من نجح في النجاة من خطر داهم، أو سخرية لاذعة، عن طريق رد سريع، أو خاطرة ذكية.

اختفى ضوء القمر في وسط السماء، وظهر نور النهار الجديد ليضيء الكون. وعندما استيقظت الملكة من سباتها، أمرت الآخرين بأن ينهضوا، ليقوموا بالتنزه سيرًا في مجموعات متفرقة فوق العشب الندي، وهم يضحكون ويتبادلون الأحاديث والأقاويل. وعندما اشتدت حرارة الشمس،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

بدا للجميع أنه حان الوقت للعودة إلى البيت. وهناك، وجدوا الموائد التي تم إعدادها لتناول الغداء، فجلسوا لتناول الطعام الشهي. وبعد الانتهاء منه، بدأوا يرددون ويغنون بعض الأغاني العذبة. وبعد ذلك فضَّل بعضهم الذهاب للنوم، بينما أخذ آخرون يتسلون بلعب الشطرنج وغيرها من الألعاب المسلية. وبعد ذلك، قام "ديونيو" و"لوريتا""معًا بغناء أغنية "ترويلو" و"كريسيدا". وعندما حان وقت الحديث استدعتهم الملكة، فجلسوا إلى جوارها كما جرت العادة، متأهبين للحديث، ومنتظرين أن تأمر الملكة بسرد القصة الأولى. لكن حدث شيء غريب لم يكن في الحسبان؛ فقد سمعوا صوتًا صاخبًا قادمًا من المطبخ حيث يوجد الخدم. فدعوا القهرمان ليأتي، وتم سؤاله عن ذلك الصراخ، فأجاب بأنها ليست إلا مشادة كلامية بين "ليتشيسكا" و"تيندارو"، لكنه لم يعرف سبب ذلك النزاع قبل استجابته لاستدعائهم. فأمرت الملكة بإحضار السيدة والرجل ليمثلا أمامها، ثم قامت باستجوابهما. وعندما شرع الرجل في الحديث، قاطعته الخادمة "ليتشيسكا" قائلة له: يا لك من بهيمة! أتريد أن تسبقني بالكلام؟! يا هذا، لم لا تدعني أبدأ أنا أولًا؟ ثم أردفت قائلة:

– مولاتي، أنا التي تعاملت مع زوجة "سيكوفانتي" مرات عديدة، ويدعي هذا الحيوان أنه يعلم أكثر مني عنها. فهو يقول إنه في الليلة الأولى التي نام فيها "سيكوفانتي" معها، دخل السيد "ماتزا" إلى "مونتينجرو" بالقوة وبإراقة الدماء، على غير الحقيقة؛ لأن دخوله كان بشكل سلمي تمامًا، ولم تُرَق على إثره نقطة دم واحدة. وفوق ذلك، فهذا البهيم يعتبر أن الفتيات يتمتعن بقدر كبير من الحمق والغباء، حيث يستسلمن بإذعان لقرارات آبائهن وأخواتهن

الذين يجعلونهن ينتظرن أكثر مما يجب قبل أن يزوجوهن. وأقسم بدين المسيح، الذي لا أجرؤ على القسم به إلا أن أكون صادقة، أنه لا توجد جارة واحدة ممن أعرفهن ذهبت إلى بيت زوجها وهي بِكر، بل إن المتزوجات منهن يخدعن أزواجهن. ثم يأتي هذا الحمار ليعلمني أنا، كيف هو حال النساء؟! أيظنني ولدتُ بالأمس هذا الأحمق؟!

عندما استمعت النساء لقول "ليتشيسكا"، لم يستطعن أن يكتمن ضحكاتهن، فأخذن يضحكن بقهقهة عالية للغاية؛ فرأت الملكة أن هذا تصرف غير لائق، فحاولت أن تستعيد الهدوء عدة مرات، ولكن دون جدوى؛ حيث لم تتوقف "ليتشيسكا" عن الثرثرة، إلى أن أتت بكل ما في جعبتها، لكن بطريقة مضحكة، جعلت الملكة نفسها لم تتمالك نفسها وتضحك هي الأخرى. توجهت الملكة بعد ذلك إلى "ديونيو"، وقالت له: أرى أن هذا الشأن يخصك؛ لذلك نود أن نعرف رأيك فيه في نهاية حديثنا.

فرد "ديوينو" قائلًا: من خلال ما سمعناه من "ليتشيسكا"، يا مولاتي، أرى أن الأمر واضح وضوح الشمس؛ ولذلك أرى أن "تيندارو" هو الحيوان، وأن "ليتشيسكا" هي المحقة فيما قالته.

عند انتهاء "ديونيو" من حديثه، انفجرت "ليتشيسكا" في الضحك، وأخذت تسخر من "تيندارو" قائلةً له: سبق أن أخبرتك بذلك! فليكن الرب في عونك، فأنت يا مَن لازلت أمرد، تدَّعي أنك تعرف أكثر مني؟! فليتبارك الرب! الذي لم يجعل ما عشته من سنين طويلة يضيع هباءً.

رأت الملكة أن تسرع بفرض الصمت على الجميع، فأمرتهم بالهدوء، وأذنت لكل من "ليتشيسكا" و"تيندارو" بالانصراف. بعد ذلك توجهت إلى

https://telegram.me/maktabatbaghdad

"فيلومينا"، وأمرتها بأن تبدأ على الفور رواية قصتها لهذا اليوم، فاستجابت في التو، وبدأت حديثها قائلة:

القصة الأولى

يستأذن أحد الفرسان السيدة "أوريتا" بأن تركب معه على جواده، ويحكي لها قصة؛ ولكن بصورة مشوشة ومثيرة للضجر، مما يضطر المرأة إلى أن تطلب منه النزول من على الجواد، وتعود للمضي سيرًا على الأقدام.

سيداتي الشابات، كما أن للسماء نجومًا تزينها في الليالي الصافية، وكما أن للمروج الخضراء أزهارًا تزينها في الربيع، وكما أن للجبال من الأشجار الكثيفة ما يزينها؛ كذلك العادات الحميدة والأفكار السامية، فلها من العبارات الذكية ما يزينها ويزيدها جمالًا. وتكون هذه العبارات أكثر تأثيرًا وملاءمةً للنساء أكثر منها للرجال، إذا ما كانت محددة ومختصرة. فلا يوجد إلا القليل من النساء اللواتي يستطعن قول عبارة مناسبة في وقتها المناسب، وذلك إما بسبب ضعف قريحتهن، أو لغضب السماء الشديد على أيامنا هذه؛ أو ربما يرجع لأي سبب غير ذلك. وبالنسبة لي، فلن يكون حديثي طويلًا في هذا الشأن؛ حيث أن "بامبينيا" قد سبقتني وتحدثت عنه بعض الشيء. ولكي أبين ما يمكن أن تتمتع به بعض هذه الردود من ذكاء بلا حدود،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

سأحدثكن عن صمت مطبق تمكنت سيدة لبقة أن تفرضه على أحد الفرسان.

منذ فترة ليست بالطويلة، كانت في مدينتنا سيدة نبيلة وفصيحة، أظن أن الكثيرات منكن قد عرفنها، أو على الأقل سمعتن عنها. وأعتقد أن هذه المرأة تستحق منا أن نذكر اسمها. فقد كانت تُدعى "أوريتا"، وكان لها زوج يدعى "جيري سبينا". وفي أحد الايام، وبينما هذه السيدة الجليلة في الريف، كما نحن الآن، كانت في طريقها إلى البيت مع مجموعة من النساء والرجال الآخرين، حيث كانوا ينتوون تناول الغداء معًا، إلا أن الطريق كان طويلًا وشاقًّا، فتقدم إليها أحد الفرسان وقال لها:

- هل تمانعين، سيدتي "أوريتا"، إن تجرأت وطلبت منكِ أن أحملك معي على حصاني، وأن أقوم بتسليتك برواية إحدى القصص الممتعة لكِ؟

فأجابت السيدة:

- إنه لمن دواعي سروري، أيها الفارس.

وأخذ الفارس يروي لها قصته، متيقنًا من أنها ممتعة ومسلية، خاصةً أنه يتمتع بطريقة رائعة ومتقنة في السرد. وبالرغم من أن القصة- في حد ذاتها- كانت جميلة، إلا أن الفارس راح يسرد حكايته بطريقة مضطربة تدعو للملل، حيث أنه أخذ يكرر ما يقوله أكثر من مرة قائلًا: "لا، لم أستطع رواية حكايتي هذه جيدًا". وفوق كل هذا، كان يخطئ في الأسماء، ويخلط بينها، مما جعل المرأة تشعر بالضجر وتغضب، إلى أن أحست بأنها ستصاب بالغثيان، إذا استمر في قصه الممل هذا. ولم يعد باستطاعتها أن تواصل

الركوب معه. وبعد أن أدركت أن الفارس قد اضطرب، وأصبح في موقف لا يحسد عليه، قالت له بطريقة مفعمة بالذكاء واللطف:

– أيها الفارس النبيل، لقد آلمني جوادك لكثرة تعثره، ولم أعد قادرة على تحمله، فأسد إليّ معروفًا ودعني أنزل، وأواصل سيرًا على الأقدام.

ولتمتع الفارس بالقدرة على الفهم بأكثر من قدرته على القص، فقد أدرك فورًا ما تعنيه السيدة بعبارتها هذه؛ فابتسم واعتبرها مزاحًا، وانتقل إلى رواية قصة أخرى، بطريقة مختلفة وممتعة عن قصته الأولى التي تركها، ولم يكملها.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

القصـة الثَّانيـــة

"تشيستي"، الخباز الفطن، يحمل السيد "جيري سبينا"- بقليل من الكلمات البسيطة- على العدول عن طلبٍ مبالغ فيه.

بعد أن أطرى الجميع تصرف السيدة "أوريتا"، التفتت الملكة إلى "بامبينيا"، وأمرتها بأن تمتعهم هي الأخرى برواية قصتها؛ فاستجابت على الفور "بامبينيا"، وقالت: أتكون الطبيعة، يا صديقاتي الغاليات، هي المخطئة عندما تضع روحًا نبيلة في جسد وضيع، أم أن القدر هو المخطئ، عندما يعطي عملًا وضيعًا لجسد يتمتع بروح نبيلة؟ هذه الحالة هي حالة "تشيستي" وغيره الكثيرين من مواطنينا. فقد قُدر لـــ"تشيستي"- صاحب الروح النبيلة والسامية- أن يكون خبازًا. وكان يمكن لي أن ألقي باللائمة على الطبيعة والقدر على السواء؛ ولولا أنه لا ينبغي إلصاق التهمة بالطبيعة والقدر، لأنني أعرف مدى حرص ورصانة الطبيعة، إلا إني أعلم جيدًا أن للقدر آلاف الأعين، حتى وإن صوَّره البلهاء على أنه أعمى؛ حيث يحذو كل منها حذو أولئك الذين يخبئون أجمل وأثمن ما لديهم في أكثر الأماكن سوءًا في بيوتهم، حيث تُعد تلك الأماكن هي الأقل شبهة؛ حيث لا يتوقع أحد

وجود أشياء ذات قيمة بها. ولكن عند الحاجة يقومون بإخراج هذه الأشياء من تلك الأماكن الوضيعة، والتي كانت خيرًا لها من الغرف الفخمة، لينتفعوا بها. كذلك تفعل الطبيعة والقدَر، وهما المتحكمان في الكون؛ حيث يعمدان في الغالب إلى أن يضعوا أسمى أشيائهم داخل أشد الأمور وضاعةً، وذلك من أجل إخراجها عند اللزوم، فتبدو أكثر جمالًا وروعة. وهذا ما أود الإشارة إليه في قصتي هذه:

كان البابا "بونفاتسيو" قد أرسل وفدًا من النبلاء إلى "فلورنسا"، لتدارس بعض الأمور المهمة. وأقام المبعوثون جميعهم بمنزل السيد "جيري"، الذي سيبحثون معه الأمور التي أرسلهم من أجلها البابا.

وكان السييد "جيري" يمر مع ضيوفه- صبيحة كل يوم- من أمام كنيسة القديسة "ماريا أوجي"، حيث مخبز "تشيستي"، الذي يمتلكه ويعمل به، وأصبح بسببه ثريًا؛ وربما لذلك السبب لم يشأ التحول إلى مهنة أخرى. كان هذا الخباز يحيا حياة كريمة ومليئة بالرخاء، وكان أفضل وأفخر الأشياء التي يمتلكها هو أجود أنواع الأنبذة في مدينة "فلورنسا" بأكملها؛ بل وفيما يحيط بها من بلدان.

وفي أحد الأيام، وعند مرور السيد "جيري" مع ضيوفه من أمام المخبز، رأى "تشيستي" أنه من كرم الضيافة أن يقدم لهؤلاء النبلاء نبيذًا أبيض؛ إلا أنه رأي- بسبب وضعه ومكانته الاجتماعية- أن يرتب الأمور بحيث يجعلهم هم مَن يطلبون منه ذلك بأنفسهم. أخذ "تشيستي" ينتظر مرورهم في الصباح. وقبل وصولهم، قام بوضع دلو جديد يفيض بالماء البارد وإبريق من

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الخزف البولوني[1]، وبه الكثير من النبيذ بطريقة شهية، تجعل الموتى يشتهونه، ويودون لو يحتسون منه ولو قليلًا. وبالفعل، حدث ما كان يبتغيه "تشيستي". فقد سأله السيد "جيري" في صبيحة أحد الأيام:

– ما هذا، يا "تشيستي"؟ هل هذا نبيذ جيد؟

فأسرع "تشيستي" واقفًا، وقال له:

–إنه ليس فقط جيدًا، بل هو رائع، يا سيدي؛ فإذا ما أردتم، فيمكنكم التحقق من ذلك بأنفسكم.

فالتفت "جيري" إلى ضيوفه، وقال لهم:

– أيها السادة، لن نخسر شيئًا إذا ما تذوقنا نبيذ هذا الرجل، فيبدو لي أنه جيد.

كان "تشيستي" قد أمر بإخراج مقعد جيد من المخبز، لكي يجلس عليه ضيوفه النبلاء. ثم قال موجها حديثة للخدم:

– سأتولى بنفسي خدمة هؤلاء السادة، ولا يطمع أحدكم بأن يتذوق ولو قطرة واحدة من هذا النبيذ.

ثم قام بغسل أربعة كؤوس جميلة، وأخذ يسكب من قارورة النبيذ الأبيض، ثم قدمه إلى السيد "جيري" وضيوفه. وعندما تذوقوه، وجدوا أنه من أجود وأفضل أنواع الأنبذة التي عرفوها طوال حياتهم، حتى إنهم أصبحوا يطلبونه كل صباح عند مرورهم بمخبز "تشيستي".

كان السيد "جيري" قد أعد مأدبة رائعة، بمناسبة انتهاء مهمة السادة

---

[1] مصنوع في إقليم "بولونيا".

النبلاء، المبعوثين من قبل البابا، ودعا إليها علية القوم؛ ومن بين المدعوين كان "تشيستي" الذي لم يذهب لظروفٍ ما. فأمر السيد "جيري" أحد خدامه بالذهاب إلى "تشيستي"، ليطلب منه قنينة من ذلك النبيذ، ليقدمه إلى ضيوفه مع الطبق الأول. وربما كان الخادم غاضبًا، لأنه لم يسبق له أن تذوق ذلك النبيذ الرائع الذي يتحاكى عنه الكثيرون؛ فأخذ وعاء كبيرًا جدًّا. وعندما رآه "تشيستي"، قال له:

- يا بني، إن السيد "جيري" لم يرسلك إليّ.

فأكد الخادم ما يقوله. إلا أن "تشيستي" أعاد عليه نفس الإجابة الأولى. فرجع الخادم إلى السيد "جيري"، الذي قال له:

- عد إليه، وقل له إنني أنا الذي أرسلتك حقًّا؛ فإذا رفض، فاسأله إلى مَن إذن يظن أنني أرسلتك.

عاد الرجل، وقال لـ"تشيستي":

- لقد أرسلني حقًّا السيد "جيري" إليك.

فرد عليه "تشيستي": لا يا بني، أؤكد لك يا بني أنه لم يفعل.

فقال الخادم: إلى مَن تظن أنه أرسلني، إذن؟

فأجابه "تشيستي": لقد أرسلك إلى نهر "أرنو"[2].

أخبر الخادم السيد "جيري" بذلك، ففتح هذا عينه بذكاء، وقال للخادم:

- دعني أرى الإناء الذي أخذته.

عندما رأى الإناء وكبر حجمه، أدرك مغزى كلام "تشيستي". فألقى باللوم

---

[2] نهر في إقليم "توسكانا" في إيطاليا. يُعَدّ ثاني أهم نهر في وسط إيطاليا بعد نهر "التيبر".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

على الخادم، ثم أرسله بإناء أصغر حجمًا. وحين رآه "تشيستي"، قال له:

- نعم، الآن أرى أنه أرسلك إليَّ.

ثم ملأه له بسعادة. ثم أضاف برميلًا صغيرًا من النبيذ نفسه كهدية، وذهب بنفسه إلى بيت السيد "جيري" ليقدمه إليه، وقال له:

- أرجو، يا سيدي، ألا تظن أن الإناء الكبير قد أفزعني هذا الصباح؛ ولكن بدا لي أنك لم تفهم ما وددت أن أوضحه لكم، حين كنت أقدم لكم قارورة صغيرة كل صباح؛ فهذا النبيذ ليس للخدم، وقد أردت تذكيرهم بذلك. لكنني أملك فائضًا كبيرًا منه، وقد جئتك به لتفعل به ما يروق لك.

تلقى السيد "جيري" الهدية وشكره، واتخذه منذ ذلك الحين صديقًا عزيزًا له.

القصـة الثَّـالثة

بعد أن صدرت من أسقف "فلورنسا" كلمات غير مهذبة في حق السيدة "نونَّا دي بولتشي"، استطاعت بجوابها الذكي السريع أن تُفحمه.

بعد أن انتهت "بامبينيا" من سرد قصتها التي نالت إعجاب الجميع، حيث أثنوا على سلوك "تشيستي" وحصافته، أشارت الملكة إلى "لوريتا" كي تواصل هي الحديث. فقالت "لوريتا" مبتسمة: سيداتي الجميلات، نفتقر- نحن النساء- إلى استخدام العبارات الذكية المناسبة، كما ألمحت إلى ذلك "بامبينيا" و"فيلومينا" من قبل. ولا داعي لتكرار ذلك مرةً أخرى. وأود، في هذا المقام، أن ألفت انتباهكم إلى أن الكلمات الذكية ينبغي أن يكون وقعها على السامع كعضة الخروف، وليس كعضة الكلب؛ وشتان الفارق بينهما؛ وإلا فلن تكون عبارات ذكية، وإنما ستصبح سبابًا وإهانة. وهذا ما فعلته بصورة ممتازة السيدة "أوريتا"، وما ظهر في ردود "تشيستي". صحيحٌ أن الردود التي تبدو كعضة الكلب تكون صادرة من شخص عانى من عض الكلاب قبل ذلك، لكن لا ينبغي أن نتركه وكأن شيئا لم يحدث؛ ولكن

https://telegram.me/maktabatbaghdad

علينا أن نأخذ بعين الاعتبار مع مَن نتحدث وكيف ومتى. وقد قامت إحدى سيدات مدينتنا بتوجيه صفعة قوية إلى أسقف مدينتنا، بعد أن صدرت منه إهانة في حقها. فأنصتوا إلى حكايتي، حتى يتبين لكُنّ هذا الأمر الذي سأوضحه لكُنّ:

جاء إلى مدينة "فلورنسا" سيد كاتالاني يدعى "دييجو دي لا راتا"، وهو ضابط من ضباط الملك "روبرتو". وكان شابًا بهي الطلعة شديد التأنق، وتربطه بأسقف فلورنسا "أنطونيو دي أورسو" علاقة حميمة جدًا. ولأن هذا الضابط كان مولعًا بنساء "فلورنسا"، فقد عرض على رجل بخيل خمسمائة فلورين ذهبي مقابل أن يسمح له بالنوم مع زوجته؛ وكانت هذه الزوجة ابنة أخ الأسقف "أنطونيو". وافق الزوج البخيل، وأخذ المال، ونال الضابط مبتغاه من المرأة دون رغبة منها. وعندما ذاع الخبر، وعلم الناس به، استنكروا هذا التصرف من قبل الزوج؛ لكن لومهم كان أشد على الضابط، وعلى طلبه المفجع.

وبينما كان الأسقف يتمشى مع صديقه الضابط على جواديهما- في عيد "سان جوان"- مرت بهما سيدة شابة جميلة، طيبة القلب، كانت قد غابت عن أعيننا بسبب كارثة الطاعون الأخيرة؛ وكانت تدعى السيدة "نونًا دي بولتشي"، هي ابنة عم السيد "ألسيو رينوشي". أعتقد أنكن قد تعرفتن عليها الآن. فاقترب منها الأسقف- مصطحبًا صديقه الضابط- وقال لها: انظري إلى صديقي هذا، يا "نونًا"، وأخبريني ما رأيك به؟ هل بإمكانك الفوز به؟

كان وقع هذه الكلمات صادمًا للغاية بالنسبة للمرأة، التي إعتبرتها إهانة

عظيمة، فأجابته إجابة سريعة وذكية، إلا أنها صادمة له، في نفس الوقت:

- ربما لن يستطيع صديقك الظفر بي، يا سيدي، لأنني سأطلب من النقود ما يزيد على خمسمائة فلورين.

أوجعت كلماتها الأسقف والضابط على السواء، وجعلتهما في ورطة لا يحسدان عليها. فالأول لأنه أهين بابنة أخيه، أما الثاني فلأنه مَن اقترف العمل الدنيء مع ابنة أخ الأسقف. فهربا وغابا عن أعين المرأة التي جعلتهما يشعران بالخزي والعار، دون أن يتفوها بكلمة واحدة. لقد أفحمتهما كلمات السيدة الحاسمة والذكية.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

القصـة الرَّابعــة

بكلمات ذكية وسريعة، يتغلب "كيكيبيو"، طاهي السيد "كورَّادو جانفلياتزي"، على غضب سيده؛ فينجو من مأزق عصيب كاد أن يودي به.

بعد أن انتهت "لوريتا" من قصتها، وأطرى المستمعون سرعة خاطر "نونَّا"، توجهت الملكة إلى "نيفيله"، وأمرتها بأن تقص قصتها لهذا اليوم، فبدأت تقول: صديقاتي العزيزات، من الممكن أحيانًا أن تساعدنا سرعة البديهة على ابتكار عبارات سريعة ومفيدة وجميلة، حسب الموقف الذي يتعرض له المتكلم. وقد يضع القدر أحيانًا على ألسنة الخائفين كلمات حصيفة لا يستطيع الآمنون أن ينطقوا بمثلها.

كان السيد "كورادو جانفلياتزي"، كما تعلمون، مواطنًا ذائع الصيت في مدينتنا، حيث كان يتميز بدماثة الخلق والطيبة. وكان الصيد من هواياته المفضلة التي استعان فيها بالكلاب والصقور؛ إلا أننا لسنا هنا بصدد الإسهاب كثيرًا في ذكر أعماله الكبرى.

وفي أحد الأيام، تمكن من اصطياد طائر كركي[3] ضخم، مستعينًا في ذلك بأحد صقوره، بالقرب من قرية "بيريتولا"؛ ثم أمر طاهيه، وهو من فينيسيا ويدعى "كيكيبيو"، بأن يشوي هذا الطائر الضخم والسمين، ليكون بمثابة عشاء جيد لهم. وعندما بدأ الطاهي في شوائه، أخذت رائحة الشواء الشهية تفوح وتملأ المكان. فدخلت إلى المطبخ امرأةٌ من الحي، تُدعى "برونيتا"؛ وحين شمت الرائحة النفاذة، طلبت منه أن يعطيها أحد فخذي الطائر، لعلمها أنه مغرم بها، وبالتالي لن يرفض لها طلبًا. وكان ذلك الطاهي يتمتع بقدر كبير من الغباء، فأجابها مترنمًا:

- لن أعطيك فخذًا، يا سيدة "برونيتا"، لن أعطيكِ إياه.

فقالت غاضبة: إذا لم تعطني فخذًا، فلن أمكنك مني أبدًا، ولن أجعلك تنال ما تبتغيه من متعة.

ونجحت- بعد نقاش طويل- في أن تجعله يلبي لها رغبتها.

وعندما أتى "كيكيبيو" بالطائر مشويًا، ووضعه أمام السيد "كورّادو" وضيوفه، تعجب "كورّادو" حين لاحظ اختفاء إحدى قدمي الطائر، فنادى على "كيكيبيو"، وسأله عن ذلك. فقال الطاهي الكذوب:

- سيدي، إن طيور الكركي ليس لها سوى قائمة واحدة.

استشاط السيد "كورّادو" غضبًا عند سماعه لذلك، وقال:

- ما هذا الهراء الذي تتفوه به أيها الأحمق؟! كيف يكون ذلك؟! أتظنني

---

[3] نوع من الطيور الطويلة ذات المنقار الطويل، التي تنتشر في كل أنحاء العالم، وهو قريب الشبه بطيور اللقالق وطيور مالك الحزين.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لم يسبق لي رؤية هذه الطيور من قبل؟

فرد "كيكيبيو"- مُصرًّا على كذبه- بالقول:

- إن ما أقوله هو الصواب، يا سيدي. وإذا لم تصدق، فسأريك ذلك في طيور الكركي الحية.

كاد "كورَّادو" أن يضربه أمام الضيوف، إلا أنه احتفظ بهدوئه، ثم قال له:

-بما أنك تريد أن تريني ما لم أره قط، ولا سمعت به في حياتي، فإنني سأرى ذلك غدًا. ولكني أقسم لك بأني سأصنع بك ما ستظل تتذكره طيلة حياتك، إذا كان الأمر غير ما تقول.

استيقظ السيد "كورَّادو" من نومه غاضبًا ومتعبًا في اليوم التالي، بسبب ما يقوله طاهيه. ثم أمر بإعداد جوادين من جياده، وأمر "كيكيبيو" بأن يمتطي جوادًا هرما؛ ومضيا نحو جدول مائي، حيث اعتادت طيور الكركي المجيء إلى ضفته في الصباح، وقال له:

- سيتبين الآن مَن منا على صواب!

كان "كيكيبيو" يعلم جيدًا أن طيور الكركي- مثلها مثل باقي الطيور- لها قائمتان. ارتعب "كيكيبيو"، وأحس أنه في موقف ومأزق لا يحسد عليه، وذلك لعلمه بمدى الغضب الذي وصل إليه سيده. وعند الجدول، رأيا نحو اثني عشر كركيًّا، يقف كل واحد منهم على قائمة واحدة، وهو ما تفعله هذه الطيور عادةً عند نومها، فقال "كيكيبيو":

- الآن ظهر الحق، يا سيدي، واتضح لك أن ما أقوله هو الصواب. انظر إلى هذه الطيور هناك.

فقال "كورَّادو": سأريك أنا الآن أن لها قائمتين.

ثم راح يقترب من سرب الطيور، وصاح بها "هيه! هيه"، فأنزلت الطيور قائمتها الأُخرى، وأخذت تمشي بضع خطوات قبل أن تحلق هاربة. فالتفت إلى "كيكيبيو" وقال له:

- ماذا تقول الآن أيها الأحمق؟ هل ترى لها قائمة واحدة أم اثنتين؟

ارتعب "كيكيبيو" وشحب وجهه، ثم أتى برد لم يكن يخطر له على بال البتة، فقد قال:

- ما تقوله هو الصواب، يا سيدي، إنها الآن بقائمتين؛ ولكنك لو كنت صرخت بكركي ليلة أمس "هيه! هيه"- كما فعلت اليوم- لكان قد أخرِج قائمته الأخرى مثلما فعلت هذه الطيور. لكنك لم تفعل هذا الأمر.

أخذ "كورَّادو" يضحك من فرط إعجابه بهذا الجواب، وقال:

- إنك على صواب، كان يتوجب عليَّ فعل ذلك.

وهكذا، أنقذ الطاهي نفسه بفضل جوابه السريع والطريف من المأزق العصي، ونجح في أن يبدد غضب سيده تمامًا.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

القصة الخامسة

بينما السيد "فوريزي دي راباتا" والمعلم الرسام "جوتُّو" في طريق عودتهما من "موجيلُّو"، يتبادلان السخرية من قبح هيئتيهما.

ضحكت النساء كثيرًا مما قاله "كيكيبيو" لسيده لتجنب العقاب؛ وبعد ذلك أمرت الملكة "بانفيلو" أن يروي لهم قصته، فقال: سيداتي الجميلات، من العجيب والمفاجئ أن نرى أن القدر قد يخبئ في كثير من الأحيان تحت مهن وضيعة، جواهر نفيسة وأرواح نبيلة؛ وهذا ما سبق وأن أشارت إليه صديقتنا "بامبينيا" قبل قليل، موضحة كيف أن مواهب رائعة تكمن داخل أجساد شديدة القبح. لتستمعن الآن إلى قصة اثنين من مواطنينا التي سأثبت لكن بها صحة ما أقوله:

كان هناك اثنان من مواطنينا، أحدهما يُدعى "فوريزي دي راباتا"، وكان قزمًا قصير القامة، وغير منتظم الملامح؛ فقد كان وجهه مسطحًا ومعوجًّا بصورة يبدو معها أشد قبحًا وتشوهًا من أي واحد من عائلة "بارونتشي"[4]؛ إلا أنه كان عبقريًّا موهوبًا في شؤون القانون والمعارف المدنية. والآخر كان

[4] عائلة مشهورة بدمامة المنظر.

يُدعى "جوتُّو"، وهو نابغة بارع في استخدام القلم أو الريشة لرسم أي شيء في الطبيعة (الأم والمحرك لكل الأشياء من خلال حركة الكواكب في السماء)؛ حتى إن براعته جعلت من يرى رسوماته يظن كأنها حقيقية، وليست مرسومة. وكان محبًّا لهذا الفن، حيث كان يكرس جُل وقته في ترميم فن الرسم وإعادة إحيائه، بعد أن دُفن لقرون طويلة. وبالرغم من ذلك، فلم يشأ هذا الفنان العبقري المتواضع، والمستحق لكل احترام وتقدير، أن يطلق عليه لقب المعلِّم؛ إلا أنه كان لا يختلف كثيرًا عن السيد "فوريزي" في ملامحه وشخصه.

وحتى لا أطيل عليكم، أعود فأقول إن هذين الرجلين كانا قد التقيا في طريق عودتهما من المنطقة التي توجد بها مزارعهما وأملاكهما، وهي منطقة "موجيلُّو". وكان كلٌّ منهما يرتدي ملابس أسوأ حالًا من الآخر. وبينما كانا يسيران ببطء، وذلك لكبر سنهما، بدأت السماء تهطل بغزارة؛ فذهبا إلى بيت فلاح يعرفه كلاهما ليجدوا عنده الملاذ من المطر. إلا أن المطر لم يتوقف، فطلبا من الفلاح الفقير رداءين من قماش رخيص، وغطاءين للرأس، ثم واصلا رحلة عودتهما. إلا أنهما وجدا نفسيهما غارقين في الماء والوحل.

وبعد أن توقف المطر، أخذ كلٌّ منهما يتحدث إلى الآخر، بعد كانا غير قادرين على الكلام بسبب كثرة المطر والوحل. وبينما كان السيد "فوريزي" راكبًا مطيته ويستمع إلى "جوتُّو"، وكان هذا محدثًا مفوهًا، راح ينظر إليه من أعلى، فوجده قميئًا وبائس الهيئة، فقال له ساخرًا، دون أن ينتبه إلى ما كانت عليه حاله هو نفسه:

– لو أن غريبًا رآك الآن، يا "جوتُّو"، فهل تظن أنه سيصدق أنك أفضل

https://telegram.me/maktabatbaghdad

رسام في العالم؟

فرد "جوتُّو" على الفور بقوله: الحقيقة أنه سيصدق ذلك، يا سيدي، إذا ما صدق أنك تعرف الأبجدية.

عند سماع السيد "فوريزي" لهذا الرد السريع والمفحم، أقر بخطئه، وأدرك أنه قد شرب من نفس الكأس التي شرب منها صاحبه.

القصـة السَّادســة

ينجح شاب يدعى "ميكيلي سكالزا" في أن يثبت لزملائه من الشبان أن عائلة "بارونتشي" هم أعرق الناس نُبلًا على وجه الأرض، فيربح في مقابل ذلك دعوةً على العشاء.

بعد أن أنهى "بانفيلو" قصته التي أضحكت الجميع، وفيما كانوا يضحكون، نظرت الملكة إلى "فياميتا" مشيرةً لها بالبدء في إمتاعهم- هي الأخرى- بقصتها؛ فبدأت على الفور: سيداتي الشابات، لن أنحرف بما سوف أرويه لكُنَّ عن موضوعنا. فلقد ذكرني "نانفيلو" بحديثه السابق عن آل "بارونتشي"، الذين ربما لا تعرفونهن جيدًا مثل معرفته هو لهم، بقصة تثبت مدى نبلهم.

كان هناك شاب مهذب وخفيف الظل يُدعى "ميكيلي سكالزا"، مولعًا بحفظ القصص الغريبة؛ الأمر الذي كان يروق كثيرًا لشبان "فلورنسا". وذات مرة، أثناء اجتماعهم في "مونتوجي"، دار بينهم جدالٌ قوي حول مَن هي أنبل وأعرق عائلة فلورنسية. فقال بعضهم إنهم آل "أوبيرو"، وقال آخرون إنهم آل "لامبيرو"، وذكر غيرهم هذه الأسرة أو تلك، كلٌّ حسب مزاجه ورؤيته. وحين

https://telegram.me/maktabatbaghdad

سمعهم "سكالزا"، راح يضحك ساخرًا، وقال: ليكن الرب في عونكم، أيها البلهاء، فأنتم لا تعرفون ما تقولون. فأعرق النبلاء هم آل "بارونتشي"، لا في "فلورنسا" وحدها، وإنما في العالم بأسره، وفيما وراء البحار. وهذا ما يتفق عليه جميع الفلاسفة، وكل الرجال الذين عرفوهم، مثلما عرفتهم. وكي لا تظنون أنني أتكلم عن عائلة أخرى، فإنني أقول لكم إنهم آل "بارونتشي"، جيرانكم في "سانتا ماريا". سخر الشبان الذين كانوا ينتظرون سماع شيء مختلف من "سكالزا"، حين سمعوا كلامه، وقالوا له:

– يبدو أنك تظننا حمقى! كما لو أننا لا نعرف آل "بارونتشي"، مثلما تعرفهم أنت.

فقال "سكالزا":

– لست أسخر منهم، وأقسم لكم بالإنجيل إنني أقول الحق. وإذا كان بينكم مَن يريد الرهان على هذا الأمر بعشاء يقدم للرابح مع ستة أشخاص آخرين يختارهم، فأنا أقبل الرهان، واختاروا من تشاؤون ليحكم بيننا.

فسارع أحد الشبان- وكان يُدعى "نيري فانيزي"- وقال بلهجة كلها ثقة: أنا مستعد للرهان، والفوز بهذا العشاء. واتفقا على أن يكون الحكم بينهما هو "بيرو دي فيورينتينو"، وأن يذهبا للاجتماع في بيته. فتوجها إليه، وتوجه معهما الآخرون، ليشهدوا خسارة "سكالزا"، ويسخروا منه. وأخبروه بكل ما قيل. كان "بيرو" شابًا ذكيًا، فاستمع أولًا إلى حجج "نيري"، ثم توجه بعد ذلك إلى "سكالزا"، وقال له:

– وكيف يمكنك أن تثبت ما تقوله؟

فقال "سكالزا":

- إنني قادر على إثباته بالأدلة التي لا تقنعك أنت فقط، وإنما تجعل خصمي نفسه يقتنع بما أقول. فأنتم تعرفون أن البشر كلما كانوا ضاربين بجذورهم في التاريخ، يكونون أشد نبلًا وعراقة، وهذا ما قالته عائلة "بارونتشي" عن نفسها. فإذا كانت عائلة "بارونتشي" هم الأقدم من كل البشر، فإنهم بالتالي أعرق الناس نبلًا. وإذا ما شرحت لكم كيف أنهم الأكثر قدمًا، فسأكون أنا الفائز بالرهان. فعليكم أن تعلموا أولًا أن الرب قد خلق عائلة "بارونتشي" في بداية مَن خلق، بينما خلق بقية البشر بعد ذلك. ولكي أثبت لكم ذلك، أطلب منكم أن تقارنوا بين عائلة "بارونتشي" وغيرهم من البشر الآخرين. ولسوف ترون أن وجوه الآخرين جميعهم متناسقة التقاطيع ومنضبطة الملامح؛ بينما لبعض آل "بارونتشي" وجوه رفيعة وطويلة ، ولآخرين منهم وجوه أعرض مما هو معتاد، وأحيانًا يكون لأحدهم أنف طويل جدًّا، ولآخر أنف قصير جدًّا؛ وذقن بعضهم بارزة إلى الخارج أو غائرة إلى الداخل، ومنهم مَن له فكان أشبه بفكي الحمار، ومنهم من له عين أكبر من الأخرى، بل منهم مَن له عين تعلو عن عينه الثانية، مثلما هي الوجوه التي يبدأ الأطفال برسمها في أول عهدهم بتعلم الرسم. ويبدو واضحًا، مثلما قلت من قبل، أن الرب إلهنا قد صنع آل "بارونتشي" عند بدء الخلق، وهم لهذا أقدم من الآخرين، وبالتالي أكثر نبلًا.

بعد أن سمع الجميع حجة "سكالزا" المضحكة والذكية، أقر صديقهم "بيرو"، الذي كُلف بالحكم بينهما، بأن ما يقوله "سكالزا" هو الصواب، وكذلك خصمه في الرهان "نيرو"، واعترف جميع الحاضرين كذلك بأنه قد

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كسب الرهان، بعد اقتناعهم جميعًا بأن آل "بارونتشي" هم أكثر الناس نبلًا وعراقة، لا في "فلورنسا" فقط، وإنما في العالم أجمع، وفي بلاد ما وراء البحار. وقد كان الصواب حليف "بانفيلو"، عندما ضرب مثلًا بعائلة "بارونتشي"، ليبين مدى قبح السيد "فوريزي"[5].

---

[5] ذلك الذي سبق ذكره في القصة السابقة.

القصـة السَّـــابعة

يضبط رجل زوجته- التي تُدعي السيدة "فيليبا"- مع عشيقها في الفراش، فتذهب للمحاكمة، إلا أنها تنجح- برد سريع طريف- في النجاة من المحاكمة، بل في تغيير القوانين نفسها.

بعد أن أنهت "فياميتا" قصتها، ضحك الجميع من حجة "سكالزا" الطريفة، التي لجأ إليها لكي يثبت نبل وعراقة آل "بارونتشي". بعدها، أمرت الملكة "فيلوستراتو" بمواصلة الحديث، فقال: إنه من المناسب جدًّا، يا سيداتي اللطيفات، أن يكون لكل مقام مقاله الجيد والمقنع، لاسيما عندما تكون هناك حاجة لذلك. وهو ما قامت به هذه االمرأة، بطلة قصتنا التي أضحكت جميع مَن استمع إليها بلا استثناء، ونجت في الوقت ذاته من الموت.

كانت مدينة "براتو" يحكمها قديمًا قانون جائر ولا مبرر لوجوده؛ يقضي بأن تُعاقَب أية امرأة يضبطها زوجها مع عشيق، وهما يمارسان الزنا، بالموت حرقًا، مثلها مثل المرأة التي تضاجع الرجال مقابل المال. وقد حدث- في إحدى القضايا- أن زوجًا يُدعى "رينالدو دي بوليزي" ضبط زوجته، التي تُدعى "يليبا"، مع عشيقها في الفراش. وكانت هذه السيدة باهرة الجمال،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وتحب هذا العشيق حبًا جمًّا يبلغ حد حبها لنفسها. وكذلك كان عشيقها شابًّا بهي الطلعة، ومن نبلاء المدينة، يدعى "لازارينو دي جواسلوتري". وقد قرر الزوج، الذي نجح في السيطرة على غضبه، أن يترك الأمر للقانون، الذي لا يعطيه الحق في قتل زوجته. فطلب محاكمة زوجته، بعد أن أثبت الجريمة بكل الأدلة المقنعة. ففوجئ الجميع بذهاب المرأة إلى المحاكمة، بدلًا من الهروب الذي نصحها به الكثيرون؛ فمثلت المرأة التي كانت مدفوعةً بقوة حبها، مفضلة المواجهة والموت بشجاعة على الهرب والعيش ذليلة في المنفى، أو أن تنكر حبها لذلك الشاب الذي كانت تنام بين ذراعيه في الليلة الفائتة. فطلبت من القاضي- بكل حسم- أن يسألها عما يريد. ورأى القاضي أنها امرأة جميلة وتستحق الثناء، فأحس بالعطف عليها، وخشي أن تعترف على نفسها فيحكم عليها بالموت. لكنه لم يجد بُدًّا من استجوابها، فقال لها:

- إن زوجك "رينالدو"، يا سيدتي، يدَّعي أنه ضبطك وأنت تمارسين الزنا مع عشيق لكِ. وقد طالب بإنزال عقوبة الإعدام بكِ، طبقًا للقانون. وأنا لا يمكنني إصدار هذا الحكم، ما لم تعترفي أنتِ بفعلتك هذه. ولهذا، أطلب منكِ أن تخبريني ما إذا كان اتهامه لكِ صحيحًا.

فقالت السيدة بكل هدوء ورباطة جأش:

- أعترف، يا سيدي القاضي، أن "رينالدو" هو زوجي، وأنه وجدني في الليلة الماضية بين ذراعَي "لازارينو"، عشيقي الذي أُكِن له كل الحب، والذي عاشرته مرات ومرات كثيرة. ولكنني متأكدة من أنكم تعرفون أن القوانين يجب أن تساوي بين الجميع، وأن تُسن برضاءِ من ستطبق عليه؛ وهو ما لا

ينطبق على هذا القانون، الذي يعاقب النساء المسكينات، في حين أننا أُفضل من الرجال بقدرتنا على إرضاء الكثيرين منهم. ثم إن هذا القانون تم وضعه دون طلب موافقة من أي امرأة عليه؛ وهو ما يجعل القانون ظالمًا. فإذا أردت يا سيدي أن تطبقه عليَّ، وأن تلحق الأذى بجسدي والتأنيب بضميرك، فإنني أرجوك أن تتكرم عليَّ قبل ذلك، وتسأل زوجي إذا كنت قد رفضت الإذعان له- في يوم من الأيام- حينما كان يرغب في الاستمتاع بي.

فأجاب "رينالدو" مؤكدًا أنها كانت تلبي له على الدوام كل رغباته.

ثم واصلت الزوجة الحديث قائلة:

- أريد أن أسألك إذن، يا سيدي القاضي: إذا كان قد استمتع بي، وأخذ كل ما يكفيه، إلا أنني أكون- في كثير من الأحيان- لديَّ فائض من الطاقة، التي لم تكن قد خرجت وأنا مع زوجي. فكيف لي أن أُفرغ ما تبقى لديَّ منها؟ هل تريدني أن ألقي بها إلى الكلاب؟ أم أقدمها إلى رجل يحبني. ألا ترى أن ذلك أفضل من أن أتركها تذبل وتفسد؟

عند سماع الحاضرين لهذا الحديث الطريف والمقنع من السيدة "فيليبا"، أخذوا يضحكون، ويهتفون مؤيدين لما تقوله. وفي النهاية، تمكنت السيدة من أن تدفع القاضي إلى تعديل ذلك القانون الوحشي، وجعله ينفُذ فقط على اللواتي يفعلن ذلك مقابل المال.

وهكذا نجت السيدة من القتل، وعادت مسرورة إلى بيتها.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

القصـة الثَّـامنة

ينصح "فريسكو" ابنة أخيه المغرورة بعدم النظر في المرآة، إذا كانت تنزعج، كما تقول، من رؤية الوجوه المزعجة.

بعد أن أنهى "فيلوستراتو" قصته، التي جعلت النساء يضحكن منها، وجعلتهن يشعرن كذلك بالخجل الذي ظهر في احمرار وجوههن، توجهت الملكة إلى "إيميليا"، وأمرتها بأن تواصل؛ فبدأت حديثها، بعد أن تثاءبت وكأنها كانت نائمة، قائلة: سيداتي الجميلات، لقد كنت مستغرقة في تفكير عميق مما جعلني شاردة بفكري بعيدًا عنكن. ولذا، وتنفيذًا لطلب الملكة، أجد نفسي غير قادرة إلا على سرد قصة قصيرة جدًّا؛ فبطلة حكايتي هي فتاة حمقاء كانت قد وقعت في خطأ ما، وكان بالإمكان تجاوزه من خلال عبارة نبيهة قالها لها عمها. إلا أنها لم تكن تتمتع بالقدر الكافي من الفهم وسرعة البديهة.

كانت هذه الفتاة تُدعى "شيسكا"، ولها عم يُسمى "فريسكو دي سيلاتيكو". وكانت حسنة المنظر، ذات قوام ممشوق؛ إلا أنها لم تكن تتمتع بالبراءة والرقة المعتادة في الفتيات في مثل سنها. فكانت لا تكف عن

استنكار وانتقاد الرجال والنساء، بل انتقاد كل ما يقع أمام عينيها من الأشياء، دون أن تلتفت إلى نفسها، وتنشغل بإصلاح عيوبها هي، بدلًا من انتقاد الآخرين. وكانت فوق ذلك كله شديدة العجرفة، كما لو أنها ابنة ملك فرنسا. فعندما تخرج إلى الشارع تتأذى، كأنها تشم رائحة الأدخنة من كل ما حولها، وترفع أنفها عاليًا في السماء، كما لو أن كل من تصادفه في طريقها تنبعث منه أخبث الروائح. ولسنا الآن في حِل من أن نسرد كل صفاتها السيئة الأخرى، بل سنكتفي فقط بذكر موقفٍ ما قد حدث معها.

فذات يوم، عادت إلى البيت، فوجدت عمها "فريسكو" هناك، فجلست قبالته وهي تتمتم غاضبة. فسألها "فريسكو": مالي أراكِ ترجعين إلى البيت بهذه السرعة، مع أن اليوم هو يوم عيد؛ فماذا جرى يا بنيتي؟

فكان جوابها كالتالي: ما أزعجني، وجعلني أعود مبكرةً، هو الضيق والتشاؤم والانزعاج الذين ينبعث من وجوه الرجال والنساء في هذه المدينة؛ فأتضايق أشد الضيق لرؤيتهم أمامي. ولكي أتجنب رؤيتهم، عدت مسرعة إلى البيت.

كان أسلوب الفتاة يصيب عمها "فريسكو" بالضيق والدهشة، فقال لها:

- "فريسكا"، إذا كنتِ تريدين حقًّا ألا يضايقك هؤلاء المزعجون، كما تقولين، وإذا أردت العيش بسعادة، فلا تنظري إلى المرآة أبدًا.

إلا أن الفتاة، التي كانت ترى نفسها ذكية، وأنها تتمتع بالحكمة، لم تفطن إلى المغزى الذي يقصده عمها من وراء كلماته؛ وقالت إنها، شأنها شأن غيرها من بنات جنسها، يروق لها النظر في المرآة. وأبت أن تتخلى عن غبائها وجهلها، بل وما تزال تحتفظ بهما إلى اليوم.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

القصـة التَّاسِـعة

يسخر "جيدو كافالكانتي"- بكلمات لبقة وذكية- من بعض السادة الفلورنسيين، الذين كانوا قد بادروه بالسخرية.

رأت الملكة أنه قد حان دورها الآن في سرد قصتها، بعد أن انتهت "إيميليا" من قصتها، ولم يتبق سواها؛ ماعدا ذلك الشاب الذي يملك امتياز أن يكون آخر من يحكي؛ فبدأت حديثها قائلة: لم يتبق لدَيَّ إلا قصة واحدة لأسردها، بعد أن سلبتموني قصتين كنت بصدد رواية إحداهما. وتتضمن قصتي هذه حدة ذكاء وحكمة لم أر لهما مثيلًا من قبل.

كان من بين العادات الطيبة والجميلة في مدينتنا، والتي اختفت للأسف اليوم بسبب ما أصيب به الناس من بخل، أن يجتمع نبلاء الأحياء في أماكن عديدة في "فلورنسا"، من كل جماعة عدد معين، يقومون بتقديم الطعام إلى الجميع، متحملين هم تكاليف ذلك، أحدهم اليوم، والآخر غدًا، وهكذا دواليك. وقد اعتادوا دعوة النبلاء الغرباء وغيرهم إلى هذه الولائم. وكانوا يرتدون كذلك ملابس متشابهة، مرةً في السنة على الأقل، ويتجولون معًا في المدينة، وهم يمتطون جيادهم، ويقومون- في أحيان أخرى- بالمبارزة

بالرماح، وذلك في أيام الأعياد، أو عند الاحتفال بانتصار، أو بأخبار طيبة أخرى تصل إلى المدينة. كان من أبرز أولئك النبلاء السيد "بيتو برونيليشي"، الذي حاول مرارًا أن يكتسب صحبة السيد "جيدو كافالكانتي"، ابن السيد "كافالكانتي". وكان ما يدفعه إلى محاولة التقرب من السيد "جيدو" هو أنه أحد كبار المفكرين الفلاسفة في عصره، بالإضافة إلى عاداته النبيلة. وفوق كل هذا، كان السيد "جيدو" رجلًا ثريًا يملك مزارع وأملاكًا كثيرة؛ وكان أيضًا شديد الكرم. غير أن السيد "بيتو" لم يستطع اجتذابه إليه قط، وكان يعتقد- هو ورفاقه- أن السبب في ذلك هو أن "جيدو" يقضي النهار في تأملاته، فينشغل عن الناس بأمور أخرى؛ وأنه يتبع نفس أفكار الأبيقوريين[6]، وكان الناس يقولون إنه يسعى لإيجاد طريقة يثبت بها عدم وجود الرب.

وحدث- في أحد الأيام- أن خرج "جيدو" من بوابة "سان ميكيلي"، مرورًا بـ"أديماري" حتى "سان جوفانّي"، فوصل إلى بعض المدافن الضخمة الموجودة في "سانتا ريباراتا"، وغيرها من الأماكن المحيطة بـ"سان جوفانّي". وبينما هو هناك، بين أعمدة الرخام، والمدافن عند بوابة "سان جوفانّي" التي كانت مغلقة، وصل السيد "بيتو" مع أصحابه يمتطون خيولهم. وحين رأى "جيدو" بين القبور، قال لأصحابه:

---

[6] الأبيقورية، مذهب فلسفي يُنسب إلى الفيلسوف اليوناني "أبيقور" (340 ق.م-270 ق.م)، ويركز- بصورة أساسية- على "الأخلاق"، من حيث أن اللذة هي هدف الإنسان في حياته، وأسمى لذة هي اللذة العقلية. وخير اللذات يكمن في هدوء البال، وطمأنينة النفس، من خلال الحد من الرغبات، والحاجات، والبساطة، والاعتدال في العيش.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

- تعالوا نسخر منه.

واتجهوا بخيولهم نحوه قبل أن يتمكن من الانتباه إليهم، وأخذوا يحيطون به و يقولون له:

- أنت تتهرب يا "جيدو" من اجتماعاتنا، وترفض المشاركة فيها؛ ولكن ألا يمكنك أن تخبرنا، ما الذي ستفعله عندما تكتشف عدم وجود الرب؟

فرد "جيدو" بسرعة:

- إنكم في بيوتكم يا سادة، ويمكن لكم أن تقولوا لي ما يحلو لكم.

ثم قفز بخفة ورشاقة، مستندًا إلى أحد القبور الضخمة، ثم إلى الجانب الآخر، وتركهم ينظرون إلى بعضهم البعض قائلين إنه شخص أحمق، وإن جوابه هذا لا يحمل أي معنى. ثم التفت السيد "بيتو" إليهم، وقال:

- إنما أنتم الحمقى إذا لم تفهموا مغزى ما قاله. فقد وجه إليكم إهانة عظيمة بلباقة، وبكلمات قليلة. لأن هذه القبور هي بيوت الموتى. وعندما قال إننا في بيوتنا، فإنه يعني أننا نحن، وجميع من هم على شاكلتنا ممن ليسوا من رجال العلم والأدب، مثل الموتى. وبوجودنا هنا، نكون في بيوتنا.

أُعجب الجميع بذكاء السيد "بيتو"، الذي أدرك ما عجزوا هم عن إدراكه، وشعروا جميعهم بالخجل، بعد أن فهموا ما كان يقصده "جيدو" بقوله. لذلك، لم يعودوا بعدها إلى السخرية منه، واعتبروه أعلى منهم علمًا وذكاءً.

القصـة العاشـــرة

يعد الراهب "تشيبولا" بعض الفلاحين بأن يريهم ريشة من جناح الملاك "جبرائيل"، إلا أنه يجد أن الريشة قد استبدلت ببعض الفحم، فيقول إنه الفحم الذي أُحرق فيه القديس "لورنزو".

أدرك "ديونيو" أن دوره قد حان في الحديث، حيث كان الجميع قد انتهوا من رواية قصصهم، ولم يتبق سواه؛ فبدأ بقوله، دون أن ينتظر الأمر من الملكة: سيداتي الفاتنات، لن أعدل اليوم عما كان يدور حوله حديثنا، وإن كان لديَّ الحق في رواية ما أشاء؛ وذلك لأني آخر من يتحدث. ولكني أفضل- كما سبق أن أخبرتكم- أن أستمر في نفس الموضوع. فسأحكي لكم عن أحد رهبان كنيسة "سانتو أنتونيو" وقد خرج بمهارة من مأزق وضعه فيه شابان. وستكون قصتي طويلة نوعًا ما. لذا، فأرجو ألا تشعروا بالضجر، فقرص الشمس لا يزال ساطعًا في السماء؛ وهناك متسع من الوقت أمامنا.

كانت هناك قلعة تسمى "شيروتالدو"، وكانت تقع بوادي "إيلسا" الكائن بـ"أريافنا". وبالرغم من أنها قلعة صغيرة، إلا أن أناسًا نبلاء وأثرياء كانوا يقطنونها فيما مضى، وكان يتردد على تلك المنطقة كل عام راهب من رهبان

https://telegram.me/maktabatbaghdad

القديس "أنطونيو" يدعى الراهب "تشيبولا". وكان الأهالي هناك قد تعاطفوا معه بسبب هذا الاسم[7]، وخاصةً أن تلك المنطقة كانت مشهورة- في كل أنحاء توسكانا- بزراعة أنواع جيدة من البصل. وكان الأخ "تشيبولا" ذا جسد نحيل، وشعر أحمر، ومن أشد الناس طيبة؛ ولم يكن يتمتع بأي نوع من أنواع المعارف والعلوم؛ لكنه- مع ذلك- كان متحدثًا عظيمًا، حتى يخيل لمن لا يعرفه أنه ليس خطيبًا مفوهًا فحسب، إنما هو "توليو" نفسه أو ربما "كينتيليانو"[8]. وكان أيضًا صديقًا لكل أهالي المنطقة، ومحبوبًا من الجميع.

وفي صباح يوم أحد من شهر أغسطس، ذهب إلى هناك. وكان أهل المنطقة جميعهم، بالإضافة إلى أهالي القرى المجاورة، يحضرون القداس؛ فقال لهم في لحظة رأى أنها مناسبة:

- إنني هنا اليوم، يا سادة، مبعوثًا من قِبل سيدي القديس "أنطونيو"، لكي أجمع من صدقات محصولكم ومن نقودكم ما تتقربون به إلى الرب. ولكي يحفظ القديس "أنطونيو" جواميسكم وحميركم وأغنامكم. وقد اعتاد المنتمون منكم إلى كنيستنا أن يقدموا- فوق ذلك- مساهمة صغيرة بمبلغ يدفعونه كل عام، كلٌ حسب طاقته ومقدرته. فأريد منكم أن تحضروا إلى فناء الكنيسة عند سماعكم لقرع أجراسها؛ وهناك سأقوم بإلقاء موعظتي المعتادة إليكم، ثم تُقبلون الصليب. ولأنني أعرف أنكم جميعكم ورعون في نظرتكم إلى القديس "أنطونيو"، فسوف أريكم بعد ذلك أثرًا مقدسًا

---

[7] معناه بالإيطالية "بصلة".

[8] خطيبان رومانيان مشهوران بالفصاحة.

وجميلًا أحضرته بنفسي من أراضي ما وراء البحار، وهي ريشة من جناح الملاك "جبرائيل"، كانت قد سقطت منه في حجرة "مريم العذراء"، عندما جاء لها بالبشارة في مدينة الناصرة.

وكان من بين مَن يستمعون إلى القداس شابان ماكران بين رواد الكنيسة، أحدهما يدعى "جوفانّي دي براجونيرا"، والثاني "بياجيو بيزيني". وبعد أن ضحكا كثيرًا من ادعاء أنها ريشة من ريش الملك "جبرائيل"، ولعلمهما بأنه يكذب، حيث كانا من المقربين إليه ولمذهبه، فقد اتفقا على خداعه والسخرية منه بشأن تلك اللقية. واستغلوا بالفعل ذهاب الراهب "تشيبولا" إلى العشاء مع أحد أصدقائه في القلعة، لكي يذهبا إلى المنزل الذي يبيت فيه. واتفقا على أن يشغل أحدهما خادم الراهب "تشيبولا" بالحديث، بينما يبحث الآخر بين أشياء الراهب عن تلك الريشة، ويأخذها، ليريا كيف سيتصرف الراهب "تشيبولا" عندما يكتشف عدم وجودها.

كان لدى الراهب "تشيبولا" خادم يسميه البعض "جوتشو بالينا"، ويسميه آخرون "جوتشو إمبراتا"، وغيرهم يدعونه "جوتشو بوركو". وكان قبيح المنظر وفظ الحديث، ولا يمكن حتى لـ"ليبُّو توبو"[9] أن يرسم مثيلًا له؛ الأمر الذي دفع بالأخ "تشيبولا" إلى السخرية منه كثيرًا أمام أصدقائه، قائلًا: يتمتع خادمي بتسع صفات، لو وجدت واحدة منها لدى "سليمان" الحكيم أو "أرسطو" أو "سينيكا"[10] لأفسدت عليهم أفكارهم وقداستهم. فليس لديه أي

---

[9] رسام إيطالي غريب الأطوار، كان يرسم صورًا بشرية غير متناسقة.

[10] **أرسطو**: أعظم فيلسوف جامع لكل فروع المعرفة الإنسانية، متميزًا عمن سبقه من

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قدر من الذكاء او الفضيلة أو القداسة.

وعندما يتم سؤاله عن تلك الصفات التسع، يقول لهم:

– سأخبركم بها، فهو كسول، قذر، كذوب، عاصٍ، سفيه، مهمل، زير نساء، وعديم الحياء. ومن أكثر ما يدعو للسخرية والضحك أنه يريد، أينما يذهب، أن تكون له امرأة، وأن يستأجر بيتًا. وبالرغم من أن لحيته طويلة وسوداء، فإنه يظن أنه بالغ الوسامة والجمال، تفتتن به كل فتاة تراه؛ وأنه إذا ما هجرها فستلاحقه وتقتفي أثره إلى أن يهترئ نعلها. إلا أن ما يجعلني أتحمل ذلك، وأبقي عليه، فهو منفعته الكبيرة لي؛ حيث لا يأتي أحدٌ ليطلعني على سر له، إلا ويريد سماعه معي؛ وإذا حدث وسألني أحدهم عن أمرٍ ما، فإنه يبادر بالرد بنفسه قبل أن أجيب، بحجة أنه يخشى ألا أكون عالمًا بالجواب.

هذا الشخص هو الذي تركه الراهب "تشيبولا" في منزله، بعد أن أمره بأن يظل منتبهًا، وألا يسمح لأحد بلمس حاجياته، ولا سيما أغراضه التي تضم الأشياء المقدسة. غير أن "جوتشو إمبراتو" كان يهوى الجلوس في المطبخ أكثر من أي شيء آخر، ولا سيما إذا ما كانت هناك امرأة داخل المطبخ. وكان قد رأى امرأة سمينة وقصيرة، قميئة المنظر، ولها ثديان كأنهما خُرجان للثماد يوضعان على ظهر الحمار، ووجه كأنه من وجوه عائلة "بارونتشي"، وكان

الفلاسفة بدقة المنهج واستقامة البراهين والاستناد إلى التجربة الواقعية. وهو واضع علم المنطق كله تقريبًا، ومنه لقب بالمعلم الأول. ولد المعلم الأول "أرسطو طاليس" في سنة 384 ق. م بمدينة "اسطاجيرا"، وهي مستعمرة قديمة يونانية. "سينيكا": فيلسوف وخطيب وكاتب مسرحي روماني، يلقب بـ"سينيكا" الفيلسوف، أو الأصغر، تمييزًا له عن والده الخطيب الشهير. كان يتبنى التصورات الفلسفية الرواقية في فن سياسة النفس.

جسدها متعرقًا متسخًا ورائحته نتنة. فغادر حجرة الراهب "تشيبولا" مندفعًا نحوها، مثلما يندفع النسر نحو الجيفة، تاركًا حراسة الأمتعة المكلف بها من قبل سيده الراهب. وبالرغم من شدة الحر، فقد ظل جالسًا في المطبخ بجوار النار، وأخذ يتحدث إلى تلك الخادمة المدعوة "نوتا"؛ يقول لها إنه نبيل كالنبلاء، وإنه ثري يمتلك أكثر من مائة ألف فلورين، هذا بخلاف الفلورينات الكثيرة التي يقدمها إلى الآخرين، وهي مثل ذلك المبلغ أو ربما تزيد، وإنه فصيح اللسان بليغ القول. ودون أن يلتفت إلى غطاء رأسها بما عليه من دهون تكفي لتتبيل وعاء طعام "ألتوباشو"[11]، أو إلى ثوبها الممزق والمرقع، أو إلى ما حول رقبتها وتحت إبطها من آثار القذارة ذات البقع والألوان التي لم ترد مثلها على حمامات التتار أو الهنود، أو إلى نعلها الممزق وجوربيها الباليين، قال لها، كما لو أنه السيد "سيري دي كاستيليوني"[12]، إنه سيشتري لها الملابس الجديدة، وسيزيل عنها ما بها من أوساخ، وسيهذبها ويخلصها من عبودية العمل في بيوت الآخرين. وأخذ يقول أشياء أخرى كثيرة لا تلبث أن تذهب سدًى، بالرغم من شدة تأثيرها؛ إلا أنها عادةً ما تكون دون جدوى، ولا يصل من خلالها إلى مبتغاه منها. ابتهج الشابان، وذلك بسبب انشغال الخادم "جوتشو بوركو" بحديثه إلى "نوتا"؛ فقد وفر عليهما نصف ما كانا سيتكبداه من مشقة. فدخلا إلى حجرة الراهب بكل

---

[11] مدينة إيطالية تابعة لإقليم "توسكانا"، مشهورة بكرم الضيافة؛ ولأنها كانت في طريق الحجيج إلى الأراضي المقدسة، فقد كانوا يجدون فيها المأوى والغذاء والرعاية.

[12] أحد السادة المشهورين بالثراء.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أريحية، حيث وجدوها مفتوحة. وكان أول ما وجداه داخل الأمتعة علبة كبيرة ملفوفة بقماش حريري ناعم، فيها صندوق صغير يضم ريشة من ذيل ببغاء؛ فأدركا أنها الريشة التي وعد بها الراهب "تشيبولا" الناس الذين كانوا- في ذلك العصر- لم يسبق لهم رؤية الببغاء؛ وهذا ما جعله قادرًا على إقناعهم بما يريد بسهولة ويسر؛ خاصة أن مظاهر الرفاهية التي بمصر لم تكن قد وصلت إلى "توسكانا" إلا بكميات ضئيلة، وليس مثلما جاءت فيما بعد بوفرة كبيرة، في كل إيطاليا[13]. وإذا كانت ريشة الببغاء غير معروفة لدى الكثيرين من سكان إيطاليا، فإن سكان تلك المدينة لم يكونوا قد سمعوا عن الببغاء من قبل.

فرح الشابان بعثورهما على الريشة؛ وكي لا يتركا الصندوق فارغًا، فقد ملآه بفحم وجدوه في أحد الأركان، ثم أغلقاه، وأعادا كل شيء مثلما كان. ودون أن يراهما أحد، مضيا سعيدين بالريشة، وراحا ينتظران ما الذي سوف يقوله الراهب "تشيبولا" للناس، عندما يجد فحمًا بدلًا من الريشة.

توافدت أعداد هائلة إلى المكان الذي حدده الراهب لعرض ريشة الملاك "جبرائيل". وكان كل من سمع بالخبر قد أخبر غيره به، إلى حد أن المكان لم يعد يتسع لكل من حضر؛ وكلهم ينتظرون قدوم الرهب "تشيبولا" ليرى الريشة. أما "تشيبولا"، فبعد أن تناول غداءً جيدًا، وقام بقيلولة قصيرة، نهض بعيد العصر، ثم أرسل إلى "كوشيو إمبراتا"، وأمره بأن يصعد عند سماعه قرع الأجراس، ويأتيه بالصندوق الموجود في أمتعته. وقد خرج

---

[13] يعترف "بوكاتشو" بكل موضوعية بتقدم مصر في ذلك الوقت عن إيطاليا.

المذكور على مضض من المطبخ، وقطع حديثه مع "نوتا"، ثم مضى متباطئًا حاملًا ما طُلب منه. ووصل إلى هناك وهو منهك القوى، لأن ما شربه من الماء نفخ جسمه كثيرًا. وبأمر من الراهب "تشيبولا"، ذهب إلى باب الكنيسة ليبدأ في قرع الأجراس بقوة. وبعد أن اجتمعت القرية كلها، بدأ الراهب "تشيبولا" موعظةً حول ما ينوي عمله، فقال كلامًا كثيرًا. وعندما حانت لحظة عرض ريشة الملاك "جبرائيل"، أمر بإشعال شمعتين، ثم بدأ ينزع قطعة القماش الحريرية؛ وكان قد خلع قبل ذلك قلنسوته، ثم أخرج الصندوق، ورتل أولًا بضع آيات المديح والتعظيم للملاك "جبرائيل" وريشته، ثم فتح الصندوق. وعندما وجده مملوءًا بالفحم، لم يساوره الشك ولو للحظة واحدة في أن يكون الفاعل هو خادمه "جوتشو بالينا"، لأنه يعرف أنه لا يمكن لأحد أن يصل إلى ذلك الحد. ولم يوجه له السباب كذلك لإهماله في الحيلولة دون أن يُقدم آخر على عمل ذلك؛ وإنما لعن نفسه لأنه عهد إليه بحراسة أمتعته، وهو يعلم أنه كسول، وغير مطيع، ومهمل، وزير نساء. لكنه رفع وجهه ويديه مع ذلك نحو السماء، دون أن يرتبك، وقال بصوت عال:

– رباه! تباركت قدرتك إلى الأبد!

ثم أغلق الصندوق وتوجه نحو الحاضرين، وقال: أيها السيدات والسادة، عندما كنت شابًا، أرسلني رئيسي إلى البلاد التي تشرق منها الشمس، وكلفني بمهمة محددة هي البحث عن وثائق "بورتشيلانا"[14]. ومع أن تلك الوثائق لا قيمة لها بالنسبة لنا، إلا أنها ذات فائدة كبيرة للآخرين. وهكذا بدأت الرحلة

---

[14] اسم مستشفى في مدينة "فلورنسا".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

منطلقًا من "فينجيا"، متوجها إلى "بورجو" في اليونان، وواصلت من هناك ممتطيًا صهوة جوادي عبر "مالطا" وعبر "بالداكا"؛ ووصلت إلى "باريوني"، وأنا أشعر بظمأ شديد. ثم وصلت بعد سفر طويل إلى "سردينيا". ولكن، لماذا أذكر لكم كل البلدان التي قطعتها؟ وفي النهاية، اجتزت مضيق "سان جوبيو" بين "تروفيا" و"بوفيا"، وهما بلدتان مكتظتان بالسكان. ومن هناك، انتقلت إلى بلاد "مينزونيا"[15]، حيث وجدت الكثير من كهنة مذهبنا هناك وكهنة أديان أخرى، وجميعهم يقومون بالتبشير هناك حبًّا للرب، ويبتعدون عن إزعاج أنفسهم هنا، حيث لا يدفعون أموالًا مقابل رحلاتهم هذه. وانتقلت بعد ذلك إلى بلاد "أبروتسي"، حيث يصنعون السجق من أمعاء الخنازير، ووجدت بالقرب من هناك أيضًا أناسًا يضعون الخبز في العصا[16] والنبيذ في القرب. ثم وصلت بعد ذلك إلى جبال "الباسكي"، حيث تنحدر المياه من فوقها إلى أسفل. ثم سرت كثيرًا إلى أن وصلت إلى بلاد الهند، حيث يوجد الجزر الأبيض. وأقسم لكم بثوب الكهنوت الذي أرتديه، أنني رأيت كل ما له ريش يطير، وهو أمر لا يصدقه من لم يره؛ ولكن "ماسو دل ساجو" سيؤكد كلامي، وهو تاجر كبير وجدته هناك كان يسحق حبات الجوز ويبيع القشور بالتقسيط. ولكنني لم أجد ما كنت أبحث عنه، ولم يكن فيما وراء ذلك كله سوى البحر؛ فعدت راجعًا، ووصلت إلى الأرض المقدسة، حيث

---

[15] كلمة "مينزونيا" بالعربية تعني "الكذب"، وهنا يستخدم "بوكاتشو" هذا الاسم ليكون كناية لما يقصده من كذب رجال الدين ونفاقهم، وكثير من أسماء المدن في هذه القصة خيالية، ولا وجود لها في الواقع.

[16] مثلما يفعله باعة السميط في مصر، حيث يضعون الخبز المستدير المجوف في عصا.

يكلفكم الخبز البارد في الصيف أربع قطع نقدية، والحر هناك مجانًا. وهناك التقيت بالأب الموقر السيد" نونميبلازماتى سيافوبياتشي"[17] ، وهو بطريرك بيت المقدس المبجل. وتقديرًا منه لثياب القديس " سان أنطونيو" التي أرتديها، أراد أن يريني كل الآثار المقدسة التي لديه. وقد كانت كثيرة جدًّا. فإذا أردتم أن أسردها لكم جميعها فلن أستطيع لكثرتها؛ ولكني لا أريد أن أخيب أملكم، فسأحدثكم عن بعضها. لقد أراني أولًا إصبعًا كاملًا وسليمًا من أصابع الروح القُدس، وخصلة شعر من رأس "السارافيم"[18] الذي ظهر للقديس "سان فرانشيسكو"، وظفرًا من أظافر "الكاروبيم"[19]، وضلعًا من ضلوع "فيربوم كارو فاتي اليفينسترى"[20] ، وبعض الملابس الكاثوليكية المقدسة، وبعض أشعة النجم الذي ظهر للملوك المجوس الثلاثة من الشرق[21]، وقارورة مملوءة بعرق القديس ميكائيل الذي سال منه وهو

---

[17] اسم ساخر، ومعناه بالعربية "لا تلعنوني! لو سمحتم"، ويقصد "بوكاتشو" به نقد رجال الدين.

[18] مجموعة من الملائكة موجودة في الأديان الإبراهيمية، خصوصًا اليهودية والمسيحية. ذُكرت في "سفر إشعياء"- بالعهد القديم- بوصفها تتلو نشيد التقديس "قدوس، قدوس، قدوس" محيطة بالعرش.

[19] هي جوقة من الملائكة مذكورة في عدة مواضع من الكتاب المقدس، وتعتبر أحد أقسام الملائكة في اليهودية والمسيحية، وتكتب في صيغة الجمع لا المفرد.

[20] يسخر "بوكاتشو" ثانية من المعتقدات الدينية، فمعنى هذه الكلمة "أيها الكلمة، انظر إلينا من الشباك"، وهو يقصد هنا آية الانجيل " الكلمة صار جسدًا".

[21] المجوس الثلاثة، أو الملوك المجوس، أو الحكماء الثلاثة من الشرق، الذين ذكروا في "إنجيل متى" (إصحاح 2).

https://telegram.me/maktabatbaghdad

يقارع الشيطان، وأحد فكّي القديس "لازارو" وأشياء أخرى. ولأنني منحته نسخة مما كان يبحث عنه منذ زمن، من صفحات من كتاب "مونتي موريللو"[22] وفصولا من كتاب "كابريتسيو"، فقد منحني بعضًا من أشيائه الأثرية المقدسة، ووهبني أحد أسنان الصليب المقدس، وقارورة فيها شيء من أصوات أجراس معبد سليمان، وريشة الملاك جبرائيل التي حدثتكم عنها، وقبقابا من قباقيب القديس "جيراردو دي فيلاّ مانيا"، وقد أعطيت هذا القبقاب- منذ وقت قريب، في "فلورنسا"- إلى "جيراردو دي بونسي"، الذي يبجّل هذا القديس بشكل خاص، فأهداني كذلك الفحم الذي أحرق فيه الشهيد المبارك القديس "سان لورنزو". وقد أحضرت معي هذه الأشياء كلها، وأنا أحتفظ بها بكل تبجيل وتقديس. والحقيقة إن رئيسي لم يسمح لي قط بأن أعرض هذه الأشياء قبل التثبت من أنها حقيقية. ولكن بعد أن جرى التأكد من صحتها، بعدد من المعجزات التي تحققت بفضلها، ومن خلال الرسائل التي تلقيناها من البطريرك، منحني رئيسي الإذن بعرضها عليكم؛ وأنا أحتفظ بها معي على الدوام، لأنني أخشى أن أعهد بها إلى أحد. والحقيقة إنني أحفظ ريشة الملاك "جبرائيل"، كي لا تتلف، في صندوق، وأحفظ الفحم الذي أحرق به القديس "سان لورينزو" في صندوق آخر، ولأن كل من الصندوقين يشبه الآخر تمامًا، فإنني أخطئ في تناول أحدهما فأتناول

[22] هنا يستخدم "بوكاتشو" الاستعارة؛ فـ"مونتى موريلّو" اسم جبل يقع شمال مدينتي "فلورنسا" و"كابريتسيو"، ويستخدم هذا الاسم في العامية ليشير إلى عملية اللواط. وتبدو الاستعارة في تشبيهه لـ"مونتى موريللو" و"كابريتسيو" بالكتب التي تنسخ، وكذلك في قوله "منحته نسخة"، و"منحني"، ليحاول أن يوصل إلى الأذهان ما يرمي إليه.

الآخر، وهو ما حدث لي الآن. فاعتقدت أنني قد تناولت الصندوق الذي يضم الريشة، لكنني وجدت أني قد أحضرت الصندوق الذي يضم الفحم. ولست أرى في هذا الأمر خطأ، ولكنه يبدو لي أن مشيئة الرب هي التي وضعت صندوق الفحم في يدي، لاسيما أن عيد القديس "سان لورينزو" سيحل بعد أيام قليلة. وقد أراد الرب أن أريكم الفحم الذي أُحرق فيه القديس، لإحياء الإيمان به في أرواحكم؛ فجعلني أتناول الفحم المبارك الذي أطفأه ذلك الجسد المقدس بدلًا من الريشة. ولهذا، يا أبنائي المؤمنين، انزعوا عنكم قبعاتكم، وتعالوا وانظروا لتروا هذا الفحم. ولكنني أريد أن أؤكد لكم أولًا أن كل من ترسم عليه إشارة الصليب بهذا الفحم، لن تمسه النار طوال السنة.

بعد أن أنهى كلامه، بدأ يرتل تبجيلًا للقديس "سان لورينزو"، وهو يفتح الصندوق. وعرض الفحم على الناس التي كانت تنظر بتوقير وإعجاب. ثم تزاحم الجميع حول الراهب "تشيبولا"، وكل منهم يقدم له من الصدقات أكثر مما اعتاد أن يقدم ، ويتوسلون إلى الراهب أن يباركهم بذلك الفحم. وعندما رأى الراهب "تشيبولا" كمية الصدقات الكبيرة المقدمة، راح يرسم بالفحم إشارة الصليب على أحجبة النساء البيضاء، وعلى ثياب الرجال، وهو يقول لهم إن قطع الفحم المستهلكة في وسم الصلبان ستعود ثانيةً مثلما كانت عند إغلاق الصندوق، وإنه جرب ذلك مرات عديدة، وقام برسم الصبيب على كل أهل البلدة.

وكان الشابان اللذان أرادا السخرية منه حاضرين، وسمعاه وهو يلقي موعظته البليغة، فضحكا على ذلك كثيرًا. وبعد انصراف الناس، أخبراه بما

https://telegram.me/maktabatbaghdad

فعلاه، وأعادا إليه الريشة؛ فكانت فائدته منها في السنة التالية لا تقل عن استفادته من الفحم.

سُر الجميع من القصة، فضحكوا كثيرًا من الراهب "تشيبولا"، وبالأخص من رحلة الحج التي قام بها، والآثار المقدسة التي رآها وأحضرها معه. وعندما انتهت القصة، نهضت الملكة، وقد أدركت أن فترة حكمها قد انتهت، فنزعت التاج عن رأسها، ووضعته وهي تضحك على رأس "ديونيو"، وقالت له: لقد حان الوقت يا "ديونيو" لتعرف مدى ثقل مسؤولية قيادة وحكم النساء. فلتكن ملكًا إذن، ولتحكم بحكمة نمتدحك عليها في النهاية. تلقى "ديونيو" الإكليل، وأجابها قائلًا: من المؤكد أنكن رأيتن مرات كثيرة ملوك شطرنج أكثر جدية مني. والحقيقة إنكن إذا ما أطعتموني مثلما يطاع الملوك، فسأجعلكن تستمتعن بما لا يمكن لحفلة أن تكون سعيدة من دونه. ولكن، فلندع هذه الكلمات جانبًا، وسوف أحكمكم بأفضل مما أستطيع.

واستدعى القهرمان، كما هي العادة، وكلفه بما عليه عمله خلال فترة حكمه، ثم قال: سيداتي العزيزات؛ لقد جرى الحديث هنا في مواضع كثيرة عن الذكاء وعن أشياء أخرى. ولو لم تأتِ قصة "ليتشيسكا" قبل قليل- وقد أوحت لي كلماتها بموضوع قصص الغد- لكنت قد احتجت إلى وقت طويل لأفكر في الموضوع الذي سنتكلم فيه. فقد قالت، مثلما سمعتن، إنه ليس لديها جارة ذهبت عذراء إلى زوجها؛ وأضافت أنها تعرف جيدًا مكائد المتزوجات وخداعهن لأزواجهن. وسأتحاشى النصف الأول، لأنه أمر صبياني، وأرى أنه سيكون من الممتع الحديث عن النصف الثاني. ولهذا أريد

أن يكون موضوع حديثنا في الغد هو حيل النساء بدافع الحب، أو من أجل التخلص من أزواجهن، سواء اكتشف الأزواج ذلك أو لم يكتشفوه.

شعرت بعض السيدات أن الحديث في هذا الموضوع لا يليق، وطالبنه أن يبدل اقتراحه إلى موضوع آخر، فأجابهن الملك: سيداتي، أنا أعرف ما إن كان ما أمرت به لائقًا أم لا خيرًا منكن، ولا يمكنكن أن تبدلن رأيي مهما عرضتن من أعذار. فكل حديث مباح في هذا الزمن الذي يقول فيه الرجال والنساء ما يريدون، ويفعلون أشياء مخلة بالشرف. ألا تعلمن أن القضاة، في هذا الزمن الدنيء، قد هجروا المحاكم؛ وأن الشرائع الإلهية والإنسانية قد صمتت كلها، وصار لكل امرئ الحق المطلق في الحديث عن مختلف شؤون الحياة؟ فإذا ما ورد في كلامنا ما يخدش الحياء، فليس في ذلك ما يعني أننا نفعل ما نقوله، وإنما رواية القصص لمتعة الآخرين ومتعتنا. ولست أرى في هذا ما يستدعي عتابكن فيما بعد. ثم إن اجتماعنا هنا كان شريفًا منذ اللحظة الأولى حتى الآن، ولا أظن أنه يمكن لأي قول، بعون الرب، أن يشوهه أو ينال منه. وفضلًا عن هذا: فمن الذي يجهل عفتكن وشرفكن؟ ولست أظن أنه يمكن للأحاديث المسلية والممتعة أن تنال من سمعتكن. والحقيقة أنه إذا كان هناك من سيعرف أنكن رفضتن التحدث في هذه الأمور يومًا ما، فسوف يظن أنكن قد ارتكبتن مثل تلك الأفعال، ولا ترغبن في التحدث عنها. كل هذا دون ذكر رغبتكن في تتويجي ملكًا، وقبلت ذلك منكن، ثم تأتين الآن لتفرضن عليَّ قانونكن، بدل الانصياع لأوامري. فلنتقبل أخيرًا هذا الموضوع، مع تمنياتي لكل واحدة منكن بأن يحالفها الحظ في التفكير في قصة ممتعة.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

عندما سمعن كلامه، لم يجدن بُدًّا من الانصياع لقراره. وعندها منح الملك الجميع الإذن ليفعلوا ما يحلو لهم، حتى موعد العشاء. وكانت الشمس لا تزال عالية في السماء، لأن قصص اليوم كانت قصيرة ومقتضبة؛ فظل "ديونيو" والشابان الآخران يلعبون الدومينو. واستدعت "إليزا" السيدات جانبًا، وقالت لهن: هناك وادٍ يسمى وادي السيدات، وهو يقع في مكان قريب من هنا، ولكم رغبت في أن آخذكن إليه منذ أن أتينا، فلا أعتقد أن أيًّا منكن قد سبق لها الذهاب إليه. وأرى الآن الوقت مناسبًا للذهاب إلى هناك إذا كنتن ترغبن في ذلك. وهو مكان بديع، وأنا على يقين من أنه سينال إعجابكن جميعًا.

وافقت السيدات على الفور، وانطلقن جميعًا، دون إخبار الشبان بأي شيء، قاصدات ذلك الوادي. وعلى بُعد ميل واحد من مكان تواجدهن، كن قد بلغن الوادي المنشود؛ وكان مكانا بديعًا؛ فأخذن يتجولن فيه عبر درب ضيق على أحد جانبيه جدول رقراق. وكان الجزء المنبسط في قاع الوادي دائريًّا، كما لو أنه رُسم بالفرجار، لكنه من صنع الطبيعة، وليس من صنع البشر. ويزيد قُطر تلك الدائرة قليلًا عن نصف ميل، وتحيط بالمكان ستة جبال ليست شديدة الارتفاع. وفوق كل جبل ثمة قلعة باهرة الجمال. وكانت سفوح تلك الجبال تنحدر نحو الرقعة المنبسطة متدرجة، مثلما نرى في المسارح، حيث ترسم شكلًا مُدرجًا من الأعلى حتى بطن الوادي بانتظام، وتضيق دوائرها كلما ازداد انخفاضها. وكانت السفوح المتجهة إلى الجنوب مزروعة بالعنب والزيتون واللوز والكرز والتين وغيرها من الأشجار المثمرة. أما المتجهة نحو الشمال، فتملؤها غابات السنديان والدردار، وغيرها من

الأشجار المرتفعة شديدة الخضرة. أما المنطقة الخفيضة المنبسطة، فليس لها من مدخل سوى ذلك الطريق الضيق الذي دخلت منه السيدات، وفيها أشجار السرو وأشجار الغار، وبعض أشجار الصنوبر الموزعة بانتظام بديع، حتى كأن يد أفضل بستاني هي التي زرعتها؛ مع العلم أنه لا يتسلل إليها إلا قليل من أشعة الشمس. أما الارض، فيكسوها عشب قصير، تتخلله أزهار من كل الأشكال والألوان. وكان هناك غدير بديع، ينحدر ماؤه من بين جبلين من تلك الجبال، وينساب على الصخور؛ فيحدث خريرًا عذبًا يمتع الآذان، ويتطاير رذاذه كأنه الفضة. وعندما يصل إلى الوادي في الأسفل، يجري في جداول، ليشكل هناك بحيرة صغيرة مثل تلك التي يقيمها بعض سكان المدن الأثرياء في حدائق بيوتهم. ولم يكن عُمق تلك البحيرة يصل إلى أكثر من صدر الرجل تقريبًا، لكن صفاء مائها يُظهر قاعها الذي تغطيه حجارة صغيرة ملساء، يمكن للمرء أن يحصيها واحدةً واحدة إذا أراد. ولم يكن يظهر للناظر قاع البحيرة فقط، وإنما كذلك كثير من الأسماك التي تسبح بانسياب في كل أنحائها. ولم تكن البحيرة مغلقة من الجانب الآخر، وإنما ينساب الماء الفائض فوق العشب ليجتمع في قناة أخرى، ويسيل من ذلك الوادي الصغير إلى أماكن أكثر انخفاضًا. أعجبت الفتيات إعجابًا شديدًا بجمال ذلك الوادي، وأخذن يتجولن في أنحائه. ولشدة الحر، ورؤيتهن البحيرة الصغيرة أمامهن، ودون أي خوف من أن يراهن أحد؛ قررن الاغتسال فيها. فأرسلن خادمة لتحرس الطريق الذي جئن منه، وتخبرهن إذا ما جاء أحد. ثم نزعن ملابسهن، ونزلن إلى الماء الذي كان كأنه زجاج شفاف. وبينما هن في البحيرة، رحن يتنقلن في جنباتها وراء الأسماك، بغية إمساكها بأيديهن. وقد

https://telegram.me/maktabatbaghdad

استطعن الإمساك ببعضها على سبيل اللهو. وبعد قضاء بعض الوقت على تلك الحال، خرجن من البحيرة، وارتدين ملابسهن وهن مفتونات بجمال المكان. ثم رأين أن الوقت قد حان للرجوع إلى البيت، فسرن بخطوات بطيئة، يتحدثن عن روعة ذلك المكان.

وعند وصولهن إلى البيت، وجدن الشبان لا يزالون يلعبون كما تركوهم، فقالت لهم "بامبينيا" ضاحكة: لقد استطعنا خداعكم اليوم.

فقال "ديونيو": كيف؟ هل بدأتن بممارسة خدع النساء قبل رواية القصص عن ذلك الموضوع؟

فقالت "بامبينيا": أجل، يا سيدي. ثم أخبرتهم عن المكان الذي كن فيه، وبأمر ذلك الوادي ومكان تواجده، وكم هو جميلًا وبديعًا.

شعر الملك، بعد ما سمعه من "بامبينيا" بالرغبة في رؤية هذا الوادي، فأمر- بعد الانتهاء من العشاء- بأن يستعد الرجال للانطلاق نحو الوادي المنشود. وانطلق الرجال الثلاثة مع خادمهم إلى أن بلغوا الوادي، وأعجبوا بجماله، معتبرين أنه بلا مثيل في الوجود. ولشدة الحر نزع الرجال ملابسهم ونزلوا للاغتسال في البحيرة. وبعد انتهائهم، ارتدوا ملابسهم وعادوا راجعين، فوجدوا النساء يرقصن على لحن تغنيه "إليزا".

بعد انتهاء الرقصة، أخذوا يتحدثون عن الوادي ومدى روعته. بعدها استدعى الملك القهرمان، وأمره بأن يعد كل شيء- في اليوم التالي- للذهاب إلى الوادي، وأن يأخذ أيضًا بعض الأسِرة؛ فلعل أحدهم يرغب في نوم القيلولة هناك. ثم طلب إحضار أضواء ونبيذ وحلوى لبث النشاط والحيوية في روح جماعته. وطلب من الجميع الرقص، فكان "بانفيلو" أول من بدأ

الرقص. والتفت الملكِ عندئذٍ إلى "إليزا"، وقال لها برقة: أود اليوم، أيتها الشابة، أن أكرمك الآن بشيء مقابل أنك سبق وأكرمتني. لقد أكرمتني بتتويجي ملكًا ومنحي إكليل الغار؛ لذا سأجعلك أول من يغني، فاختاري الأغنية التي تروق لكِ.

فأجابت "إليزا" مبتسمة بأنها ستفعل ذلك بكل سرور، وبدأت الغناء بصوتها العذب الرقيق:

أيها الحب اعلم أنني إذا ما أفلَت يومًا من حبالك التي حولي،
فقطعًا لا أظن أنني،
سأقع فيها مرةً أخرى.
كنت صغيرًا حينما أوقعتني براثنك ،
متخيلة أنها السلام الباقي،
فنحيت جانبًا كل أسلحتي،
تمامًا كمن يُسلم نفسه إلى شخص أمين وفي،
بيد أنك كالصقر الجارح الطاغي ،
انقضضت بسلاحك ومخالبك الضارية عليّ،
وبأغلالك قيدتني،
فصرت مطاردي وجلادي،
فعانيت مرارة البكاء والآلام،
فكنت طريدة في زنازين العشاق،
حقًّا صدق من قال إن جبروت الحب قاس،
فلا تؤثر فيه دموعي وأحزاني.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ولا فائدة من توسلاتي،

فليس هناك مَن يصغي إليَّ أو يسمعني،

في كل ساعة تزداد آهاتي،

فأعيش غمي وحسراتي،

تمنيت الموت ولا أجده جواري،

فارحم آلامي أيها الحب سيدي،

وارأف لحالي،

وافعل أنت ما لم يكن بمقدوري، فاجعله يأتي إليَّ

مكبلًا بأغلالك، ياسيدي.

أنهت "إليزا" أغنيتها بأسى عميق. وعلى الرغم من أن الجميع أعجب بغنائها وأثني عليها، إلا أنه لم يكن بمقدور أحدهم معرفة المقصود من وراء الأغنية. إلا أن الملك- الذي كان مزاجه صافيًا، غير معتكر- استدعى "تيندارو"، وطلب منه أن يأتي بمزمار القربة، وطلب من الجميع مواصلة الأغنيات والرقص؛ فكانت هناك الكثير والكثير من الرقصات والأغنيات الأخرى التي دامت حتى مضت ساعات الليل الأولى. فطلب الملك من الجميع الذهاب إلي النوم للراحة، استعدادًا لليوم التالي.

وهنا أسدل الستار على اليوم السادس.

اليــوم السَّــابع

ينتهي اليوم السادس من الديكاميرون، وتبدأ شمس اليوم السابع في الشروق، تحت حكم "ديونيو". وفي هذا اليوم الجديد، يتم تناول موضوعات عن الحيل التي تقوم بها السيدات، بدافع الحب، أو بدافع التخلص من أزواجهن.

بدأ أول خيط لنور الفجر يبزغ من بعيد، وأخذت تختفي معه النجوم التي زينت السماء. استيقظ القهرمان، وحمل أغراض كثيرة إلى السيدات لتجهيز كل ما يلزم، كما أمره الملك. ثم قام بوضع الأمتعة في المكان المخصص للسيدات. وقبل أن يغادر المكان، كان الملك قد استيقظ على ضجيج الحمالين، وأيقظ السيدات والشابين الآخرين. وهكذا مضوا جميعًا، وانطلقوا يشقون الطريق، طبقًا لما أمر به الملك المتوَّج لهذا اليوم.

شعر الجميع أن الطيور والبلابل تغرد في هذا الصباح أكثر من أي يوم مضى، فكانت تشدو في سعادة بالغة؛ وفي ظل هذا التغريد العذب للطيور، اتجهوا معًا إلى وادي السيدات. وبمجرد وصولهم إلى هناك، استقبلتهم الطيور

https://telegram.me/maktabatbaghdad

بمزيد من التغريد الرائع، وكأنها ترحب بهم. أخذوا جولة بالمكان، وهم يتأملون فتنة وجمال المنظر الذي يشع بريقًا ولمعانًا أكثر مما كان عليه في اليوم السابق، لأن التوقيت كان مناسبًا أكثر.

تم تجهيز الفطور، وتناولوا بعده الحلوى والشراب الفاخر. وحتى لا تتفوق الطيور عليهم في الغناء، بدأوا في الغناء هم أيضًا؛ وكان صدى الصوت في الوادي يزيد من غنائهم جمالًا وعذوبة.

وحين أتى وقت الغداء، وُضعت الموائد، كما أشار الملك، تحت أشجار الغار وغيرها من الأشجار الجميلة، بجانب البحيرة البديعة. جلسوا علي مقاعد مريحة مناسبة ليأكلوا، ويتأملوا الأسماك المتلألئة في مياه البحيرة. كانت هذه الأسماك، وجمال الطبيعة في المكان، هو ما يشغل بالهم ومحور حديثهم أثناء تناولهم الطعام. وبعد أن فرغوا من تناول الطعام، رفعوا الموائد، وكانوا مستمتعين بالمنظر الجميل في سعادة غامرة، ويتغنون ويعزفون على الآلات الموسيقية، ويتمايلون كالفراشات. بعدها تم تجهيز المفروشات بعدة أماكن من الوادي– وقد قام القهرمان بإحاطتها جميعها بأقمشة من الحرير الفرنسي وستائر محكمة– ليتمكنوا من النوم في راحة. وبإذن من الملك، ذهب للنوم كل من أراد. أما من لم يُرد النوم، فبقي ليتسلى مع الآخرين كما اعتادوا.

وعندما حل وقت استيقاظ الجميع، وحان وقت اجتماعهم لرواية القصص، فرشوا البساط فوق العشب الأخضر الخلاب، في نفس المكان الذي تناولوا فيه الطعام تقريبًا، بالقرب من البحيرة. وهناك أصدر الملك أمره لـ"إيميليا" أن تبدأ في القص، فبدأت حديثها مبتسمة، وقالت:

القصـة الأولـى

يسمع "جانّي لوتّيرنجي" صوت طرق علي باب منزله في الليل؛ فيخبر زوجته بذلك، فتقنعه أنه بالتأكيد شبح هو الذي يطرق علي الباب. فيحاولان طرده من خلال الصلاة والذكر؛ ويتفاجآن بعد ذلك بتوقف الطرق علي الباب.

- سيدي، كنت أفضل ألا أبدأ الكلام في هذا الموضوع الشيق الذي سنتحدث عنه اليوم. ولكن، بما أنك قمت باختياري، فلابد من التحدث حتى أشجع غيري علي الكلام. وسأقوم بذلك بكل سعادة، بل سأبذل قصارى جهدي لأحكي شيئًا قد يفيدكم، إن كنتم مثلي تخافون من الأشباح. فالرب وحده هو العالم بحقيقة مثل تلك الأمور، ولا يوجد شخص يعلم شيئًا عن ماهية وحقيقة هذه الحكايات والأساطير. ولأننا كلنا نخافها، ونهرب منها لو شعرنا بقربها، ونريد إبعادها حين تقترب منا، فستتعلمون الآن من قصتي دعاءً يفيدكم للتخلص منها.

كان يعيش في "فلورنسا"، تحديدًا في حي "سان برانكاتسيو"، بائع ملابس يُدعى "جانّي لوتّيرنجي"؛ رجل ماهر في عمله، لكنه لا يعلم شيئًا عن

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الأمور الأخرى. ونظرًا لبساطته، تم تعيينه مرتلًا أول في كورال كنيسة "سانتا ماريا نوفيلّا". كان هذا المكان يوجب عليه تقديم الصدقات والهدايا إلى الرهبان؛ فتارةً يهدي أحدهم سروالًا داخليًا، وتارةً عباءة لكاهن آخر، وهكذا. وكانوا يشكرونه على صنيعه هذا بتعليمه أدعية وتراتيل مفيدة، كـ"أبانا الذي في السموات" باللغة العامية، و"ترانيم القديس سانتو أليجو"، و"بكائية القديس سان برناردو"، و"تسابيح القديسة ماتيلدا"، وأشياء أخرى مشابهة. وقد حفظها عن ظهر قلب، وكان يكررها بخشوع حتى يُنقي روحه.

كان هذا الرجل متزوجًا من امرأة جذابة وغاية في الجمال، تدعى السيدة "تيسًا"، هي ابنة "مانوتشو دي لا كوكليا". وكانت امرأة ذكية وماكرة، تعلم بسذاجة زوجها. وقد وقعت هذه الزوجة في غرام شاب يدعى "فيدريجو دي نيري بوجولوتي"، وهو شاب وسيم يتمتع بالهمة والنشاط، وأحبها هو الآخر. وقد تمكنت- بمساعدة خادمتها- من تدبير أمر لقائهما، فكان يقابلها ويتحدث معها في بيت ريفي جميل يمتلكه زوجها في "كاماراتا"[23]، حيث تقضي الصيف هناك. وكان زوجها "جانّي" يأتي أحيانًا لزيارتها. وكان إذا أتى إليها، يبقى هناك ليتناول العشاء ولينام عندها؛ لكن زياراته هذه لم تكن كثيرة.

وفي إحدى الليالي، ذهب "فيدريجو" إليها. وبما أن زوجها لم يأت، فقد بقي لديها، وتناول العشاء مع السيدة، وقضى الليل بين ذراعيها. وعلمته السيدة ستة من تراتيل زوجها. واتفقا علي تكرار هذه اللقاءات، واتفقا

[23] بلدية في مقاطعة "أجريجنتو"، في "صقلية" الإيطالية.

سويًا علي علامة تسهل لقاءهما، وهي أن عليه أن يمر مساء كل يوم من أرض يمتلكها قريبة منها، حيث توجد جمجمة حمار معلقة علي غصن هناك. فإن كان وجه الجمجمة يتجه ناحية "فلورنسا"، فحينها يكون الطريق آمنًا ليأتي إليها؛ وإن لم يجد الباب مفتوحًا، فعليه أن يطرقه ثلاث مرات، لتفتح له. لكنه لو وجد الجمجمة متجهة ناحية "فيسولي"، فعليه عدم القدوم، لأن زوجها "جانّي" سيكون موجودًا. وقد تقابلا كثيرًا بهذا الشكل.

وذات مرة، كانت السيدة تنتظر "فيدريجو" علي العشاء، وجهزت له عشاءً فاخرًا بشواء ديكين سمينين. ولكن حدث أن حضر "جانّي" زوجها في ساعة متأخرة من الليل. تضايقت السيدة كثيرًا لقدومه، وخبأت الطعام الفاخر في قطعة من القماش الأبيض، وتناولت معه قليلًا من اللحم المملح، وأمرت خادمتها بحمل الديكين المشويين وبعض البيض الطازج والنبيذ الفاخر إلى مكانٍ ما في الحديقة، حتى يتمكن عشيقها من الدخول وتناول الطعام؛ فقد كانت تتناول معه العشاء في هذا المكان أحيانًا. وطلبت من الخادمة وضع هذه الأشياء عند شجرة الخوخ المزروعة بجانب المرج الصغير. كانت في ضيق شديد جعلها تنسى أن توصي خادمتها أن تنتظر قدوم "فيدريجو"، وتبلغه بقدوم "جانّي" المفاجئ، وأن يأخذ هذه الأشياء من الحديقة.

وبعد أن ذهب الزوجان للنوم، أتي "فيدريجو" وطرق الباب برفق. كان الباب بالقرب من غرفة نوم الزوجين، فسمع الزوج صوت الطرق بوضوح؛ وسمعته أيضًا الزوجة، ولكنها ادعت أنها نائمة حتى لا يشك زوجها في شيء. وبعدها بقليل، طرق "فيدريجو" علي الباب ثانيةً، فأيقظ "جانّي" زوجته، وقال

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لها:

– أتسمعين هذا الصوت، يا "تيسًا"؟ شيءٌ ما يطرق الباب.

كانت أيضًا هي الأخرى تسمع هذا الطرق بوضوح، غير أنها تظاهرت أنها مستغرقة في النوم، وتظاهرت أنها استيقظت من نومها على صوته: وقالت له:

– ما بك، يا زوجي، وماذا تقول؟ لماذا توقظني في هذه الساعة المتأخرة في الليل؟

فرد "جان": لقد قلت لكِ إنني أسمع صوت طرق علي الباب، وما يزال الطرق مستمرًا، ألا تسمعين؟!

–طرق علي الباب؟ آه يا"جانّي"!

ثم قالت في خوف: أتعلم ما هذا؟ إنه شبح أخافني كثيرًا الليلة الفائتة. فقد سمعت هذا الصوت علي الباب ليلة أمس، لدرجة أنني خبأت وجهي تحت الغطاء حتى الصباح.

حينها قال "جانّي":

– لا تخافي، يا امرأة، فحين توجهنا للفراش قرأت دعاء "تي لوشيس"، و"إنتريمراتا" وصلوات أخرى؛ وإضافةً لذلك، فقد مررت بالصليب المقدس على فراشنا مرددًا: باسم الأب والابن وروح القدس؛ فلا يمكن لأي شبح مهما بلغت قوته أن يؤذينا.

وحرصًا من السيدة على ألا يتحير "فيدريجو"، قامت لتنبهه أن زوجها في البيت معها، وقالت لـ"جانّي":

– ما تقوله جيد، غير أنني لن يهدأ بالي حتى نطرد هذا الشبح من هنا سويًّا، بما أنك موجود معي هنا الليلة.

فقال "جانّي": وكيف تودين طرده؟

فقالت زوجته: أتعلم، يا عزيزي "جانّي"؛ حين ذهبت أول أمس إلى "فيسولي"، أخبرتني راهبة تقية ورعة هناك بدعاء بالغ القدسية، وقالت لي إنها قد جربته مرات كثيرة قبل أن تصير راهبة، وكان يفيدها دائمًا. لكن الرب يعلم أنه لم تأتني الجرأة مطلقًا لكي أجرب هذا الدعاء، وأنا بمفردي؛ وحيث أنك هنا الآن، فإنني أود تجربة هذا الدعاء لنطرد هذا الشبح.

وافق زوجها على طلبها، ونهضا واتجها نحو الباب؛ وهناك قالت زوجة "جانّي":

– أيها الشبح القادم، ستذهب اليوم وأنت رافع ذيلك كما أتيت خائب الرجاء؛ فاتجه نحو البستان، تحت شجرة الخوخ الكبيرة، حيث ستجد عندها لحوما مطهية، ومائة بعرة[24]؛ فخذها كلها، وارحل مسرعًا من حيث أتيت، ولا تؤذني أنا وزوجي "جانّي".

ثم طلبت من زوجها أن يبصق الآن!

فبصق "جانّي". وكان "فيدريجو" يسمع كلامهما من الخارج، ففهم ماذا تقصد، وأمسك نفسه عن الضحك حتى لا يشعر به أحد. وقال بصوت منخفض، لما بصق "جانّي":

– فلتبصق علي الأشباح!

بعد أن قرأت السيدة على الشبح المزعوم ذلك ثلاث مرات، عادت إلى

---

[24] البَعْرُ: براز ذوي الخُفِّ والظِّلْفِ من الإبِلِ والشّاءِ وَبَقَرِ الوَحْشِ والظِّبَاءِ، إلاّ البقَر الأَهْلِيَّة. وقد جاء ذكر البعر في دعاء المرأة لأنهم كانوا يعتقدون أن الأشباح تأكله.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

فراشها هي وزوجها. أما "فيدريجو"، الذي كان يرجو تناول العشاء معها، فقد فهم ما الذي تقصده من كلماتها تلك. وذهب نحو تلك الشجرة، فوجد هناك الديكين المشويين، والنبيذ الفاخر والبيض، فأخذ تلك الأشياء إلى منزله، واستمتع بأكلها. وكان كلما قابل هذه المرأة بعدها، يضحكان معًا علي تلك الليلة، وذلك الدعاء السحري الذي أتت به زوجة "جانّي". ولكن كان هناك آخرون يروون هذه الواقعة بشكل مغاير:

يقول آخرون إن جمجمة الحمار كانت باتجاه "فيسولي" فعلًا، بناءً على اتفاق العشيقة وعشيقها. غير أن فلاحًا كان يمر من هناك، وحركها بعصاه، من دون قصد، فتغير اتجاهها. فلما وجدها "فيدريجو" على هذا النحو، اعتقد أن السيدة تنتظره. وحين طرق الباب، قالت السيدة الدعاء علي النحو التالي: "أيها الشبح، ارحل وانصرف في أمان الرب، فأنا لم أغير اتجاه جمجمة الحمار، ولكن أحدًا آخر مَن قام بذلك، فلينتقم منه الرب. فأنا هنا مع زوجي الآن".

ويقولون إن "فيدريجو" بعد سماعه دعاء عشيقته- التي كان يُمني نفسه بقضاء وقت ممتع معها- عاد إلي بيته مغمومًا، ومن دون عشاء. لكن هناك جارة لي، وهي سيدة كبيرة في السن، قالت إن كلتا القصتين حقيقيتان، وإنها سمعتهما في شبابها؛ لكن القصة الثانية حدثت مع شاب آخر يدعى "جانّي" أيضًا، لكن اسمه "جانّي دي نيلّو"، وليس "جانّي لوتّيرنجي"، كان يعيش في "بورتا سان بيترو"، وكان أكثر عقلًا بقليل من "جانّي لوتّيرنجي".

لذلك، يا سيداتي الغاليات، أدع لكن اختيار نهاية القصة بالشكل الذي يعجبكن، وأتمنى أن تكن قد استفدتن منها.

القصــة الثَّــانية

يعود زوج "بيرونيلا" إلى بيته فجأةً، فتتصرف الزوجة بدهاء، وتضع عشيقها في برميل خشبي. وحين تعرف أن زوجها اتفق على بيع هذا البرميل الكبير، تخبره أنها قد اتفقت على بيعه لشخص آخر، وأن هذا الشخص موجود بداخل هذا البرميل الآن ليتفحصه جيدًا؛ فيخرج العشيق عندما يسمع هذا الحديث، ويطلب من الزوج تنظيف الوعاء جيدًا، ويأخذه بعدها معه، ثم يرحل.

حظيت قصة "إيميليا" بالكثير من ضحك وإعجاب الرواة، وأعجب الجميع بالترتيل الورع. بعدها، أشار الملك إلى "فيلوستراتو"، وأمره أن يكمل هو؛ فقال الآتي: سيداتي العزيزات، هناك الكثير من الحيل التي يخدعكن بها الرجال، وبشكل خاص الأزواج. فإذا قامت امرأة باستخدام الحيلة والمكر مع زوجها، فلا تكتفين فقط بالفرح والسعادة بذلك، أو بسماعه من أحد، ولكن عليكن أن تقمن برواية هذه القصص ونشرها لكل من تعرفن، حتى يدرك الرجال أنهم ليسوا وحدهم مَن بمقدورهم القيام بالحيل والألاعيب؛ فالنساء أيضًا يمكنهن القيام بنفس الأمر. وقد يكون

https://telegram.me/maktabatbaghdad

هذا نافعًا لكُن. فحين يعلم الشخص أن الآخر يمكنه القيام بما يقوم به، فإنه يراجع نفسه كثيرًا، ويتوقف عن الإصرار على الخطأ. وبلا أدني شك، فإن موضوعنا، حينما يعلمه الرجال، سيكون بمثابة صفعة لهم حتى يفيقوا من وهمهم، ويعلموا أن النسوة يمكنهن خداع الرجال، بل والاستهزاء بهن، إن تطلب الأمر؟ وهكذا، فسأروي لكُنّ ما أقدمت عليه شابة مع زوجها حتى تنجو بفعلتها، مع أنها من أصل وضيع، ولكنها فعلت ذلك.

يُحكى أنه منذ وقت بعيد، كان هناك رجل فقير من "نابولي" قد تزوج من امرأة جميلة وشابة، اسمها "بيرونيلا". وكان هذا الرجل يعمل في البناء، وكانت زوجته تغزل الصوف، وكانا يكسبان القليل، ويرتبان شؤونهما قدر ما يستطيعان. وذات يوم، حدث أن شاهد شاب سيء الخلق "بيرونيلا"، فأعجبته للغاية ووقع في حبها، وأخذ يشغلها بكل السبل حتى استطاع أن يتقرب منها؛ وامتد الأمر ليقيم علاقة معها. فاتفقا ورتبا معًا أمر لقائهما. فقد كان زوج الفتاة يصحو من النوم باكرًا ليذهب إلى عمله، أو ليبحث عما يقوم به ليكسب قوت يومه، وكان ذلك الشاب ينتظر خروجه. كان المكان الذي يعيشون فيه نائيًا، تحديدًا في حي "أفوريو". وبعد أن يتأكد العشيق كل يوم أن الزوج قد غادر المنزل، يدخل البيت بعدها مسرعًا. فعل ذلك عدة مرات. وذات مرة خرج الزوج من بيته، ثم دخل العشيق "جانيلُّو ستريناريو"، وبعدها بقليل- لسوء حظ العشيق، هذه المرة- عاد الزوج إلى منزله، فوجد الباب مغلقًا من الداخل. فطرق الباب، وهو يقول في نفسه: "أحمدك يا رب، مع أنك جعلتني فقيرًا، لكنك أعطيتني زوجة شريفة وجميلة. فقد أغلقت الباب من الداخل بمجرد خروجي من المنزل، حتى لا يدخل

شخص غريب ويضايقها".

شعرت بأن زوجها علي الباب، فقالت لصديقها:

– يا ويلي! لقد هلكنا! زوجي علي الباب. اللعنة! لا أعلم، لما عاد زوجي في هذا الوقت على غير المعتاد. قد يكون رآك حين دخلت إلى البيت. ادخل يا حبيبي، واختبئ داخل هذا البرميل، وسوف أذهب لأفتح الباب لمعرفة سبب رجوع زوجي في هذا الوقت المبكر.

بالفعل، اختبأ الفتى في البرميل الخشبي، وراحت "بيرونيلا" لتفتح الباب، وقالت لزوجها باستياء:

– ما الذي أتى بك مبكرًا هكذا، وجعلك ترجع في هذا الصباح على غير المعتاد؟ أم أنك لا تريد أن تعمل اليوم؟ فقد عُدت وتحمل أدوات العمل في يدك. من أين سنحصل علي الطعام اليوم؟ ومن أين سنعيش؟ هل تعتقد أنني سأدعك ترهن أشيائي وثيابي، في حين أني أعمل طول النهار والليل في الغزل إلى أن تمزقت أطراف أصابعي، حتى نحصل علي زيت نضيء به مصباحنا علي الأقل؟ أنا أعمل بكل جد، كي أساعدك على متطلبات الحياة، وأنت على النقيض، ترجع إلى البيت بيد فارغة، في الوقت الذي يجب عليك فيه أن تذهب لتعمل لنجد ما نأكله.

بعدها أخذت تبكي، وتندب حظها، وتقول:

– آه، يا لحظي التعس، ويا لشقائي! إنها ساعة نحس تلك التي ولدت فيها! وكان يومًا أسود يوم أن تزوجتك. يا ليتني كنت تزوجت من شاب ثري. يا ليتني لم أتزوج من شخص لا يعيرني اهتمامه، ولا يفكر فيَّ! فالنساء الأخريات يقمن علاقات مع رجال آخرين، ومنهن مَن لها عشيق واثنان

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وثلاثة، يستمتعن بحياتهن، ويخدعن أزواجهن؛ أما أنا، ولتعاستي، فمع أني مخلصة لك ولا أقوم بتلك الأفعال، إلا أنك تعاملني أسوأ معاملة، ولا أجد خيرًا منك. لا أعلم لم لا أتخذ عشاقًا كما تفعل غيري من النساء، مع أني لو أردت هذا فسأجد الكثير يهتمون بي. فهناك كثير من الأغنياء يحبونني، وقد أرسلوا لي كثيرًا بعروض مغرية، سواء مال أو ثياب أو حلي؛ ولكني لم أقبل أيًّا من هذا، فلست مثل غيري. وها أنت ذا ترجع إلى المنزل في وقت عملك دون أن تعمل!

حينها قال الزوج:

– توقفي عن هذا الحديث، يا زوجتي! لا تغضبيني بهذه الكلمات القاسية. فعليك أن تتأكدي أنى أعلم نبلك وأصلك الطيب، وتأكدت اليوم من هذا. وفى الواقع، فقد ذهبت اليوم لأعمل، لكني اكتشفت أن اليوم هو عيد القديس "جاليوني"، ومؤكد أنك لا تعلمين هذا. ولذا فاليوم عطلة عن العمل، هذا هو السبب في عودتي مبكرًا. ومع هذا، فقد فكرت وبحثت عن طريقة لنحصل علي خبز يكفينا لمدة شهر. فقد اتفقت على بيع البرميل الخشبي الذي أصبح يضايقنا في المنزل، وهناك رجل بالخارج أتى معي ليأخذه، مقابل خمسة "فلورينات".

حينها قالت الزوجة:

– ما تقوله يزيد حزني وغمي؛ فكيف– وأنت رجل تخرج للناس، وتعرف كيف تسير الأمور والأحوال– أن تقبل أن تبيعه مقابل هذا المبلغ الزهيد، في حين أني تمكنت وأنا امرأة لا حول لي ولا قوة، بعد ذهابك مباشرة، من بيعه، بسبعة "فلورينات" لرجل دخل فيه قبل قدومك ليتأكد من قوة تحمله.

حين سمع زوجها هذا الكلام فرح جدًّا، وقال للرجل الذي أتى ليشتري البرميل المنتظر بالخارج:

– اذهب، ومعك الرب، أيها الرجل الطيب. فقد علمت أن زوجتي باعته بسبعة من الفلورينات الذهبية، في حين أنك لم تدفع غير خمسة.

مضي الرجل قائلًا:

– مباركٌ له!

فقالت "بيرونيلا" لزوجها:

– حيث أنك قد عدت، فهيا أكمل أنت معه الاتفاق.

كان عشيقها يستمع إلى كل ما كان يدور ليرى ماذا يفعل. ولما سمع ما قالته "بيرونيلا"، أسرع بالخروج من ذلك البرميل، وكأنه لم يسمع شيئًا أبدًا، وقال:

– أين أنتِ، أيتها السيدة؟

فأجابه الزوج وهو يتجه إليه:

– أنا هنا، ماذا تريد؟

فقال "جانيلُّو": من تكون؟ أود التحدث مع صاحبة هذا البرميل التي اتفقت معها منذ قليل.

فقال الزوج الطيب: يمكنك التحدث معي الآن، فهي زوجتي.

قال "جانيلُّو":

– أعتقد أن هذا البرميل متين، غير أنه متسخ، ويوجد بداخله بعض الأشياء المتيبسة التي لم أتمكن من نزعها بأظافري. ولذلك فلن آخذه حتى أراه نظيفًا.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وهنا قالت "بيرونيلا":

– لا مشكلة في ذلك الأمر، فسيقوم زوجي بتنظيفه لك بكل سرور.

فقال زوجها: نعم، بالتأكيد.

قام الزوج بوضع أدواته داخل البرميل الكبير، وخلع قميصه؛ وأشعل المصباح، وأمسك بالمكشطة، ونزل داخل البرميل وبدأ في تنظيفه. تظاهرت "بيرونيلا" أنها تود أن ترى ما سيقوم زوجها بفعله، فأطلت برأسها من فوهة البرميل، وأشارت إليه بإحدى يديها نحو بعض الأماكن التي يجب عليه تنظيفها، قائلة:

– هنا، هيا نظّف، وأيضًا هنا، بقي جزء واحد غير نظيف. نظفه.

أثناء ما كانت تشرف علي عمل زوجها وتطل برأسها داخل البرميل، منحنية بشدة، وجدها "جانيلُّو" فرصة مناسبة ليتمكن من إنهاء ما أتى من أجله ليشبع رغباته، فالتصق بها من الخلف، وهي تغطي فتحة البرميل. وكما يهجم الحصان الجامح، بدافع من شوقه المتأجج، على أنثاه في السهول الفسيحة في مدينة "بارتيا"، انقض عليها ليشبع رغباته. وفي هذا الوقت الذي كان الزوج ينهي تنظيف البرميل، كان هو أيضًا ينهي ما كان يقوم به، فابتعد عن "بيرونيلا" التي أخرجت رأسها من البرميل، ليخرج زوجها. فقالت "بيرونيلا" لـ"جانيلُّو":

– خذ الشمعة وتفحص البرميل، أيها الرجل الطيب، وانظر إن كان كما تريد.

نظر "جانيلُّو" داخل البرميل، وقال إنه أصبح جيدًا، وأبدى ارتياحه لهذا العمل الطيب، وقام بدفع "الفلورينات" السبعة، وحمل البرميل وعاد إلى بيته.

القصـة الثَّـــالثة

ينام الراهب "رينالدو" مع أم تريد تعميد ابنها، فيجدهما زوجها معًا في غرفة النوم، فيقومان بإقناعه بأن الراهب يقوم بقراءة تراتيل ليطرد الطفيليات من بطن الطفل.

لم يستطع "فيلوستراتو" أن يتكلم بشكل غامض عما كان يقصده من وصفه لما يفعله الحصان مع أنثاه في سهول مدينة "بارتيا"، فضحكت الفتيات النبيهات، وتظاهرن بأنهن يضحكن على أمور أخرى. وبعد أن انتهت القصة، توجه الملك إلى "إليزا" آمرًا إياها أن تكمل؛ فقالت: سيداتي الرقيقات، تراتيل طرد الشبح التي حكتها لنا "إيميليا" ذكرتني بقصة أخرى، ليست مثلها في مستوى حبكتها، لكني سأحكيها لكم. فلم يرد على خاطري غيرها تصلح لموضوع اليوم.

كان هناك قديمًا في "سيينا" شاب وسيم ينحدر من أصل شريف، يُدعى "رينالدو"؛ وقد أحب جارة له لدرجة الجنون. وكانت تلك السيدة الجميلة متزوجة من رجل غني. ظل هذا الشاب ينتظر العثور على فرصة ليتحدث إليها، وليظفر بكل ما يرغب فيه من غير أن يشك به أحد. وعندما لم يجد

https://telegram.me/maktabatbaghdad

طريقة ليلقاها، وكانت السيدة تنتظر مولودًا، فكر في أن يقوم هو بتعميد الطفل؛ وأقنع زوج السيدة بكل السبل أن يصبح هو من يُعمِّد طفله الذي ينتظره، حتى حدث هذا. بعدها تمكن "رينالدو" من التحدث مع السيدة، وأخبرها بأسلوب غير مباشر عن نواياه تجاهها. وقد أحست السيدة بهذا من قبل عبر نظراته، لكن دون جدوى. واستاءت السيدة منه.

بعد وقت قصير، ولأسباب غير مفهومة، اتجه "رينالدو" إلى الرهبنة، وتناسى حبه لتلك السيدة، وكذلك أفعاله البغيضة. غير أنه خلال وقت قصير، وأثناء فترة الرهبنة، أخذ يهتم بمظهره، وارتداء أجود وأغلى الثياب، وصار وسيمًا وأنيقًا أكثر مما كان، قبل أن ينخرط في عالم الرهبنة؛ بل أصبح ينظم الأغاني وأشعار الحب ويغنيها، وغيرها من الأشياء المماثلة. ولكن، ماذا أقول عن الراهب "رينالدو"؟ وأين يوجد رهبان لا يقومون بالشيء نفسه؟

العار الكل العار لمن يدعون الورع! ولا يخجلون من أنفسهم، ولا من حمرة وجوههم بسبب فرط بدانتهم، ولا من زينتهم المفرطة. إن هذه النوعية من الرهبان ليست كالحمام، لكنهم مثل الديوك منفوشة الريش يرفعون أعرافهم عاليًا دليلًا على الغطرسة الزائفة. والأدهى من ذلك، أننا تناسينا امتلاء غرفهم داخل الأديرة بعلب المعاجين والمراهم، والصناديق المملوءة بمختلف الحلوى، وقوارير الماء المقطر والعطور، وزجاجات الخمور والنبيذ المعتق، الذي يجعلنا نفكر أنها ليست حجرات لرهبان؛ فهي تشبه محلات العطارين أو بائعي البهارات. إنهم لا يشعرون بالخجل من شراهتهم، فيما ينبغي ألا يكون فيهم. ويظن هؤلاء الرهبان أن غيرهم لا يفهمون أن

الصيام، وتنظيم الأكل وقلته، والقناعة التي تحافظ علي أجسادنا من البدانة، وتحافظ علي صحتنا في أغلب الوقت، هي كنز لابد من الحفاظ عليه. أما هم، فيظنون أنها حتى لو سببت لهم المرض، فلن يمرضوا، فهم رهبان معصومون. وفي الواقع، فإن بساطة المأكل والمشرب هي التي تناسب الرهبان المتواضعين، وليس البذخ والترف الذي هم عليه. ويظنون أن لا أحد يعلم أن الرهبنة هي الزهد والتقشف، والسهر طوال الليل من أجل الصلاة والعبادة. والالتزام بالانضباط وطاعة الرب تجعل الرهبان في الغالب نحيلي القوام شاحبي الوجوه، وأن القديسين المشهورين مثل القديس "دومينجو" أو القديس "فرانشيسكو" لم تكن لديهم أربعة معاطف من الصوف الملون أو غيره من الأقمشة الثمينة، بل كانت ثيابهم خشنة يلبسونها للوقاية من البرد، وليس للتفاخر.

ولنعد إلى حديثنا عن الراهب "رينالدو"، الذي عاد ليكثر من زيارة تلك المرأة، وقد أصبح متكبرًا ومغرورًا أكثر من ذي قبل. عاد ليلح عليها برغبته فيها. وبعد فترة من الإلحاح بدأت تميل المرأة إليه، وربما شعرت أنه أصبح أكثر وسامة وجاذبية من ذي قبل، فأخذت تجاريه في كلماته المعسولة، فقالت له ذات مرة:

– كيف يمكن هذا، أيها الراهب "رينالدو"؟ هل يقوم الرهبان بتلك الأمور مثل باقي الناس؟

فأجابها الراهب:

– حين أخلع رداء الكهنوت هذا، يا سيدتي– وأنا أخلعه بكل سهولة– أصبح رجلًا مثل كل الرجال، ولست راهبًا.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

هنا انفجرت السيدة في وصلة طويلة من الضحك، وقالت:

– يا لسوء اللحظ! إنك من عمَّدت ابني، فكيف يحدث هذا؟ إنه لعمل سيء للغاية. لقد سمعت كثيرًا أن هذه خطيئة كبرى؛ ولولا هذا لكنت نفذت لك طلبك.

فرد عليها الراهب "رينالدو" قائلًا:

– لو كان هذا ما يمنعكِ، فأنتِ مخطئة، بل حمقاء أيضًا. إنها ليست خطيئة، لكن الرب يسامح النادمين علي خطايا أكبر من تلك بكثير. لكن أخبريني، أولًا، مَن هو الأقرب إلي ولدك، أنا من حملته وقت تعميده، أم زوجك الذي أنجبتِ ولدك منه؟

فردت السيدة قائلة:

– الأكثر قرابة له هو زوجي.

لقد أصبتِ القول. قالها الراهب، وأكمل قائلًا: هل ينام معك؟

فقالت السيدة:

– نعم.

فقال لها الراهب:

– إذن، بما أني أبعد قرابة من زوجك عن ولدك، فيمكنني إذن النوم معك مثل زوجك.

ونظرًا لعدم معرفتها للمنطق العقلي، ولم تكن تريد سوى التشجيع، قامت بتصديق الراهب، أو ربما تظاهرت أنها اقتنعت بكلامه، وأن الراهب يقول الصواب؛ وقالت له:

– مَن الذي يقدر علي الرد على هذا الكلام المقنع؟

وهكذا سمحت للراهب بالقيام بكل ما يريد. وتكررت لقاءاتهما الحميمية كثيرًا. وقد كان الراهب في موضع لا يشك فيه أحد، نظرًا لأنه عراب الولد، وكانا يتقابلان كثيرًا. وفي ذات يوم، أتى الراهب "رينالدو" إلى منزل السيدة، وكانت لديها خادمة لطيفة؛ فأرسل مرافقه معها وذهبا إلى إحدى الحجرات، حتى يعلمها بعض الصلوات والتراتيل. أما الراهب نفسه، فذهب مع السيدة إلى غرفة نومها. وكانت تمسك طفلها بيدها؛ وأوصدا الباب من الداخل، وأخذا يتبادلان المداعبات والقبلات على أريكة داخل الغرفة. في هذه الأثناء، عاد الزوج من غير أن ينتبه له أحد، واتجه إلى غرفة النوم، وطرق الباب ونادى علي زوجته. وبمجرد أن سمعت صوته، قالت:

– إنها نهايتي، لا مفر. لقد أتى زوجي، وسيعرف كل شيء.

كان الأخ "رينالدو" شبه عار، بعد أن نزع عنه رداءه، فقال للسيدة:

– عندك حق؛ لو ارتديت ملابسي لوجدنا حلًا لتلك المشكلة؛ ولكن لو فتحتِ ووجدني علي هذا الحال، فلن نجد أي مبرر.

هنا قالت المرأة بعد أن فكرت سريعًا:

– فأسرع بارتداء ملابسك. وحين تنتهي، احمل الطفل في يدك وأنصت إلى ما أقول، حتى يكون كلامنا واحدًا. واتركني أتحدث أنا.

لم يكن الزوج قد توقف عن النداء، حين أجابت:

– أنا قادمة.

ثم نهضت من مكانها، وذهبت لتفتح له الباب، وقالت:

– الحمد للرب الذي أتي بالراهب "رينالدو" إلينا هذا اليوم، فلولا قدومه ما تمكنا من إنقاذ طفلنا من الموت.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لما سمع هذا الكلام زوجها الساذج اندهش، وقال لها:

– كيف هذا، وما الذي حدث؟

فقالت الزوجة:

– آه، يا زوجي الغالي، لقد حدث إغماء مفاجئ للطفل، واعتقدت وقتها أنه سيموت؛ ولم أعرف ماذا أفعل. وفي هذا الوقت، أتى عرابنا الراهب "رينالدو"، فأمسك بالطفل بين يديه، وقال لي: "إنها الطفيليات التي في بطنه، وهي تقترب من قلبه، ولو تأخرت لانتهى الأمر. لقد أتيت في الوقت المناسب، فسوف أقرأ عليه بعض التراتيل والصلوات المقدسة، وأقضي على تلك الطفيليات كلها، ولن أتركه حتى يصبح سليمًا معافًى تمامًا، كما كان قبل هذا". كنا نحتاج لوجودك حتى تتلو بعض التراتيل، لكن الخادمة لم تجدك، فبعثها مع مرافقه لترديد التراتيل من أعلى مكان في البيت. وبقيت أنا هنا معه، لأنه لا يمكن لغير والدة الطفل المساعدة في الصلاة. وحتى لا يعطلنا شيء، أغلقنا الباب من الداخل، وهو يحمل الطفل بيديه. وأعتقد أنه لم يبق غير انتظار انتهاء مرافقه من صلاته، لتحصين الطفل وعلاجه. فقد عاد طفلنا لوعيه الآن، حمدًا للرب.

صدَّق الزوج ما قالته المرأة. ولشدة حبه لطفله، ولهفته عليه، لم ينتبه لتلك الخدعة التي قامت بها زوجته، وتنهد بعمق، ثم قال:

– أريد رؤيته.

فقالت المرأة:

– لا تدخل، فقد تفسد ما قام به الراهب. انتظر، حتى أسأله أولًا إن كان يمكنك الدخول.

كان الراهب "رينالدو" يسمع كل ما يحدث، وكان قد ارتدى ثوبه أثناء حديثهما، وحمل الطفل كما قالت السيدة. وبعد أن رتب كل شيء، قال بصوت عال:

– ماذا، يا سيدتي، أهذا صوت زوجك الذي أسمعه؟

فأجابه الزوج الطيب:

– نعم، يا سيدي.

فقال له الراهب "رينالدو":

– تعال إلى هنا!

دخل الزوج المخدوع إلى الحجرة، فقال له الراهب "رينالدو":

– خذ ولدك، لقد شُفي بفضل الرب، بعد أن كان على شفا الموت، وظننت أن لن يطلع عليه نهار جديد. ومن الأفضل أن تشعل شمعة بحجمه أمام تمثال القديس "أمبروسيو" الذي أعطاك الرب الفرصة بفضله، وبالتالي تم شفاء ابنك.

لما شاهد الطفل والده، أسرع نحوه مثل كل الصغار حين يشاهدون أباءهم، فتلقاه الأب بسعادة غامرة، ورفعه كما لو كان قد عاد إلى الحياة من الموت، وأخذ يقبله ويشكر الراهب الذي أنقذ ولده ونجاه. أما الراهب الآخر، الذي كان برفقة "رينالدو"، فقد عَلّم الخادمة أربع صلوات؛ وأعطاها جرابًا من الخيوط البيضاء، وجعلها من تلاميذه. وحين سمع صوت الزوج حين دق باب الغرفة، اقترب بهدوء حيث يستطيع سماع ومشاهدة ما يجري. وبعد أن فهم ما يحدث، نزل ودخل إلى الحجرة وقال:

– أيها الراهب "رينالدو"، لقد تلوت التراتيل الأربع التي اتفقنا عليها.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

فأجابه الراهب "رينالدو":

– خيرًا فعلت، أيها الراهب. أما أنا، فلم أرتل غير ترتيلتين قبل وصول والد الطفل. ولكن الرب، بسبب صلواتنا نحن الاثنين، أكرمنا بشفاء الطفل.

وعلى الفور، أمر والد الطفل الطيب بإحضار النبيذ الفاخر والحلوى الشهية، وأكرم الراهب والأخ الذي كان برفقته؛ ثم خرج معهما من المنزل، وودعهما عند الباب، وتمنى لهما كل الخير لإنقاذهما حياة طفله. وبادر مسرعًا بصناعة تمثال من الشمع، وأمر بوضعه مع الشموع الموجودة قبالة تمثال القديس "إمبروسيوس"[25]".

[25] القديس الأنبا "إمبروسيوس"، أسقف ميلان، ولد عام 340 ميلادية من أسرة تقية. كان والده حاكِمًا لبلاد الغال (فرنسا) في عهد قسطنطين الصغير.

القصــة الرَّابعـــة

يغلق "توفانو" باب منزله في ذات يوم أمام زوجته، ولم تتمكن زوجته- بعد توسلات ورجاءات- من أن يسمح لها بالدخول ويفتح لها الباب. فتظاهرت أنها ألقت بنفسها في البئر، وألقت بحجر كبير بداخله، كي يصدق ما حدث. خرج زوجها مسرعًا نحو البئر، فغافلته ودخلت المنزل، وأغلقت الباب في وجهه، وراحت تسبه بالشتائم من شدة الغضب الذي تملكها.

لما وجد الملك أن "إليزا" قد انتهت من حكايتها، نظر إلي "لوريتا"، وطلب منها أن تحكي قصتها؛ فبدأت تقول: آه أيها الحب! كم أنت قوي، أيها الحب! تجعلنا نبحث عن كل الطرق والأسباب التي تسعدنا لنظفر بك، وننال مرادنا! أي فيلسوف أو فنان تمكن يومًا ما من أن يحاكي هذه العبقرية، والأفكار السريعة للنجاة من المواقف الصعبة، كتلك التي نتحدث عنها؟ في الواقع، ما من حصافة أكثر مما أظهرت لنا هذه القصص التي رويت من قبل. ويسعدني اليوم، سيداتي الحبيبات، أن أحكي قصة أخرى جديدة تؤكد هذا، وتضيف لما سبقتها؛ وذلك عن حيلة امرأة شديدة البساطة، لا يمكن إلا أن

https://telegram.me/maktabatbaghdad

يكون الحب هو ملهمها.

كان هناك- منذ وقت قريب، في "أريتزو"- رجل غني اسمه "توفانو"، تزوج من فتاة في غاية الجمال اسمها "جيتا". وبعد وقت طويل، وبدون أي مقدمات، أصبح يغار عليها بشكل مبالغ فيه؛ فاستاءت المرأة من هذه الغيرة الزائدة، وحاولت أن تعرف منه سبب هذا السلوك. لكنه لم يكن يجيبها سوى بكلمات تزيدها غيظًا على غيظها. ودفع ذلك المرأة إلى الرغبة في أن تجعله يموت من غيرته التي سيطرت عليه دون مبرر. وكانت قد انتبهت لوجود شاب مهتم بها، وشعرت من مظهره أنه من الوجهاء، ويسعى للتقرب منها. فبدأت التحدث معه في السِّر. وبمرور الوقت، اقتربا من بعضهما أكثر فأكثر، وفكر كلاهما في طريقة للقاء ليتمكنا من الاختلاء معًا.

كانت تلك السيدة تعلم عادات زوجها السيئة، وحبه لشرب الخمر؛ فاستغلت هذا وأصبحت تشجعه أكثر علي هذا، وتغريه ليزيد من شرب الخمر. أصبحت تفعل هذا باستمرار، وتدفعه للشرب بإفراط حتى يثمل، وحين تجده قد غاب عن الوعي، تقوده إلى سريره لينام. أما هي، فتذهب لتلتقي بصديقها. وظلت على هذه الوتيرة لفترة طويلة، لدرجة أنها أصبحت عادة لديها. وتجرأت أكثر، ولم تكتف بإدخال عشيقها إلى بيتها فقط، لكنها أصبحت تذهب إليه في بيته أيضًا؛ فقد كان يسكن بالقرب منها، وتقضي معظم ساعات الليل برفقته. استمرت المرأة العاشقة في غرامياتها على هذا النحو، دون أن يشعر زوجها بشيء، إلي أن جاء يوم تنبه فيه الزوج إلى أن زوجته حين تجعله يشرب، لا تشرب معه؛ فبدأ يشك في الأمر، وفكر أنها تجعله يسكر حتى تفعل ما تريد من غير أن يشعر بها. فكر في حيلةٍ ما

ليتأكد مما تفعله زوجته كل ليلة أثناء سُكره.

وفي ذات ليلة، تظاهر بأنه ثمل للغاية، مع أنه لم يكن قد شرب خمرًا في هذا اليوم أساسًا. صدقته الزوجة، وقدرت- في رأيها- أنه لا يحتاج إلى المزيد من الخمر، واصطحبته لينام في غرفته. وبعدها- وكما اعتادت- نهضت للذهاب إلى بيت عشيقها، وظلت هناك حتى منتصف الليل. حين شعر "توفانو" أن زوجته قد خرجت من المنزل، نهض وذهب نحو الباب، وأغلقه جيدًا من الداخل، وانتظر بجانب النافذة ليرى زوجته حين ترجع، ليعلمها أنه قد كشفها. وبعد مضي الكثير من الوقت، عادت المرأة إلى البيت، فوجدت الباب مغلقًا من الداخل، فشعرت بالقلق الشديد، وبدأت تحاول فتح الباب عنوة. كان "توفانو" يشاهدها من الداخل، وقد تركها قليلًا ليرى ماذا ستفعل. لم تتمكن المرأة من فتح الباب، فقال لها حينها:

- لا تتعبي نفسك في هذا، يا امرأة؛ فأنتِ لن تدخلي هذا البيت مرةً ثانية. عودي من حيث أتيت في هذا الوقت؛ فلن أدعكِ تدخلين إلى هنا إلا بمجيء أهلك والجيران، لتنالي ما تستحقين من عقاب، جرَّاء أفعالك المشينة.

ترجته المرأة، وتوسلت إليه بالرب أن يفتح الباب، وقالت إنها قادمة من عند جارة لها، وليس كما يعتقد. فالليل طويل، ولم تتمكن من النوم، وشعرت بالملل بمفردها. لم يُفدها في شيء كل ما قالت، لأن هذا الزوج كان مصممًا علي أن يعلم أهل البلد جميعهم بسوء أخلاقها. ولما علمت بنيته المبيتة، لجأت لاستخدام الوعيد، وقالت له:

- لو لم تفتح، فسأجعلك أكثر الرجال تعاسة في هذه الدنيا.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

فسألها "توفانو":

– وماذا تستطيعين أن تفعلي؟

فقالت له مَن كانت تتمتع بالمكر والدهاء:

– قبل أن تجعل الجميع يلحقون بي الأذى– من أجل أوهام ليست موجودة إلا في رأسك– فسوف ألقي بنفسي في البئر القريب. وحين يجدونني ميتةً فيه، فسيظن الجميع أنك ألقيتني فيه وأنت ثمل، ولن تجد أمامك غير الهرب وفقدان كل شيء، أو تُقطع رأسك كما لو أنك قتلتني فعلًا.

لم يهتم "توفانو" لقولها هذا، فقالت المرأة عندئذٍ:

– لم أعد قادرة على تحمل أفعالك هذه. فليسامحك الرب!

كانت عتمة الليل طاغية مستفحلة في هذا الوقت، لدرجة لا تجعل أحدًا يتمكن من رؤية أحد آخر في الشارع، فذهبت المرأة ناحية البئر؛ وأمسكت حجرًا كبيرًا علي حافة البئر، وصرخت، وقالت وهي تقذفه في البئر: "فلتسامحني، يا رب!" ثم قذفت بالحجر في مياه البئر، فنتج عن ذلك صوت مدو، ما إن سمعه "توفانو" حتى اعتقد فعلًا أنها نفذت ما هددت به؛ فأمسك دلوًا وحبلًا، واندفع ناحية البئر لينقذها.

لما ألقت المرأة بالحجر، جرت مسرعة ناحية البيت، واختبأت بجواره. ولما وجدت زوجها يركض ناحية البئر، أسرعت صوب البيت، ودخلت فيه، وأغلقت الباب من الداخل؛ واتجهت إلى النافذة، وقالت لزوجها:

– هل تريد الآن شُرب الماء، بعدما بقيت طوال الليل تشرب الخمور؟

لما سمع قولها علم أنها خدعته، فعاد إلى باب المنزل. لكنه لم يتمكن من

الدخول؛ فقد أغلقت الزوجة الباب خلفها بعد أن دخلت، ولم تسمح له بالدخول، تمامًا كما فعل هو من قبل معها. وأخذ يطلب منها أن تفتح له، لكن بلا جدوى. ثم بدأت المرأة في الصراخ بصوتٍ عال، وقالت:

– أقسم بالمسيح أني لن أدخلك البيت مرةً ثانية، أيها الثمل. فلم تعد لديَّ قدرة على تحمل تصرفاتك. ويجب أن يعلم الناس حقيقتك، ومتى تعود كل ليلة إلى البيت.

غضب "توفانو" مما سمع بشدة، وراح يسبها ويلعنها بصوتٍ عال. نهض جيرانهم من النوم على صوت صراخهما، ووقف الجميع في نوافذهم ليروا ماذا يجري، فقالت المرأة:

– هذا الرجل البغيض الذي يعود كل ليلة ثملًا، بل وأحيانًا ينام داخل الحانات، ثم يعود في مثل هذا الوقت كل يوم. لقد تحملت وعانيت كثيرًا، ولا فائدة فيه. لا يمكنني تحمل هذا الوضع بأية حال من الأحوال. وقد رأيت اليوم أن يعلم الناس حقيقته، وأغلقت الباب أمامه؛ فقد تعبت منه، لعله يرجع عما يفعل.

أما "توفانو" الغبي، فقال حكى للجيران حقيقة الأمر، فردت زوجته موجهة كلامها للجيران:

– أي أنواع الرجال أنت! ماذا كنتم تعتقدون بي لو كنتُ أنا الموجودة بالشارع، وليس هو؟ هل تصدقون هذا الكلام الفارغ؟ ألا ترون ضعف عقله، وقلة حيلته؟ هل ترون كم هو سفيه: إنه يتهمني بما هو أهله بكل وقاحة؛ ويظن أنه هكذا يخيفني، عندما يلقي شيئًا ما في البئر. كم أتمنى لو ألقى بنفسه في البئر وغرق حقًّا، فحينئذٍ سيقل تأثير الخمر الذي شربه.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أخذ الجيران كلهم، من الرجال والنساء، يلومونه ويوجهون إليه أصابع اللوم والعتاب على ما فعل، بل أخذ البعض منهم يسبونه لما قاله عن زوجته. وانتشر الخبر سريعًا، من جار لآخر، حتى علمت المدينة كلها، وعلم أهل المرأة الذين أتوا بسرعة البرق، وسمعوا من الجيران ما حدث، وقاموا بضرب "توفانو" بالعصي، وتركوه مهشمًا. ثم دخلوا المنزل، وأخذوا ابنتهم وأغراضها إلى بيت أهلها، وتوعدوه بالنيل منه.

حين وجد "توفانو" نفسه مذلولًا ويبغضه الجميع، شعر أن غيرته هذه قد دمرته وقادته إلى الهاوية. ونظرا لحبه لزوجته، قام- بمساعدة بعض الأصدقاء- بالتصالح معها، وقبلت بالعودة إلى المنزل بعد سعي وإلحاح كثير. ووعدها بألا يغار عليها مطلقًا، وسمح لها بفعل ما تريد، ولكن من دون أن تشعره.

وبذلك، نال هذا الزوج الغبي الضرب والقرون، حتى يتعلم الدرس. وليحيَ الحب ولتمت الغيرة.

القصـة الخامسـة

يتنكر زوجٌ غيور في ثياب كاهن، ليجعل زوجته تعترف بين يديه؛ فتقول له إنها تحب كاهنًا يزورها كل ليلة. وأثناء انتظار زوجها لكليهما وراء الباب، تُدخل المرأة عشيقها عبر سطح المنزل، ويفعلان كل ما يريدان.

أنهت "لوريتا" قصتها. وقد أطرى الجميع حذاقة الزوجة، التي قامت بما يستحقه زوجها الغيور. بعد ذلك، نظر الملك إلى "فياميتا"، وحتى لا يضيع مزيدًا من الوقت، طلب منها أن تكمل وتروي قصتها لهذا اليوم؛ فبدأت قائلة: سيداتي النبيلات، القصة الماضية هذه تدفعني للكلام عن رجل غيور آخر. وأجد أن ما تفعله النساء بالرجال الغيورين بإفراط لهو شيء طيب، خاصةً عندما لا يكون هناك سبب لتلك الغيرة؛ ولو أن صناع القوانين أمعنوا النظر في كل تلك الأمور، فإنني أجزم أنهم لن يفرضوا عقوبة على تلك المرأة ومثيلاتها، إلا مثل العقوبة التي تنزل على مَن يقوم بالدفاع عن النفس. وفي الواقع، فالرجال الغيورون يجعلون زوجاتهم يعشن في عذاب دائم بسبب تلك الغيرة المبالغ فيها، بل يقضون على شبابهن ويقودونهن إلى الموت

https://telegram.me/maktabatbaghdad

البطيء؛ فهن يبقين محبوسات في البيوت، يقمن بالأعمال المنزلية، ويدبرن شؤون المنزل. وبعد كل هذا التعب والعناء، يتمنين بعدها أن ينلن قسطًا من الراحة والتسلية والاستمتاع بما يحببن، تمامًا كما هو حال الفلاحين في الريف، والحرفيين في المدينة، والموظفين في المصالح الحكومية. أيتها السيدات، كل القوانين والأعراف الدينية والمدنية شُرعت من أجل صالح البشرية كلها، وخصصت أيامًا للراحة وأيامًا للعمل. لكن الأشخاص الذين تملأ الغيرة قلوبهم، يعمدون إلي حبس نسائهن، حتى في العطلات التي يستمتع بها الناس. ولا يشعر بمرارة وويلات الغيرة إلا مَن جربتها. ولذلك، أوجز قولي هذا في بعض الكلمات البسيطة، كالآتي: "إن ما تقوم به امرأةٌ بزوج غيور دون سبب، يستحق الثناء، وليس اللوم والعقاب".

كان يعيش في مدينة "ريميني"[26] تاجرٌ ثري جدًّا، لديه أملاك وأموال كثيرة. وكانت زوجته في غاية الجمال. وقد جعله هذا يغار عليها جدًّا. ولم يكن هناك أي سبب لذلك، غير أنه يحبها ومعجبٌ بجمالها، ويعلم علم اليقين أنها تقوم بكل ما تستطيع لترضيه. غير أن تفكيره أيضًا أوصله إلى أن هناك الكثير من الرجال يحبونها، ويسعون وراءها؛ وهي الأخرى تسعى أيضًا لإرضائهم، كما تفعل معه (وهذه هي حجة الرجل عديم العقل والقلب والإحساس). ولشدة غيرته عليها، فرض عليها رقابة صارمة ومستمرة، مثل تلك الرقابة التي تُفرض على المدانين بعقوبات السجن مدى الحياة، أو

[26] تقع في منطقة سهلية على ساحل البحر "الأدرياتي"، في الجزء الجنوبي الشرقي من إقليم "إميليا رومانيا".

الإعدام مثلًا؛ بل وربما أقسى من هذا أيضًا. فلم يكن يسمح لها بحضور حفلات الزفاف، ولا الذهاب إلى الكنيسة، ولا حتى بمجرد النظر من النافذة إلى الخارج. فكانت حياتها كئيبة تعيسة، تتحمل فيها كل أنواع الشقاء والمعاناة؛ كل هذا يحدث لها، مع أنها لم تُقدم على أي فعل مشين. ولما رأت ما تعانيه كل يوم من دون أي مبرر، قررت أن تجعل غيرة زوجها بسببٍ يستدعي هذا. وكما قلنا من قبل، فلم تكن تستطيع النظر عبر النافذة، ولا يمكنها أن تظهر إعجابها لمن يمر في الشارع؛ إذ كانت تعرف بوجود شاب يعيش في البيت المجاور لهما؛ ففكرت في أنه لو وُجد ثقب في الجدار الفاصل بينهما، فيمكنها أن تنظر من خلاله إلى ذلك الشاب وتتحدث معه، وتمنحه حبها لو أراد. وقد يمكنها لقاؤه حين تواتيها الفرصة، لتغير من حياتها، أو يتوقف زوجها عن هذه الغيرة القاتلة.

وبدأت بتنفيذ خطتها. فلما تأكدت من خروج زوجها، تفحصت الجدار، ووجدت أن هناك- في الناحية الخلفية منه- شرخ يمكنها أن تنظر من خلاله. ثم اكتشفت أن الرؤية ليست جيدة، ولكنها تمكنت من معرفة أن وراء الشرخ غرفة نوم "فيليبو"، اسم الفتي الذي تنوي إيقاعه في حبها؛ فسُرّت لأن المهمة هكذا صارت أسهل بكثير مما توقعت. قالت لخادمتها، المخلصة لها، أن تنتظر وتتجسس من خلال هذا الشرخ. فأكدت لها أنها غرفة الشاب فعلًا.

أصبحت تنظر كثيرًا من خلال هذا الشرخ؛ وحين ترى الشاب كانت توقع بعض الحصى أو القطع الخشبية في غرفته عبر الشرخ. وظلت تقوم بهذا حتى انتبه الفتى لذلك ذات مرة، واقترب من الحائط. فنادت عليه بصوت

https://telegram.me/maktabatbaghdad

منخفض، وتعرف عليها بدوره، ورد عليها. أصبحا يتحدثان باستمرار من خلال هذه الفتحة الجدارية، وأيضًا تواصلا بالتلامس بالأيدي؛ غير أنهما لم يتمكنا من القيام بما هو أكثر من هذا بسبب القيود التي يفرضها حولها زوجها الغيور.

وحين اقتربت أعياد الميلاد، قالت المرأة لزوجها أنها تود– لو سمح لها بهذا– أن تذهب إلى الكنيسة في عيد الفصح، لتعترف وتقدم قربانًا كما يفعل كل المسيحيين. فقال لها زوجها الغيور:

– وما هي الخطيئة التي فعلتِها، حتى تذهبي لتعترفي؟

فقالت المرأة:

– ماذا تقول؟ هل تعتقد أني قديسة لكوني محبوسة طوال الوقت؟ أنت تعلم أنني بشر، والبشر ليسوا معصومين من الخطأ؛ غير أني لن أبوح لك بذنبي، فأنت لست كاهنًا.

شعر الزوج بالضيق، وأخذت الشكوك تراوده عندما سمع قولها. وقرر أن يعلم ما هي خطاياها التي قامت بها. ففكر في طريقة تمكنه من هذا. ثم أخبرها أنه موافق على أن تذهب إلى الكنيسة القريبة لهما، وأن تعترف بين يدي كاهن حدده لها، وأن تذهب مبكرًا، وتعود بعدها فورًا إلى البيت.

أدركت المرأة أنه يرتب لشيءٍ ما، غير أنها لم تقل أي شيء سوى أنها ستقوم بكل ما طلب. وفي صباح يوم الفصح، استيقظت وقت انبلاج الفجر، وجهزت نفسها، وذهبت إلى الكنيسة المحددة من قِبل زوجها. كان الزوج بدوره أيضًا قد ذهب إلى نفس الكنيسة، ووصل قبل زوجته. وهناك

قابل القس ورتب معه ما يفكر فيه؛ فلبس مسرعًا أحد ثياب الكاهن، ووضع قلنسوة كبيرة كالتي يرتديها الكهنة. وحين أتت السيدة إلي الكنيسة، سألت عن الكاهن الذي أوصاها زوجها به للإعتراف أمامه. ولما أتى وعلم ما تريده السيدة، قال لها إنه لا يمكنه سماع اعترافها، لكنه سيبعث إليها بأحد الرهبان الآخرين لسماع اعترافها. ثم ذهب وبعث لها زوجها متنكرًا في زي كاهن؛ فأتى إليها بوقار واحترام. ومع أن نور الصباح لم يكن قد ملأ الأرجاء، ورغم أنه كان قد أنزل القلنسوة حتى عينيه، إلا أنه لم يتمكن من التخفي بحيث لا تتعرف عليه زوجته، التي قالت- في قرارة نفسها- حين رأته: "سبحان الرب، الغيور أصبح كاهنًا. سأقدم له ما يستحقه". تظاهرت بأنها لم تعرف أنه هو زوجها، وجلست عند قدميه. كان زوجها قد وضع شيئًا ما في فمه حتى يغير من صوته، ولا تتعرف زوجته عليه. وحين بدأت في الاعتراف، قالت له السيدة إنها متزوجة، ثم أخبرته أنها تحب كاهنًا يزورها كل ليلة، ويقضي الليل معها. وبمجرد أن سمع الغيور ذلك، شعر كأن شيئًا يمزق قلبه، لكنه تماسك ليسمع أكثر، ثم سألها:

- كيف هذا؟ ألا ينام زوجك معك؟

فردت المرأة:

-بلى، يا سيدي.

-فكيف يحدث هذا، إذن؟

فقالت:

-لا أعلم كيف يحدث هذا، وما الطريقة التي يتبعها الكاهن لعمل هذا. لكن بمقدوره فتح أي باب مغلق. وقد حدثني هذا الكاهن ذات مرة أنه

https://telegram.me/maktabatbaghdad

حين يصل إلى غرفتي، وقبل أن يقوم بفتح الباب، يردد كلمات تجعل زوجي يخلد في النوم. وحين يتأكد من استغراقه في السبات، يفتح الباب ويبقى معي، وهذا ما يفعله دائمًا.

قال الغيور حينها:

– سيدتي، إن ما تقومين به لأمر شديد السوء، ويجب التوقف عنه قطعيًّا.

فردت المرأة:

– لا أظن أن بإمكاني القيام بذلك؛ فقد أصبحت مولعة بهذا الكاهن جدًّا.

فأجاب الغيور:

– لا يمكنك أن تنالي الغفران في هذه الحالة.

ردت عليه السيدة:

– يحزنني هذا جدًّا؛ غير أني لا أود أن أكذب، لكن لو كان الأمر بمقدوري لفعلت.

عندئذ قال زوجها الغيور:

– في الواقع، أيتها السيدة، أنا حزينٌ من أجلك. فأنتِ تلقين بنفسك في التهلكة بسبب هذه الخطيئة. ومع هذا، فسوف أقوم بتلاوة بعض الصلوات من أجلك وأبتهل إلى الرب، حتى يعينك على التخلص من هذا الذنب. كما أنني سأقوم بإرسال أحد مساعديَّ لتبلغيه بجدوى هذه الصلوات أم عدم جدواها. فإن كانت نافعة، فسأكملها لك.

قالت السيدة:

– لا تبعث أحدًا إلى بيتي، أيها السيد؛ فزوجي غيور جدًّا. ولو أتى أحد ليسأل عني، فحتمًا سيتسلل الشك إليه؛ وحينها سيقيم الدنيا ولا يقعدها من جديد.

– لا تخافي، يا سيدتي، فسوف أتدبر الأمر؛ فأقوم بذلك بشكل لا يجعله يشك في أي شيء.

فأجابته السيدة:

– إن كان هذا ما تفضله، فليست لديَّ مشكلة.

بعدما انتهت من الاعتراف، نهضت من أمام الكاهن، وذهبت لتسمع القُداس. عاد الزوج تعيسًا مهرولًا إلى البيت، بعد أن خلع ثوب الرهبان. ظل طوال طريق عودته، وهو يفكر كيف يمسك بزوجته وعشيقها، وينتقم منهما. ولما رجعت زوجته من الكنيسة، فهمت من ملامح الزوج أنه في حالة غضب شديد؛ غير أنه كان يحاول أن يخفي ذلك، وأيضًا يرتب لأمرٍ ما في الخفاء. لقد انتوى أن يبقى في تلك الليلة عند بوابة المنزل الخارجية، لينتظر قدوم هذا الكاهن. قال لزوجته:

– سوف أتناول العشاء اليوم خارج المنزل، فقومي بإغلاق الباب بإحكام، وأيضا باب السلم وباب الحجرة، واذهبي للنوم حين ترغبين.

فقالت له الزوجة:

– سأنفذ كل ما تقول.

عندما خرج الزوج، ذهبت نحو الشرخ الموجود بالجدار، وقامت بالإشارة التي اعتادت عليها، فأتي "فيليبو" مسرعًا، وحكت له ما قامت به في الصباح، وما حدث مع زوجها في زي الراهب، وأضافت قائلة:

https://telegram.me/maktabatbaghdad

– أنا متأكدة أنه خرج ليحرس الباب، وكل ما عليك فعله هو البحث عن طريق تأتي به إلى سطح المنزل، لنتمكن من أن نبقى طوال الليل سويًا.

فرح الشاب لما سمع هذه الكلمات، وقال لها:

– دعي موضوع الوصول إلي بيتك هذا لي.

أقبل الليل، واختبأ الزوج ومعه أسلحته في حجرة خارجية بالقرب من مدخل البيت. أغلقت المرأة كل الأبواب، وبشكل خاص باب السلم، حتى لا يتمكن زوجها من الصعود. وتمكن الشاب من دخول البيت خفية. ذهبا سويًا إلى غرفة النوم، وسعدت كثيرًا بهذا اللقاء، وذاك الشاب. وعند الفجر، عاد الشاب إلى منزله. أما زوجها، فقد بقي من غير زاد ولا ماء في البرد الشديد، منتظرًا قدوم ذلك الكاهن.

ومع بداية النهار، غلبه النوم فنام في الغرفة الموجودة بالطابق الأول. ولم يستفق من نومه إلا وقت الضحى، وكان باب المنزل مفتوحا، فدخل إلى البيت، وتناول الطعام. بعدها أتى صبي يقول إنه خادم الكاهن، ليسأل السيدة إن كانت صلواته مجدية أم لا بالنسبة لها، أي إن كانت صلواته قد ساعدت في إبعاد الكاهن العاشق الذي يأتيها كل ليلة. فقالت المرأة إنه لم يأت هذه الليلة، وربما من السهل إبعاد هذا الشر عنها.

ماذا عساني أن أقول لكم؟ لقد ظل الزوج لليالٍ عديدة يحاول الإمساك بالكاهن العاشق المزعوم عند المدخل، فيما كانت المرأة تلتقي بعشيقها، وتستمتع بوقتها معه كل ليلة في الداخل. نفد صبر زوجها، فسأل زوجته عن ما أخبرت به الكاهن في ذاك اليوم. فأخبرته أنها لا تحب الكلام عما قالت، فهو كلام ليس من الجيد قوله. فقال الزوج:

– أيتها المرأة الخبيثة، أنا أعلم ما قلتِه، وأريد معرفة الكاهن الذي تواعدينه، ويأتي لك دومًا لقضاء الليل معك. إن لم تخبريني، فسأقتلك الآن.

قالت المرأة إنها لم تحب كاهنًا أبدًا، فرد زوجها:

– كيف هذا؟ ألم تقولي هذا لكاهن الاعتراف؟

فأجابت المرأة:

– أنا لم أقل لك هذا. أظن أنك كنت موجودًا وقت الاعتراف. الخلاصة، نعم، قلت هذا.

قال الزوج الغيور:

– أخبريني بسرعة مَن يكون هذا الكاهن؟

فضحكت المرأة كثيرًا وقهقهت، ثم أردفت قائلة:

– يسرني جدًّا أن تستطيع امرأة مثلي أن تقود رجلًا كما يُقاد الخروف للذبح؛ نظرًا لأنك لا تتمتع بالحكمة، وقد بدا هذا حين سمحتَ للشك بالتسرب إلى قلبك دون مبرر، فضلًا عن حماقتك. فقُل لى، يا زوجي، هل تعتقد أني عمياء لا أستطيع التمييز بعيني مثلك؟ ليس صحيحًا البتة. فقد تعرفت على مَن هو ذلك الكاهن المزيف الذي اعترفت بين يديه من أول وهلة، وهو أنت. وفكرتُ في أن أمنحك ما تسعى إلى معرفته، وجعلتك تحصل على ما تريد. ولو أن لديك عقلًا راجحًا كما تظن، لما قمت بالتجسس على اعترافي. وبسبب مخاوفك الباطلة، اعتقدت أن اعترافي أمام الكاهن صادق. وقد أخبرتك أني أحب كاهنًا؛ ولكن، ألم تكن أنت نفسك من يرتدي ثوب الكاهن؟ ليتني ما أحببتك! كما قلتُ أيضًا إنه لا يوجد باب يقف حائلًا بيني وبين الكاهن العاشق حين يريدني. فمنذ متى حال بيننا أي باب في أي

https://telegram.me/maktabatbaghdad

مكان في المنزل؟ وقُلت لك إن الكاهن ينام معي كل ليلة. لكن متى حدث هذا، وكنا ننام أنا وأنت سويًّا كل ليلة على سريَر واحد؟ وقد أرسلت الصبي خادم الكاهن لي، وأخبرته أن الكاهن لم يأت. ويمكن لأي رجل لا تعميه الغيرة أن يفهم معنى هذا الكلام جيدًا. لقد أتعبت نفسك منتظرًا لعدة ليالٍ عند الباب الخارجي، وتخبرني أنك تذهب للعشاء في الخارج! هل تعتقد أنني لا أعرف كل هذه الحقائق. عُد إلى رشدك، واترك هذه الظنون والأوهام؛ ولا تدع الغيرة تفسد حياتنا؛ فأنت تعلم جيدًا سلوكي وأخلاقي. لا داعي لكل ما تفعل، وتوقف عن حبسي بين جدران البيت على هذا النحو! أقول لك إنني لو أردت أن تكون لي علاقة مع رجال آخرين غيرك، لفعلت دون أن تشعر بشيء. فحتى لو وضعت عليَّ مائة حارس فيمكنني أن أفعل ما أريد، إن لم تكن أخلاقي تمنعني عن الأفعال الذميمة.

لما سمع الزوج الغيور هذا الكلام، لم يجد ما يقوله، وشعر أن زوجته صالحة وذكية. ومنذ ذلك الحين، توقف عن الغيرة تمامًا، وعلم جيدًا أن أمر الغيرة هذا أمر غير صحيح، فقد أفسد حياته.

فلا ينبغي المبالغة في أفعالنا، وإنما الوسطية فيها هي الصلاح. ومنذ ذلك الحين أيضًا تمكنت تلك المرأة بمكرها، بما يشبه الإذن، من إدخال عشيقها من الباب- وليس من السقف، مثل القطط، كما كانت تفعل من قبل- وظلا يتواعدان سرًّا، ويقضيان أسعد الأوقات معًا.

القصـة السَّـادسـة

أثناء وجود "ليونيتُّو" عشيق السيدة "إيزابيلا" معها في بيتها، يزورها السيد "لامبيرتوتشو" المتيم بها. وفي هذا الوقت، يأتي زوجها؛ فتجعل "لامبيرتوتشو" يخرج من البيت ممسكًا سيفه بيده، ثم يذهب زوجها بصحبة "ليونيتُّو" حتى بيته.

حازت قصة "فياميتا" على إعجاب الحاضرين، وجزم الجميـع أن صـاحبة القصة قد قامت بما يستحقه ذلك الزوج المريض بالغيرة. بعدها أشار الملك لـ"بامبينيا" بأن تروي قصتها لهذا اليوم. فقالت: يقول الناس بدون إدراك إن الحب يجعل الفرد منا لا يفكر بالعقل، ويفكر بالقلب فقط. وذلك ما يجعل مَن يحب متهورًا، فيقولون إن الحب أعمي. غير أني لا أظن هذا مطلقًا؛ وثبت لنا في الكثير من القصص صحة ما أقول. وهذا ما أنوي إظهـاره مـن قـصتي هذه أيضًا.

كانت تعيش في مدينتنا الجميلة سيدة شابة، رائعـة الجمـال، مـن أصـل نبيل. كانت متزوجة من فارس نبيل وشجاع. وكما يحدث أحيانًا كثيرة، حين يملُّ البعض من تناول طعام واحد، ويرغب في تجربة أطعمة أخـرى، حـدث

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كذلك مع تلك المرأة، فملَّت زوجها. وذات مرة، قابلت السيدة شابًا يُدعى "ليونيتُّو"، ووقعت في غرامه؛ فقد كان في غاية اللطف، ويحسن التصرف مع النساء، مع أنه لم يكن من أصول نبيلة. ولكنه وقع هو الآخر في حبها. ثم حدث أن أحبها فارسٌ آخر أيضًا، لأنها حقًّا كانت جميلة الجميلات، وكان الفارس الآخر يدعى "لامبيرتوتشو"، لكنها لم تكن تميل نحوه بالقدر الكافي لغلظته وفظاظته. ولم يكن يتوقف عن الإلحاح، وإرسال الرسل إليها كي يشعرها بحبه. ولما وجد أن ما يقوم به بلا فائدة، لجأ إلى التهديد والوعيد، وأخبرها أنه- إن لم تستجب لما يطلب- فسوف يُشهر بسمعتها. ولأنه رجل متسلط، ويمكنه فعلًا تنفيذ تهديداته، خشيت السيدة علي نفسها، وقررت مجاراته.

ذهبت "إيزابيلا"، كما يفعل أغلبنا في عطلة الصيف، لقضاء بعض الوقت في مزرعتها بالريف. وفي هذه الأثناء، ذهب زوجها للقيام ببعض الأعمال الهامة التي يتطلب إنجازها عدة أيام خارج المدينة. فأرسلت إلى حبيبها "ليونيتُّو" ليبقى معها فترة غياب زوجها؛ فانطلق إليها فور علمه برسالتها. وفي تلك الأثناء أيضًا، وصل خبر سفر زوجها إلى "لامبيرتوتشو"، فسارع بركوب جواده، وذهب إليها. ثم طرق على الباب، فما إن شاهدته الخادمة، حتى جرت مهرولة إلي سيدتها لتخبرها؛ وكانت وقتها مع "ليونيتُّو"، في غرفتها، فقالت الخادمة:

– سيدتي، لقد أتى السيد "لامبيرتوتشو"، وهو يقف أمام الباب.

شعرت بالضيق الشديد حين سمعت هذا الخبر المشئوم. وطلبت من "ليوينتو" ألا ينفعل، وأن يختبئ وراء السرير إلى أن يرحل السيد

"لامبيرتوتشو" من المنزل. وفي الواقع، فقد كان "ليونيتُّو" يخاف من السيد "لامبيرتوتشو" أكثر من السيدة بكثير، فاختبأ من شدة الخوف. وأمرت السيدة خادمتها بأن تفتح له الباب؛ وبمجرد أن فتحته، نزل من على حصانه، وربطه في الخارج، وصعد إلى غرفتها مباشرة.

تظاهرت "إيزابيلا"– وهي تقف أعلى درج السلم– أنها سعيدة برؤيته، ثم سألته عن سبب قدومه، لكنه لم يمهلها، فقابلها بالعناق والقبلات، ثم قال:

– لقد علمت يا حبيبتي بأمر سفر زوجك، وأتيت لنقضي وقتًا رائعًا.

بعدها، دخل معها إلى الغرفة، وأغلق الباب، وبدأ يداعبها.

وبينما هما بالداخل، وعلى عكس ما كانت تظن السيدة، عاد الزوج، الذي ما إن رأته الخادمة– من النافذة– يقترب من المنزل، حتى جرت بأقصى سرعة لتخبر سيدتها، وهي تقول:

– سيدتي، لقد عاد سيدي، بل وصل إلي فناء البيت.

شعرت المرأة بالخوف الشديد والرعب، فلديها اثنان من الرجال بالداخل– بل تعرف أن الفارس "لامبيرتوتشو" قد ترك جوداه بالخارج. ومن المؤكد أن زوجها قد رآه– وعلمت أن نهايتها قد دنت. وثبت مسرعةً من فراشها، وفكرت بسرعة في حيلة لتنقذ نفسها من هذا المأزق العسير، فقالت للسيد "لامبيرتوتشو":

– إذا كنت تحبني حقًّا، وتريد مساعدتي للنجاة من هذا المأزق، فقم بما سوف أخبرك به. أشهر خنجرك في يدك، وتظاهر بالغضب الشديد، وانزل وأنت تقول: "قسمًا بالرب، سوف أجدك مهما اختبأت في أي مكان". ولو

https://telegram.me/maktabatbaghdad

سألك زوجي، فلا تقل غير هذا الكلام، واركب فرسك، وغادر المكان في الحال.

استجاب السيد "لامبيرتوتشو" لطلبها، وأمسك بخنجره وعلامات التعب بل الإنهاك الشديد تبدو عليه لما كان يفعل، وأيضا لغضبه من عودة الـزوج، ولم يجد مفرًّا إلا أن يقوم بما طلبته منه "إيزابيلا". كان الزوج وقتها ينزل من على حصانه أمام المنزل، وتعجـب حـين وجـد جـواد الفـارس هنـاك، وهَـم بالصعود ليتحرى ماهية الأمر؛ فـإذا بالـسيد "لامبيرتوتـشو" يـنزل مـن على السلم، فاندهش، وقال بغضب شديد:

– ما الذي يجري هنا، أيها الرجل؟

غير أن السيد "لامبيرتوتشو" لم يرد عليه، وقال كما أخبرته السيدة:

– قسمًا بالرب، سوف أجدك في أي مكان تذهب إليه.

ظل يردد هذه الكلمات، ثم امتطى جوداه وانصرف.

صعد الزوج إلي الطابق العلوي، فوجد زوجته أعلى السلم، وهى تتظـاهر أنها مرعوبة، فقال لها:

– ما الذي حدث؟ ومَن الشخص الذي يبحث عنه السيد "لامبيرتوتشو"، ويتوعده كل هذا الوعيد؟

اقتربت السيدة من غرفتها، حتى يسمع "ليونيتُّو" كلامها، وقالت:

– زوجي العزيز، حمدًا للرب على قدومك! لقـد شـاهدت اليـوم موقفًـا عصيبًا. فقد دخل شخصٌ هربًا يطلب النجدة، لـم أشـاهده مـن قبـل، وكان السيد "لامبيرتوتشو" يطارده وهو شـاهر خنجـره، وقـد وجـد بـاب الحجـرة مفتوحًا، وقال وهو يرتجف من الخوف: "سيدتي، أرجوك بكـل غالٍ عليـك، ساعديني، ولا تتركيه يقتلني، واجعليني تحت حمايتك". ولما هممـت بـسؤاله

مَن يكون، وما الذي يحدث معه، سمعت صوت السيد "لامبيرتوتشو"، وهو يصعد على الدرج ويقول: "أين أنت أيها الجبان؟" فوقفت أمام غرفتي. وحين أراد دخولها منعته. ولما أن وجد أني لن أسمح له بدخول حجرتي، أخذ يردد كلمات وتعبيرات تهديدية كثيرة، ونزل من على الدرج، كما شاهدته بعينك.

فقال الزوج:

– لقد قمت بفعل الصواب، يا زوجتي، فليس من الجيد لنا أن يُقتل أحدٌ في منزلنا. وقد تصرف السيد "لامبيرتوتشو" بشكل غير لائق، لأن الفتى قد استجار بنا، ونحن لا نرد المستجير.

بعدها، قال لها: أين هذا الفتي.

فقالت الزوجة:

– لا أعلم أين اختفى.

قال الزوج:

– أين أنت أيها الفتى؟ يمكنك أن تخرج الآن بلا خوف. أنت في حمايتي من الآن!

كان "ليونيتُّو" يسمع حديثهما، فخرج من المكان الذي اختبأ فيه، وهو يظهر خوفه، مثلما لو كان يهدده "لامبيرتوتشو" بصدق. ثم سأله الزوج:

– ما الذي جعل السيد "لامبيرتوتشو" يريد قتلك؟

فرد عليه الفتي:

– لا سبب لهذا، يا سيدي. أظن أنه ليس في وعيه، أو أنه ظن أني شخص آخر يريد الإنتقام منه. فعندما شاهدني في الشارع، بالقرب من هذا المنزل، أمسك بخنجره، وقال لي :"أيها الخائن، سوف أقتلك الآن". ولم أقف لأسأله

https://telegram.me/maktabatbaghdad

عن سبب ما قال، وجريت بأقصي سرعة، ودخلت بهذا المنزل. ولقد نجوت بفضل هذه السيدة الكريمة.

فقال له الزوج:

– لا تخف! سوف أرافقك بنفسي حتى تصل إلي بيتك سالمًا، وبعدها يمكننا معرفة لماذا أقبل السيد "لامبيرتوتشو" على هذا التصرف؟!

بعد تناول العشاء سويًا، أعطاه الزوج جوادًا، وظل معه حتى أوصله إلى باب بيته في "فلورنسا". ثم قام الفتي بما أوصته به السيدة، فتوجه في نفس الليلة إلى السيد "لامبيرتوتشو" في الخفاء، واتفق معه على عدم التحدث في هذا الأمر مرةً ثانية، مهما حدث أو قيل، حتى لا يدري الزوج بالخدعة التي فعلتها معه زوجته.

القصـة السَّــابعة

يصرح "لودوفيكو" للسيدة "بياتريتشي" بحبه وعشقه لها، فتقوم بإرسال زوجها "إيجانو" إلى الحديقة لابسًا ثوبها. أما هي، فتضاجع "لودوفيكو"، الذي ما إن ينته من ذلك، حتى يتجه إلى الحديقة، ويضرب "إيجانو".

أعجبت قصة "بامبينيـا" كل الحـاضرين، وكـذلك حيلـة تلـك الـسيدة الفطنة. أما "فيلومينا" التي تلتها في القص بأمر الملك، فقالت:

سيداتي الحبيبات، لا أظن أني أبالغ لو قلت إن قصتي ستكون أفضل مـن القصة السابقة. ويجب عليكن أن تعرفن أن أحـداث حكايـتي قـد وقعـت منذ وقت قريب. فقد كان يعيش في باريس أحد نبلاء "فلورنسا" الذي حـين تعسرت أحواله المالية امتهن التجارة، فتحـسنت أحـواله بعـدها، وعاد أكـثر ثراءً مما كان من قبل. كان لديه ولد واحد اسمه "لودوفيكو". ولرغبته الشديدة في أن يكون ولده نبيلًا وليس تاجرًا، فلم يحاول الأب تعليمه التجارة، بـل جعله في خدمة ملك فرنسا مع غيره من النبلاء، ليتعلم السلوكيات النبيلـة ويصبح مثلهم. وفي هذه الأثناء، عاد بعض الفرسان مـن الأراضي المقدسـة،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وتحدثوا مع مجموعة من الشبان- وكان من بينهم "لودوفيكو"- عن النساء الجميلات في فرنسا وانجلترا وأنحاء أخرى في هذا العالم. فقال أحد هؤلاء الشبان إنه صال وجال في العديد من البلاد، وشاهد الكثير من النساء، لكنه لم يجد أبدًا أجمل من زوجة "إيجانو دي جالوتسي" في "بولونيا"، وتدعى "بياتريتشي". وافقه القول كل الذين شاهدوا تلك السيدة. وعندما سمع "لودوفيكو" كلامهم هذا، وكان وقتها لم يقع في غرام أية فتاة، جال بخاطره أن يراها. وبالفعل، من أحاديث الناس عن الفتاة، سيطرت على تفكيره دون أن يراها، بل أصبح يبحث عن طريقة حتى يذهب إلى "بولونيا" للقائها، والبقاء عندها إن قبلت.

أخبر والده أنه يود السفر إلى الأراضي المقدسة، فقبل والده بصعوبة بالغة. أعد الفتى نفسه للسفر، وانطلق. وبمجرد وصوله إلى هناك، اختار لنفسه اسم "أنيكينو". وكان الحظ حليفه بلا شك؛ فقد رأى هذه السيدة في اليوم الثاني من زيارته لهذه المدينة، في إحدى الحفلات. كانت أجمل مما تخيل، فعشقها من أول وهلة، وقرر عدم ترك المدينة ما لم ينل حبها. ففكر في طريقة تساعده ليتقرب منها، وينال ما يتمنى، مهما كلفه هذا. فكر في أنه لو أصبح خادمًا عند زوجها- وكان لديه الكثير والكثير من الخدم القائمين على خدمته وتلبية أوامره- فربما يتمكن من الوصول إلى مراده. فقام ببيع حصانه، وطلب من صاحب النُّزل الذي يسكن فيه أن يبحث له عن عمل كخادم لأحد نبلاء المدينة، الذي رد عليه قائلًا:

– من المؤكد أن السيد "إيجانو" سيعجب بك. فعلى الرغم من أن لديه

خدمًا كثيرين، إلا أنه يرغب في أن يكونوا على نفس مظهرك وتصرفاتك. وسوف أحدثه عنك.

وبالفعل اتفق صاحب النُّزل مع السيد "إيجانو" على أن يعمل "أنيكينو" لديه. وبعدما انتقل للعيش لديهم، انتظر حتى تحين الفرصة المناسبة ليتحدث مع "بياتريتشي". كان يقوم على خدمة السيد على أكمل وجه، بل يسعى لإرضائه بشتى السبل؛ ولذلك أحبه "إيجانو"، وصار يعتمد عليه في كل شيء، وجعله المسؤول عن إدارة كل شيء. وذات يوم، خرج السيد "إيجانو" في رحلة صيد، وظل "أنيكينو" في المنزل، فجلس يلعب الشطرنج مع السيدة "بياتريتشي"، التي لم تكن تعلم أنه مغرم بها إلى هذا الوقت الذي جلسا فيه هكذا سويًّا. كانت هى الأخرى معجبة بعاداته وأسلوبه الراقي في التعامل. وأثناء لعبهما، كان "أنيكينو" يتعمد الخسارة منها، وكانت السيدة سعيدة وهي تكمل اللعب لتقدمها عليه. كانت وصيفة "بياتريتشي" معهما في الغرفة، لكنها بعد أن خرجت، وبقيا بمفردهما، أطلق "أنيكينو" زفرة طويلة وقوية، كما لو كان يتنفس الصعداء، فنظرت نحوه السيدة "بياتريتشي"، وقالت:

– ماذا حل بك، يا "أنيكينو"؟ هل فوزي عليك يحزنك إلى هذه الدرجة؟

فقال لها "أنيكينو":

– سيدتي، في الواقع هناك أمر أكبر من هذا بكثير.

فقالت له السيدة:

– أخبرني، ما هو، أرجوك.

عندما سمعها "أنيكينو" المغرم بها تقول "أرجوك"، أطلق زفرة أكبر من التي سبقتها. فترجته السيدة أكثر وأكثر بأن تخبره بسبب كل تلك الزفرات.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

فقال:

– أخشى يا سيدتي– إن قلت لكِ الحقيقة– أن تستائي مما سأقوله، وأخشى أن تخبري أحدًا .

عندئذٍ قالت السيدة له:

– لن أنزعج من شيء، وأعدك أيضًا ألا أخبر أحدًا بما ستقوله، دون موافقتك.

فقال "أنيكينو":

– بما أنكِ وعدتِني بهذا، فسوف أقول لكِ الحقيقة.

كانت عيناه تذرفان الدموع وهو يحكي لها قصته، ومَن يكون، وما سمعه عنها، وأين حدث هذا، وعشقه لها دون أن يراها، وكيف أتى إلى هذا المكان، ولماذا عمل لدى زوجها. ثم طلب منها أن ترأف بحاله، ولا تفشي سره، وتعيره اهتمامها وتقبل حبه لها. أثناء ما كان "أنيكينو" يتحدث، كانت السيدة النبيلة تنظر إليه؛ وشعرت بصدق كلامه الذي يخرج من قلبه، وتلقت بقوة بالغة توسلات حبه، فتنهدت بعدها. وأطلقت بعض الزفرات، ثم قالت له:

– اطمئن، يا "أنيكينو"، واهدأ! فالكثيرون من السادة والنبلاء غازلوني، وطلبوا التقرب مني، وحتى الآن يحاولون، ولم يتمكن أي منهم أن يهز مشاعري؛ لكنك، في هذا الوقت القليل الذي تحدثت فيه، تمكنت من أن تجعل قلبي يميل إليك بقوة. سوف أمنحك حبي وأكون لك. لقد استحققتَ حبي بكل جدارة، وجعلتني أقدمه لك. تعالى إلى غرفتي عند منتصف الليل، وستجد الباب مفتوحًا، وأنت تعلم متي سأخلد إلي النوم بالضبط. تعال إليَّ وأيقظني، حتى لو كنت نائمة. وسوف أمنحك كل ما تتمنى. وحتى تصدق

كلامي، سوف أقبلك الآن.

وقامت بمعانقته، وقبلته بعذوبة وحب، وتبادل "أنيكينو" معها القبلة. ثم مضى ليقوم ببعض مهامه، وهو ينتظر بلهفة الوقت الذي وعدته السيدة به، وكان مغمورًا بالسعادة والفرح.

وحين عاد "إيجانو" من صيده، تناول العشاء وذهب لينام؛ فقد كان متعبًا للغاية. ثم ذهبت السيدة بعده، وتركت باب الغرفة مفتوحًا، كما قالت لـ"أنيكينو". وفي الوقت المتفق عليه، أقبل "أنيكينو" ودخل الغرفة في هدوء، وأغلق الباب وراءه، وذهب نحو الجانب الذي تنام فيه السيدة. وحين شعرت المرأة بمجيء "أنيكينو"، أمسكته من يده بكلتا يديها، ثم تململت على السرير حتى أيقظت زوجها، وقالت له:

– لم أكن أريد أن أقول هذا حين أتيت، فقد كان التعب باديًا عليك؛ لكن قل لي يا "إيجانو"، رحمك الرب، مَن أفضل خادم في إخلاصه ووفائه بين خدمك هنا؟

فقال زوجها:

– لم تسألين، يا زوجتي؟ فأنت تعلمين؛ فليس هناك مَن هو أفضل من "أنيكينو". ولكن أخبريني، لم تقولين هذا؟

لما شعر "أنيكينو" باستيقاظ "إيجانو"، وسمع حديثهما، حاول أن يفلت يده ويرحل؛ فقد خاف أن تكون السيدة قد دبرت له فخًا؛ لكن السيدة أمسكته بقوة لم يتمكن بسببها من أن يبعد عنها.

قالت الزوجة ردًا على السيد "إيجانو":

– سأقول لك السبب. لقد كنت أظن ذلك مثلك. لكنه خدعنا، وكان

https://telegram.me/maktabatbaghdad

يتصنع طوال الوقت؛ فحين ذهبت لكي تصطاد، وبقي هو في البيت؛ حين سنحت له الفرصة، تجرأ وطلب مني أن أستجيب لرغباته؛ فجاريته بالكلام، واخترت له وقتًا محددًا حتى يقابلني، حتى تتأكد بنفسك من خداعه. وأخبرته أني سأكون في الحديقة بعد منتصف الليل، وسوف ينتظرني عند شجرة السرو. لكنني لن أذهب بكل تأكيد. ولو أردت أن تتأكد من وفاء خادمك، فيمكنك التخفي في ملابسي، وتضع شيئًا على رأسك، وتخرج في الحديقة إلى أن يأتي؛ وأنا على يقين من أنه سيأتي.

لما سمع كلامها، قال:

– من الجيد أن أتحقق من الأمر بنفسي.

نهض الزوج في الظلام الدامس، وارتدى ثياب زوجته، وغطى رأسه، وخرج إلى الحديقة، وانتظر قدوم "أنيكينو" عند شجرة السرو، كما دلته زوجته. وبمجرد أن رأته يخرج من الغرفة، قامت وأغلقت الباب من الداخل. أما "أنيكينو"، فبعدما كان يشعر بخوف لم يشعر به من قبل، وكان يحاول أن يفلت من تلك السيدة، ويلعنها في داخله، بل يلعن اليوم الذي أحبها فيه ووثق فيها؛ فلما فهم ما كانت تدبره، شعر أنه أسعد رجل في هذا العالم. وبعد أن أغلقت الباب، ورجعت إلى سريرها، خلعا ثيابهما سويًّا، بناءً على رغبتها، وقضيا وقتا بين المداعبات والملذات. وبعد أن انتهيا، ورأت السيدة أن الوقت مناسب لتكمل خطتها، قالت له:

– حبيبي "أنيكينو"، خذ هذه العصا، واذهب إلى تلك الشجرة، ووجه السباب وأفظع الشتائم لـ"إيجانو" الذي يرتدي ملابسي، واضربه بشدة بالعصا؛ وبهذا يمكننا أن نلتقي من دون قلق وبأمان. وبعد ذلك، ستزداد

ثقته فيك.

قام "أنيكينو"، وخرج إلى الحديقة، ممسكًا بالعصا. وحين وصل إلى شجرة السرو، وشاهده "إيجانو"، قام كأنه يستقبله بسعادة، فبادرة "أنيكينو"، فقال:

– آهٍ منك، أيتها المرأة الضالة! هل تظنين أني قد أفكر في الإساءة لشرف سيدي؟ عليك اللعنة!

ورفع عصاه وضربه بالعصا.

لما وجد "إيجانو" الأمر هكذا، ركض من غير أن ينطق بكلمة واحدة، وجرى "أنيكينو" وراءه، وهو يقول:

– ارحلي، ولتحل عليكِ لعنة الرب، أيتها العاهرة. في الغد، سوف أحكي لسيدي ما فعلتِه، أيتها السيئة.

نال "إيجانو" ضربتين قويتين، فمضى مسرعًا إلى الغرفة؛ فقالت له السيدة حين دخل، هل كان "أنيكينو" في الحديقة، فقال لها:

– ليته ما جاء! لقد اعتقد أنكِ أنا، فأوجعني ضربًا ووجه لي الشتائم الفظيعة. وأهم ما في الأمر أنه قال ما قال، وقام بذلك لا ليلحق بي الأذى، ولكن لكونه شعر أنك تبدين له اللطف والمودة، فرغب في اختبارك.

فقالت الزوجة:

– الحمد والشكر لك، يا رب، لأنه كان مجرد اختبار لي بالكلام، ولم يقدم على فعل أكثر من هذا. وأظن أنه يمكنني الصبر على الكلام، بأكثر من قوة تحملك أنت للأفعال. وحيث أنه مخلصٌ هكذا، فيجب عليك تكريمه وتقريبه إليك.

عندئذ قال "إيجانو":

https://telegram.me/maktabatbaghdad

– لديك كل الحق فيما تقولين!

بناءً على ذلك، صار جليًّا له أن امرأتـه هي أوفى نـساء الدنيـا، وخادمـه الأكثر إخلاصًا؛ وهي صفة نادرًا ما يجـدها النـبلاء في المحيطـين بهـم. أمـا السيدة، فقد كانت تضحك كثيرًا هي و"أنيكينـو"، كلمـا تـذكرت مـا فعلتـه بزوجها. وأصبحت تقضي أوقاتًا جميلة مع عشيقها "أنيكينو". وقد بقي الوضع على هذا الحال الفترة التي عاشها الفتى في خدمة السيد "إيجانو" في "بولونيا".

القصـة الثَّـامنة

يشعر الرجل بالغيرة الشديدة على زوجته. أما زوجته الماكرة الخبيثة، فكانت-كي تنتبه لقدوم عشيقها آناء الليل- تربط وصلة خيط رفيعة يصعب ملاحظتها في إصبع قدمها. وذات مرة، يلاحظ الزوج ما يدور في بيته من حيلة ماكرة، ويحاول مطاردة العشيق، إلا أن الزوجة كانت أشد لؤمًا ومكرًا من الزوج؛ فأحضرت امرأة أخرى ووضعتها في السرير، فانهال عليها الزوج بالضرب المبرح وقص شعرها. بعد ذلك، أتى أقارب الزوجة الذين وجهوا أفظع الشتائم والإهانات للزوج، بسبب كذبه وإدعائه على زوجته بأنها تضاجع عشيقًا لها.

ظهر جليًا للجميع كم أن السيدة "بياتريتشي" امرأة لعوب ماكرة، وتتمتع بخبث شديد للغاية، وذلك بخداعها لزوجها. وأصبح الجميع علي يقين من أن خوف "أنيكينو" كان رهيبًا، خاصة عندما سمع السيدة- وهي ممسكة بتلابيبه بقوة- تقول إنه طلب منها الإستجابة لرغباته. وحين وجد الملك أن "فيلومينا" قد انتهت تمامًا من سرد قصتها لهذا اليوم، توجه إلى "نيفيله"، وقال لها تفضلي وقومي بإمتاعنا بروايتك.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ابتسمت "نيفيله" ابتسامة رقيقة لبرهة من الوقت، ثم قالت: أيتها السيدات الجميلات، كم هو عبءٌ عظيم وقع على كاهلي، وأنا أرى أنه لا بد لي من قص رواية تمتعكن، بعد كل القصص الممتعة السابقة التي استمعتن إليها. بيد أنني سأبذل قصارى جهدي، لأتمكن من قص حكاية تنال استحسانكن. وليعينني الرب على هذه المهمة الشاقة. فبدأت السرد قائلة:

كان يعيش في مدينتنا هذه تاجر من أغنى الأغنياء، يدعى "أرِّيجوتشو بيرلنجيري". وقد راودته أفكاره الغبية– مثلما يفعل التجار ممن على شاكلته– بأن يستغل زوجته في الوصول إلى مراتب النبلاء. وبالفعل، فقد تزوج من شابة في ريعان شبابها تنتمي إلى طبقة النبلاء، تسمى "سيسموندا". وكان هذا التاجر– مثل غيره من التجار– كثير السفر إلى خارج البلاد، وقليلًا ما يمكث معها في المنزل. ومن ثم، وقعت زوجته الشابة في غرام شاب اسمه "روبرتو"، كان قد دأب على التقرب منها منذ فترة ليست بالقصيرة. وتطورت العلاقة بينهما إلى حد إقامة علاقة حميمة كاملة بينهما، لكن دون أخذ احتياطات الحذر والحيطة المتبعة ممن يفعلون هذه الأشياء غير الشرعية؛ ذلك لأن الفتى كان يروق لها ويعجبها جدًّا.

علم زوجها "أرِّيجوتشو" بهذه العلاقة، لكن دون يقين، فتحول إلى رجل شديد الغيرة، وانصرف عن سفرياته، بل عن تجارته برمتها، وظل دائمًا في إثر زوجته يقوم على حراستها ومراقبتها في كل حين. ووصل الأمر إلى أنه لم تعد قدماه تخطوان إلى السرير إلا بعد أن يتأكد من أن زوجته قد نامت أولًا. عانت الزوجة من الضيق الشديد، لأنها لم تعد قادرة على لقاء عشيقها

"روبرتو". ولم تستسلم المرأة لهذا الوضع، وبدأت تفكر في حيلةٍ ما تمكنها من لقاء عشيقها، دون أن ينتبه إليها زوجها؛ لحاصة أن "روبرتو" نفسه كان يتوق للقائها مثلما كانت هي. وجالت بخاطرها فكرة شيطانية.

كانت غرفة نومها تطل على الشارع، وكانت لها نافذة. وبما أن زوجها كان يجد مشقة في النوم بسبب حراسته وقلقه الدائم على زوجته، إلا أنه كان- إذا ما تمكن النوم منه- يستغرق فيه تمامًا، ويكون من الصعب إيقاظه. فاتفقت مع عشيقها "روبرتو" على المجيء أثناء الليل، وستفتح له الباب. لكن قبل هذا، اتفقت معه على أنها سوف تربط خيطًا رفيعًا بإصبع قدمها، وتنزله إلى مقربة من أرض الشارع، وتدس طرفه نهارًا بين ملابسها في الدولاب، وفي الليل تربطه بإصبعها. ولما يأتي لها "روبرتو" يقوم بشد الخيط، فإذا كان زوجها نائمًا ستفك الخيط وتفتح له الباب، وإذا كان مستيقظًا فإنها ستجذب الخيط ناحيتها، فيغادر "روبرتو" المكان ولا ينتظر بلا فائدة.

نالت الفكرة إعجاب العشيق، ونفذاها عدة مرات بنجاح. وبعد انقضاء وقت طويل علي اللجوء إلى هذه الحيلة، واستخدامها بنجاح، حدث في إحدى الليالي- وبينما الزوجة مستغرقة في النوم- أن مدَّ زوجها "أرِّيجوتشو" رجله على السرير، فعلقت بالخيط الرفيع المربوط في إصبع قدمها، فشك في أن بالأمر خدعةً ما. ولما أن وجد أن الخيط يتدلى من النافذة المطلة على الشارع، تأكدت ظنونه وصارت في محلها. وعلى ذلك، نزع الخيط من إصبع زوجته وربطه في قدمه، وظل ينتظر ليرى بعينيه ماهية الأمر الغريب هذا. وما هي إلا سويعات قليلة، حتى أقبل العشيق "روبرتو" فشد الخيط- مثلما اعتاد في المرات السابقة- فأحس "أرِّيجوتشو" به. لم

https://telegram.me/maktabatbaghdad

يربط "أرِّيجوتشو" الخيط بقوة في إصبعه، فسقط الخيط كله في يد العشيق، فعلم عندئذٍ أنه تريد منه أن ينتظر، وهذا ما فعله. وفي الحال، انتفض "أرِّيجوتشو" من سريره متجهًا صوب الباب، حاملًا سلاحه، ناويًا قتل هذا العشيق الخائن. كان "أرِّيجوتشو" تاجرًا، إلا أنه كان قويًّا وعنيدًا لأبعد الحدود. لم يفتح الباب بهدوء مثلما اعتادت زوجته، وإنما بقوة وصخب، فلاحظ "روبرتو" هذا، فأدرك أن من فتح الباب هو الزوج لا عشيقته؛ فحاول الهرب، فجرى في إثره "أرِّيجوتشو" محاولًا اللحاق به، إلي أن لحق به بالفعل. كان كلاهما مسلحًا، فاستل كل منهما سيفه، وبدآ في النزال والعراك. وكان كل منهما حريصًا على النيل من الآخر، وحماية نفسه.

استيقظت "بياتريتشي" لما أحست بزوجها يفتح باب غرفة النوم، ولما وجدت أن الخيط المربوط بإصبع قدمها منزوع، علمت أن حيلتها قد انفضحت، وعرفت- من الصخب الدائر في المكان- أن زوجها يطارد عشيقها "روبرتو"، فأسرعت من مكانها في الحال، وقامت باستدعاء خادمتها، كاتمة أسرارها، وأقنعتها بأن تقبع مكانها في سريرها، وطلبت منها- متوسلة إليها- أن تتحمل بصبر ومثابرة كل الضرب المبرح الذي يتوقع أن تناله من "أرِّيجوتشو"، دون أن تكشف شخصيتها، واعدة إياها بمكافأة كبيرة حال نجاح خطتها.

بعد ذلك، اختبأت في مكانٍ ما بالبيت لتراقب ما سوف يحدث. اشتدت المبارزة بين الزوج والعشيق، وشعر الجيران بالأمر، فنهضوا وانهالوا عليهما بالسباب والشتائم. كان "أرِّيجوتشو" يخشى أن يتعرف عليه الجيران، فانسحب من المعركة دون أن يتعرف على شخصية هذا الشاب الذي تخونه

زوجته معه ، علاوةً على أنه لم يتمكن من إصابته بأي جرح. رجع إلى بيته، ودخل غرفة نومه مشحونًا بالغضب، عكر المزاج، ثم قال:

– أين أنتِ، أيتها الزوجة الملعونة؟ هل تظنين أن إطفاءك للإضاءة سيحول دون أن أعثر عليكِ. أنتِ مخطئة؛ فسأعثر عليكِ حتمًا!

اتجه ناحية سرير غرفة النوم المفترض أن تنام عليه الزوجه، وانهال على الخادمة بالضرب المبرح، ظنًّا منه أنها زوجته الخائنة. وظل يضربها، ويوجه إليها اللكمات بيديه وقدميه، إلى أن تورم وجهها، وامتلأ بالكدمات. وفي النهاية، قام بقص شعرها. في كل هذه الأثناء، لم يتوان قط عن سبها ولعنها بأفظع الشتائم التي يمكن أن توجه لأسوأ نساء الدنيا. كانت الخادمة المغلوبة علي أمرها تتحمل بصبر قدر المستطاع، لكنها كانت- بين الفينة والفينة- تخرج بعض التوسلات من نوعية "أرجوك اتركني! كفى بحق الرب!" وبما أن صوتها كان غير واضح من كثرة البكاء، فلم يتعرف عليها الزوج. ثم قال لها:

– من الآن فصاعدًا، لن أقترب منك مهما كان الأمر، أيتها الملعونة! سأذهب إلى أخوتك، وأخبرهم بهذه الأفعال المشينة التي اقترفتها، ليأتوا ويفعلوا بكِ ما يرونه مناسبًا في هذه الحالات من الإساءة للشرف. وسأطلب منهم أن يأخذوك من هذا البيت، لأنه لم يعد لكِ مكان هنا بعد اليوم.

خرج بعدها من الغرفة، وأغلق بابها من الخارج، وغادر المكان برمته. لما شعرت "سيسموندا" برحيل زوجها عن المكان تمامًا، ذهبت إلى غرفة النوم، حيث كانت تقبع خادمتها مهشمة الأضلاع، باكية على ما أصابها من ضرب مبرح لم تنل مثله في حياتها. قامت السيدة "سيسموندا" بمواساة خادمتها واعتنت بها خير عناية، بعد أن حملتها إلى غرفتها، وكافأتها بالفعل كما

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وعدتها، كي تنسى ما ألم بها من كدمات شديدة تسبب فيها "أرِّيجوتشو".

بعد أن اطمأنت "سيسموندا" على خادمتها في حجرتها، عادت إلى غرفة نومها، وأعادت ترتيبها من جديد، كما لو لم يحدث فيها شيء ذلك اليوم. ثم ارتدت أجمل ملابسها وتزينت، وأضاءت أحد المصابيح، وبدأت تخيط أحد ملابسها على السلَّم في انتظار ما ستؤول إليه الأمور. أما "أرِّيجوتشو"- الذي غادر بيته- فقد توجه مباشرةً إلى منزل إخوة زوجته. وهناك ظل يطرق الأبواب طويلًا وبقوة، ليفتحوا له الباب بسرعة. وبالفعل، فلما علم أخوة زوجته وأمها أن الطارق هو "أرِّيجوتشو"، أشعلوا المصابيح، وأسرعوا ليفتحوا له الباب، سائلين إياه في أي أمر قد جاء في هذه الساعة المتأخرة من الليل. أخبرهم بما حدث بالتمام والكمال، بدءًا من الخيط المربوط في إصبع قدم زوجته ... إلخ. وكدليل دامغ على ما جرى قدم لهم الشَّعر الذي جزه منها، ظنًّا منه أنه شعر زوجته، ثم طلب منهم أن يذهبوا معه لفعل ما هو مناسب في مسألة الشرف هذه، لأنه لم يعد يريد أن يراها في بيته بعد اليوم.

وجد أهل الزوجة أن ما حدث من ابنتهم أمر فظيع لا يمكن السكوت عليه بأية حال من الأحوال، ولم يساورهم أي شك فيما قاله الزوج، وشُحنوا بالغضب الجارف حيالها دون أن يروها. وعلى هذا، أشعلوا المصابيح وانطلقوا إليها، لينالوا منها، وليلحقوا بها أشد عقاب جراء فعلتها النكراء. في هذه الأثناء، كانت الأم تتوسل إليهم بألا يصدقوا هذه الأمور بسهولة، مثلما فعلوا، وطلبت منهم التمهل لحين التأكد من ماهية الأمر، وأخبرت أبناءها أنها هي نفسها لا يمكنها أن تصدق هذه الأقاويل عن ابنتها التي ربتها، والتي تعرفها جيدًا. لم تتوقف الأم طوال الطريق عن قول أشياء مشابهة لما

تم ذكره. ولما وصلوا إلى بيت "أرِّيجوتشو"، دخلوه، وصعدوا مباشرةً على السلالم، فانتبهت "سيسموندا" لهم، فقالت:

– مَن القادم؟

أجابها أخوها:

– حالًا ستعرفين مَن القادم، أيتها الملعونة.

عندئذٍ قالت "سيسموندا":

– ما الذي تعنيه بكلماتك هذه، ياأخي؟ رحمتك يارب! على العموم، أهلًا وسهلًا بكم أخوتي الكرام. لكن ما الذي جاء بكم إلى هنا في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟

أخبرهم "أرِّيجوتشو" في بيتهم أنه قد أوسع أختهم ضربًا، بل هشمها، بيد أنه لما وقعت أعينهم عليها- وكانت تحيك الملابس- لم يجدوا عليها أي علامات تشير إلى أنها قد نُكل بها. اندهش الأخوة الثلاثة في بدء الأمر، ولم يتفوهوا بكلمة واحدة، وتمكنوا بصعوبة من كبح جماح غضبهم الذي سببه لهم زوجها. ثم سألوها عن حقيقة ما سرده على مسامعهم زوجها، فقالت "سيسموندا":

– في الحقيقة، لست أدري عم تتحدثون، ولا أدري من أي أمر يشكو زوجي الحبيب "أرِّيجوتشو".

تجمد "أرِّيجوتشو" مكانه لما رأى زوجته على هذا الحال، وهو نفسه الذي وجه إليها أكثر من ألف لكمة قوية في وجهها، ولم يتركها إلا وهي مملوءة بالجروح والكدمات؛ لكن هيهات هيهات، فالآن لا يجد الزوج أثر أي شيء على وجه زوجته. و"أرِّيجوتشو" في قمة الدهشة والذهول مما يحدث. في

https://telegram.me/maktabatbaghdad

هذه الأثناء، أخبرها أختها بما قاله "أرِّيجوتشو" عن الخيط، وعن ضربه لها ضربًا مبرحًا، والأشياء الأخرى التي حدثت وقصها عليهم. وهنا التفت "سيسموندا" ناحية "أرِّيجوتشو"، وقالت:

– ما هذا الذي أسمعه، يا زوجي العزيز؟ لِمَ تفعل هذا؟ لمَ هذا القذف بسوء الأخلاق؟ ألا تعلم أن ما تقوله سوف يلحق بك العار؟ فأنا لستُ كما تدعي، وأنت أيضًا لست بالرجل الفظ اللئيم، فلِمَ هذا؟ كيف تدعي أنك كنت معي هذه الليلة، وأنت لم تأت إلى البيت اليوم من الأساس؟ ثم أخبرني متي ضربتني، وكيف؟ أنا لا أتذكر أنك ضربتني.

فقال "أرِّيجوتشو":

– ماذا تقولين، أيتها الساقطة؟ ألم نكن علي سرير واحد، هذه الليلة؟ ألم أعد إلى البيت ثانيةً بعد مطاردتي لعشيقك؟ ألم أضربك وأقص شعرك؟

فأجابت قائلةً:

– أنت لم تكن نائمًا في البيت، هذه الليلة، يا زوجي. لكن ليس بمقدوري إثبات هذا الأمر إلا من خلال كلماتي الصادقة. أما عن ادعائك بأنك أبرحتني ضربًا، وجززت شعري، فلديَّ البرهان على عدم حدوث هذين الأمرين. فأنت لم تضربني، ويمكن للموجودين بالمكان الآن ملاحظة هذا، علاوةً علي أنك أيضًا يمكنك التحقق من هذا الأمر بنفسك، إذا تأملتموني. لكن بعد كل هذا، لا أنصحك بأن تمد يدك ناحيتي، لأنني لن أتوانى عن صفعك على وجهك، بسبب ما قلته عني كذبًا وافتراءً. كما أنك لم تقص شعري كما تقول، فإن كنت فعلت هذا حقًّا، لكنتُ شعرت به. لكن دعنا نفترض أنك فعلت هذا دون أن أدري، فلنر إن كان هذا قد حدث أم لا.

خلعت غطاء الرأس، فكشفت عن شعرها الذي كان غير ممسوس بأي ضرر على الإطلاق. ولما رأى إخوتها كل هذا بأم أعينهم، أخذوا يقولون لزوجها:

– ما هذا الإفتراء، يا "أرِّيجوتشو"؟ ألم تأت إلينا بالبرهان من عندك، وتخبرنا عن أفعال لم تقترفها أختنا. خاب ظننا بك أيها الرجل! وكيف ستستطيع إثبات بقية الإفتراءات؟

اندهش "أرِّيجوتشو" مما يحدث، وتسمر مكانه، وأحس بأن كل ما يدور حوله ليس إلا حلمًا سرعان ما سيتلاشي ويتبدد. أراد أن يتكلم، إلا أنه لم يتمكن من التفوه ولو بكلمة واحدة، لأن ما أراد إثباته بالدليل القاطع لم يعد موجودًا، وتبدل الأمر كليةً. وهنا التفتت "سينسموندا" لأخوتها وقالت:

– إن "أرِّيجوتشو" يرميني بما هو أهله، وبما يفعله، ويدفعني بذلك إلى أن أخبركم بما يفعله هو من خبث وفجور، وأنا أنوي أن أتكلم حقًّا. في الحقيقة- يا أخوتي الأعزاء- إن ما أخبركم به حدث بالفعل، لكني سأخبركم بالحقيقة والكيفية. فهذا الرجل الصالح الورع العفيف- كما تظنون، وقد زوجتموني منه بناءً على ظنكم هذا- لا تمر عليه ليلة واحدة دون أن يثمل في الحانات، ويتنقل من حضن عاهرة إلى أخرى. وأنا هنا أصونه وأحفظ شرفه، وأنتظره كل يوم إلى ما بعد منتصف الليل، بل- في بعض الأحيان- حتى الصباح الباكر تمامًا، مثلما وجدتموني اليوم. وأنا على ثقة من أنه كان ثملًا حتى النخاع، وكان مع إحدى العاهرات، وكان الخيط الرفيع مربوطًا في إصبع قدميها. وربما افتعل هذه المشاجرة التي حكى لكم تفاصيلها مما رآه خارج البيت هذه الليلة. ثم رجع إليها وقص شعرها، وظن وهو مخمور- لا

https://telegram.me/maktabatbaghdad

يدري بما يدور حوله- أنه فعل كل هذا معي أنا. انظروا إليه جيدًا، وستجدونه ثملًا. ولكنني- وعلى الرغم مما فعله وافتراه عليَّ- أرجوكم ألا تتعاملوا معه إلا كإنسان ثمل، واصفحوا عنه مثلما صفحت عنه.

إلا أن الأم صاحت بقوة، بعد سماعها هذه الكلمات، وقالت:

– أستحلفك بالمسيح، يا بنيتي العزيزة، لا مجال للعفو عن هذا اللئيم الخبيث. فهو لم يعد جديرًا بك. عليه اللعنة! فمن يسمع افتراءاته يظن أنه انتشلك من القاع، وأنت من خيرة الشرفاء والنبلاء! فلتنزل عليكِ صاعقة من السماء، وتقطعك إربًا إربًا، إذا كنتِ ستصفحين عن تاجر روث البهائم هذا! هذا الفلاح اللئيم! فأمثاله القادمون من الريف، الذين كانوا يعملون بالسخرة، ويرتدون أقذر الملابس، وينتعلون أردأ الأحذية، ما إن يحصلوا على بعض القطع النقدية حتى يظنوا أنهم صاروا يملكون الدنيا بما فيها، ويرغبون في نسب بنات النبلاء، واتخاذهم زوجات ليعلو شأنهم. وبعدها، يبدأون في القول إنهم ينحدرون من عائلة فلان وعائلة علان، ويزيدون قائلين فعل أجدادي كذا، وأسلافي كذا وكذا. كم أتمنى الآن لو أنصت أبنائي إليَّ، وزوجوكِ زيجة محترمة تليق بك، ووفروا لكِ إقامة جديرة بك في بيت الكونت "جويدو"، الذي كان متقدمًا لخطبتك. لقد كنتُ معترضة على زيجتك هذه من البداية، وأصر أخوتك عليها، وأعطوا أفضل وأعف بنات "فلورنسا" إلى هذا الرجل الذي لم يخجل من نفسه، وجاء إلينا- في منتصف الليل- ليدعي على زوجته أبشع ما توصف به المرأة، ألا وهي الخيانة؛ بل يزيد ويقول إنها عاهرة. فكيف تجرؤ، أيها السكير الخبيث، عديم الحياء والشرف، على قول هذا عن ابنتنا؟ أنت، أيها الرجل عديم الأصل والنخوة! فلو كان

الأمر بيدي لفعلت بك ما لا يُفعل.

ثم توجهت إلى أبنائها وقالت لها:

– أرأيتم، يا أبنائي، كيف يعامل هذا التاجر عديم الأصل أختكم؟ لو أنني مكانكم لقتلته في الحال، لما افتراه كذبًا على شقيقتكم. لو كنتُ رجلًا الآن لفعلتُ هذا بيدي، ولم أكن لأرضى بأن يفعله سواي مع هذا السكير، عديم النخوة والرجولة!

هنا توجه الأخوة الثلاثة، الذين سمعوا ورأوا كل شيء، إلى "أرِّيجوتشو"، وأمطروه بوابل من الشتائم والسباب التي لا يمكن أن يتخيلها أحدٌ على وجه الأرض، ثم أردفوا قائلين:

– عفونا عنك هذه المرة فقط، لأنك ثمل، لكن إذا تكرر الأمر مرةً ثانية، فحتما ستجدنا لك بالمرصاد، وستدفع الثمن غاليًا عن السابق واللاحق.

بعد ذلك، انصرفوا جميعًا. وظل "أرِّيجوتشو" في مكانه لا يقدر على الحركة من شدة الذهول؛ لا يعرف هل ما حدث له هذه الليلة حلم أم علم. ثم ترك زوجته تفعل ما ترى ويروق لها من الآن فصاعدًا.

فدهاء الزوجة ساعدها علي النجاة بنفسها من هذا المأزق الخطير، وفتح لها الأبواب علي مصراعيها لتفعل كل ما تريد، دون خوف من زوجها.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

القصـة التاسـعة

تغرم السيدة "ليديا" زوجة "نيكوستراتو" بـ"بيرُّو". وحتى يصدق مدى حبها له، يطلب منها ثلاثة أشياء لتنفذها. وبالفعل، تنجح في تنفيذها كلها، بل تضاجعه في حضور زوجها "نيكوستراتو"، الذي تجعله يعتقد أن ما يرى لا يمت للحقيقة بصلة.

لم تتوقف النساء عن الضحك والكلام عن قصة "نيفيله" التي أعجبتهن جميعًا، بالرغم من أن الملك طلب منهن مرارًا وتكرارًا الالتزام بالصمت. بعد ذلك، طلب الملك من "بانفيلو" أن يروي قصته لهذا اليوم؛ فأخذ يقول، بعد أن صمت الجميع: سيداتي العزيزات، لا أظن أن العاشق يمكن أن يحجم عن فعل أي شيء مهما كانت خطورته لنيل مراده. وقد تأكد هذا الأمر مرات كثيرة في الروايات السابقة، إلا أنني أود تأكيده هذه المرة بطريقة أفضل، من خلال القصة التي سأسردها على مسامعكن الآن. فبطلة قصة اليوم أقدمت على فعل أشياء لا يقبل بها العقل أو الحكمة. لكن الحظ- مع ذلك- حالفها في تحقيقها. ومن هنا، أطلب منكن- أيتها السيدات الفضليات- ألا تحذون حذوها، لأن الحظ لا يحالف الإنسان دومًا بهذه

الطريقة التي حدثت في قصتنا؛ فضلًا عن أن الرجال الموجودين في هذا العالم ليست على أعينهم غمامة أو غشاوة، كتلك التي كانت على عين زوجها.

في مدينة "أرجو" العتيقة، واحدة من مدن "أكايا" المشهورة بعظمة ملوكها أكثر من عظمتها نفسها، كان يعيش أحد النبلاء، ويدعى "نيكوستراتو". كان كبيرًا في السن، ومع ذلك فقد حالفه الحظ وتزوج من سيدة جميلة تنحدر من أصول عريقة، ولا تقل جرأتها عن جمالها، اسمها "ليديا". كان "نيكوستراتو" شديد الثراء كما ذكرنا، وكان لديه الكثير من الخدم وكلاب الصيد والصقور، وكان متيمًا بالصيد؛ فكانت هذه الهواية ربما تكون شغله الشاغل. وكان من بين خدمه شاب أنيق ووسيم وماهر في عمله اسمه "بيرُّو". كان "نيكوستراتو" يحب هذا الفتى بشدة ويثق فيه. أحبت "ليديا" هذا الفتى وأغرمت به بشدة، وصارت تفكر فيه آناء الليل وأطراف النهار، إلا أن الفتى لم يكترث بها. وربما حدث ذلك، لأنه لم ينتبه إليها، أو لأنه لم يرغب في هذا الحب أساسًا. كانت "ليديا" تعاني من حبها له، وقد قررت في النهاية بأن تشعره بحبها له، فاستدعت خادمتها التي تثق فيها، وتدعي "لوسكا"، وقالت لها:

– "لوسكا"، دائمًا ما أغدق عليكِ بالهبات والهدايا، وبالتالي فعليكِ أن تكوني مخلصة ووفية لي. سوف أخبرك بأمر لا أريد أنه يعلمه أحد سوى مَن أشير إليكِ به، وحذار أن يحدث غير ما قلت. "لوسكا"، أنا شابة في ريعان الشباب، وأمتلك كل المقومات التي يتوق إليها أي رجل، وليس لديَّ ما أشكو منه سوى أمر واحد، وهو أن زوجي قد كبر في السن، وصار شيخًا

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كبيرًا مقارنة بعمري. ومن ثم، فأنا محرومة من المتعة التي تستلذ بها النساء الصبيات. وأصدقك القول، فأنا أرغب في هذا الأمر شأني شأن الأخريات. لقد اتخذت قرارًا داخليًا بألا أقوم بمعاداة نفسي من الآن فصاعدًا، وخاصة وأن الحظ لم يكن حليفي، لما تزوجت برجل كبير في السن. فحينئذٍ قررت الحصول على كافة المتع والملذات. وقد رأيت أن أفعل هذا مع الخادم المخلص العامل لدينا، "بيرُّو". فأنا أرى أنه الوحيد الذي يستحق نيل حبي دون غيره من الرجال. لقد أغرمت به، وعشقته لدرجة أنني لا أشعر بالراحة إلا عندما أراه أو أفكر فيه. وأعتقد أني ربما أموت إن لم ألتق به في أقرب وقت. وأطلب منكِ أن تجعليه يشعر بحبي له بأية وسيلة تجدينها مناسبة، واطلبي منه تلبية ندائي، والمجيء إليَّ عندما أرسلك في طلبه.

أخبرتها الخادمة بأنها ستفعل كل ما تأمرها به، بكل ترحاب. وبالفعل، تحينت الخادمة الفرصة، وتحدثت في الأمر مع "بيرُّو"، مما أصاب الفتى بالدهشة الشديدة لما يسمع، وبدا كأنه لم تجل بخاطره أي من هذه الأفكار من قبل. وكانت لديه خشية شديدة من أن سيدته إنما تقوم باختباره؛ فأجاب بغلظة في الحديث فور تلقيه هذه الكلمات:

– "لوسكا"، حتمًا لا أصدق تقول سيدتي تقول هذا الكلام، فتنبهي لما تقولين! وإن كانت فعلًا هي مَن قالت هذه الكلمات، ونقلتها أنتِ على لسانها، فأنا لست على استعداد لعمل هذه الأشياء. وأخبريها بأن زوجها سيدي ينعم عليَّ بأكثر مما أستحق، وأنا أكن له كل التقدير والاحترام، ولا يمكنني أن أوجه إليه هذه الإهانة، عبر خيانته مع زوجته. "لوسكا"، لا تتحدثي في هذا الأمر مرةً ثانية.

لم تخش الخادمة كلماته الفظة، وأردفت قائلة:

– "بيرُّو"، أيها البهيم، سوف أحدثك في الأمر كلما طلبت سيدتي مني هذا، سواء أقبلت أم رفضت.

عادت الخادمة إلى سيدتها التي اشتاطت غضبًا من رد فعل الخادم، وتمنت لو أن الأرض انشقت وابتلعتها. لكن ما هي إلا أيام قلائل، ونسيت الأمر تمامًا، واستدعت خادمتها كاتمة أسرارها ثانيةً، وقالت لها:

– تعلمين، يا "لوسكا"، أن شجرة السنديان لا تكفيها ضربة واحدة لتسقط. ومن ثم أرى أن تذهبِي مرةً أخرى إلى مدَّعي الوفاء هذا، وتتحيني الفرصة مرةً ثانية، وتخبريه بمدى لهفتي واشتياقي إليه. حاولي أن تكون كلماتك مؤثرة ومعبرة عن كل ما في داخلي. وإن تطلب الأمر فبالغي في ذلك؛ فالمهم أن تحققي المراد. أشعر بأنني سأموت لو لم يتحقق مرادي، لو استمر هذا الرجل في إهمالي هكذا. إنه لمجنون يظن أنني أختبره. وفي النهاية، أخبريه ليعلم جيدًا أن هذا الحب ربما ينتهي إلى غل وكره، إن لم يستجب له.

انطلقت "لوسكا" تبحث عن الخادم، بعد أن ظلت تواسي سيدتها، فوجدته في حالة مزاجية طيبة، فقالت له:

– "بيرُّو"، تعلم جيدًا أنني منذ عدة أيام جئت إليك، وأخبرتك بالنار التي تتأجج داخل سيدتي لأنها تحبك. واعلم- هذه المرة- أنه إذا ظل رد فعلك على نفس الوتيرة السابقة، فإنك لن تبقى على قيد الحياة كثيرًا. ولذلك، أنصحك بأن تستجيب لرغبتها. ولو أنك واصلت عنادك غير المبرر هذا، فحتمًا سوف أعتبرك من السذج، بعد أن كنت في نظري من الحكماء. أي

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كبرياء يمكنك أن تصل إليه أكبر من أن تُغرم بك سيدتك الفاتنة، ابنة النبلاء، الثرية؟ فمن الأفضل لك أن تشكر حظك الذي أتاح لك هذه الفرصة الفريدة؛ ففيها متعة لشبابك، وملاذ لحاجاتك. فكر جيدًا، وتمعن في الأمر، وأخبرني مَن مثلك أتيحت له فرصة كهذه من قبل؟ قل لي، أيها المغفل؟ فكر فيما ستحصل عليه من أسلحة وخيول وملابس وأموال، إذا ما استجبت لرغبتها! فكر في كلماتي مليًا، وعُد إلى رشدك، أيها الفتى. واعلم أن الحظ لا يأتي إلا مرةً واحدة، فاستقبله بحنكة وذكاء؛ وإلا فلا تلم إلا نفسك، عندما تجد نفسك بين البؤس والفقر والشقاء. تعقل، وتأمل الأمر جيدًا، يا "بيرُّو"! فالوفاء للأصدقاء والأقارب يختلف عن نظيره بين الخدم والأسياد؛ فالخادم لابد أن يعامل أسياده بمثل ما يعاملوه، وأن يكون مطيعًا لهم، ملبيًا لرغباتهم. وإذا افترضنا أن كانت لك زوجه أو ابنة أو أخت جميلة، وأرادها السيد "نيكوستراتو" لنفسه، فهل كان سيضع في اعتباره مسألة الوفاء هذه التي تكنها له؟ حقًا ستكون غبيًا إذا كنت تفكر بهذه الطريقة. وتأكد أنه إن لم ينلها باللين والرقة، فسيحصل عليها بالقوة، ولن يهمه شيء في سبيل تحقيق بغيته. فدعنا نعاملهم بمثل طريقتهم معنا، يا "بيرُّو". حاول أن تستفيد من الفرصة المتاحة، واخرج للقاء حظك السعيد ولا تتجنبه، كي لا تندم، وقت لا ينفع الندم. وإن لم تفعل فالموت حتمًا في طريقك، بل ربما تتمنى الموت ولا تجده.

وفي الحقيقة، فما بين لقائه الأول والثاني بالخادمة، كان "بيرُّو" قد فكر مليًا في الأمر، وقرر أن يعطي الخادمة، مبعوثة سيدتها، ردًا مغايرًا هذه المرة، وأنه سيلبي رغبة سيدته، إذا ما تأكد حقًّا أنها تفعل هذا ليس من باب

اختباره فحسب. وعلى هذا الأساس قال:

– كل ما تقولينه صحيح يا "لوسكا"، لكن جل ما أخشاه هو أن يكون سيدي الحكيم بعيد النظر– بما أنني مَن يدير كل شئونه– قد طلب من زوجته السيدة "ليديا" أن تختبرني بهذه الطريقة، ليتأكد هو من مدى وفائي له. وبالتالي، ولكي أتأكد من صدق مرادها، فإنني أطلب منها ثلاثة أشياء كي أطمئن إليها. أول شيء: أن تقوم بقتل أفضل صقر يحبه زوجها السيد "نيكوستراتو" أمام عينيه؛ والأمر الثاني أن تعطيني خصلة من لحية زوجها؛ والأمر الثالث: أن ترسل لي أحد أضراس زوجها السليمة.

في البداية، بدت هذه الأشياء التي طلبها "بيرُّو" صعبة المنال. بيد أن العشق المتغلغل في أحشاء السيدة "ليديا" دفعها للتصميم علي تنفيذ ما طلبه عشيقها، بل وبأسرع وقت أيضًا. أرسلت له خادمتها للمرة الثالثة تخبره بأنها سوف تقوم بتنفيذ طلباته الثلاثة، بل أضافت أنها ستضاجعه بحضور زوجها "نيكوستراتو، وتوهمه بأن ما حدث لا يعدو كونه وهمًا، ولا يمت للواقع بصلة. وانتظر "بيرُّو" ما ستفعله سيدته المتيمة به.

بعد عدة أيام، أقام زوجها السيد "نيكوستراتو" مأدبة غداء كبرى لمجموعة من النبلاء، كما اعتاد أن يفعل. وبعد أن رفعوا الأطباق من على الموائد، تزينت "ليديا"، وتجملت بأفخر ما لديها من ملابس وحلي، وغادرت غرفة نومها، واتجهت صوب القاعة التي يجتمع فيها الضيوف. رآها "بيرُّو" مثلما رآها المدعوون، ثم توجهت مباشرةً ناحية المكان الذي يقف عليه الصقر المفضل لزوجها "نيكوستراتو"، وفكته– كما لو كانت تفعل ذلك

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لتأخذه معها- ثم أمسكت بالحزام الجلدي المربوط بقائمتي الصقر، وضربت رأسه بالجدار فقتلته في التو، وهنا صرخ "نيكوستراتو" بعلو صوته، وقال:

- ما الذي اقترفتِه، أيتها المرأة؟

لم ترد السيدة على زوجها، وإنما التفتت إلي الضيوف من النبلاء الذي انتهوا لتوهم من تناول الطعام، وقالت:

- كيف لا أستطيع أن آخذ ثأري من هذا الصقر الذي يهينني. أيها السادة النبلاء عليكم أن تعلموا جميعًا أن هذا الصقر حرمني لوقت طويل من المتع التي تحبها النساء. فما إن ينبلج نور الصباح حتي ينتفض زوجي "نيكوستراتو" من السرير، ويركب حصانه ويحمل صقره على يده، وينطلق إلي الحقول الواسعة ليرى تحليقه في السماء العالية، ويتركني وحيدةً معتكرة المزاج في السرير. ولهذا السبب، فقد أقبلت على فعل هذا، ولم يمنعني شيء من فعله إلا أنني كنت أنتظر مجيء سادة حكماء عادلين أمثالكم، ليروا ما أنا فيه.

استمع السادة إلى كلماتها بإنصات، واقتنعوا بأن لا شيء يكدر صفوها مع "نيكوستراتو" سوى الصقر الذي قتلته فضحكوا، وتوجهوا لـ"نيكوستراتو" الغاضب بكلمات مازحة، مثل:

- أحسنت السيدة بصنيعها، وقتلها لهذا الصقر!

لما انتهى الأمر، وغادرت السيدة إلى غرفة نومها، راح المدعوون يمزحون ويضحكون حول الموضوع، فتحول غضب الزوج إلى ضحك ومرح. كان "بيرُّو" يتابع الأحداث كلها، وقال في قرارة نفسه: "لقد قدمت السيدة بداية طيبة لتنال حبي، لكني أرجو من الرب أن تصبر وتستمر على هذا المنوال".

بعد أن قامت بقتل الصقر بعدة أيام، وبينما كانت في غرفة النوم مع زوجها "نيكوستراتو" يتبادلان المداعبات والمزاح في الفراش، قام بجذب شعرها، فانتهزت هذه الفرصة، وقامت بشَد خصلة من لحيته بقوة فنزعتها من مكانها، فغضب "نيكوستراتو، واستاء مما فعلت، فقالت له:

– لِمَ كل هذا الاستياء؟ ماذا فعلت لتتذمر هكذا؟ ألم تشعر بما سببته لي من ألم منذ لحظات قليلة، لما شددت شعري؟

ثم استمر في المداعبات فيما بينهما، إلى أن تحينت الزوجة الفرصة مرةً أخرى، وأخفت خصلة لحية زوجها التي قصتها، ثم أرسلتها في ذات اليوم إلى عشيقها.

كان هذا فيما يتعلق بالطلب الأول والثاني لعشيقها المحبوب، إلا أن الطلب الثالث هو ما استلزم فعلًا منها تفكيرًا وجهدًا كبيرًا لتنفيذه. كان لدى "نيكوستراتو" غلامان من الطبقة الراقية، أحضرهما أبوهما ليتعلما هناك مكارم الأخلاق والسلوكيات الحميدة. وكان أحد الغلامين يضطلع بمهمة تقطيع اللحم في طبق "نيكوستراتو"، ويتولى الآخر مهمة سكب الشراب له. استدعتهما السيدة "ليديا"، وقالت لهما إن رائحة أنفاسهما مقززة، ثم طلبت منهما أن يبعدا رأسيهما إلى الوراء عندما يقومان على خدمة زوجها، ونبهت عليهما ألا يخبرا أحدًا بما أوصت به.

صدق الغلامان ما أخبرتهما به– سواء مضطرين أم مختارين؛ وبالفعل، امتثلا إلى نصيحتها. وفي أحد الأيام، سألت زوجها "نيكوستراتو" قائلة:

– "نيكوستراتو"، ألم تلاحظ ما يفعله غلاماكِ أثناء خدمتك؟

أجاب بقوله:

https://telegram.me/maktabatbaghdad

– نعم، انتبهت إلى أفعالهما، وودت سؤالهما عن السبب، لكن لم تكن هناك فرصة لذلك.

فردت عليه قائلة:

– لا تسألهما، ودعني أخبرك أنا بحقيقة الأمر الذي أخفيته عنك مدة طويلة، كي لا أتسبب في مضايقتك. وبما أنني أرى الآن أن آخرين قد بدأوا يلحظون هذا الأمر، فحتمًا عليَّ أن أخبرك بالسبب في ذلك، الذي يعزى إلى رائحة فمك الكريهة، التي لا أعرف سببًا محددًا لها. واستمرار هذه الرائحة النتنة المنبعثة من فمك أمر صعب للغاية، خاصة وأنت تتعامل مع علية القوم، وبالتالي فعليك مداواة هذا الأمر بأي شكل.

هنا قال لها "نيكوستراتو":

– وما السبب في هذه الرائحة؟ ربما يكون أحد أضراسي مسوس أو أصابه ضررٌ ما؟

ردت زوجته "ليديا":

– ربما لديك حق فيما قلتِ!

بعد ذلك اصطحبته بالقرب من إحدى نوافذ البيت التي تتخللها أشعة الشمس القوية، وطلبت منه أن يفتح فمه جيدًا لتفحص أسنانه. ثم ما إن تفحصت أسنانه العلوية والسفلية، حتي قالت له:

– كيف تتحمل كل هذه الآلام والمعاناة، ياعزيزي "نيكوستراتو"؟ لديك ضرس أكلته العفونة تمامًا، ولا يقتصر الأمر على التسوس فحسب. أخشى أن يتلف هذا الضرس الفاسد بقية أضراسك، وخاصةً القريبة منه، وعليك أن تجتثه تمامًا قبل أن يتفاقم أمره ويستشري.

قال "نيكوستراتو":

– إذا كنتِ ترين هذا فأنا أثق في رأيك. فلنرسل في طلب الحكيم ليقلعه.

فقالت السيدة "ليديا":

– لسنا في حاجة إلى حكيم، لأن الضرس في حالة يرثى لها، ويمكنني أن أقلعه بكل سهولة. فالحكماء قُساة في التعامل مع الآخرين، ولن يتحمل قلبي رؤيتك وأنت تتألم بين يدي الحكيم. سأفعل الأمر بنفسي دون الحاجة لأحد. وسأتوقف في الحال إذا ما رأيتك تشعر بالألم، لكن الحكماء لا يفعلون هذا الأمر، بل يستمرون مهما كانت معاناة المريض.

لم تتمهل الزوجة، كما لو كانت صحة زوجها هي كل ما يؤرقها في الحياة؛ فأمرت بإحضار الأدوات اللازمة للقيام بهذه المهمة، وأخرجت كل مَن في الحجرة، باستثناء خادمتها الوفية "لوسكا". وطلبت من زوجها أن يتمدد على المائدة، وأحضرت الكماشة، وانتقت ضرسًا سليمًا تمامًا، وظلت تشده بقوة وزوجها المسكين يتألم بشدة إلى أن نجحت فعلًا في اقتلاعه، وأخفته في لمح البصر. ثم أخرجت ضرسًا آخر منخورًا كان معها، وأعطته لزوجها، الذي كاد أن يقتله الألم، ثم قالت:

– تأمل جيدًا ما الذي كان في فمك طيلة هذه المدة!

صدق "نيكوستراتو" كل قالته زوجته، على الرغم من الألم الشديد والمعاناة المضنية التي تحملها. بل الغريب في الأمر أنه تخيل أنه قد شفي بمجرد أن خرج من الغرفة، ولم يعد يعانِي أية آلام. بعد ذلك، قامت "ليديا" بإرسال الضرس المطلوب إلى عشيقها "بيرُّو"، الذي ما إن رآه حتى تأكد من حقيقة حبها له. ومنذ هذه اللحظة، أبدى استعداده لتلبية كل رغباتها.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كانت السيدة ترغب دائمًا في طمأنته من ناحيتها أكثر وأكثر، وعملت على الوفاء بكل الوعود التي قطعتها على نفسها لإرضاء "بيرُّو". وفي أحد الأيام، تظاهرت بأنها قد مرضت، فجاء زوجها لرؤيتها بعد أن تناول الطعام، ولم يكن بصحبته أحدٌ إلا الخادم "بيرُّو"، الذي اتفقت معه سلفًا على ما يجب عليه القيام به. طلبت من زوجها مساعدتها في الخروج من البيت إلى الحديقة، فاتكأت بإحدى ذراعيها على زوجها، وبالأخرى على "بيرُّو". وبالفعل، اصطحباها إلى الحديقة، وأجلساها تحت شجرة كمثرى. وبعد أن جلسوا هناك لبعض الوقت، قالت:

– أود أن آكل من ثمرة الكمثرى هذه، يا "بيرُّو"، فاصعد عليها واقطف لي بعض الثمار.

وفي لحظات معدودة، صعد "بيرُّو" إلى الشجرة، وأخذ يلقي إليها بثمار الكمثرى. وبينما كان يفعل ذلك أخذ يقول:

– ما الذي تفعله، ياسيدي؟ وأنتِ أيضًا يا سيدتي ماذا تفعلين؟ ألا تخجلان مِن فعل هذه الأشياء أمامي؟ هل تظنان أنني أعمى؟ منذ قليل كنتِ مريضة، فكيف تم الشفاء بهذه السرعة، وأصبح بمقدورك ممارسة هذه الأفعال؟ إذا كانت لديكما الرغبة في ممارسة هذه الأفعال، فهناك العديد من الغرف التي يمكن أن تقوما فيها بما تقومان به الآن. فلِمَ لا تذهبان إلى إحدى الغرف؟ هذا أفضل بكثير من ممارسة ذلك أمام عيني.

التفتت السيدة "ليديا" إلى زوجها "نيكوستراتو"، وقالت له:

– ماذا يقول "بيرُّو"؟ هل أصابه الخرف؟

فقال "بيرُّو":

– لست مصابًا بالخرف، كما أنني لست أعمى، يا سيدتي!

ازداد عجب زوجها، الذي قال:

– ربما تكون في حلم يا "بيرُّو"!

فرد "بيرُّو" قائلًا:

– لا أحد من ثلاثتنا يحلم، يا سيدي! إنكما تهتزان وتنتفضان من مكانكما اهتزازًا لو أصاب هذه الشجرة لسقطت كل ثمارتها، ولم يتبق عليها واحدة.

فأجابت السيدة بقولها:

– ما الذي يقصده "بيرُّو"؟ هل صحيح ما يقوله؟ لو لم أكن مريضة لتسلقت هذه الشجرة لأرى هذه الأشياء العجيبة التي يرآها "بيرُّو".

ظل "بيرُّو" فوق الشجرة يردد هذه الكلمات، إلى أن قال سيده "نيكوستراتو":

– اهبط من على الشجرة!

لما نزل الفتى، وجه إليه سيده سؤالًا:

– ما الذي تدعي رؤيته، يا "بيرُّو"؟

هنا رد "بيرُّو" قائلًا:

– هل تظن أنني أبله أو أحمق إلى هذه الدرجة، يا سيدي؟ أقول لك بكل ثقة أنني رأيتك بأم عيني، وأنت تمتطي زوجتك، ولما أن هممت بالنزول من على أعلى الشجرة رأيتكما تبتعدان عن بعضكما بعضا، مثلما حالكما الآن.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

هنا قال "نيكوستراتو":

– "بيرُّو"، نحن على هذه الحالة لم نتحرك من مكاننا قط، منذ أن صعدت إلى الشجرة.

فقال "بيرُّو":

– ولماذا كل هذا الجدل، يا سيدي؟ أنا رأيتكما، وأقولها بكل ثقة، نعم رأيتكما.

هنا تعجب "نيكوستراتو" أكثر وأكثر، وقال:

– إن كان الأمر هكذا كما تقول، فأنا أريد أن أرى بنفسي إن كانت هذه الشجرة مسحورة أم لا؟ ربما من يصعد عليها يرى أشياء عجيبة.

وبالفعل، تسلق شجرة الكمثرى. ولما صار أعلاها، بدأ "بيرُّو" و"ليديا" في المداعبة، فلما رآهما "نيكوستراتو"، صرخ بعلو صوته، وهو يقول:

– أيتها الفاجرة! ماذا تفعلين؟ وماذا تفعل أنت الآخر مع زوجتي، يا "بيرُّو"؟ أنت يا مَن وثقت فيه وائتمنته على كل ما أملك.

وبينما يقول هذه الكلمات بدأ ينزل من على الشجرة، أما "بيرُّو" و"ليديا" فكانا يقولان له:

– نحن نجلس في مكاننا، ولم نبرحه منذ أن تسلقت الشجرة.

ولما حط بقدميه على الأرض، كانت زوجته و"بيرُّو" بعيدين تمامًا عن بعضهما بعضا، وقال له "بيرُّو":

– أعترف يا سيدي الآن، والآن فقط، أني كنت واهما، وأن كل ما رأيته، وأنا فوق الشجرة، لا يقترب من الحقيقة في شيء. وأنا واثق من أن ما رأيته أنت يا سيدي هو الآخر وهمًا. وفعلًا، فهذه الشجرة مسحورة. فقد حدث لي

ما حدث لك بالضبط. سيدي، أنت تملك أعف وأطهر نساء البشرية قاطبة. وحتى لو افترضنا أنها تريد الإساءة لسمعتك وشرفك، فهل لها أن تفعل ذلك في حضورك؟ وبالطبع، فلن أتحدث عن نفسي في مثل هذا الموضع، لأنني أفضل أن أتمزق إربًا إربًا من أن أخونك مع زوجتك، يا سيدي. وحتى إن كان الأمر صدقًا، فهل يجوز أن أقوم بهذا الفعل المشين أمامك؟ أرى أن كل ما حدث يرجع إلى هذه الشجرة المسحورة، فلا شيء يمكنه إقناعي بأنك لم تجامع زوجتك تحت الشجرة، وقد رأيتك بعيني، سوى أنك عندما تسلقت الشجرة قلت ما قلته أنا. المهم، أنني واثق تمام الثقة ياسيدي من أنني لم أفعل هذا الأمر بتاتًا، بل حتى إنه لم يخطر ببالي.

أما السيدة "ليديا"، فقالت، وهي تنتفض واثبةً من مكانها، كما لو كان الغضب يفتك بها:

– كونك تظن بي هذه الظنون الفظيعة يعني أنك جاحد وتعيس ومنحط، لأبعد الحدود. فلنفترض أنني بهذه الدرجة من السفالة، فهل يعقل أن أقوم بهذا الفعل أمام عينيك. فإذا راودتني هذه الفكرة يومًا ما، فلن أقدم عليها في حضورك، وإنما في الخفاء دون أن يعلم أحد.

عندئذٍ، وبعد هذه الأقوال المؤثرة التي تصل إلى حد الإقناع، صار "نيكوستراتو" على يقين من أن ما تقوله زوجته وخادمه هو الحقيقة، وأنه لا يمكن لهما أن يُقدما على هذه الخطة وأمام عينيه، فسكت عن الكلام، وتوجيه أصابع الاتهام واللوم إليهما. وانتقل بفكره إلى غرابة الحادثة، والرؤية الزائفة التي تلاحق مَن يصعد على شجرة الكمثرى. إلا أن السيدة "ليديا" بدت مستاءة من رد فعل زوجها وشكه فيها، ثم أردفت قائلة:

https://telegram.me/maktabatbaghdad

– لابد من قطع هذه الشجرة من هنا تمامًا، كي لا تكون سببًا في أي لعبة دنيئة من هذا القبيل، مرةً أخرى. انطلق يا "بيرُّو"، وأحضر فأسًا واجتثها في الحال انتقامًا لي ولك منها. لكني ربما أفضل أن تنزل بالفأس على رأس زوجي "نيكوستراتو"، لأنه سمح لبصره المخدوع أن ينتصر على عقله الموزون، الذي ما كان عليه أن يصدق ما رأت عيناه، وأن يحكم عقله.

وفي لحظات معدودة، أحضر "بيرُّو" الفأس، وقطع الشجرة. ولما رأتها السيدة وهى تسقط على الأرض، وجهت كلامها لزوجها قائلة:

– أشعر بغضبي قد هدأ، بعد أن رأيت عدوة شرفي تسقط مطروحة على الأرض.

ثم صفحت عن زوجها "نيكوستراتو" الذي توسل إليها مرارًا وتكرارًا، طالبًا منها العفو والسماح. ولكن كي تقبل اعتذاره هذا اشترطت عليه ألا يسيء الظن بها مهما كان الأمر، لأنها تحبه أكثر من نفسها.

ثم عاد الجميع إلى داخل البيت، وتلت هذه المرة مرات أخرى عديدة استمتع فيها العشيقان "ليديا" و"بيرُّو" ببعضهما بعضا بكل هدوء. فليمنحنا الرب مثل ما منحهما!

القصة العاشرة

شابان من "سيينا"[27] يغرمان بامرأة، هي عرابة أحدهما. يموت العراب، ويظهر بعد ذلك لرفيق دربه، ويروي له كيف تسير الأمور في الآخرة.

الملك فقط هو من تبقى من بين الرواة العشرة، الذي لم يقص حكايته لهذا اليوم، ولما رأى أن السيدات صامتات هادئات حزينات لقطع شجرة الكمثرى الغير مذنبة، بدأ يقول: أهم شيء في مسألة الحكم أن يلزم الحاكم نفسه بالقوانين التي سنها، كي يكون مثلا يحتذى به، وإن خالفها فإنه يعاقب شأنه في ذلك شأن رعيته، بل ولا يكون جديرا ليحتكم الناس إليه، وبصفتي الملك المُعين عليكم اليوم، فلا يجدر بي عدم الالتزام بالقوانين حتى لا أنال العقوبة. في الواقع لقد حددت لليلة البارحة الموضوع الذي سنتحدث عنه اليوم، وفعلا نويت – غير مستفيد من الامتياز الممنوح لي – أن ألتزم بالموضوع المحدد للتحدث عنه في هذا اليوم، لكنني وجدت

[27] مدينة بوسط إيطاليا، في إقليم "توسكانا"، وهي عاصمة مقاطعة "سيينا".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

بعد سماعي كل هذه القصص أنكم قد قصصتم كل ما يمكن أن يقال في هذا الموضوع تقريبا وربما يزيد، ولم أعد أجد شيئا في ذاكرتي يمكنني أن أقصه على مسامعكم يتناول نفس الموضوع ويكون على نفس المستوى. وبناء على ذلك أجد نفسي مضطرا إلى مخالفة القانون الذي سننته بنفسي، ومن ثم أستحق العقاب، وأنا مستعد لهذا كي أصلح ما أنا مقبل على اقترافه. المهم أنني لا أجد مفرا من استعادة الامتياز الممنوح لي بالتحدث عن موضوع مغاير. في الواقع قصة "إليزا" عن االراهب والمرأة التي عمدت ابنها، فضلا عن حماقة أهل "سيينا" دفعاني بقوة إلِى الإنصراف عن قصص السيدات الفطنات الخادعات لأزواجهن. ومع أن قصتي لهذا اليوم ربما يصعب تصديقها، إلا أنها ممتعة لمن يسمعها.

كان يعيش في "سيينا" شابان من أصول قروية، الأول اسمه "تيجوتشو ميني"، والثاني يدعى "موتشو دي تورا". لم يكن أحد يستطيع التفرقة بينهما أبدًا. وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أنهما صديقان متحابان يرتبطان بعلاقة صداقة متينة الأوصال. كانا يرتادان الكنيسة– مع غيرهما من أهل البلدة– لسماع المواعظ. وكان من بين ما يسمعانه قصص عن مجد أو تعاسة الأرواح التي تموت، وتنتقل إلى العالم الآخر، كل وفقًا لما عمل في حياته الدنيوية. وكان كل منهما يرغب بشدة في معرفة معلومات يقينية عن ما يحدث في الآخرة، لكنهما لم يتوصلا إلى طريقة تمكنهما من ذلك، سوى طريقة واحدة، وهي أن يعاهد كل منهما الآخر على أن مَن يموت منهما أولًا أن يأتي إلى الآخر– إلى رفيق دربه الحي– ويخبره بما يريد أنه يعرفه. وأقسم

كلٌّ منهما على تلبية هذا العهد المقطوع بينهما.

وبعد أن قطع كلٌّ منهما عهدًا على نفسه حيال الآخر، انقضت الأيام والسنون. وفي أحد الأيام، صار "تيجوتشو" عرابًا لابن شخص اسمه "أنسيلميني"، يعيش في "كامبوريجي"، وأنجبت له زوجته طفلًا. ثم أضحت عادة لدى "تيجوتشو" أن يذهب- بصحبة رفيق دربه "موتشو" لزيارة عرابته، تلك السيدة الفاتنة باهرة الجمال. أغرم بها "تيجوتشو"، وكذلك وقع في حبها رفيقه "موتشو"، وكان كل منهما يخفي حبه لها عن الآخر، ولكل واحد منهما أسبابه الخاصة: كان "تيجوتشو" يخفي أمر هذا الحب لأنه يرى أن هذا الأمر خبثًا، ولخجله من الأمر نفسه؛ أما "موتشو" فقد لاحظ أن رفيقه قد وقع في غرام هذه السيدة، وأنه لو أفصح له عن حبه لها، فقد يشعر بالغيرة؛ ولأنه عرابها، فيمكن أن يتحدث معها في الأمر ويجعلها تكرهه؛ وبالتالي يفقد هذا الحب. فمجرد الاحساس به يشعره بالمتعة.

ظل الشابان على هذا الحال مدةً من الزمن، ثم تطورت الأمور بالنسبة لـ"تيجوتشو"، الذي تمكن بكلماته المعسولة وأفعاله الجذابة من أن يحصل من المرأة على ما يريد. انتبه "موتشو" إلى ذلك، فاستاء بشدة مما حدث؛ لكنه ظل صابرًا مثابرًا لعله يحصل هو الآخر على ما يهفو إليه؛ وبالتالي تغاضى عن أمر ملاحظته بشأن رفيقه مع المرأة، وأيضًا لسبب آخر وهو ألا يتحين "تيجوتشو" الفرصة ويعرقل حب صديقه لهذه المرأة. المهم، هكذا وقع الصديقان في حب المرأة، وكان أحدهما أوفر حظًّا من الآخر، فنال ما يصبو إليه.

استمرت الأمور بهذا الشكل إلى أن حدث- في أحد الأيام- أن أجهد

https://telegram.me/maktabatbaghdad

"تيجوتشو" نفسه كثيرًا في حراثة أرض عرابته، وأصيب بمرض عضال تمكن منه بصورة شديدة، فانتقل إلى الرفيق الأعلى. وما إن لبث ثلاثة أيام في العالم الآخر، حتى سارع إلى الالتزام بعهده حيال رفيقه، وجاء ليلًا إلى غرفة "موتشو" المستغرق في النوم، وأيقظه؛ فانتفض ناهضًا من مكانه، وهو يقول:

– مَن أنت؟

فرد عليه الآخر بقوله:

– أنا "تيجوتشو"، وقد عدت لأفي بعهدي الذي قطعته لك في الحياة الدنيا، لأخبرك بما تسير عليه الأمور في العالم الآخر.

شعر "موتشو" ببعض الخوف في البداية، لكنه سرعان ما تبدد وتلاشى تمامًا، ثم قال لرفيق عمره الذي غيبه الموت:

– أهلًا بك، يا أخي! ماذا وجدت هناك؟ هل ضاعت روحك؟

فقال "تيجوتشو":

– الضياع هو فقدان الأشياء، فكيف ضاعت روحي، وأنا هنا؟

قال "موتشو":

– ليس هذا ما أقصد، لكنني أقصد هل كانت روحك تعاقب بالعذاب في النار، أم ماذا؟

فأجاب "تيجوتشو":

– ليس الأمر إلى هذا الحد الذي كنا نتخيله، لكنني أنال بعض العقوبات الأخرى، جرَّاء ما ارتكبته من خطايا.

عندئذٍ، سأله رفيقه عن ماهية هذه العقوبات التي نالها على كل خطيئة

ارتكبها في دنياه؛ فقال له رفيقه "تيجوتشو" كل شيء. ثم سأله "موتشو" عما إذا كان يستطيع مساعدته وهو حي في الدنيا، فأجاب صديقه بنعم، وذلك عن طريق الصلوات والدعاء والصدقات على روحه؛ فهذه الأمور تعود بالنفع الكبير على الموتى في العالم الآخر. فوعده رفيقه بأن يفعل كل ما يطلب منه كي تستريح روحه. ولما أراد "تيجوتشو" مغادرة المكان، تذكر "موتشو" أمر العرابة، فقال له:

– تذكرت شيئًا ما، يا "تيجوتشو". ما العقوبة التي فُرضت عليك بسبب الذنب الذي اقترفته مع عرابتك، التي كنت تعاشرها معاشرة الأزواج، وأنت حي؟

فقال "تيجوتشو":

– أخي ورفيقي، لما دخلت القبر، استقبلني شخصٌ يعرف كل ذنوبي دون تبديل أو تغيير. وقد أمرني بأن أظل في مكانٍ بأحد الأركان، وهناك ظللت أبكي وأبكي حتي أكفر عما اقترفته من سيئات. وهناك أيضًا وجدت الكثير من الأصدقاء الذين حُكم عليهم بأحكام مثلي. وأثناء ذلك، تذكرت كل ما حدث مني مع عرابتي، وأصبحت أنتظر بين اللحظة والأخرى جزاء فعلتي هذه. كنت في أشد درجات الخوف والخشية من العقوبة المنتظرة التي توقعت أن تكون نارًا موقدة. وانتبه أحد الموجودين في المكان لحالتي، فقال لي: "ما الذي تخافه إلى هذا الحد، كما لو أنك في نار جهنم فعلًا؟" ثم سألني عن الخطيئة التي اقترفتها، وسببت لي هذا الخوف كله، فأجبته بأنني قد ضاجعت عرابتي، فاستهزأ بكلماتي، وسخر منها، ثم قال: "لا تخف، أيها المغفل، ولا تهتم لأمر العرابة، فهنا لا يهتمون بأمر العرابات". ولما سمعت

https://telegram.me/maktabatbaghdad

هذه الكلمات اطمأن قلبي.

بعد هذا الحوار، كان نور الفجر قد انبلج، قال "تيجوتشو":

- لا أستطيع البقاء معك أكثر من هذا، يا "موتشو". مع السلامة يا صديقي!

ثم اختفى فجأةً، مثلما جاء فجأةً.

لما طرقت هذه الكلمات مسامع "موتشو"، بأنه- في الحياة الأخرى- لا وزن للعرابات، أخذ يسخر من نفسه، هو الذي ضيع على نفسه الكثير منهن. ومنذ ذلك الحين، وقد تخلى عن جهله، بدأ يفعل ما لم يكن يفعله من قبل.



كان الملك هو آخر المتحدثين في هذه الليلة. فلما أنهى حديثه، رفع التاج من على رأسه، ووضعه على رأس "لوريتا"، ثم قال:

- سيدتي "لوريتا"، أتوجك ملكةً لليوم التالي؛ فتولي أمرنا بما فيه الخير والمتعة للجميع.

بعد تتويجه للملكة الجديدة، عاد فجلس في مكانه. أما "لوريتا"، فقد استدعت القهرمان، وأمرته بتجهيز مائدة العشاء قبل الموعد المحدد، كي يتمكن الجميع من العودة إلى بيتهم صباح باكر. ثم توجهت بكلماتها إلى الجميع قائلة.

- بناءً على طلب "ديونيو"، فقد تحدثنا عن حيل النساء الخادعات لأزواجهن للحصول على مرادهن. وبما أنني لست من هواة الانتقام، فلا أريد أن نتحدث في اليوم التالي مباشرةً عن حيل الرجال المخادعين

لزوجاتهم، ليحصلوا على ما يشتهون. فسوف أنحي هذا الأمر جانبًا. وبالتالي أقترح أن يكون موضوع الغد متنوعًا: حيل الرجال ضد النساء، وحيل النساء ضد الرجال، أو حيل الرجال ضد الرجال. وفي رأيي، فلا أظن أن هذا الموضوع يقل متعة عما سمعناه من قصص اليوم.

بعد أن قالت الملكة هذه الكلمات، نهضت واقفة من مكانها، وسمحت للجميع بأن يفعل كل منهم ما يحلو له حتى حلول موعد العشاء. وعلى هذا، فقد نهضت النساء ومعهن الرجال، فتمشى البعض منهم وهم حفاة الأقدام؛ أما البعض الآخر، فذهب يتنزه بين الأشجار الجميلة الوارفة التي تغطي المروج الخضراء. ثم كانت هناك وصلة غنائية لـ"ديونيو" و"فياميتا" عن حب "أرشيتا" و"باليمون". واصل الجميع لهوهم ومرحهم وحديثهم في أمور متنوعة حتى حان موعد العشاء، الذي ما إن حل وقته، حتى أُعُدت المائدة على جانب الجدول المائي الصغير، فتناول الجميع العشاء بفرحة كبيرة تحيطهم الطيور المغردة من كل جانب، مع نسمات الهواء العليلة القادمة من الجبال المجاورة.

بعد أن انتهى العشاء، رفعت الأطباق من على المائدة، وتنزه الجميع لبعض الوقت، حتى توسط قرص الشمس الغسق. عندئذٍ، أمرتهم الملكة "لوريتا" بأن يعودوا إلى القصر. وظلوا- في طريق عودتهم- يتبادلون المزاح والطرائف، ويتحدثون في شتى الموضوعات. وبحلول أول الليل، كانوا قد وصلوا إلى القصر، فشربوا بعض الخمر، ورقصوا؛ ثم توجهت لوريتا إلى "فيلومينا" وأمرتها بأن تغني، فقالت:

https://telegram.me/maktabatbaghdad

يا لَبؤس حياتي،
فهل لي أن أعود يوما يا تعاسة حظي،
إلي هناك حيث تعرفت علي هواي وحبي.

أتوق شوقًا بقلبي وجوارحي،
إلي هناك بعودتي.
ففي عودتي راحتي، يا حبي الغالي،
يا مَن أسرت فؤادي،
أجبني ووافقني وامنحني أملًا ورجاءً، يا سيدي!
فروحي حزينة في حاجة إلي المواساة والعزاء.

فلا أدري أية متعة أو رغبة أصابتني،
وسلبتني راحتي في ليلي ونهاري.
سمعي وبصري وإحساسي،
يؤججن لهيبا مستعرًا في أعماقي،
فتشعل كياني ووجداني،
وأنت فحسب مَن يقدر علي عزائي،
واسترجاع قوتي وأمجادي.

أخبرني أيها الحب، يا سيدي،
إذا ما كنت قد التقيت يومًا في دينونتي،

لأقبل العينين اللاتي قتلاني.
أخبرني أيها الحب الغالي،
متي ستأتي،
فإن قلت "نعم قريبًا قادم"، فقد منحتني السلوى والنسيان،
الوقت يمر وينقضي مسرعًا دون إحجام،
وأنا أنتظرك متمنية طول بقائك بجواري،
لتشفي جراحي.
أيها الحب اعلم أنني إذا امتلكتك يومًا بين ذراعيَّ،
فلن أتركك ترحل ثانية، كما فعلت في سالف الأيام،
فلن يصيبني أبدًا مرةً ثانيةً الجنون.
ستبقى ولن ترحل مهما كانت الظروف والأوجاع،
ومن شفتيك سأسقي ظمأ اشتياقي.
عُد إليَّ سريعًا غير متباطئ، ياحبيبي،
فمجرد تفكيري في عودتك تدفعني إلي الغناء.

من كلمات هذه الأغنية الرقيقة، أصبح الجميع علي يقين أن "فيلومينا" تتطلع بلهفة واشتياق إلي حب جديد. وبما أن مفرداتها كانت تشير بوضوح إلى أنها عرفت- عبر هذا الحب- ما يتعدى حاجز الكلمات والنظرات، فقد اعتبرها الحضور سعيدة، بل حسدها البعض منهم. ولما انتهت الأغنية، قالت الملكة إن اليوم التالي هو يوم الجمعة، ثم أردفت قائلة:

- يعلم جميعنا أن غدًا هو يوم آلام سيدنا "يسوع". وأنتم تتذكرون أننا

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كنا قد قضيناه في التعبد والتقرب من الرب، لما كانت "نيفيله" ملكتنا يوم الجمعة الفائتة، وتوقفنا عن سرد الحكايات المسلية، واستكملناها يوم السبت. وبالنسبة لي، فسوف أحتذي ما قامت به "نيفيله"، بل أرى أن نتوقف عن الحكايات غدًا وبعد غد أيضًا، وأن نتذكر ونتدبر ما فعلناه في هذين اليومين من الأسبوع المنصرم.

تقبل الحضور كلمات الملكة التقية الورعة. وعند هذا الحد، كانت ساعات الليل الأولى قد انقضت وولت؛ ومن ثم، أصدرت الملكة أوامرها لهم بالذهاب إلى النوم والراحة.

وإلى هنا، أُسدل الستار علي اليوم السابع.

اليـوم الثَّـــامن

انتهى اليوم السابع من الديكاميرون، ويبدأ اليوم الثامن تحت حكم "لوريتا"؛ وتدور فيه القصص حول الحيل التي تمارسها النساء على الرجال، أو التي يمارسها الرجال على النساء، أو الرجال فيما بينهم.

كانت الأشعة الوليدة، لصباح يوم الأحد، تنشر الضياء متبدية مـن أعالى الجبال، حيث أصـبحت تنـير كل شيء، وأصـبحت الأشـياء تُـرى بوضـوح، عندما استيقظت الملكة، ثم خرجت تتنزه مع جماعتهـا لبعـض الوقـت على العشب الندي. بعدها، عند الساعة التاسـعة، ذهبـوا إلى إحـدى الكنـائس القريبة ليستمعوا إلى القُـداس، ثـم قفلـوا عائـدين إلى البيـت. فـأكلوا مـا يشتهون من الطعام وسط أجواء احتفالية، وغنوا ورقصوا لبعض الوقت، ثـم رأى بعضهم أن يذهب لكي يستريح. وعندما اشتدت حرارة الشمس، نهـضوا جميعًا، وعادوا إلى الاجتماع كعادتهم لروايـة القـصص، فجلـسوا إلى حـول

https://telegram.me/maktabatbaghdad

نافورة بديعة، حيث التفتت الملكة إلى "نيفيله"، وأمرتها برواية قصتها لهـذا اليوم، فشرعت قائلة:

القصـة الأولـى

يأخذ "جولفاردو" من "جواسبارولو" نقودًا، على سبيل السلفة؛ ثم يتفق مع زوجة هذا الأخير على مضاجعتها مقابل مبلغ من النقود؛ إلا أنه يعطيها ما كان قد اقترضه من زوجها. وبعد ذلك، يقول- بحضور "جواسبارولو"- إنه قد أعاد النقود إلى زوجته، فلا تستطيع الإنكار.

إن من دواعي سروري أن الرب قدَّر لى أن أكون أنا من تبدأ القص اليوم. ولأنه، يا سيداتي الحبيبات، قد قيل الكثير عن خداع النساء للرجال وخيانتهن لهم، فإننى أريد أن أروى لكم قصة عن خداع الرجال للنساء؛ وبالتالي أمتدح الرجل وأوبخ المرأة، وأثبت فيها أنه يمكن للرجال أيضًا أن يخدعوا زوجاتهم. وما سأرويه لا يمكن اعتباره خدعة وحسب، وإنما هو ردٌّ بالمثل؛ لأنه لابد للنساء من أن يكن شريفات، ويحافظن على عفتهن، مثلما يحافظن على حياتهن؛ فلا يسمحن بتلويث سمعتهن مهما كان السبب. ولكن هناك مَن لا يستطعن ذلك، بسبب ضعفنا نحن النساء. وأنا أرى أن مَن تُقدم على ارتكاب مثل هذه الأفعال، من أجل المال، تستحق أن يلقى بها

https://telegram.me/maktabatbaghdad

في النار. أما من ترتكب الخطيئة بدافع الحب، والجميع يعرف قوته وجبروته، فيمكنها أن تنال العفو والغفران من قاض متسامح، كما سبق أن حكى لنا "فيلوستراتو"، عما حدث للسيدة "فيليبا" في مدينة "براتو".

إن بطل روايتي هو جندي ألماني شاب يدعى "جولفاردو"، كان يسكن في مدينة "ميلانو"، وكان معتزًّا بكرامته ووفيًّا. فكان أسرع الناس في إعادة ما عليه من ديون لأصحابها، والوفاء بما عليه من واجبات نحو الآخرين. وقد افتقر الألمان إلى هذه الطباع الحميدة إلا نادرًا، ولذلك كان الناس يقرضونه ما يشاء من الأموال بفوائد قليلة. وبينما كان يعيش في "ميلانو"، وقع في حب امرأة تدعى "مدونا أمبروجيا"، وهى زوجة لتاجر ثري اسمه "جواسبارولو كاجاسترشيو". وقد أحبها دون علم زوجها، أو أي شخص آخر. وكان قد أرسل الجندي إلى المرأة يومًا ليطلب منها أن يتحدث إليها، وأن تستجيب له، وتُقدر ما يكنه لها من حب، وأنه سيكون مستعدًّا لعمل كل ما تأمره به. استجابت المرأة بعد تفكير طويل، وأخبرته بأنها مستعدة لعمل ما يطلبه إذا ما لبى لها طلبين اثنين: أولهما ألا يخبر أحدًا بذلك، والثاني أن يعطيها مائتي فلورين ذهبي؛ وبعدها تلبي له رغباته.

شعر "جولفاردو" بالصدمة لما رآه من جشع المرأة، فتبدل حبه لها إلى غضب واشمئزاز؛ فقرر أن يخدعها؛ فأرسل إليها يقول إنه سيلبي لها ما تريد، وطلب منها أن تخبره متى تريد منه أن يذهب إليها ليعطيها النقود، دون أن يخبر أحدًا بذلك، إلا صديقًا له يثق به كل الثقة، ويرافقه أينما ذهب.

شعرت المرأة بسعادة بالغة حين سمعت ذلك، وبعثت إليه تقول إن زوجها "جاسبارولو" سيسافر بعد أيام قليلة في تجارة إلى "جنوة"، وستخبره

بذلك عندما يسافر بالفعل. وعندما رأى "جولفاردو" أن الفرصة سانحة، ذهب إلى "جاسبارولو"، وقال له:

- أريد أن أعقد صفقة تجارية، وأحتاج إلى مائتي فلورين ذهبي. وأريد منك أن تقرضني هذا المبلغ بالفائدة التي تتقاضاها عادةً من الجميع.

فأعطاه الزوج النقود عن طيب خاطر، لما عهده منه من وفاء وأمانة. وبعد بضعة أيام، سافر "جاسبارولو" إلى "جنوة"، وأرسلت المرأة إلى "جولفاردو" تطلب منه أن يأتي إليها، وأن يحضر معه المائتي فلورين. اصطحب "جولفاردو" صديقه، وذهب إلى بيت السيدة، فوجدها بانتظاره. وكان أول ما فعله أن وضع في يدها المائتي فلورين، في حضور صديقه، وقال لها:

- هذه النقود كانت دينًا لزوجك عندي، ياسيدتي، فخذيها واعطها إياه عندما يعود.

أخذت السيدة النقود، دون أن تلتفت إلى ما يقوله، معتقدةً أنه إنما قال ذلك لكي لا يفكر صديقه فيما ستقدمه هي إليه مقابل النقود؛ فقالت له: حسنًا، ولكني أرغب في عدها أولًا لأتأكد من المبلغ.

أفرغت المرأة النقود فوق المنضدة، وأخذت تعد النقود بسعادة بالغة. وبعد أن وجدت أنها مائتا فلورين، اصطحبته إلى غرفة نومها، وهناك ارتمت في أحضان "جولفاردو"، ومتَّعته بنفسها في تلك الليلة، وفي ليال أخرى. وبعد أن نال "جولفاردو" مبتغاه من المرأة، ترقب عودة زوجها من "جنوة". وعند وصوله، ذهب إليه، وقال له أمام زوجته:

https://telegram.me/maktabatbaghdad

- لقد فشلت في إنجاز تلك الصفقة التجارية. لذا، فلم أحتج إلى النقود التي أقرضتني إياها يا "جاسبارولو"؛ وقد رددت المال إلى زوجتك فور رحيلك إلى "جنوة"، فاعطني الإيصال الذي أخذته علي.

ثم توجه إلى زوجة "جاسبارولو"، وسألها إن كانت قد استلمت منه النقود أم لا.

لم تستطع المرأة إنكار ذلك، وأقرت بذلك أمام زوجها، لأن ثمة شاهدًا كان معهما أثناء حدوث ذلك، فقالت: أجل، لقد أخذتها، ولكني نسيت أن أخبرك بذلك.

فقال له "جاسبارولو": إذن فقد وصلني حقي، يا "جولفاردو". فاذهب في أمان الرب، وأنا سأرتب الحساب، وسأمزق الإيصال بنفسي.

وهكذا استمتع "جولفاردو" بالمرأة الجشعة، دون أن تنال منه شيئًا، والتي لم تجد بُدًّا من إعادة النقود إلى زوجها.

القصــة الثَّــانية

يضاجع الكاهن "فارلونجو" السيدة "بيلكولور"، تاركًا معها عباءته الثمينة رهنًا لديها. ويستعير منها بعد ذلك هاونًا، ثم يعيده طالبًا منها أن تعيد إليه العباءة المرهونة، قائلًا إنه إنما تركها لديها كرهن. فتعيدها إليه المرأة الطيبة مع كلمات مزدوجة المعنى.

بعد أن أثنى الرجال والسيدات على ما فعله "جولفاردو" بالسيدة الجشعة، التفتت الملكة إلى "بانفيلو"، وأمرته بأن يواصل الحكي، فلبى طلب الملكة، وبدأ هذا القول: سيداتى الجميلات، ينبغي أن أروى لكنَّ قصة عن الكهنة الذين نمنحهم ثقتنا الكاملة، ثم نجدهم يتسببون لنا في قدر كبير من الغضب والإهانة، دون أن نقترف في حقهم شيئًا، ونعجز عن أن نرد إليهم إهاناتهم. أولئك الذين يقومون بحملات تبشيرية لوعظ نسائنا، متظاهرين بالتدين والعفة؛ إلا أنهم ما يلبثون أن يوقعوا بهن، ويستمتعون بهن، ويظنون أنهم بذلك ينالون الغفران لذنوبهم؛ وكأنهم قد جاءوا بسلطان الإسكندرية مقيدًا في أغلاله إلى مدينة "فيرونا"[28]. لذلك يلجأ الكثير من العلمانيين الغاضبين

[28] كان المقر البابوي موجودًا في هذه المدينة، في تلك الفترة الزمنية.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

من أفعال هؤلاء الكهنة إلى الانتقام منهم، عن طريق الإيقاع بأمهاتهم وأخواتهم وصديقاتهم وبناتهم. ولهذا سأروى لكنَّ قصة عن غرام قروي تدعو إلى الضحك في نتيجتها بأكثر مما في تفاصيلها. إلا أنه يمكنكن أن تصلن إلى النتيجة، وهي أن الكهنة ليسوا دائمًا صادقين فيما يقولون.

فقد كان هناك كاهن بهي الطلعة، ماهر جدًّا في خدمة النساء، يعيش في قرية قريبة من هنا تسمى "فارلونيو". ومع أن هذا الكاهن لم يكن يعرف القراءة جيدًا، إلا أنه- في كل يوم أحد، وتحت إحدى أشجار الدردار- كان يتمتم بكثير من الكلام المقدس والمنمق، يستهوي به رعيته من القرويين. ولأنه مولع بالنساء، فكان يستغل غياب القرويين، ويذهب لزيارة زوجاتهم في البيوت، وهو يحمل إليهن بعض أشياء الأعياد، والماء المقدس، وربما بقية من شمعة، ويمنحهن البركات. وكانت أكثر من اجتذبته من تلك النساء، وكانت تروق له أكثر من غيرها، امرأة قروية تدعى "بيلكولور"؛ وهي زوجة فلاح يدعى "بينتيفينيا دل ماتسو". وكانت تلك المرأة شهية وطازجة، سمراء وممتلئة، ومؤهلة للطحن أكثرِ من الأخريات جميعهن. وهي- فوق ذلك- خير من تتقن العزف على آلة الرق الموسيقية، وتغنى أغنية "الماء ينساب في قناته"، وترقص وتتمايل يمنةً ويسرةً أفضل من أية واحدة من بنات حيها. ولذلك، افتتن الكاهن بها، حتى إنه أصبح كمن تلبسه الشيطان، ويتحين الفرص لرؤيتها. فعندما كان يراها- في صباح كل يوم أحد في الكنيسة- كان يطيل في ترتيل الصلوات محاولًا إظهار أنه يتمتع بصوت جميل، مع أن صوته يبدو- في الحقيقة- أشبه بنهيق الحمار. أما إذا لم يرها في القُداس، فيسرع في الترتيل وينتهي بسرعة. لكنه كان يكتم هذا الأمر، بحيث لم ينتبه إليه الزوج

"بينتيفينيا دل مازو"، مثلما لم تنتبه إليه أية واحدة من جاراتها. ومن أجل التقرب من "بيلكولور"، كان الكاهن يرسل إليها- بين حين وآخر- حزمة من الثوم الأخضر، أو سلة من الفول، أو حزمة من البصل أو من الكراث، مما يزرعه بنفسه. وكلما حانت له الفرصة، نظر إليها نظرة عشق وعتاب؛ لكنها كانت فظة وقاسية، تتظاهر دائمًا بعدم الانتباه، وتولي وجهها إلى الناحية الأخرى بازدراء.

وحدث ذات يوم، وبينما الكاهن يتنقل من مكان إلى آخر في وقت الظهيرة، دون أن تكون له وجهة محددة، التقى بـ"بينتيفينيا دل مازو" يسير خلف حماره المحمل بالعديد من الأغراض، وسأله إلى أين هو ذاهب، فأجابه "بينتيفينيا":

- الحقيقة، يا سيدي، إنني ذاهب إلى المدينة لأمرٍ ما؛ وسأذهب إلى السيد "بوناكوتي دي جينيستريتو" الذي سيساعدني في مسألة قضائية.

فقال له الكاهن: أحسنت صنعًا، يا بني؛ امض على بركة الرب، وعد بسرعة. وإذا قابلت هناك "بلابوشيو" أو "نالدينو"، فقل لهما ألا ينسيا إرسال أربطة المدراس[29] التي طلبتها منهما. فوعده "بينتيفينيا" أن يفعل، ومضى في طريقه إلى "فلورنسا". فانتهز الكاهن غيابه، وقرر أن يجرب حظه مع "بيلكلور".

انطلق الكاهن قاصدًا بيتها. فدخل إلى البيت، وقال:

- فليبارككم الرب! مَن يقطن هنا؟

---

[29] مِدراس يدوي يستخدم لفصل القمح عن السنابل.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كانت "بيلوكولور" قد صعدت إلى الأعلى، فقالت حين سمعته:

– مرحبًا بك، يا سيدى؛ ما الذي أخرجك في هذا الحر؟

فأجابها الكاهن:

– لقد أنعم عليَّ الرب، وجئت لقضاء بعض الوقت معك؛ لأني رأيت زوجك ذاهبًا إلى المدينة.

نزلت "بيلوكولور" وجلست أمامه، وأخذت تنظف ثمار الكرنب التي كان زوجها قد أحضرها. فقال لها الأسقف:

– حسنًا، يا "بيلكولور"، هل ستدعينني أموت هكذا؟

فقالت "بيلوكولور" ضاحكة:

– وماذا اقترفتُ في حقك؟

قال الأسقف:

– لم تقترفي شيئًا، لكنك لم تسمحى لى بأن أفعل ما أريده وما أمر به الرب.

فقالت "بيلكولور":

– ما هذا، ما هذا! وهل يفعل الكهنة هذه الأشياء؟

فأجابها:

– إنهم يفعلونه بالطبع، بل وأفضل من غيرهم من الرجال؛ ولماذا لا يفعلون؟ وأقول لك إن فعلنا أفضل بكثير، هل تعرفين السبب؟ لأننا لا نطحن إلا بعد أن يكون الحَب قد نضج. ثم إنك سوف تكسبين إذا ما ظللت هادئة، وتركتنى أفعل ما أريد.

فقالت "بيلكولور":

– وأية فائدة سأحصل عليها، فأنتم الرهبان أشد بخلًا من الشيطان.

فقال الكاهن:

– أنا لستُ بخيلًا مثلهم. اطلبي ما تشائين؛ أتريدين حذاءً، أم شالًا، أم ثوبًا فخمًا؟ أم ماذا تريدين؟

قالت "بيلكولور":

– كفى، أيها الكاهن! فأنا عندي كل هذه الأشياء؛ ولكن إذا كنت تحبني حقًّا، فلماذا لا تقدم لي خدمة، وعندئذ سأفعل ما تشاء؟

فقال الكاهن:

– اطلبي ما تشائين، وسألبي طلبك على الرحب والسعة.

فقالت "بيلكولور":

– عليَّ أن أذهب يوم السبت إلى "فلورنسا"، لأُسلم الصوف الذي غزلته، ولكي أصلح المغزل؛ فإذا أقرضتني خمس ليرات، وأنا أعرف أنك تملك مثل هذا المبلغ، فسوف أستطيع دفع رهن ثوبي، والثوب الذي اشتريته لزوجي ليرتديه أيام الأعياد، واستعادتهما من المرابي؛ لأني لن أستطيع الذهاب بهذه الملابس لزيارة أي مكان مقدس أو راقٍ في المدينة. وبعد ذلك، سأفعل ما تطلبه مني.

أجاب الكاهن:

– سيكون هذا العام مباركًا من الرب، ولكني لا أملك هذه النقود الآن؛ ولكني سآتيك بها قبل أن يحل يوم السبت.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

فقالت المرأة:

- جميعكم تقدمون الوعود، ولا تفون بها بعد ذلك. أتظن أنك ستفعل بي مثل ما فعلته مع "ببيليوزا"، التي أصبحت سمعتها على كل لسان؟ لن أرضى بمثل ذلك، فقد جُنت المرأة بسبب تلك الفعلة. فإذا كنت لا تحمل النقود، فاذهب وأحضرها!

فقال الكاهن:

- ما هذا؟ لا تطلبي مني أن أذهب إلى بيتي الآن، بعد أن حالفني الحظ، ولم أجد أحدًا عندك. وقد أرجع إليك، فأجد أحدًا في المنزل. أظن أن هذا هو الوقت المناسب.

فقالت المرأة:

- حسنًا، إذا أردت الذهاب فاذهب واحضر المال، وإن لم تشأ، فانتظر بلا فائدة.

حين رأى الكاهن أنها لن تستجيب إلا بالحصول على المبلغ، ولأنه مصمم من جانبه على عدم الدفع، قال لها:

- لأنك لا تثقين أني سأحضر لك النقود؛ فسوف أثبت لك ذلك بترك عباءتي الزرقاء هذه كرهن عندك.

رفعت "بيلكولور" حاجبيها عاليًا، وقالت:

- وماذا عساها أن تساوي هذه العباءة؟

أجابها الكاهن:

- كيف تقولين هذا؟ ثم أضاف: يجب أن تعلمي أنها من قماش غال

وثمين. ومنذ أقل من خمسة عشر يومًا باعنى إياها "لوتو"، بسبع ليرات، وهو أقل بخمس ليرات من ثمنها الحقيقى، مثلما أخبرنى "بوليتو"، وهو خبير في هذه الأقمشة النفيسة.

فقالت "بيلكولور":

– إذا كان الأمر كذلك، فاعطنى إياها أولًا، وليسامحني الرب لأني لم أكن أفكر في هذه الأمور.

خلع الكاهن عباءته، وأعطاها إياها. وبعد أن خبأتها المرأة، قالت له:

– فلنذهب إلى حجرة الحبوب، لأن أحدًا لا يدخل إليها.

وهناك قبَّلها الراهب قبلات عذبة بلا مثيل في العالم، وجعلها تقترب من الرب، واستمتع معها طويلًا. ثم انصرف بعد ذلك بثيابه الداخلية، وعاد إلى الدير، كما لو أنه عائد من حفلة زفاف.

عندئذٍ، بدأ يفكر في أن شموع سنة كاملة لن تساوى نصف الخمس ليرات، وبدا له أنه قد أساء التصرف، وندم لأنه ترك عباءته. فراح يفكر في طريقة لاستعادتها دون أن يكلفه ذلك دفع المال. وسرعان ما وجد الحل المناسب.

ففي اليوم التالي، وكان يوم عيد، أرسل طفلًا من أبناء الجيران إلى بيت "بيلكولور"، ليطلب منها أن تقرضه الهاون الحجرى، لأن السيد "بنجوتشو دال بوجو" والسيد "نوتو بوليتي" سيتناولان الغداء معه اليوم، ويريد استخدامه في إعداد الصلصة. فأرسلته إليه، وعندما حان موعد الغداء، نادى خادمه، وقال له:

https://telegram.me/maktabatbaghdad

- خذ هذا الهاون، وأعده إلى "بيلكولور"، وقل لها: "السيد الراهب يشكرك كثيرًا، ويريد أن تعيدي إليه العباءة التي أخذتها منه كرهن مقابل هذا الهاون".

انطلق الصبي إلى بيت "بيلكولور" حاملًا معه الهاون، فوجدها وزوجها يتناولان الغداء، فقام بوضع الهاون على المائدة، وقال لها ما قاله له الكاهن. وعندما رأت أنه يطلب منها العباءة، حاولت أن ترد عليه، لكن "بينتفينيا" قال لها غاضبًا:

- منذ متى تأخذين رهنًا من قداسة الكاهن؟ أقسم بالمسيح إنني أرغب في ضربك. هيا أعيدي إليه العباءة بسرعة، وليأخذك الجُدري. حذار أن تمنعي عنه شيئًا في المستقبل، حتى لو طلب حمارنا، أو أي شيء آخر.

نهضت "بيلكولور" وهي متذمرة، وذهبت إلى الصندوق، فأخرجت العباءة وأعطتها إلى خادم الكاهن، وهي تقول: قل للسيد الكاهن: إن "بيلكولور" تقول إنها عاهدت الرب على ألا تسمح له قط بهرس الصلصة في هاونها مرةً ثانية؛ فقد اكتفت بمباركة هاونها مرةً واحدة.

وعندما أخبر الخادم الكاهن بما قالت، أخذ يضحك، ثم قال للخادم:

- قل لها عندما تراها إنها إذا لم تعرني الهاون فلن أعيرها يد الهاون؛ فهذه بتلك.

أما "بينتفينيا"، فحسب أن زوجته قالت ما قالته لأنه عنفها، ولم يهتم كثيرًا بكلامها. أما "بيلكولور"، فغضبت من الكاهن الذي خدعها، ولم تكلمه أو تجعله يراها حتى موسم الحصاد؛ إلا أنه هددها بأنه سيجعلها

تدخل الجحيم ليبتلعها أكبر الشياطين هناك؛ فخافت ورضخت له، واستمتع كل منهما بالآخر كثيرًا. وعندما ذكرته بالفلورينات الخمس، جعلها تعـزف على الرق الخاص به عوضًا عـن الفلوريـنـات، وعلـق بـه جلجلـة صـغيرة، ففرحت بذلك كثيرًا.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

القصة الثَّالثة

يذهب "برونو" و"بوفالماكو" الماكران مع "كالاندرينو" الساذج، ساخرين منه، إلى جبل "مونيونى"، بحثًا عن الحجر المسمى "الهيليوتروب"[30]؛ فيحسب "كالاندرينو" أنه وجده. يعود إلى البيت محملًا بالحصى، فتوبخه زوجته، ويغضب ويضربها، ويخبر صاحبيه بما يعلمانه أكثر منه.

انتهى "بانفيلو" من سرد قصته التي نالت إعجاب جميع الحاضرين، وأخذت السيدات يضحكن منها. بعدها، التفتت الملكة إلى "إليزا" وأمرتها بأن تواصل رواية قصتها؛ فقالت، وهي مازالت تضحك من رواية "بانفيلو": سوف أحاول، يا صديقاتي العزيزات، إضحاككن كما فعل "بانفيلو"؛ ولكن لا أدري، هل سأستطيع أم لا، غير أني سأفعل ما بوسعي.

كان يعيش في مدينتنا- المزدحمة بأشياء نادرة وأناس غريبي الأطوار- نقاش يدعى "كالاندرينو". وكان رجلًا بسيطًا وغريب الطباع والعادات. وكان يلازمه على الدوام نقاشان آخران، هما "برونو" و"بوفالماكو"؛ وهما يهويان

[30] ويسمى أيضًا "حجر الدم"، وهو من الأحجار النفيسة.

المزاح، إلا أنهما يتمتعان في الوقت ذاته بقدر لا بأس به من الفطنة والمكر. وكانا يلازمان "كالاندرينو" لأنهما يستمتعان كثيرًا بالسخرية من بساطته وسذاجته. وكان هناك في "فلورنسا" شاب يتمتع بقدر فريد من الظُّرف، وكان يدعى "ماسو دل سادجو". وحين سمع هذا الشاب- الذي كان بارعًا وذكيًّا- بعض الأخبار عن سذاجة "كالاندرينو"، قرر السخرية منه، وفكر في أن يجعله يصدق أمرًا لا أساس له من الصحة والمنطق.

وشاء القدر أن يلتقي به في أحد الأيام في كنيسة "سان جوفانّي"، فرآه ينظر بشغف إلى الطلاء والزخارف الموجودة فوق مذبح الكنيسة؛ فرأى أنه الوقت المناسب لتنفيذ خطته بالسخرية منه. فجلس يتحدث إلى أحد أصدقائه- الذي يعلم بالخطة- بالقرب من "كالاندرينو"، متظاهرين بعدم رؤيته. وكانا يتكلمان عن مزايا الأحجار المختلفة التي يُتقن "ماسو" الحديث عنها، كما لو كان أعظم وأشهر نحات يصمم لوحات القبور؛ فأطرق "كالاندرينو" منصتًا باهتمام إليهما. وأخذ رويدًا رويدًا يقترب منهما، ثم انضم إليهما؛ مما أفرح "ماسو" وأسعده.

وبينما كان "ماسو"، الذي فرح كثيرًا بانخراط "كالاندرينو" في الحديث، يواصل كلامه، سأله "كالاندرينو" عن المكان الذي توجد فيه تلك الأحجار ذات المواصفات الفريدة. فرد عليه "ماسو" بأن أفضلها يوجد في مدينة "بيرلينزونيا"، التابعة لبلاد "الباسك"، وبالأخص في بلدة تسمى "بينجودي"، حيث تربط أشجار العنب بحبال من النقانق، وحيث تُشترى إوزة بقطعة نقد واحدة، وتُعطى معها بطة كهدية. وهناك يوجد جبل كامل من جبن البارميجيانو (البارميزان) المبشور، وفي أعلاه أناسٌ لا يفعلون شيئًا سوى

https://telegram.me/maktabatbaghdad

صنع المعكرونة والرافيولي وطهوها في مرق الديوك المخصية، ثم يرمون بها من هناك إلى أسفل؛ ومن يجمع شيئًا يأخذ أكثر منه. وهناك يجرى نهر من الخمر من أجود ما يمكن، لا تخالطه قطرة ماء واحدة.

فقال "كالاندرينو": يا لها من بلاد رائعة! ولكن ماذا كانوا يفعلون بالديوك التي يطهونها؟..

فأجاب "ماسو": يأكلها الباسكيون كلها.

فقال "كالاندرينو": وهل سبق لك الذهاب إلى هناك؟

فرد "ماسو": ماذا تقول يا رجل! لقد ذهبت إلى هناك أكثر من ألف مرة.

وقال "كالاندرينو": وكم يبعد هذا المكان؟

فقال "ماسو": أكثر من ألف ميل.

فقال "كالاندرينو": لابد أنه أبعد من "أبروتسو"، إذن.

فأجابه "ماسو": ما تقوله صحيح، إنه كذلك.

كان "ماسو" يقول ذلك بوجه يملؤه الجد، مما جعل صاحبنا يصدقه؛ واعتبر أن ما يتحدث عنه "ماسو" من أشياء هي حقيقية؛ وقال:

– إنه مكان بعيد جدًّا بالنسبة لمثلي. ولو أنه كان قريبًا، لكنت قد ذهبت معك في إحدى المرات، ولو حتى لمجرد رؤية تلك المعكرونة التي تتساقط لأسفل، والأكل منها حتى التخمة. ولكن أخبرني، أسعدك الرب، ألا يوجد في هذه الأنحاء أي نوع من تلك الأحجار العجيبة؟

فرد عليه "ماسو": بلى، يوجد نوعان من الحجارة ذات القيمة العالية. النوع الأول هو أحجار الرحى، وهي في "سيتيانو" و"مونتيشى"، التي تُصنع منها الرحى التي يخرج منها الدقيق. ولهذا، يقال هناك إنه نِعَم تأتي من الرب.

وأحجار الرحى تأتي من "مونتيشى"؛ لكن أحجار الرحى هذه متوافرة بكميات كبيرة، لذلك تجدنا لا نقدرها كما نقدر أحجار الزمرد. وهناك جبل من هذه الأحجار يعتبر أكبر من جبل "موريلو"، وينبعث منها نور ولمعان في منتصف الليل مثلما تلمع في النهار. ومَن يقوم بصقلها وثقبها وصُنع رحى جميلة، فإنه إذا ما قدمها إلى السلطان، يتلقى منه من العطايا كل ما يتمناه. أما النوع الثانى، الذي نطلق عليه اسم "الهيليوتروب"، فهو حجر ذو قيمة عالية، لأن مَن يحمله يختفي عن الأنظار، ولا يمكن لأى شخص آخر أن يراه، مادام الحجر معه.

فقال "كالاندرينو":

– يا لها من أمور عجيبة! وأين يوجد هذا الحجر الثاني؟

هنا أجابه "ماسو" بأنه يوجد عادةً في جبل "مونيوني"؛ فلو صعدت عليه، فستجده هناك.

فقال "كالاندرينو": وما هو حجم هذا الحجر، وما لونه؟

فرد عليه "ماسو": إن هذا الحجر له أنواع عديدة، منها الكبير ومنها أيضًا الصغير، وجميعها ذات لون أقرب إلى السواد.

بعد أن حصل "كالاندرينو" على هذه المعلومات، عن فضائل تلك الأحجار المذكورة، وأوصافها، تظاهر بأن لديه عملًا آخر سيقوم به؛ فودع "ماسو"، وقرر البحث عن تلك الأحجار. لكنه رأى ألا يقوم بذلك دون إخبار "برونو" و"بوفالماكو"، اللذين يحبهما محبة خاصة. فظل طيلة الصباح يبحث عنهما. وأخيرًا، بعد أن اشتدت حرارة الشمس، تذكر أنهما يعملان في دير راهبات "فاينزا"، فتوجه إلى هناك مسرعًا، وقال لهما:

https://telegram.me/maktabatbaghdad

– أيها الصديقان، لديَّ ما يجعلنا من أثرى أثرياء "فلورنسا"، إذا ما عملتما بنصيحتي؛ فقد أخبرني رجل أهل للثقة، وأكد لي أن هناك حجرًا في جبل "مونيوني" يجعل من يحمله غير مرئي للجميع. لذلك، فعلينا أن نذهب ونبحث عنه، قبل أن يسبقنا إليه أحد. ومن المؤكد أننا سنجده، لأنني أعرف شكله. وماذا سنفعل بعد أن نعثر عليه؟ لن يكون علينا سوى الذهاب إلى خزائن الصيارفة، وهي ممتلئة على الدوام، كما تعلمان، بالنقود الفضية والفلورينات الذهبية؛ فنأخذ ما نريد أخذه، ولن يرانا أحد. وهكذا نصبح أثرياء بسرعة، ودون أن نضطر إلى العمل الشاق طوال النهار في طلاء الجدران، مثل البزاق[31].

ضحك كل من "برونو" و"بوفالماكو" كثيرًا مما قاله هذا الساذج، ثم أخذا يتظاهران بالدهشة، وأطريا على فكرة "كالاندرينو". ثم سأله "بوفالماكو" عن اسم ذلك الحجر. إلا أن "كالاندرينو"- الذي يتمتع بذاكرة ضعيفة- قد نسى، لكنه قال:

– لا أرى جدوى من الاسم، إذا ما كنا نعرف خصائصه. فمن الأجدى الذهاب للبحث هنه وإيجاده.

فقال "برونو": الصواب ما تقوله، ولكن ما هو شكل هذا الحجر؟

فأجابه "كالاندرينو": يوجد منه العديد من الأشكال، جميعها ذات لون أسود تقريبًا؛ ولهذا أرى أن علينا أن نلتقط كل ما نجده من أحجار سوداء،

---

[31] البزاق: حلزون عديم القوقعة، جسمه رخو. ويتواجد في الحدائق وأسفل البيوت، سيما داخل أنابيب البنية التحتية، مثل المزاريب ومصارف المياه.

إلى أن نصل إلى الحجر المطلوب. فدعونا الآن من الكلام، ولننطلق للبحث عنه.

قال "برونو": أرى أن ما يقوله "كالاندرينو" جيد، ولكن ليس الآن هو الوقت المناسب لعمل ذلك؛ حيث الشمس قوية وساطعة فوق هذا الجبل، وبالتالي فستصبح الأحجار كأنها كلها بيضاء؛ بالإضافة إلى أن اليوم يوم عمل، وبالتالي سيكون هناك العديد من الأشخاص، وربما اكتشفوا ما نبتغيه، وفعلوا مثلما نفعل. وهكذا نكون كمَن نزل من فوق الحصان ليركب الجمل. لذلك، أرى أن نقوم بذلك في الصباح، حيث أن غدًا هو يوم عطلة، ولن يرانا أحد.

قبل الجميع بما قاله "برونو"، واتفقوا على الذهاب معًا إلى الجبل، للعثور على هذا الحجر، وذلك يوم الأحد القادم. وكان مما أوصى به "كالاندرينو" هو ألا يخبرا أحدًا بما ينتوون فعله، لأن مَن أخبره فعل ذلك سرًا. ثم أخبرهما بما سمعه عن بلدة "بينجودي"، وأقسم لهم مؤكدًا أن ما قاله هو الحقيقة.

راح "كالاندرينو" يتلهف على قدوم يوم الأحد. وعندما جاء يوم الأحد، نهض مبكرًا، واستدعى فورًا صديقيه. وانطلقوا إلى جبل "مونيوني" من بوابة "سان جالو". وكانا "بوفالماكو" و"برونو" قد اتفقا على خداعه، بأن يتظاهرا بعدم رؤيته حين يجدونه محملًا بالحجارة. كان "كالاندينو" يمضي في المقدمة، حيث كان أكثرهم لهفةً وحماسة، وعندما تقع عيناه على حصاة سوداء ينقض عليها ثم يلتقطها ويضعها في عِبه. أما الآخران، فكانا يتظاهران بأنهما يبحثان بجد مثله، فيلتقطان- بين الحين والآخر- أحد الأحجار. وعندما لم يعد "كالاندرينو" قادرًا على أن يحمل كل ما جمعه من أحجار في عِبه، رفع

https://telegram.me/maktabatbaghdad

طرفي ثوبه، وكأنه تنورة كبيرة، ثم جعل من عباءته كيسًا، وملأه بالأحجار.

عندئذ قال "برونو" لـ"بوفالماكو"، حسب اتفاقهما السابق:

– مالي لا أري "كالاندرينو"! أين ذهب هذا الرجل ؟

راح "بوفالماكو" يتلفت يمنةً ويسرةً كأنه لا يراه، ثم قال لصديقه: لا أدري أين هو، ولكنه كان هنا معنا قبل قليل.

فقال "برونو": قبل قليل! أظن أنه الآن في بيته، وأنه يتناول الغداء الآن، وقد ترك لنا نحن مشقة البحث عن الأحجار السوداء في جبل "مونيوني".

ثم أضاف "بوفالماكو": يا لسوء فعلته! إن هذا الرجل سخر منا وتركنا وذهب. ولكننا كنا حمقى حين صدقنا ما قاله. فمن يصدق أن هناك أحجارًا سحرية في مثل هذا الجبل؟

فرح "كالاندرينو" عند سماعه كلام رفيقيه، وأن عدم رؤيتهما له تعني أن الحجر السحرى أصبح معه. ثم قرر العودة إلى منزله.

تبعاه رفيقاه في طريق العودة، واستمرا في التظاهر بعدم رؤية "كالاندرينو"، وقال "بوفالماكو" لرفيقه: وماذا نفعل نحن؟ لماذا لا نذهب؟

فأجابه "برونو": هيا بنا، ولكني أقسم بالرب ألا أسمح لـ"كالاندرينو" بأن يسخر منا بعد اليوم. ولو أنه قريب مني الآن، مثلما كان في الصباح، لضربته بهذا الحجر على رأسه، كي يظل شهرًا كاملًا لا ينسى خدعته هذه التي انطلت علينا.

قال ذلك وقذف بالحجر تجاه "كالاندرينو"، فأصابه في كعبه، فشعر صاحبنا بألم شديد في قدمه، حتى كاد أن يصرخ؛ لكنه كتم صوته، وتابع السير. فتناول "بوفالماكو" حجرًا، وقال لصديقه "برونو": انظر، هذه الحصاة

البديعة، ليتها تصيب كلية "كالاندرينو"! ثم قذف بها نحو "كالاندرينو"، فأصابة كليته. ثم واصلا رمي الحجارة بتلك الطريقة إلى أن بلغا بوابة "سان جالو". وهناك ألقيا على الأرض ما جمعاه من الأحجار، وتوقفا قليلًا مع حراس المدينة عند البوابة. وكانا قد أخبرا الحراس بما يقومان به من خديعة لصاحبهما، فتظاهر الحراس بأنهم لا يرون "كالاندرينو"، وتركوه يمر وهم يضحكون بملء أفواههم. فتوجه هذا مباشرة إلى بيته، الذي يقع في حي "ماتشينا". ولحسن الحظ، وحتى يقع "كالاندرينو" تمامًا فيما دُبر له، لم يلتق بأحد يعرفه في الطريق، وهو يسير بجانب النهر، والقلة الذين مرَّ بهم لم يلتفتوا إليه؛ فاطمأن تمامًا، وتأكد له قدرة الحجر السحرية.

وهكذا، دخل إلى بيته محملًا بالأحجار. وحدث أن كانت زوجته السيدة "تيسا"، وكانت امرأة جميلة ورزينة، تقف في أعلى السلَّم، وكانت غاضبة لتأخره الطويل، فأخذت تسبه وتلعنه حين رأته يدخل: فلتذهب إلى الجحيم! لقد تناول الناس جميعهم طعام الغداء، وأنت تأتيني في مثل هذا الوقت المتأخر.

عندما سمع "كالاندرينو" كلامها، وظهر له أنها تراه، امتلأ قلبه بالغم والحزن، وراح يوبخها صارخًا: أيتها المرأة الخبيثة، أنت السبب في دماري! لكنني سأجعلك تدفعين الثمن. ثم صعد قافزًا، وقد أفلت الأحجار الكثيرة التي جمعها، فأمسك بها من ضفيرة شعرها وطرحها أرضًا. وانهال عليها ضربًا بيديه ورجليه بكل ما في ذراعيه وساقيه من قوة، حتى كادت أن تفارق الحياة مما لاقته من ضرب مبرح، في كل جزء من جسدها، ولم تنفعها توسلاتها له للتوقف.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وبعد أن كان "بوفالماكو" و"برونو" قد توقفا عند بوابة المدينة، وضحكا قليلًا مع الحراس، لحقا بـ"كالاندرينو"، وتبعاه عن بُعد بخطى بطيئة. وعندما وصلا إلى باب بيته، وسمعا الضرب المبرح الذي نالته زوجته، تظاهرا بأنهما وصلا للتو، ونادياه. فأطل "كالاندرينو" من النافذة، وهو يتصبب عرقًا، وفي غاية الاعياء ومحمر الوجه. وطلب منهما أن يصعدا إليه. فصعدا وهما يظهران الاستياء، ورأيا الصالة مملوءة بالأحجار، والمرأة في أحد الأركان منفوشة الشعر وقد تورم وجهها، وهي تبكي من الألم؛ وكان "كالاندرينو" في جانب آخر غاضبًا ومتعبًا. فسألاه: ما هذا يا "كالاندرينو"؟ أتريد أن تبني جدارًا بكل هذه الأحجار؟ وماذا حدث لزوجتك "تيسا"؟ يبدو أنك ضربتها. ماذا حدث بينكما؟

لم يكن "كالاندرينو" من شدة التعب والغضب، والحسرة على فقدانه لثروة هائلة، قادرًا على الكلام، حيث لم يكن بإمكانه التقاط أنفاسه؛ ولهذا رأى "بوفالماكو" أن يمنحه المزيد من الوقت.

قال له "بوفالماكو": يجب أن تعلم أنه لا ذنب لنا إذا كنت غاضبًا من زوجتك، ولم يكن لك أن تسخر منا وتخدعنا بهذه الطريقة. فبعد أن أخذتنا معك للبحث عن الحجر العجيب، تركتنا دون أن تخبرنا، وعدت إلى بيتك. وهذا التصرف الخبيث لا يليق، ولقد أقسمنا ألا نسمح لك بتكرار فعلتك هذه.

وكان "كالاندرينو" قد هدأ قليلًا، وأصبح قادرًا على التقاط أنفاسه، فقال لهما:

– لا تغضبا مني، يا صديقيَّ؛ فليس الأمر كما تظنان. فقد وجدت، أنا

عاثر الحظ، ذلك الحجر السحري. أتريدان أن أثبت لكما صحة كلامي؟ عندما سألتما عني أول مرة، كنت على بعد أقل من عشرة أمتار منكما، وكنتما تسيران بجواري ولا ترياني، وكنت أمشي أمامكما، وأنتما تسيران ورائي في طريق عودتنا.

ولكي يجعلهما يصدقان أن ما يقوله هو الحقيقة، أخذ يخبرهما بكل ما بدر منهما من قول أو فعل منذ البداية حتى النهاية، وأراهما ظهره وكعبه وكيف كان يتلقى حجارتهما دون أن يتفوه بكلمة. ثم تابع قائلًا: وعند بوابة المدينة، لم يرني الحراس الذين لا يفوتون شيئًا إلا وتفحصوه. وكنت محملًا بالأحجار، مما كان يجعلني أشعر بالتعب الشديد. ثم رأيت في الطريق عددًا من معارفي الذين يوجهون إليَّ التحية عادةً، ويدعونني لتناول شراب، فلم يقل لي أيٌّ منهم ولو نصف كلمة، وكأنهم لا يرونني. إلا أنه عند وصولي إلى البيت، فوجئت بأن هذه الشيطانة تراني، لأن النساء كما تعلمان يُفقدن كل الأشياء السحرية خصائصها ومفعولها؛ وهكذا وجدت نفسي أتحول من أكثر رجال "فلورنسا" حظًا إلى أكثرهم تعاسة. ولهذا، ضربتها بقدر ما أستطيع، ولا أدري ما الذي منعني من قطع أوردتها. فليلعن الرب الساعة التي رأيتها فيها، وجئت بها إلى بيتي!

ثم هَم مرةً ثانية بضرب زوجته، إلا أن "بوفالماكو" و"برونو" منعاه من ذلك. وكانا يتظاهران بالدهشة لما قاله "كالاندرينو"، مؤكدين أن ما يقوله قد حدث بالفعل، وهما- في نفس الوقت- يحاولان منع نفسيهما من الانفجار في الضحك. ولكي ينقذا الزوجة المسكينة- التي لا ذنب لها في أن زوجها ساذج أحمق- قالوا له إنه هو مَن أخطأ وليس زوجته؛ لأنه كان عليه أن

https://telegram.me/maktabatbaghdad

يبتعد عنها، لعلمه بأن النساء يجعلن الأحجار السحرية تفقد قدرتها ومفعولها، ويتفادى أن تراه طيلة اليوم؛ لكن لأنه مخادع، وقد طمع في الحجر السحري ليكوّن به ثروة من دون صديقيه، فإن الرب لم يوفقه إلى إدراك ذلك. ثم ذهبوا وتركوه حزينًا في بيته المليء بالأحجار؛ ولكن بعد أن نجحوا في أن يصالحوه مع زوجته المسكينة.

القصــة الرَّابعــة

رئيس كهنة الكنيسة في "فيسولي" يُغرم بأرملة، لكنها لا تستجيب لرغباته. ولإلحاحه المزعج، تخدعه وتجعله يعتقد أنه ينام معها، بينما هو في الحقيقة ينام مع خادمتها. ويعمل شقيقا السيدة على أن يضبطه المطران، وهو في أحضان الخادمة.

كان الجميع يستمع إلى رواية "إليزا" باستمتاع وإعجاب بـالغين. وعنـدما أنهتها، أشارت الملكة إلى "إيميليا" بأن تبدأ في روايــة قـصتها، هي الأخــرى؛ فاستجابت لها فورًا قائلة: صديقاتي العزيزات، هناك العديـد مـن القـصص التي رويناها تتحدث عن رجال الدين من كهنة ورهبان، والذين كانوا يسعون جميعهم للفوز بامتلاكنا نحن النساء، والاستمتاع بنا؛ إلا أن أبرز وأغرب ما علمته من مثل هذه القصص هي قصة كاهن عنيد في حبـه لأرملـة نبيلـة؛ وعندما وجدته مُصرًّا على نيل حبها، دون الالتفات إلى ما إذا كانـت ترغـب في ذلك أم لا، عاملته بما يليق به ويستحقه.

تُعد مدينة "فيسولي"، كما تعلمون، مدينة عريقة وعتيقــة. وقـد كانـت، بالرغم مما أصابها اليوم من دمار، مقرًّا للأساقفة، ولا تزال كذلك حتى اليوم.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وكانت هناك سيدة أرملة تمتلك بيتًا بجوار الكنيسة الكبرى، ويعيش معها فيه شقيقان لها، وكانا من أكثر الناس لطفًا ولباقة. ولأنها ليست أكثر النساء ثراء، فقد كانت تعيش في ذلك البيت الصغير معظم شهور السنة. وكانت هذه السيدة متوسطة الحال تتردد على الكنيسة الكبرى، وكانت لا تزال شابة جميلة وجذابة، فأحبها رئيس كهنة الكنيسة حبًّا لا حدود له؛ حتى إنه لم يعد يرى أمام عينيه سواها. وبعد مضي بعض الوقت، بلغت به الجرأة حد إخبار السيدة برغبته فيها، وألح عليها لكي تستجيب لحبه ورغباته. وكان رجلًا طاعنًا في السن، لكنه مغرور؛ حيث كان يرى نفسه كأنه أفضل من جميع الرجال. وكان من الرجال المزعجين، الذين يفتقرون إلى خفة الظل؛ حتى أنه صار مكروهًا تقريبًا من الجميع. وقد تسبب بسوء سلوكه في استياء السيدة، لكنها كانت امرأة حكيمة وفطنة، فقالت له:

– إنه لمن دواعي سروري، يا سيدي، أن تحبني؛ بل يتوجب عليَّ شكرك على ذلك، وأن أحبك كما تحبني. وبالطبع، فلن يخل حبي وحبك بالشرف والعفة؛ لأنك بمثابة أبي الروحي، وقد بلغت الشيخوخة، وصرت طاعنًا في السن؛ وكل ذلك يدعوك للشرف والعفة. وفوق ذلك، فأنا لست بالمراهقة التي يتم إغراؤها بكلمات الحب والغرام، لأنني أرملة؛ ويجب أن أكون مثالًا للشرف والعفاف. ولهذا، فتقبل اعتذاري، لأني لن أستطيع أن أحبك بالطريقة التي تريدها، ولا أريد أن أكون محبوبة منك بهذه الطريقة.

لم ييأس رئيس كهنة الكنيسة بعد أن فشل في أن ينال أي شيء منها في تلك المناسبة، بل أصَر بعجرفة على مواصلة محاولاته في جولات أخرى؛ فأخذ يرسل إليها طالبًا منها تنفيذ رغباته؛ بل لم يكتف بالرسائل، لكنه

كان يطلب منها ذلك كلما رآها بالكنيسة. وذلك ما أزعج السيدة، ورأت فيه رجلًا لا يستحق الاحترام، فغضبت من إلحاحه، وقررت أن تبعده عنها بالطريقة التي يستحقها، بعد أن عجزت عن إبعاده بكل الطرق الأخرى. لكنها لم تشأ الإقدام على أمر كهذا قبل أن تستشير أخويها، فأخبرتهما بما يفعله معها رئيس الكهنة، وبما قررت هي عمله؛ فوافقاها على ذلك وفوضاها بشكل كامل بأن تقوم بذلك.

وبعد بضعة أيام، رجعت إلى الكنيسة كعادتها. وبمجرد أن رآها رئيس الكهنة جاء إليها، ليدخل معها في نقاش على طريقته المعتادة. وحين رأته السيدة يقترب نحوها، أبدت علامات البهجة والسعادة، وانتحت جانبًا منعزلًا. وبعد أن قال لها رئيس الكهنة الكثير من كلامه المعتاد، زفرت زفرة عميقة، وقالت:

– يقولون، يا سيدي، إنه لا توجد قلعة– وإن كانت حصينة– تتعرض للهجوم كل يوم إلا وتهوي ساقطةً يومًا ما؛ وهذا ما صنعته بي كلماتك الرقيقة، وإصرارك الذي لا مثيل له. فقد تمكنت يا سيدي، تارةً بكلماتك الناعمة، وبالمزاح تارةً أخرى، من تحطيم قلعتي وكسر مقاومتي؛ فأصبحت اليوم مستعدة لأن أستجيب لحبك ولرغباتك، إذا كنتُ ما أزال أروق لك، وأنال إعجابك.

فكاد رئيس الكهنة أن يطير من الفرحة، وقال لها: سيدتي، إننى شاكر لك جزيل الشكر. والحقيقة، إننى كثيرًا ما تساءلت كيف يمكنك الصمود طويلًا، وأنا الذي لم يحدث لي مثل هذا مع أية امرأة أخرى؛ حتى إنني كنت أقول أحيانًا: إذا ما كانت النساء من فضة، فإنهن لا يساوين شيئًا، لأنهن لا

https://telegram.me/maktabatbaghdad

يصمدن في مقاومة المطرقة. ولكن، دعينا الآن من هذا الكلام. متى وأين يمكننا أن نلتقي؟

فقالت السيدة: اختر أنت الوقت الذي يناسبك، يا سيدي المحبوب، لأني- كما تعلم- لا زوج يفرض عليَّ أن أقدم إليه حسابًا بما أفعله كل ليلة؛ وبالنسبة لمكان اللقاء فلم أفكر فيه.

فقال الكاهن: كيف لم تفكري؟ ولماذا لا نلتقي في بيتك؟

فكان رد السيدة:

– كما تعرف، يا سيدي، أن لي أخوين شابين، وهما يأتيان في الليل والنهار مع أصدقائهما. وبالإضافة إلى ذلك، فإن بيتي ليس بالكبير، لذا فلن نتمكن من اللقاء فيه؛ غير أن هناك طريقة واحدة للقاء في بيتي، وهي أن تظل صامتًا هناك كما لو أنك أبكم، دون أن تنطق بكلمة أو يُسمع لك حتى نفَس، وأن يكون ذلك في الظلام، كالعميان. فإذا أردت أن يكون الأمر كذلك، فلست أرى ما يمنع من أن نفعل ذلك في بيتي. صحيح أن أخويَّ لا يدخلان غرفتي؛ إلا أنهما من الممكن أن يسمعا أي صوت، وإن كان خافتا؛ وذلك لأن غرفتي ملاصقة لغرفتهما.

فقال رئيس الكهنة: لا عليكِ، دعينا نلتقي هناك يومًا أو يومين، وسأعثر بعد ذلك على مكان آخر نلتقى فيه بأريحية.

فقالت السيدة: لك ما تريد، يا سيدى. ولكني أرجو منك أمرًا واحدًا، وهو أن يبقى هذا كله سرًّا، وألا يعرف أحد ولو كلمة واحدة منه.

فقال لها رئيس الدير: أعدكِ بهذا، يا سيدتي. وضعي في اعتبارك أننا سنلتقى هذه الليلة معًا.

قالت السيدة: إنه لمن دواعي سروري. وشرحت له بالتفصيل ما يجب عليه عمله لكي يأتي إلي بيتها. ثم ودعته، وقفلت راجعة إلى بيتها.

توصلت السيدة إلى فكرة ذكية تعاقب بها هذا الكاهن، وتعامله بما يستحقه. فقد كان لديها خادمة شديدة القبح، ومشوهة الوجه والجسم، ولها أنف أفطس وفم معوج، وشفتان غليظتان وأسنان كبيرة ملتوية، ورائحة كريهة، وبشرة مصفرة، وعينان مريضتان، ومظهرها العام يوحي بأنها مريضة بشكل دائم، وكأنها في السنغال، وليس "فيسولي". وكانت- فوق ذلك- محدودبة الظهر، وعرجاء تميل إلى جانبها الأيمن. وكانت تدعى "تشيوتا"، إلا أنه كان يطلق عليها بسبب شحوب عينيها "تشيوتاتسا". وعلى الرغم من كل ذلك، إلا أنها كانت شديدة الخبث والدهاء. فاستدعتها السيدة، وقالت لها: اسمعي يا "تشيوتاتسا"، أريد منك أن تقدمي لي خدمة هذه الليلة، وسأعطيك مقابل ذلك ثوبًا جديدًا.

وعند سماع "تشيوتاتسا" لكلمة ثوب جديد، قالت مبتهجة: إذا ما أعطيتني ثوبًا، يا سيدتي، فلن أتوانى عن أن ألقي بنفسى في النار.

فقالت السيدة: إذن، فلتنصتي جيدًا إلى ما سأقوله لك؛ أريدك أن تنامي هذه الليلة في فراشي مع رجل، وأن تداعبيه دون أن تنطقي بكلمة واحدة، كي لا يسمعك أخواي؛ فأنت تعرفين أنهما ينامان في الغرفة المجاورة، وبعد ذلك سأعطيك الثوب.

فقالت "تشيوتاتسا": إنني مستعدة للنوم مع ستة رجال، لا مع رجل واحد، إذا تطلب الأمر.

وجاء رئيس الكهنة في الموعد المحدد، عند حلول الظلام. وكانت السيدة

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قد اتفقت مع أخويها أن يقوما بإثارة ضجة وجلبة في غرفتهما، ليشجعا رئيس الكهنة على الدخول مطمئنًا؛ فدخل بصمت إلى مخدع السيدة. وفي الفراش، كانت هناك "تشيوتاتسا"، التي أخبرتها السيدة جيدًا بما عليها القيام به.

وظن السيد رئيس الكهنة أن التي معه في الفراش هى السيدة، فألقى بنفسه بين ذراعيها، وراح يقبّلها دون أن يتفوه بكلمة، بأية كلمة، فبادلته "تشيوتاتسا" هي الأخرى القبلات والأحضان، دون أن تنطق بكلمة؛ ثم أخذ يداعبها معتقدًا أنها سيدته المحبوبة التي طالما اشتهاها.

وعندما بدا للسيدة أن الوقت صار مناسبًا، أمرت أخويها بأن يخرجا من حجرتهما ليكملا الخطة المتفق عليها. فذهبا لاستدعاء المطران. ومن حسن حظهما أنهما وجداه في طريقه لزيارتهما في بيتهم، وتناول بعض الشراب معهما بسبب شدة الحر. ثم مضوا جميعهم متجهين إلى البيت. وهناك دخلوا إلى فناء صغير ندي، فيه أضواء كثيرة، وشربوا نبيذًا فاخرًا. وبعد تناول الشراب، قال الشابان:

– سيدي، نظرًا لتكرمك علينا وتشريفك لنا بهذه الزيارة، فإننا نود أن نريك شيئًا يستحق المشاهدة.

ثم تناول أحد الشابين شعلة صغيرة، ومضى في المقدمة، والآخرون من خلفه. وتوجه نحو الحجرة الموجود بها رئيس الكهنة و"تشيوتاتسا". وكان الرجل، لشدة لهفته وتشوقه إلى السيدة، قد امتطى "تشيوتاتسا" أكثر من ثلاث مرات، مما جعله يغفو من شدة التعب، وهو يحتضن "تشيوتاتسا" بين ذراعيه. وهكذا دخل الشاب إلى الحجرة، وتبعه المطران والآخرون، فأراهم

رئيس الكهنة وهو يحتضن "تشيوتاتسا". عندئذٍ، استيقظ رئيس الكهنة، فرأى النور مضاءً وذلك الجمع المحيط به، فسيطر عليه الخجل والخوف، ودس رأسه تحت أغطية السرير. فلعنه المطران، وطلب منه إخراج رأسه ليرى مَن هي التي ينام معها. وحين انتبه رئيس الكهنة إلى الخدعة، أحس أنه أشد الرجال تعاسة. ثم ارتدى ثيابه بأمر من المطران. واقتيد إلى بيته تحت الحراسة، ليتلقى أقصى عقوبة على ما ارتكبه من خطيئة. وأراد المطران أن يعرف بعد ذلك كيف حدث وجاء رئيس الكهنة لمضاجعة "تشيوتاتسا" هناك؛ فأخبره الشابان بكل ما جرى، من البداية حتى النهاية. فأعجب المطران بما فعلوه، وأثنى على أختهما الأرملة، وكذلك عليهما أيضًا لعدم تلويث أيديهما بدماء كاهن، وعاملاه بما يستحقه. وعقابًا له أمره المطران بأن يبكي خطيئته أربعين يومًا. فدفعه الحب، وما لحق به من عار، أن يبكي أكثر من تسعة وأربعين يومًا. وكان لا يجرؤ على الخروج إلى الشارع لمدة طويلة، لأن الصبيان كانوا يعيرونه قائلين: انظروا إلى مَن نام مع "تشيوتاتسا"! وكاد الرجل من شدة ما عاناه أن يصاب بالجنون. وبهذا، كانت الأرملة الجريئة والذكية قد تخلصت تمامًا من رئيس الكهنة اللحوح المزعج، بينما ربحت "تشيوتاتسا" ثوبا جديدًا.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

القصـة الخامسـة

ثلاثة شبان ينزعون السروال الداخلي لقاضٍ من إقليم "ماركي"[32]، وذلك في مدينة "فلورنسا"، بينما هو واقف فوق المنصة ليقيم العدالة.

عندما انتهمت "إيميليا" من قصتها، أعرب الجميع عن إعجابهم بشجاعة الأرملة وذكائها. ثم التفتت الملكة إلى "فيلوستراتو"، وقالت له: لقد حان دورك الآن، لتسرد لنا قصة ممتعة. فاستجاب على الفور لأمر الملكة؛ ثم قال: سيداتى اللطيفات، لقد جعلتني "إليزا" أعدل عن قصة كنت أنتوي أن أرويها عليكن، وذلك عندما تحدثت عن الشاب الذي يُدعى "ماسو دي سادجيو"؛ إلا أنني - لحسن الحظ - لديَّ قصة أخرى عنه، وعن بعض رفاقه. وبالرغم من أنها تعد قصة غير مهذبة، إلا أنها لا تتضمن ألفاظًا تجعلكن تخجلن من قولها؛ ولكني أستطيع القول إنها قصة ممتعة وشيقة، وسوف أحكيها لكُن على أية حال.

---

[32] أحد الأقاليم العشرين المكونة للتراب الإيطالي، ويقع في الجزء الشرقي من وسط البلاد، ويطل على البحر "الأدرياتي" من الشرق.

كما تعلمون، فمدينتنا يأتي إليها محافظون يعينهم الحاكم، وهم ينتمون إلى إقليم "ماركي"، وبالأخص من مدينة "أنكونا"؛ وعادةً ما يكونون رجالًا قليلي المال وقساة الطباع، يحيون حياة شُح وفقر. وبسبب بؤسهم الشديد وبخلهم، ورغبتهم في التوفير، فإنهم يحضرون معهم قضاة وكتبة جهلة، كما لو أنهم جيء بهم من فوق المحراث، أو من حوانيت إصلاح الأحذية، لا من مدارس القانون. وقد جاء أحدهم كمحافظ، وكان من بين القضاة الذين أتى بهم معه رجل يُدعى السيد "نيكولا دي سان ليبيديو"؛ وكان كائنًا غريب المنظر، يبدو أشبه بمن يمتهن مهنة صناعة الأقفال منه بأي شيء آخر. وقد تم تكليفه مع القضاة الآخرين بالفصل في قضايا الجرائم. ومثلما يحدث في كثير من الأحيان، فإن الناس يذهبون إلى المحكمة حتى دون أن تكون لديهم أية قضايا.

وفي صباح أحد الأيام، كان "ماسو دل ساجيو" يبحث عن صديق له، فذهب إلى المحكمة. لكنه عندما نظر إلى المنصة، رأى القاضي السيد "نيكولا"، ففحصه من رأسه حتى أخمص قدميه، فبدا له أنه رجل قبيح الهيئة غريب المظهر، ورأى أن في هيئته كثيرًا من الأشياء الغريبة؛ فوجد الشحم يلطخ معظم شعره المستعار، وهناك دواة حبر معلقة بحزامه، ويرتدي سترة أطول من العباءة، وأشياء كثيرة أخرى غير مناسبة لمكانته كرجل يجب أن يكون منظمًا وراقيًا. لكن أكثر ما أذهله هو أن سرواله الداخلي، وهو جالس- ولأن ثوبه مفتوح من الأمام، بسبب ضيقه- كان يصل حتى منتصف ساقيه. وهكذا، دون أن يطيل النظر إليه، قرر العدول عما كان يبحث عنه، والبدء في بحث جديد؛ فوجد اثنين من أصدقائه لا يقلان طرافة

https://telegram.me/maktabatbaghdad

عنه، أحدهما يدعى "ريبي" والآخر "ماتيوزو"، فقال لهما: إذا كنتما تثقان فيّ، فتعاليا معي إلى المحكمة، وسأريكما هناك أقبح خيال مآته رأيتماه في حياتيكما.

وبالفعل، انطلقوا معًا إلى المحكمة، وأراهما هناك ذلك القاضى وسرواله. فأخذوا يضحكون بمجرد رؤيته من بعيد، ثم اقتربوا قليلًا، ولاحظوا أنه بالإمكان المشي بسهولة تحت ألواح المنصة التي يجلس فوقها القاضي، ورأوا كذلك أن اللوح الخشبي الذي يضع القاضى قدميه عليه مكسور، بحيث يمكن إدخال اليد والذراع كلتيهما من الفتحة بكل سهولة. فقال "ماسو" لرفيقيه: أريد أن ننتزع هذا السروال الداخلي عن هذا القاضي، فذلك سهل جدًّا. ثم اتفق ثلاثتهما فيما بينهم عما سيقومون به.

توجهوا- في صباح اليوم التالي- إلى المحكمة التي كانت مليئة بالرجال. فدخل "ماتيوزو" تحت المنصة دون أن يراه أحد، واتجه مباشرةً تحت المكان الذي يضع القاضى عليه قدميه. وفي أثناء ذلك، اقترب "ماسو" من أحد جانبي السيد القاضي، وأمسك بطرف عباءته، فيما اقترب "ريبى" من الجانب الآخر، وفعل الشيء نفسه. وبدأ "ماسو" يقول: سيدي، سيدي، أتوسل إليك- باسم الرب- أن تجعل هذا اللص المجاور لك يعيد إليّ حذائي الذي سرقه؛ وقد رأيته منذ شهر يأخذه ليصلح نعله.

فصرخ "ريبي" من الجانب الآخر: أرجوك ألا تصدقه، يا سيدي؛ فهو مخادع كذاب، وقد علم أنني آتٍ إلى هنا للادعاء عليه بشأن حقيبة سرقها مني، فجاء الآن ليتكلم عن الحذاء الموجود في بيتي منذ زمن بعيد. وإذا كنت لا تصدقني، فيمكنني أن أجيء بشهود، هم "تريكا" جارتي، و"جراسا" بائعة

الكروش، وشخص يجمع القمامة من مدينة "سانتا ماريا" حتى مدينة "فيرازيا"، رأيته وهو عائد من القرية.

ثم أخذ "ماسو" يصرخ من الجانب الآخر ليُسكت "ريبي"، فيرفع الآخر صوته بقوة أكبر. ولكي يفهم القاضي منهما بطريقة أفضل، فقد قام واقفًا؛ فانتهز "ماتيوزو" الفرصة، فأدخل يده من الفتحة الموجودة بأرضية المنصة، وأمسك بسروال القاضي الداخلي من أسفل، وشدَّه بقوة؛ فسقط السروال بسهولة؛ لأن القاضي كان شديد النحافة. وعندما شعر القاضي بما حدث، لم يكن قد تبين حقيقة الأمر، فضم عباءته أمامه ليستر نفسه من الأمام ثم جلس. غير أن "ماسو" من جانب، و"ريبي" من الجانب الآخر، كانا يمسكان به، ويصرخان بقوة:

– ليس من الذوق، يا سيدي القاضي، ألَّا تقوم بإقرار العدالة؛ وأن تغادر دون أن تستمع إلينا. ففي هذه المدينة، لن يسجلوا لنا محضرًا بسبب شكوى قليلة الأهمية مثل التي لدينا.

وفيما كانا يقولان له هذا الكلام، كانا يجذبان عباءته، فلاحظ جميع من في القاعة أن القاضي بدون سروال. وبعد أن أمسك "ماتيوزو" بالسروال لبعض الوقت، ألقاه وخرج دون أن يراه أحد. وأدرك "ريبي" أن دوره قد انتهى أيضًا، فقال:

– قسمًا بالرب لأقدم شكوى بهذا الشأن إلى الحاكم!

أما "ماسو"، فقد ترك عباءة القاضي من الجانب الآخر، وقال: أما أنا، فلن أفعل ذلك، ولكني سأحضر إلى هنا كل يوم إلى أن أجدك أقل انشغالًا، يا سيدي القاضي، مما أنت عليه هذا الصباح.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أعاد القاضي ارتداء سرواله الداخلي أمام جميع الحاضرين. وكان "ماتيوزو" و"ماسو" قد غادرا مسرعين، أحدهما من جهة ، والآخر من جهة أخرى. ثم أدرك حقيقة ما جرى له من قِبل "ماسو" ورفيقيه، فسأل أين ذهب الرجلان صاحبا شكوى الحذاء والحقيبة؛ إلا أنه لم يجدهما؛ فأخذ يقسم بالمسيح بأنه يريد أن يعرف منهما ما إذا ما كانت عادة الفلورنسيين أن ينتزعوا السراويل الداخلية للقضاة، عند جلوسهم على منصة العدالة.

وعند سماع المحافظ بما حدث، غضب غضبًا شديدًا. لكن أصدقاءه أوضحوا له أن الفلورنسيين أرادوا أن يلفتوا نظره إلى أنه أتى لهم بمجموعة من الجهلة المغفلين، لا بقضاة، وذلك لأن هؤلاء أرخص تكلفة. فسكت، ولم يتكرر ذلك مرةً أخرى.

القصـة السَّـــادسة

يسرق "برونو" و"بوفالماكو" خنزيرًا من "كالاندرينو"؛ وينصحانه بالبحث عنه بأقراص من عجينة الزنجبيل والنبيذ الحلو؛ ويقدمان له قرصين معجونين من روث كلب وصبَّار، فيبصقهما؛ ويبدو أنه هو نفسه السارق، ويجعلانه يكافئهما فوق ذلك، بعد تهديده بأنهما سيخبران زوجته بكل شيء.

أنهى "فيلوستراتو" قصته التي أثارت الكثير من الضحك، فالتفتت الملكة بعد ذلك إلى "فيلومينا"، وأمرتها بأن تروي قصتها؛ فبدأت كالتـالي: سـيداتي الجميلات؛ مثلما أمتعنا "فيلوستراتو" برواية قصته، مستعينًا باسـم "ماسـو"، فإنني سأحذو حذوه في ذلك، لا أقل ولا أكثر. وسأروي لكن قصة مستعينة باسم "كالاندرينو" ورفيقيه، وأعتقد أنها ستنال إعجابكن.

لقد سبق أن سمعتن عن الثلاثي "كالاندرينو" و"برونو" و"بوفالماكو"، فلا حاجة لتكرار ذلك. كان للسيد "كالاندرينو" قطعة أرض صغيرة على مقربـة من "فلورنسا"، تلقاها كدوطة[33] من زوجته. وكان من بين مـا تُـدره عليـه

[33] الدوطة- عند الغرب- عبارة عن مال أو متاع، تقدمه المرأة لمن أراد الزواج بها، لكي

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قطعة الأرض هذه خنزير في كل عام. وكان قد اعتاد هو وزوجته الذهـاب إلى القرية، وذبح الخنزير وتمليحه، وذلك في شهر ديسمبر من كل عام. إلا أنـه في إحدى المرات كانت زوجته مريضة، فلـم تـستطع الذهـاب معـه؛ فقـرر أن يذهب بمفرده لذبح الخنزير وتمليحه، والإتيان به إلى منزله.

سمع بذلك "برونو" و"بوفالماكو"، فذهبا لزيارة كاهن يقطـن بجـوار بيـت "كالاندرينو" الريفي، وتربطه بهما صداقة حميمة، لقضاء بضعة أيـام هنـاك. وفي صباح اليوم الذي وصلا فيه، كان "كالاندرينو" قد ذبـح الخنزيـر. وحـين رآهما مع الكاهن نادى عليهما، وقال لهما: مرحبًا بكـمـا؛ لِـمَ لا تأتيـان إلى بيتي لتريا كم أنا رجل ماهر. فذهبوا جميعًا إلى بيت "كالانـدرينو"، وهنـاك رأيا الخنزير. وكان سمينا، وسمعا "كالاندرينو" يقـول إنـه سـيمنحه لأسرتـه. فقال له "برونو":

– يا لك من أحمق! لماذا لا تبيعه، ثم تستمتع بالنقود؛ وإذا ما سألتك عنه زوجتك تقول لها إنه قد سرق؟

فقال "كالاندرينو": ماذا تقـول، يـا رجـل؟ فـزوجتي لـن تـصدق ذلـك، وستطردني من البيت. لا لن أفعل ذلك أبدًا.

وبالرغم من أنهما ألحا عليه كثيرًا، إلا أنه رفـض ذلـك تمامًـا. ودعاهمـا "كالاندرينو" لتناول العشاء، لكنهما رفضا دعوته وانـصرفا. وعندئـذٍ، قـال

ينتفعا من ريعه في حياتهما الزوجية. ويستخدم بعض المترجمين كلمة "مهر"، كمقابل عربي لتلك المفردة؛ وهذا خطأ، لأن "المهر"- عند العرب- يقدمه الزوج لزوجته المستقبلية، وليس العكس.

"برونو" لرفيقه "بوفالماكو":

– ولماذا لا نقوم نحن بسرقة الخنزير؟

فقال "بوفالماكو": وكيف نفعل ذلك؟

قال "برونو": عندي طريقة للقيام بذلك، إذا لم يغير المكان الذي وضع الخنزير فيه.

فقال "بوفالماكو": فلنسرقه إذن، ولِمَ لا؟ ونستمتع به نحن وصديقنا الراهب. وعندما علم الراهب بالفكرة رحب بها كثيرًا، وقال إنه موافق عليها.

فقال "برونو": سيتطلب الأمر حيلةً ما. فأنت تعرف يا "بوفالماكو" مدى بخل "كالاندرينو"، ومدى حبه كذلك للشراب، لا سيما عندما يدفع ثمنه الآخرون؛ فدعونا نصطحبه إلى الحانة، وهناك يتظاهر الراهب بأنه سيدفع نيابة عن الجميع، ولا نجعل "كالاندرينو" يدفع شيئًا. وهكذا سيصبح ثملًا، ويصبح كل شيء سهلًا بعد ذلك.

فأعجبوا جميعهم بالفكرة، وقرروا أن يفعلوا ما قاله "برونو". وبالفعل، عندما أخبرهم الراهب بأنه مَن سيقوم بدفع ثمن الشراب للجميع، ولن يسمح لغيره بأن يقوم بذلك، أخذ "كالاندرينو" يشرب بإفراط وعلى راحته حتى أصبح يترنح من شدة السُّكر. وبعد تقدم الليل، خرج من الحانة، غير راغب في تناول أي شيء على العشاء. ودخل إلى بيته، وألقى بنفسه في الفراش، وقد ترك الباب مفتوحًا.

ذهب "بوفالماكو" و"برونو" لتناول العشاء مع الراهب. وبعد العشاء، قرروا الدخول إلى بيت "كالاندرينو"، كما خطط "برونو" لذلك. وعندما

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وصلوا ووجدوا الباب مفتوحًا، دخلوا في هدوء وحرص، ثم حملوا الخنزير إلى بيت الراهب، وعلقوه هناك، وذهبوا للنوم.

نهض "كالاندرينو" في الصباح، بعد أن أفاق من تأثير الخمر. فاكتشف عدم وجود الخنزير، ورأى الباب مفتوحًا؛ فراح يسأل هنا وهناك ما إذا كان أحد يعرف مَن الذي سرق الخنزير. وحين لم يجده، راح يصرخ ويلطم الخدود نادبًا حظه وسوء طالعه. وكان "برونو" و"بوفالماكو" قد استيقظا حينئذٍ، فذهبا إلى "كالاندرينو" ليسمعا ما يقوله عن الخنزير. وما إن رآهما، حتى ناداهما وهو يكاد يبكي، وقال: آهٍ لما حل بي، يا صديقيَّ، لقد سرقوا خنزيري!

فدنا منه "برونو"، وقال له بصوت خفيض: إنه لمن حسن الحظ أن تكون ذكيًّا، ولو لمرة واحدة في عمرك.

قال "كالاندرينو": يا وليلي! بل ما أقوله هو الحقيقة.

فقال له "برونو": إنك تبلي بلاءً حسنًا، هيا، اصرخ بصوت أعلى كي يبدو الأمر حقيقيًّا.

ثم رد "كالاندرينو" صارخًا: أقسم بالمسيح إنني أقول الحقيقة، لقد سرقوا الخنزير!

فأجاب "برونو": أحسنت، يا رجل؛ عليك أن تصرخ بقوة ليسمع الناس، ويبدو لهم كأن الأمر حقيقة.

فصرخ "كالاندرينو": أتريد مني أن أكذب، وتذهب روحي إلى الجحيم؟ إن ما أقوله هو الحقيقة؛ فليشنقوني إذا لم يكن خنزيري قد سُرق.

قال "برونو": وكيف يمكن ذلك؟ لقد رأيته هنا بالأمس، أتريدني أن أصدق أنه قد سُرق؟

فقال "كالاندرينو": هذا ما حدث بالفعل.

قال "برونو": يا للعجب! أمن المعقول أن يكون ذلك صحيحًا؟

فقال "كالاندرينو": أجل، هذا ما حدث؛ ولا أدرى ماذا سأقول لزوجتي عندما أعود إلى البيت؛ فهي لن تصدقني، بل ستعتقد أنني أخدعها؛ وإن صدقتني فلن أجد معها من سبيل للراحة طوال السنة.

فقال له "برونو": أشك أن ما تقوله صحيحًا، فقد طلبنا منك البارحة أن تبيعه وتدعي أنه سُرق منك؛ ولا أريدك أن تسخر من زوجتك ومنا، في هذا الأمر.

فراح "كالاندرينو" يصرخ ويقول: يا ويلي! لماذا تُصر على أن تجعلني أفقد أعصابي، فأسب الرب والقديسين، وكل مَن على وجه الأرض؟ أقول لك إن هناك مَن سرق الخنزير هذه الليلة.

فتدخل "بوفالماكو" عندئذ قائلًا: إذا كان الأمر كذلك، فلابد من البحث عن طريقة لاستعادته.

فقال "كالاندرينو": وكيف يمكننا أن نفعل ذلك؟

فقال "بوفالماكو": أنا على يقين بأن من فعل ذلك لم يأت من الهند. إنه أحد جيرانك هو مَن سرق الخنزير. ليتك تستطيع أن تجمعهم لي؛ وهكذا أتمكن من إجراء اختبار الخبز والجبن، وسنكتشف عندئذٍ مَن السارق.

قال "برونو": أجل، أجل، عليك أن تذهب وتخبر الناس بشأن الخبز والجبن، وأنا على يقين من أن السارق سيكون من بينهم، وسيرفض المجيء.

فقال "بوفالماكو": إذن، فكيف سنتصرف الآن؟

فأجابه "برونو": علينا أن نقوم بصنع أقراص من الزنجبيل المخلوط مع

https://telegram.me/maktabatbaghdad

نبيذ حلو جيد، ثم ندعوهم جميعًا لتناوله؛ وعندئذٍ لن يخطر ببالهم أنهم آتون للتحري عن سرقة الخنزير، وسيكونون شاكرين على أقراص عجينة الزنجبيل أكثر من الخبز والجبن.

فقال بوفالماكو: الصواب ما تقوله، يا صديقي؛ فما رأيك يا "كالاندرينو"؟ هل ترى أن نقوم بذلك؟

فقال "كالاندرينو": أستحلفكم بالرب أن تفعلاه؛ لأنني إذا عرفت مَن الذي أخذ الخنزير، فسأكون قد وجدت نصف العزاء.

قال له "برونو": هيا بنا، إذن؛ فأنا مستعد للذهاب إلى "فلورنسا"، لمساعدتك بإحضار هذه الأشياء، إذا ما أعطيتني نقودًا لكي نشتريها.

فأعطاه "كالاندرينو" حوالي أربعين قطعة نقدية، كانت كل ما لديه. وذهب "برونو" إلى "فلورنسا". وتوجه هناك إلى صديق له يبيع التوابل، فاشترى منه رطلًا من أقراص عجينة الزنجبيل. وصنع قرصين آخرين من روث الكلاب والصبار، غطاهما بالسكر، ووضع عليهما علامة كي يميزه عن غيره من الأقراص. واشترى كذلك قارورة من نبيذ جيد، وعاد إلى قرية "كالاندرينو". وقال له عندئذٍ:

– عليك أن تدعو في صباح الغد جميع مَن تشتبه بهم؛ فستكون حفلًا، وسيرحب الجميع بالمجيء. وسوف أقوم أنا و"بوفالماكو" هذه الليلة بقراءة التعاويذ السحرية على الأقراص، ثم أحملها إلى بيتك في الصباح. وسأتولى، من أجلك، تقديمها، وسنكتشف عندئذٍ السارق.

وبعد أن فعل "كالاندرينو" ما طُلب منه، اجتمع في صباح اليوم التالي عدد من شباب القرية، ومن الفلاحين، إلى جوار الكنيسة. وجاء "برونو"

و"بوفالماكو"، ومعهما علبة الأقراص وقارورة النبيذ، وجعلوا الجميع يقفون حولهما في دائرة، وقال "برونو":

– من المناسب، أيها السادة، أن أفصح لكم عن علة تواجدكم هنا، فلا يلومني أحدٌ إذا ما حدث ما لا يروق لكم. فقد سرق أحدٌ ما خنزيرًا يعود لصديقنا "كالاندرينو"، ولابد أن السارق هو واحد من بين الموجودين هنا. ولهذا سنقدم لكم، كما أراد "كالالندرينو"، قُرصًا من هذه الأقراص لكل واحد منكم، بالإضافة إلى هذا الشراب. ومَن لم يستطع منكم ابتلاع قرص عجينة الزنجبيل شديد المرارة، سيكون هو مَن سرق الخنزير. وإذا أراد أحدكم ألا يفتضح أمره أمام الجميع، فيمكنه أن يقول ذلك للسيد الراهب في الاعتراف، وهكذا أقوم بالعدول عن هذا الأمر.

وافق الجميع على أكل الأقراص. فطلب منهم "برونو" أن يقفوا صفًّا، وكان من بينهم "كالاندرينو"، وأخذ يقدم إلى كل واحد منهم قرصًا. وعندما وصل إلى "كالاندرينو"، تناول أحد القرصين المصنوعين من روث الكلاب، ووضعه في يده. سارع "كالاندرينو" بوضعه في فمه، وبدأ يمضغه. لكن لم يتحمل المرارة الشديدة، وبصق كل ما بفمه. ثم سمع "برونو"، وهو يواصل توزيع الأقراص، مَن يقول: ماذا حل بك، يا "كالاندرينو"؟

فالتفت فورًا، ورأى "كالاندرينو" يبصق قرصه، فقال له:

– انتظر، لابد من وجود سبب آخر جعلك تبصق قرصك، فخذ واحدًا آخر.

فتناول "كالاندرينو" قرصًا آخر. وكان "برونو" قد صنعه بنفسه من روث

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الكلاب، وكان شديد المرارة. إلا أنه وجد أن القرص الثاني أشد مرارة بكثير من القرص الأول؛ لكنه لم يبصقه بسبب ما سيتسبب له ذلك من حرج. فقاوم محتفظًا به في فمه، وراح يذرف دموعًا كثيرة كأنها حبات جوز. وأخيرًا، عندما عجز عن المقاومة، قذف به من فمه، مثلما فعل من قبل. وكان "بوفالماكو" يقدم الشراب للجماعة ولصديقه "برونو". وحين رأى الجميع ذلك، قالوا إن "كالاندرينو" قد سرق الخنزير من نفسه حقًّا، وأخذ الجميع يوبخونه أشد التوبيخ. وبعد أن غادر الجميع، قال له "بوفالماكو":

– لقد كنت على يقين تام بأنك الفاعل، وأنك أردت خداعنا بأن نصدق أن مَن قام بسرقة الخنزير هم آخرون، وذلك لكي تتهرب من أن تقدم لنا شرابًا بما لديك من نقود.

فراح "كالاندرينو"، الذي كان ما يزال يشعر في فمه بمرارة الصبار، يحلف بأنه ليس السارق.

فقال "بوفالماكو": فلتكف عن الإنكار، يا رجل، وأخبرنا بالحقيقة. كم من النقود ربحت من بيعه ؟ ستة؟

شعر "كالاندرينو" باليأس والإحباط مما سمعه من رفيقيه، الذين لم يكتفيا بذلك، بل بادره "برونو" قائلًا:

– لقد أخبرني شاب كان من بين مَن دعوناهم للشراب بأنك، يا "كالاندرينو"، مغرم بفتاة، وأنك تعطيها كل ما لديك وكل ما تتحصل عليه من نقود. وقال لى إنه واثق من أنك أرسلت إليها الخنزير، لأنك تعلمت المكر والاحتيال. فأنت مَن قمت بخداعنا، عندما أقنعتنا بالذهاب معك إلى جبل "مونيوني" لجمع أحجار سوداء. وبعد أن ورطتنا في ذلك الأمر، رجعت إلى

بيتك، ثم أردت إقناعنا بعد ذلك بأنك وجدت الحجر السحري. ثم تعود اليوم وتحاول إقناعنا بأن الخنزير الذي ربما بعته أو أعطيته لعشيقتك، قد سُرق منك. ومن أجل أن نصل إلى السارق تعبنا في إعداد الاقراص. لا يا صاحبي، لقد تذوقنا مرارة خداعك لنا مرة، ولن نسمح لك بخداعنا مرةً أخرى؛ ولهذا، فإذا لم تعطنا ديكين، فسنقوم بإخبار زوجتك "تيسا" بكل ما جرى.

اضطر "كالاندرينو"، الذي أيقن أنهم لن يصدقاه، والذي لم يعد قادرًا على تحمل المزيد من المعاناة، أن يعطيهما الديكين، لا سيما ليتجنب غضب زوجته. أما هما فقد ملَّحا الخنزير، وأخذاه إلى "فلورنسا"، وبقي "كالاندرينو" المسكين مخدوعًا يتحسر على الخنزير.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

القصة السَّابعة

يُغرم متعلم بأرملة تحب شخصًا آخر، فتتظاهر بحبها له، ثم تسخر منه بجعله يقضي إحدى ليالى الشتاء الباردة في انتظارها، تحت الثلج في البرد القارس. فينتقم منها بجعلها تقضى ظهيرة يوم من أيام يوليو الحارة وهي عارية، ومعرضة للذباب والهوام والشمس في أعلى أحد الأبراج.

انتهت "فيلومينا" من رواية قصتها، التي جعلت السيدات يضحكن كثيرًا مما تعرض له "كالاندرينو" التعيس، وأشفقن عليه جراء الاستيلاء على ديوكه ممن استولوا من قبل على خنزيره. ثم قامت الملكة بعد ذلك بالتوجه إلى "بامبينيا"، وأمرتها بأن تواصل القص، فاستجابت فورًا لأمر الملكة، وقالت:

أرى، يا سيداتي العزيزات، أنه من الأفضل عدم الفرح والتلذذ كثيرًا عند النجاح في السخرية من الآخرين، وتدبير المكائد لهم؛ حيث يتم- في أغلب الأحيان- أن يقوم مَن سخرنا منه برد المكيدة بمكيدة، قد تكون أقوى منها. لذلك، سأسرد لكم قصة تتحدث بالتحديد عن الثأر من هذه المكائد والسخريات، مما يعلمنا أن نتجنب السخرية من الآخرين، وهو ما

حدث لإحدى سيدات مدينتنا.

كانت السيدة "إيلينا"، الأرملة الشابة والجميلة، تعيش في "فلورنسا" منذ وقت ليس بالبعيد. وكانت سيدة نبيلة ذات قوام معتدل، بالإضافة إلى تمتعها بثروة وفيرة. وكانت- بعد وفاة زوجها- قد رفضت الزواج، حيث تعرفت على أحد الشبان، وكان وسيما وأنيقًا، فهام بها وأغرمت به هي الأخرى، حيث كانت تلتقي به فيستمتعان معًا، تاركة هموم الحياة، ومبتعدة عن الناس. وكان ذلك بمساعدة خادمتها.

وفي أحد الأيام، عاد أحد الشبان من رحلة عِلم بباريس، وكان يُدعى "رينيرى"، وهو رجل نبيل من مدينتنا، أمضى وقتًا طويلًا في دراسته، وذلك لمعرفة حقيقة الاشياء، وليس من أجل التربح بالعلم مثل الكثيرين. وعاش فيها كسيد محترم، لرفعة مكانته وغزارة علمه. ولكن، مثلما يحدث في أحيان كثيرة، فإن من يتعمقون أكثر في فهم الأشياء، يكون وقوعهم في شباك الحب أسهل. وهذا تمامًا ما حدث مع هذا الشاب.

فبينما كان في إحدى الحفلات التي ذهب إليها للترويح عن نفسه، وقعت عيناه على السيدة "إيلينا"، وهى ترتدي رداءً أسود، مثلما تفعل الأرامل عندنا، لكنها كانت شديدة الجمال بصورة بدت له أنها أجمل امرأة رآها في حياته، فأُغرم بها. فراح ينظر إليها بحذر مرةً بعد أخرى، وأيقن أن السعيد هو مَن سينال هذه المرأة بين ذراعيه. وأدرك كذلك أن الجواهر النفيسة لا يمكن أن ينالها المرء دون بذل الجهد؛ فقرر أن يكرس كل جهوده واهتمامه لإسعادها، ومن خلال إسعادها سيتوصل إلى الفوز بحبها، ويتمكن بالتالي من امتلاكها. ولم تكن عينا السيدة شاردتين، بل كانتا

https://telegram.me/maktabatbaghdad

تتحركان بنظرات فطنة بارعة، وتدققان النظر لمعرفة مَن الذي ينظر إليها بإعجاب. فأدركت نظرات "رينيري" المفعمة بالإعجاب، وضحكت في أعماقها وهي تقول لنفسها: "لم يكن وجودي هنا اليوم عبثًا. وإذا لم أكن مخطئة، فإنني أمسكت على ما يبدو بهذا الطائر من منقاره". وراحت تبادله النظرات، متظاهرة بأنها تستلطفه وتبدي اهتمامًا به. ولأنه اعتقد أنها معجبة به هي الأخرى، تخلى الشاب المتعلم الحكيم عن أفكاره الفلسفية، وتحول كل اهتمامه وحماسه إلى المرأة. وراح- بعد ذلك- يسأل عن بيتها. وعندما عرفه، أخذ يكثر من المرور من أمامه ليتسنى له رؤيتها. وكانت السيدة تتظاهر بأنها تبتهج لرؤيته، فشجع سلوكها ذلك الشاب المتعلم، ووجد طريقة للاقتراب من خادمتها، والبوح بحبه لسيدتها. وطلب منها متوسلًا أن تنقل ما قاله لها إلى سيدتها، كي تعطف عليه بحبها، ولم يترك الخادمة حتى أخذ وعدًا منها بذلك.

وعندما أخبرت الخادمة سيدتها "إلينا" بما كان من الشاب المتعلم، قالت لها السيدة وهي تضحك ساخرة: يبدو أنه أتى من باريس لإضاعة ما اكتسبه هناك من عقل، أليس كذلك؟ دعينا نقول له الآن ما يتمناه ويرغب في سماعه. قولي له إنني أحبه أكثر مما يحبني؛ إلا أنه لحرصي على شرفي وسمعتي بين النساء أطلب منه، إذا كان حصيفًا حقًّا، أن يحبني أكثر، وأن يفعل ذلك في سرية تامة.

فأخبرته الخادمة عندما التقت به بما أمرتها به سيدتها، المتغافلة عن مدى خطورة الاستهانة بالمتعلمين والسخرية منهم. فابتهج المسكين لذلك، وبادر إلى التوسلات الحارة، وكتابة الرسائل، وإرسال الهدايا. وكانت السيدة

تتقبل كل ذلك، ولكنه لا يتلقى بالمقابل إلا ردودًا غامضة ومبهمة. وأبقته زمنًا طويلًا على تلك الحال من التأجيل والانتظار. وأخيرًا، كشفت الأمر لعشيقها، فغضب منها وشعر بالغيرة؛ ولكي تبين له خطأ شعوره هذا، أرسلت خادمتها إلى ذلك الشاب المتعلم، الذي كان يكثر من الإلحاح عليها، لتؤكد له أن سيدتها لا تزال على حبها له، وأنها لم تجد بعد الفرصة السانحة لإسعاده، ولكن أعياد الميلاد تقترب؛ وهي تأمل أن تتمكن خلالها من مقابلته في فناء بيتها، إذا رغب في ذلك، في ثاني أيام العيد. وستخرج إليه بأسرع ما تستطيع.

كاد الشاب المتعلم أن يطير من الفرحة، وأسرع إلى بيت السيدة في الموعد المحدد، فاقتادته الخادمة إلى فناء، وطلبت منه أن يمكث به حتى تأتي السيدة. وكانت السيدة قد أتت بعشيقها- في تلك الليلة- ليتناولا معًا العشاء، وليسخرا من هذا المسكين، فأخبرته بما تنوى فعله، ثم أضافت:

- ستعرف، يا حبيبي، حقيقة الحب الذي أكنه لذلك الذي جعل الشكوك تعرف طريقها إلى قلبك.

سمع العشيق كلامها بارتياح شديد، ورغب في أن يرى بعينيه ما سمعه من السيدة. كان الثلج قد تساقط بغزارة في الليلة الفائتة، وكان كل شيء مغطًّى بذلك الثلج الأبيض؛ فلم يكد يمضي بعض الوقت على الشاب المتعلم في الفناء، إلا وبدأ يشعر بالبرد. لكنه تحمل البرد صابرًا بانتظار الدفء القادم.

وبعد قليل، قالت السيدة لعشيقها: فلنذهب إلى غرفتي، ومن نافذتها سنعرف ما الذي سيفعله هذا الذي راودتك الشكوك بسببه، وسنسمع رده

https://telegram.me/maktabatbaghdad

على الخادمة التي أرسلتها للتحدث إليه. وذهبا معًا إلى غرفة نومها، ووقفا عند نافذة صغيرة يريانه من خلالها، دون أن يراهما المسكين، وسمعا الخادمة تقول للشاب:

– تعتذر لك سيدتي عن طول انتظارك لها، إلا أنها مستاءة اليوم أشد الاستياء؛ فقد جاء أحد إخوتها لزيارتها، وتحدث معها طويلًا. ولم يكتف بذلك، بل رغب في البقاء لتناول العشاء معها، ولم يغادر البيت بعد. إلا أنه أوشك أن يغادر. ولهذا، لم تستطع السيدة أن تأتي إليك حتى الآن. إلا أنها ستأتي قريبًا؛ وهي تطلب منك ألا تغضب لطول الانتظار.

فرد عليها الشاب المتعلم المسكين معتقدًا أنها صادقة: أخبري السيدة ألا تقلق بشأني، فسوف أنتظرها إلى أن يتسنى لها المجيء. ولكن، أرجو أن تخبريها أن تفعل ذلك بأسرع ما تستطيع.

إلا أن الخادمة عندما عادت إلى البيت، ذهبت مباشرةً للنوم.

ثم قالت السيدة لعشيقها: حسنًا، ما رأيك الآن؟ ألا ترى أنني لو كنت أحبه كما تعتقد، فهل كنت سأتحمل تركه هناك يتجمد من البرد، طوال الليل؟

ثم ذهبا معًا إلى الفراش، وأخذا يستمتعان بالمداعبات والسخرية والضحك من الشاب المتعلم المخدوع. أما الشاب، فكان يلف ويدور في الفناء، ويتحرك ليدفئ جسمه، دون أن يجد مكانًا يجلس فيه أو يحميه من برودة الليل، ويلعن شقيق السيدة الذي تأخر كل هذا الوقت. وكان كلما سمع صوتًا، ظن أنه باب المنزل تفتحه السيدة؛ لكن آماله كانت تذهب سدًى. أما السيدة المستغرقة في الاستمتاع مع عشيقها، فقالت له بعد منتصف الليل:

– ما رأيك الآن، يا حبيبي، بشأن هذا الشاب المتعلم؟ وأيهما ترى أعظم: علومه أم حبي له؟ وهل سيُخرج هذا البرد الذي يقاسيه من قلبك مشاعر الغيرة ؟

فأجابها العشيق: أجل، يا حياتي، فأنا أعرف جيدًا أنك راحتي ومتعتي وأملي، مثلما تعرفين أنت أنني لك كذلك.

فقالت السيدة: قبلني ألف قبلة إذن، كي أتأكد من صدق ما تقول.

فاحتضنها العشيق بحرارة، وقبَّلها مائة ألف قبلة، وليس ألفًا. وبعد أن ظلا على تلك الحال فترةً من الوقت، قالت السيدة: هيا نذهب لنرى إن كانت قد انطفأت نار هذا العاشق التي كتب لى عنها في رسائله.

فقاما واتجها إلى النافذة؛ ونظرا منها إلى الفناء. ورأيا الشاب المتعلم يقفز عاليًا من شدة البرد وكأنه يرقص، وأسنانه تصطك ببعضها. وكان يقفز بسرعة لم يريا مثلها قط. فقالت السيدة:

– ما رأيك، يا حبيبي؟ ألا ترى أنه يمكن جعل الرجال يرقصون بلا بوق أو مزمار؟ .

فأجابها العشيق: بلى، يا حياتي.

قالت السيدة: أريد أن نذهب سويًا إلى الباب، فتظل أنت متواريًا وملتزمًا الهدوء، بينما أحدثه أنا؛ وسنسمع ما سيقوله، وقد لا تكون متعتنا بسماعه أقل من متعتنا برؤيته.

خرجا من حجرة النوم بصمت، ونزلا إلى الباب. وهناك، ودون أن تفتح الباب، نادته السيدة من فتحة ضيقة فيه بصوت منخفض. وما إن سمعها الشاب تناديه حتى حمد الرب، معتقدًا أنه سيدخل الآن إلى البيت؛ فاقترب

https://telegram.me/maktabatbaghdad

من الباب وقال:

– أنا هنا، يا سيدتي؛ فافتحي لأجل الرب، فأنا أوشك أن أموت من البرد.

فقالت السيدة: أعرف أنك تشعر بالبرد، وأعرف أن البرد شديد بسبب سقوط الثلج. ولكنني أعرف جيدًا أن الثلج في باريس أشد قسوة. ولن أستطيع أن أفتح لك الباب الآن، لأن أخي الذي جاء للعشاء معي مساء أمس، لا يزال موجودًا. لكنه سيرحل بعد قليل، وعندئذٍ سآتي بسرعة، وأفتح لك. لقد تمكنت من التهرب منه بصعوبة حتى آتي وأصبرك، ولكي لا تغضب من طول الانتظار.

فقال الشاب: آهٍ يا سيدتي، أستحلفك بالرب أن تفتحي لي، لكي أنتظر في الداخل؛ فقد بدأ الثلج يتساقط بشدة كبيرة قبل قليل، وما يزال؛ ويمكنني أن أنتظر في الداخلِ، كما تشائين.

فقالت السيدة: آه، يا حبيبي، لن أستطيع فتح هذا الباب، لأن فتحه يُحدث ضوضاء كبيرة، وسيسمع أخي الصوت إذا ما فتحته! لكنني ذاهبة لأطلب منه أن يغادر كي أتمكن من فتح الباب لك.

فقال الشاب المتعلم: لا تغيبي طويلًا، واصنعي لي معروفًا وأشعلي النار جيدًا، فقد تمكن مني البرد حتى جعلني أفقد الإحساس.

قالت السيدة: كيف أشُعل لك نارًا، وكنت قد أخبرتني في رسائلك أنك متأجج بنار الحب. ولكنني واثقة من أنك تمزح معي، لأنني أعلم أنك صادق. سأعود إليك بعد قليل، فانتظرني، وكن أكثر صبرًا.

كان العشيق يسمع ذلك بمنتهى السرور. ثم رجع معها إلى الفراش، ولم يناما في تلك الليلة إلا قليلًا، لأنهما أمضياها في متعهما، وفي السخرية من

الشاب المتعلم. أما الشاب التعس، الذي تحول إلى طائر لقلق من كثرة اصطكاك أسنانه، فقد أدرك أخيرًا أنه وقع ضحية مكيدة؛ فحاول بكل الطرق أن يفتح الباب، وبدأ يتفحص الفناء بحثًا عن مكان يستطيع الخروج منه. لكنه لم يجد إلى ذلك سبيلًا، فظل مثل أسد في قفص، يلعن برودة الجو، وخبث المرأة، وطول الليل الذي لا ينتهي، وغباءه الذي أوقعه في هذه المحنة. واشتد غضبه على المرأة، إلى أن تحول حبه الكبير لها، فجأةً، إلى كراهية وبُغض مرير. وراح يفكر في أمور كثيرة للانتقام، ويرغب أكثر من أي وقت آخر في لقاء المرأة والثأر منها.

وبعد ليل طويل من الانتظار، بدأ الفجر بالبزوغ، فنزلت الخادمة بطلب من سيدتها، وقالت له، وهي تفتح باب الفناء متظاهرةً بالرأفة لحاله:

– لعنة الرب على ذلك الزائر! فقد أبقاك ساهرًا طوال الليل، حتى كدت تتجمد من البرد. ولكن عليك بالهدوء، فما لم تستطع عمله هذه الليلة، ستتوصل إليه في ليلة أخرى. فأنا أعرف مدى غضب سيدتي مما حدث.

ولأن الشاب المتعلم الغاضب كان عاقلًا، يعرف أن التهديد والوعيد لن يفيد سوى في تنبيه مَن يوجه التهديد إليه ليحتاط، فقد كظم غيظه في صدره؛ وقال بصوت هادئ، دون أن يُبدي أي قدر من الامتعاض: الحقيقة إنني أمضيت شر ليلة في حياتي، لكنني أعلم أنه لا ذنب للسيدة في ما حدث. لأنها هي نفسها غضبت من أجلي، وجاءت إلى هنا في الليل لتعتذر لي وتواسيني. ومثلما قلتِ أنت: ما لم يكن تحقيقه ممكنًا هذه الليلة، فسيكون ممكنًا في ليلة أخرى؛ فأوصلي تحياتي إلى السيدة، وأستودعك الرب.

وبأقصى ما يستطيع من نشاط، خرج راجعًا إلى بيته. ولأنه كان متعبًا،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

يكاد يموت من شدة النعاس، فقد ألقى بنفسه على السرير ونام على الفور. وعندما استيقظ، كان يشعر بما يشبه الشلل في ذراعيه وساقيه؛ فأرسل في طلب الطبيب، وأخبره بما عاناه من البرد. بذل الطبيب جهودًا كبيرة لإنقاذه، وتمكن بعد فترة من علاج عروقه وأعصابه؛ وما كان يستطيع ذلك ما لم يكن الشاب قويًا، ولولا حلول فصل الصيف. لكنه بعد شفائه وعودة العافية إليه، ظل يحتفظ في قلبه بحقد على تلك الأرملة يفوق كثيرًا حبه السابق لها.

وحدث- بعد ذلك- أن سنحت الفرصة للشاب المتعلم كي يشفي غليله. فعشيق الأرملة الشاب (ودون أي اعتبار لحبها له) هجرها، بعد أن وقع في عشق امرأة أخرى. ولم يعد راغبًا في قول أو عمل أي شيء لإرضائها؛ فشعرت السيدة بالمرارة والغم والبكاء. ولم تجد خادمتها- التي أحست بالشفقة عليها- أية طريقة لتخليص سيدتها من معاناتها. وحين رأت الشاب المتعلم يواظب على عادته في المرور من الحي، خطرت لذهنها الغبي فكرة أنه يمكن إجبار العشيق على العودة إلى حب سيدتها، بأحد فنون السحر الأسود؛ ولا بد أن يكون ذلك الشاب المتعلم خبيرًا في مثل هذه الفنون؛ وأخبرت سيدتها بذلك.

ودون أن تفكر السيدة اليائسة في أن الشاب المتعلم، لو كان يتقن فنون السحر الأسود واستحضار الأرواح، لما تورع عن استخدامها لمنفعته الشخصية؛ بل رضخت إلى أقوال خادمتها، وطلبت منها أن تسأله إذا كان يوافق على مساعدتها، وأنها ستفعل كل ما يطلبه منها، إذا وافق على ذلك. قامت الخادمة بذلك بكل حذر، وحين سمعها الشاب المتعلم، قال في نفسه

بسعادة: "فليتبارك الرب، لقد حانت اللحظة التي سأتمكن فيها من معاقبة هذه المرأة الخبيثة على ما فعلته بي، جراء حبي الذي كنت أكنه لها". ثم قال للخادمة:

– أخبري سيدتي الحبيبة ألا تشغل بالها بهذا الشأن. فحتى لو كان عشيقها في الهند، فسأجعله يأتي إليها ذليلًا في أسرع وقت، ويطلب العفو منها على ما فعله بحقها. غير أنني بحاجة إلى مساعدتها والاعتماد عليها في تحقيق ذلك. فأخبريها بهذا، وانقلي لها تحياتي.

أبلغت الخادمة سيدتها بما قاله لها، ودبرت لهما لقاء في كنيسة "سانتا لوسيا دل برادو". وعندما رأت السيدة الشاب، وتحدثا معًا على انفراد، نسيت أنها كادت أن تجعله يموت من شدة البرد. وأخبرته بقصتها بكل صراحة، وبما تريده منه، وتوسلت إليه أن يساعدها، فقال لها بعد أن سمع كل شئ:

– الحقيقة، يا سيدتي، إنني تعلمت استحضار الأرواح والسحر الأسود ضمن ما تعلمته في باريس من علوم، وأنا أتقن ذلك جيدًا. لكنها أمور تغضب الرب، وقد أقسمت ألا أمارسها أبدًا، سواء لمصلحتي أو لمصلحة الآخرين. ولكن حبي الكبير لك لا يسمح لي برفض ما تطلبينه مني؛ فأنا مستعد، في سبيل حبك، للذهاب إلى الجحيم، إذا كان ذلك يرضيك. غير أنني أود تذكيرك بأن عمل ذلك أصعب بكثير مما تتصورين، وخاصةً عندما يكون الأمر مرتبطًا بمحاولة امرأة استعادة حب رجل، أو سعي رجل إلى استعادة حب امرأة. لأن مثل هذا الأمر لا يستطيع إنجازه إلا الشخص بنفسه. ولابد لمن يُقدم عليه من التمتع بالشجاعة، لأنه سيفعل ذلك أثناء الليل، وفي أماكن بعيدة، ودون أن يرافقه أحد. وهي أمور لا أعلم إذا كنتِ

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قادرة على عملها أم لا.

فأجابته السيدة التي طغى غرامها على خوفها:

– الحب يعذبني لدرجة لن يصعب عليَّ معها القيام بأي شيء في سبيل استعادة ذاك العشيق الذي هجرني. فأرجوك أن تشرح لي ما عليَّ فعله.

فقال الشاب المتعلم، الذي وضع يده على الجرح:

– سيتطلب الأمر بدايةً، يا سيدتي، أن أصنع لك تمثالًا من القصدير، على هيئة من تريدين استعادته. وعندما أرسله إليك، فعليكِ أن تنتظري إلى وقت الغروب، فتغتسلين مع التمثال سبع مرات في نهر مياهه جارية وصافية، على أن يكون ذلك في أول الليل، وأن تكوني عاريةً تمامًا وبمفردك. ثم تذهبين بعد ذلك، وأنت لا تزالين عارية، وتصعدين إلى أعلى شجرة أو أي بناء مهجور؛ وتتوجهين ناحية ريح الشمال، وأنت ممسكة بالتمثال في يدك، وترددين سبع مرات بعض العبارات التي سأكتبها لك. وعندما تنتهين من ترديدها، ستظهر لك فتاتان لم تشهدي مثل جمالهما قط، ستلقيان عليك التحية بعذوبة، وستسألانك عما تريدين أن تفعلاه من أجلك؛ فتخبريهما برغبتك كاملة. وإياكِ أن تخطئي في ذكر الأسماء، أو أن تخلطي بين شيء وآخر. وعندما تنتهين من قول ذلك، ستنصرفان. وعندئذٍ يمكنك النزول إلى حيث تركت ملابسك، فترتدينها وتعودين إلى بيتك. وكوني واثقة من أنه بمجرد أن ينتصف ليل اليوم التالي، فسيكون عشيقك قد أتاك باكيًا ليطلب منك الصفح والمغفرة. واعلمي أنه لن يتجرأ بعد ذلك على هجرك، والذهاب إلى أية امرأة أخرى ثانية.

وبعد أن سمعت السيدة هذه الكلمات، صدقت ذلك تمامًا، وبدا لها أن

عشيقها صار بين ذراعيها، فقالت بسعادة: لا تقلق، سأفعل كل هذه الأشياء على خير ما يرام، ولديَّ مكان سيكون مناسبًا جدًّا لذلك. فأنا أملك أرضًا في مدينة "فالدارنو"، وهي قريبة جدًا من النهر، ونحن الآن في شهر يوليو. وليس هناك ما هو ألطف من الاستحمام في النهر. وأنا أتذكر كذلك أنه على مسافة غير بعيدة من النهر، يوجد برج مهجور، لا يدخله أحد سوى بعض الرعاة أحيانًا، يرتقون سلمًا خشبيًا موجودًا هناك، ويصعدون إلى أعلى البرج بين حين وآخر، وينظرون من هناك ليبحثوا عن مواشيهم الضالة. إنه مكان منعزل، ويمكنني الصعود إليه بسهولة. وأظن أنني سأفعل هناك ما أمرتني به على خير وجه.

سُر الشاب المتعلم الذي كان يعرف جيدًا المكان والبرج اللذين أشارت إليهما المرأة، لكنه تظاهر بأنه لا يعرف شيئًا، وقال: أنا لم أذهب إلى ذلك المكان قط، يا سيدتي، ولست أعرف تلك الأرض ولا ذلك البرج. وما دام الأمر كما تقولين، فليس هناك مكان أفضل منه في العالم. وسوف أرسل لك التمثال والتعاويذ، عندما يكون الوقت مناسبًا؛ لكنني أرجوك أشد الرجاء، بعد أن تنالي رغبتك، وترين أنني قد خدمتك ، ألا تنسى الوعد الذي قطعته لي وهو أن تفعلي كل ما أطلبه منك.

فردت عليه السيدة بأنها ستفعل ذلك بكل تأكيد؛ ثم استأذنت منه ورجعت إلى بيتها.

كان الشاب المتعلم سعيدًا بعد أن بدا له أن خطته ستتحقق، فبادر إلى صنع تمثال، وكتب تعويذة من اختراعه. وعندما رأى أن الوقت صار مناسبًا، أرسل كل ذلك إلى السيدة، وأخبرها بأن عليها أن تفعل ما طلبه منها في

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الليلة التالية، دون أي تأجيل؛ ثم ذهب سرًّا، ومعه خادم، إلى بيت صديق له يعيش قريبًا من ذلك البرج، كي يتمكن من إنجاز خطتـه. وذهبـت الـسيدة بدورها، برفقة خادمتها، إلى بيتها الريفي في ذلك المكان. وعندما حل الليـل، تظاهرت بأنها تريد النوم. فطلبت من الخادمة أن تنام، ثـم خرجـت بكـل صمت من البيت، واتجهت إلى البرج القريب من ضفة نهر "أرنـو"؛ فنظـرت حولها جيدًا، وحين لم تر ولم تسمع شيئًا، نزعت ثيابها وخبأتها تحت شـجرة هناك. واغتسلت في الماء سبع مرات ومعها التمثال، ثم مـضت وهي عاريـة، والتمثال في يدها، إلى البرج. وكان الشاب المتعلم قد ذهب مع خادمـه عنـد حلول الظلام، واختبأ هناك بين أشجار صفـصاف على مقربـة مـن الـبرج، وحين رأى بياض جسمها يتغلب على ظلمة الليـل، ورأى صـدرها وأعـضاء جسدها الأخرى، وراقه جمالها، فكر فيما سيحدث معها بعد قليـل. وأحـس بشيء من الشفقة عليها. وثار في جسده شـعور الـشهوة مـن جانـب آخـر، فحرك ذلك ما كان خامدًا لديه، ودفعه إلى الخروج من مخبئه والذهـاب إليهـا لإشباع متعته. وكانت تلك المشاعر على وشك التغلب عليه، لكنه تذكر أنـه شاب متعلم، وتذكر كذلك ما لحق به من أذى على يدها، فعاد الحقد يتـأجج في صدره من جديد. وأبعد عنه الشفقة وشهوة الجسد، وظل مقاومًـا رغبتـه ومتمسكًا بهدفه.

وهكذا صعدت السيدة أعلى البرج، وتوجهت نحو ريح الـشمال، وبـدأت تردد الكلمات التي كتبها لها الشاب المتعلم، الذي ما لبث أن دخل بعد قليل إلى البرج؛ فأبعد جانبًا، بكل صمت، الـسلم الخـشبي الذي صـعدت عليـه السيدة إلى البرج. وراح ينتظر ليرى ويسمع ما الذي ستقوله وتفعله.

كررت السيدة تعويذتها سبع مرات، وبدأت تنتظر مجيء الفتاتين. وكان الانتظار طويلًا، وكانت البرودة أشد مما تخيلت. وعندما بدأ الفجر بالبزوغ، حزنت السيدة لأن ما قاله لها الشاب المتعلم لم يتحقق، وقالت في نفسها: "أخشى أن يكون قد أرادني أن أقضي ليلة في البرد كتلك التي جعلتُه يقضيها. فإذا كان هذا هو ما أراده، فإنه لم ينتقم لنفسه، لأن ما أصابني لم يبلغ ثُلث ما أصابه في تلك الليلة؛ فضلًا عن أن البرد كان مختلفًا ليلتها، حيث كانت الثلوج تهطل بغزارة".

وكي لا يدركها الصباح وهي هناك، تحركت نحو السلم، تريد النزول من البرج، لكنها لم تجد السلَّم في مكانه. عندئذٍ، أحست كما لو أن الأرض قد اختفت من تحت قدميها، واختفت شجاعتها، وأغمي عليها. وعندما استعادت وعيها، بدأت تبكي وتشكو بمذلة. وأدركت أن كل ذلك لا بد أن يكون من عمل الشاب المتعلم، فأحست بالندم على ما فعلته به. ولأنها وثقت كثيرًا بمن عليها أن تعتبره عدوًّا.

مضى عليها وقت طويل وهي على تلك الحال. ثم راحت تبحث عن طريقة للنزول، فلم تجد. وعادت للبكاء. وخطرت لها أفكار حزينة، فبدأت تقول لنفسها: " أيتها التعيسة! ما الذي سيقوله إخوتك، وأقرباؤك وجيرانك، وكل أهالي "فلورنسا"، عندما يعلمون أنه عُثر عليك عارية؟.. سيصبح شرفك الذي تفخرين به موضع شك وإشاعات. وإذا ما أردتِ إيجاد حجج كاذبة (وأنت أمهر مَن يقوم بذلك)، فسوف يأتي ذلك الشاب اللعين الذي يعرف كل شيء، ويكشف أكاذيبك، آه، يا لكِ من شقية بائسة! فقد أضعتِ في ساعة نحس واحدة حبيبك وشرفك معًا". فأحست عندئذٍ بحزن شديد، وكانت على

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وشك أن تلقي بنفسها من فوق البرج.

أثناء ذلك، كانت الشمس قد أشرقت. فاقتربت السيدة من أحد جوانب البرج، ونظرت لعلها ترى صبيًّا مع ماشيته يقترب من هناك، فتطلب منه الذهاب لاستدعاء خادمتها. وحدث أن الشاب كان قد نام قليلًا إلى جانب شجرة هناك، وعندما استيقظ رآها، ورأته هي أيضًا. فقال لها: صباح الخير، يا سيدتى، هل أتتك الفتاتان؟

وبمجرد أن رأته السيدة، وسمعت صوته، عادت إلى البكاء أكثر من ذي قبل، وتوسلت إليه أن يقترب من البرج، لأنها تريد التحدث إليه. وكان الشاب المتعلم مهذبًا جدًّا فوافق على ذلك. فانبطحت السيدة على بطنها في أعلى البرج، وأطلت برأسها فقط، وقالت له وهي تبكي:

– إذا كنتُ قد جعلتك تقضي ليلة قاسية يا "رينيرى"، فكن واثقًا من أنك قد انتقمت لنفسك مني على أحسن وجه. فمع أننا في شهر يوليو، إلا أنني أحسست وأنا عارية، هذه الليلة، بأنني سأتجمد؛ هذا بخلاف ما بكيته ندمًا لخداعي لك، وسذاجتي بتصديقك. ولهذا أتوسل إليك، ليس حبًّا لي أنا التي لا يجب عليك أن تحبني، وإنما لكرامتك أنت كرجل نبيل، أن يقتصر انتقامك على ما فعلته بي. فاعطني ثيابي، واجعلني أنزل من هذا البرج، ولا تجردني مما لن تستطيع بعد ذلك إرجاعه مرةً أخرى، ألا وهو الشرف. وإذا كنتُ قد حرمتك من قضاء تلك الليلة معي، فإننى سأعوضك عن ذلك بالعديد من الليالي الأخرى. فيكفيك ما فعلته، وأنت رجل نبيل؛ فلا تستخدم قواك ضد امرأة ضعيفة؛ فليس هناك أي مجد في انتصار نسر على حمامة. أستحلفك بحبك للرب وبشرفك أن ترحمني.كان الشاب المتعلم لا

يزال يجول بفكره الإساءة التي لحقت به. وحين رأى السيدة تبكي وتتضرع، خامره في الوقت نفسه شعور مختلط من السرور والأسى. السرور لأنه انتقم مثلما كان يتمنى، والأسى الذي تحركه فيه إنسانيته، وهو يرى حزنها وضعفها. لكن مشاعره الإنسانية لم تستطع التغلب على رغبته في الانتقام، فرد عليها قائلًا:

– سيدتي "إيلينا"، لو أن تضرعاتي، التي لم أعرف في الحقيقة أن أمزجها بالدموع وأصيغها بكلمات عذبة مثلما تفعلين، قد أفادتني في تلك الليلة، وأنا في فناء بيتك الذي تكسوه الثلوج، ووفرت لي بعض الحماية والدفء، لكان من السهل عليَّ الآن الاستجابة لتضرعاتك. وإذا كان شرفك يهمك الآن بأكثر مما كان يهمك في السابق، وإذا كنت ترين قسوة في إبقائك عارية؛ فتوسلي إلى ذلك العشيق الذي لم تنزعجي من نومك عارية في أحضانه في تلك الليلة التي تذكرينها جيدًا، وتذكري كيف كنت أقفز من شدة البرد وأسناني تصطك ببعضها، وأنا واقف فوق الثلج في الفناء. توسلي إليه واطلبي منه العون والمساعدة. اطلبي منه أن يأتيك بملابسك. اطلبي منه السلَّم الذي ستنزلين عليه. أوكلي صيانة شرفك إلى ذاك الذي لم تفكري قط في تعريضه للخطر، لا في هذه المرة، ولا حتى لو تكرر معك هذا الموقف ألف مرة. لماذا لا تستدعينه ليساعدك؟ ومَن هو أحق منه بذلك؟ فأنت محبوبته، فمَن سيساعد إذا لم يساعدك. هيا، استدعيه أيتها البلهاء، وجربي ما إذا كان بمقدور حبه لك من جانب، ومكرك أنت من جانب آخر، أن يحرراك من حماقتي، أو من الحب الذي كنت أكنه لك. فلا تتفضلي عليَّ الآن بما لم أعد أرغب فيه. فأنت لا تقدرين على منعي منه لو رغبت ذلك. بل احتفظي

https://telegram.me/maktabatbaghdad

بلياليك هذه لعشيقك، إذا ما خرجت على قيد الحياة من هنا. فهـذه الليـالي لك وله، أما أنا فحصلت على ما يكفيني في ليلـة واحـدة. ويكفيـني أنـني خُدعت مـرة، ولـن أُخـدع بكلامـك مـرةً أخـرى. إنـك تتحـدثين الآن مستعينةً بمكرك في محاولة لاستثارة طيبتي، فتقولين إنـني نبيـل وشريـف، لأمتنع عن معاقبة مكرك؛ لكن تملقك هـذا لـن يخدع الـشاب المثقـف المتعلم، مثلما فعلت وعودك الكاذبة من قبـل. إنـني أعـرف نفـسي جيـدًا، ولكنني لم أتعلم طوال سنوات دراستي في باريس مثل ما علمتِني أنت إياه في ليلة واحدة. دعينا نفترض أنني رجل شهم، ولكنـكِ لـست ممـن يـستحقون معاملتهم بشهامة؛ بل لابد أن تكون نهاية العقاب الذي تستحقه الوحوش البريّة مثلك هي الموت. أما بشأن ما قلتِـه، فأنـا لـست نـسرًا، وأنـت لـست حمامة؛ بل أنت حية رقطاء سألاحقها بكل حقد وكل قوة. ومع ذلـك، فـإن هذا الذي أفعله بك لا يمكن تسميته انتقامًا، وإنما هو أقرب إلى التأديـب، لأنه لابد للانتقام من أن يكون أكبر من الضرر الذي لحق بي؛ بينمـا هـذا الذي أفعله لا يكاد يساوي ما لحـق بي مـن إهانـة وضرر. ولـو أنـني أردت الانتقام لما سببته لروحي من ألم، لما اكتفيت بنزع روحك ولا أرواح مائـة من أمثالك، لأنني لن أقتل بذلك إلا امرأة خسيسة وسافلة وخبيثـة. ومـاذا سأجني لو نزعت هذا الوجه الذي ستملأه التجاعيد بعد سنوات قليلـة مـن جسد امرأة مومس؟ لقد كنتِ على وشك القضاء على حياة رجل نبيل، كمـا كنت تقولين لي منذ قليل، يمكن ليوم واحد من حياته أن يكـون أعظـم فائدة للعالم من مائة ألف حياة مثـل حياتـك! وسـتتعلمين مـن هـذا الذي تعانينه الآن، ما الذي يعنيه الاستهزاء بالرجال الذين يحملون بعض المشاعر،

وما الذي يعنيه الاستهزاء من رجال العلم. وسيكون في ذلك درسٌ لك مدى الحياة، حتى لا ترتكبي حماقة أخرى؛ هذا إذا ما خرجتِ على قيد الحياة من هذا المكان. ولكن، إذا كنتِ راغبة- إلى هذا الحد- في النزول من البرج، فلماذا لا تلقين بنفسك من أعلى؟ وفي لحظة واحدة، بمشيئة الرب، تدقين عنقك، وتخرجين من هذا الألم الذي تزعمين الشعور به، وتجعلينني أسعد إنسان في العالم. لقد قلتُ ما يكفي، والآن لا أريد أن أستمر معك في الحديث؛ فقد استطعتُ بحيلتي أن أجعلك تصعدين، فتوصلي أنتِ الآن إلى حيلة للنزول، مثلما احتلتِ عليَّ من قبل واستهزأتِ بي.

وبينما هو يتكلم على هذا النحو، كانت المرأة تواصل البكاء بلا انقطاع، والوقت يمضي، والشمس ترتفع في السماء. وعندما صمت قالت له:

– آه، أيها الرجل القاسي! إذا كانت تلك الليلة الملعونة قاسيةً جدًّا عليك، وإذا كنت ترى أن خطيئتي شنيعة، بحيث لا يحرك مشاعرك شبابي الجميل ولا دموع المرارة ولا توسلاتى المتذللة؛ فليحرك مشاعرك إذن، وليخفف من صرامتك القاسية، على الأقل، أنني وثقت بك مؤخرًا، وكشفت لك عن سري، فحققت بذلك رغبتك في جعلي أعترف بخطئ. ولولا هذه الثقة بك، لما استطعتَ أن تنتقم مني؛ وهو ما كنتَ تتوق إليه. آه، دع غضبك جانبًا واصفح عني؛ وأنا مستعدة إذا ما غفرت لي، وأنزلتنى من هنا، أن أنبذ إلى الأبد ذلك الشاب الخائن، وأجعل منك عشيقي وسيدي. ومهما ضجرت من جمالي، وبدا لك قصير الأمد وقليل القيمة، مثلما هو حال كل الفتيات، إلا أنه جدير بالتقدير، ولو لمجرد أن اللهو واللعب والمتعة هي من صفات الرجال في فترة الشباب، وأنت لست مُسنًّا. ومع ذلك، تعاملني بقسوة. إلا

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أنني لا أستطيع أن أصدق أنك ترغب في رؤيتي أموت مثل هذه الميتة الشنيعة، بإلقاء نفسي من فوق البرج، يائسة أمام عينيك اللتين كانتا مبهورتين بي وبجمالي، ما لم تكن كاذبًا. فارحمني، بحق الرب ؛ فقد بدأت حرارة الشمس تشتد. ومثلما آذتني برودة الليل، بدأ الحر الآن يسبب لي إيذاءً أشد.

كان الشاب المتعلم يريد أن يبادلها الحديث، فرد على كلامها قائلًا:

– سيدتي، أنت لم تثقي بي بدافع الحب، وإنما بغية أن تستردي من فقدتِه. ولهذا لا تستحقين إلا أشد العقاب. وأنت حمقاء، إذا كنت تعتقدين أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي أستطيع بها الانتقام منك. لقد كانت لديَّ ألف طريقة أخرى، وكان لابد لك من أن تقعي في واحدة منها، وتنهاري تحت قدمي، وكنت ستنالين حينها ما هو أشد من هذا العقاب الذي تمرين به الآن. وإذا كنتُ قد لجأت إلى هذه الطريقة في عقابك، فإنما لجأت لها للاستمتاع بإذلالك في أسرع وقت. ولو أن كل أساليبي في الانتقام لم تفلح، لأفلح قلمي الذي كنت سأكتب به أشياء كثيرة عنك، إذا ما علمتِ بها ذات يوم (وكنتِ ستعلمين بها لا محالة) لتمنيتِ ألف مرة لو أنك لم تجيئي إلى هذه الدنيا. فقوة القلم أقوى بكثير مما يظنه أولئك الذين لم يختبروها. وقسمًا بالرب (الذى سيعينني على إنجاز هذا الانتقام) إننى كنت سأكتب عنك أشياء تشعرين بالخجل منها أمام نفسك قبل الآخرين؛ ولكنتِ فقأت عينيك بيديك كي لا تري نفسك في المرآة. فلا تلومي البحر إذا أهاج أمواجه نهر صغير. أما عن حبك، وأنك ستصيرين لي، مثلما سمعتك تقولين، فهذا لم يعد يهمني بأية حال، لأني أعرف لمن تمنحين حبك، فابقي له إن استطعتِ.

وإذا كنتُ قد حقدتُ عليه في يوم من الأيام، لكنني أحبه الآن وأنا أرى ما فعله بكِ من هجر. إنكن تعشقن الشبان، وتطمحن إلى حبهم، لأنكن ترين أن أجسادهم أكثر حيوية ونشاطًا، ولحاهم أشد سوادًا، ويرقصون ويتبارزون بالسيوف؛ وهذه الأمور كلها موجودة لدى الكهول، ومعها فوق ذلك المعارف التي ما يزال على الشبان أن يتعلموها. أنا أعترف أن الشبان يمارسون الجنس بقوة أكبر؛ لكن المتقدمين في السن، كخبراء مجربين، يعرفون جيدًا من أين تُؤكل الكتف. والطعام القليل الشهي خير من الكثير الممجوج؛ فالعدو السريع مُتعبٌ للجميع، بمن في ذلك الشبان. أما التأني فيوصلنا مستريحين، وإن تأخرنا قليلًا. أما أنتن، أيتها البهائم عديمة الذكاء، فلا تدركن ذلك، ولا تعلمن أن الشر العظيم قد يكمن تحت المظاهر الخداعة. فالشبان لا يقنعون بامرأة واحدة، وإنما يشتهون كل من تقع عيونهم عليهن من النساء؛ وهذا ما يجعل حبهم غير مستقر، وها هي تجربتك أنت خير دليل على ذلك. ويرون أنهم جديرون بتوقير النساء وتدليلهن، ولا يجدون مجدًا أكبر من المفاخرة والتباهي بعد استمتاعهم بهن، وهي نقيصة في الشبان قادت نساء كثيرات إلى اللجوء إلى أحضان الرهبان، لأنهم يكتمون السر ولا يبوحون به. ورغم أنك تقولين إن أحدًا لم يعرف بأمر غرامياتك، سوى عشيقك وأنا، إلا أنك واهمة إذا كنت تصدقين ذلك. لأنه لا حديث في بلدتك إلا عنك وعن غرامياتك؛ ولكن صاحب الشأن، في كثير من الأحيان، هو آخر من يعلم. ثم إن الشبان يسرقون أموالكن، بينما المتقدمون في السن يقدمون لكنّ الهدايا. ولأنك أسأت الاختيار، فاذهبي إلى من تسعين إليه، ودعيني وشأني؛ فقد أحبتني امرأة أفضل منك

https://telegram.me/maktabatbaghdad

بكثير، وعرفتني خيرًا مما عرفتني أنتِ. أما إذا كنت تريدين أن تتأكدي إن كانت عيناي ترغبان في رؤيتك، وأنت تنتقلين إلى العالم الآخر، فما عليك إلا أن تلقى بنفسك من أعلى. ولسوف ترى روحك، وهي تهوي بين ذراعي الشيطان في الجحيم، ما إذا كانت عيناى ستنزعجان لموتك أم لا؛ لكنني لا أظن أنك تريدين إسعادي؛ لذلك، فإنني أقول لك إذا ما أحرقتك حرارة الشمس، فتذكرى البرد الذي جعلتني أعانيه، وحاولي أن تمزجيه بهذه الحرارة، ولسوف تشعرين، دون شك، باعتدال الجو.

حين أدركت المرأة التعيسة أن كلام الشاب المتعلم سيودي بها، لا محالة، إلى نهاية قاسية؛ عادت إلى البكاء وهي تقول:

– إذا كان كلامي لم يحرك مشاعر الرحمة في قلبك نحوي، فارحمني، كرامةً لحبك الجديد، ولتلك المرأة العاقلة أكثر مني، التي تقول إنك تحبها وإنها تحبك؛ فأسألك بحبك لها أن تصفح عني، وأعد لي ملابسي لأرتديها، وأجد من يساعدني على النزول من هنا.

فضحك الشاب المتعلم، وقال لها، بعد أن رأى ارتفاع حرارة الشمس:

– لا أستطيع أن أرفض طلبك الآن، بعد أن توسلتِ إليَّ بتلك المرأة. أخبريني أين هي ملابسك وسوف آتيك بها، لأجعلك تنزلين.

صدقت المرأة كلامه، وأحست بالارتياح نوعًا ما، فأخبرته بالمكان الذي تركت فيه ثيابها. عندئذٍ خرج الشاب المتعلم من البرج، وأمر خادمه بألا يغادر المكان، وألا يسمح لأحد بالدخول إلى البرج قبل أن يعود. ثم توجه إلى بيت صديقه، فتناول طعامه هناك بكل هدوء، ثم خلد بعدها إلى النوم. أما المرأة الكائنة بأعلى البرج، فقد أشعرها أملها الزائف بالارتياح قليلًا. وعلى

الرغم من آلامها ومعاناتها، فقد جلست مستندةً إلى جزء من الجدار، حيث يوجد قليل من الظل، وراحت تنتظر في صحبة أفكارها الأليمة. وبينما هي تفكر حينًا وتبكي حينًا، وتفقد الأمل في حين آخر من عودة الشاب المتعلم بملابسها؛ وبينما تتنقل في رأسها الأفكار من فكرة إلى فكرة، إذ سقطت نائمة بعد أن هدها التعب، وعدم النوم طوال الليلة السابقة. وكانت الشمس، في أثناء ذلك، قد ارتفعت إلى منتصف السماء، وازدادت حدتها، وراحت تحرق الجسد الناعم الرقيق، محدثة تشققات في كل أنحائه، بما في ذلك رأسها المكشوف. كانت الحروق مؤلمة إلى حد إيقاظها من نومها العميق. وحين رأت تلك الحروق، وأرادت الحركة، بدا لها أن جلدها كله يتمزق، مثلما نراه يحدث لجلود الماعز المشوية عند شدها. وكانت تشعر فوق ذلك بألم شديد في رأسها، وكأنها ستنفجر، وهو ما لم تعرفه من قبل قط. وكانت الأرض تحتها ساخنة جدًّا، لا تجد فيها مكانًا ظليلًا تضع قدمها فيه، أو تظل قابعة فيه؛ فكانت تنتقل دون توقف من مكان إلى آخر، وهى تبكي. وفضلًا عن كل ذلك، فلم تكن تهب نسمة هواء واحدة. وكان هناك كثير من الذباب والهوام يحط على جراحها المكشوفة، فكانت تشعر كأن كل وخزة من وخزاتها كطعنة برمح. فكانت تهز يديها دون توقف لإبعاد الهوام، وتلعن نفسها وحياتها وعشيقها والشاب المتعلم. وبينما هي على هذه الحال، تحت وطأة الشمس والذباب والهوام، وكذلك الجوع، وقبل ذلك كله العطش، يُضاف إليه آلاف الأفكار المزعجة التي خطرت لها؛ تحمست وتشجعت ونهضت واقفة، وراحت تنظر لعلها ترى أو تسمع أحدًا على مقربة منها. وقد صممت على أن تنادي مَن تراه، مهما كانت العواقب، وتطلب منه المساعدة. ولكن حظها العاثر

https://telegram.me/maktabatbaghdad

حرمها حتى من هذا الاحتمال. فالفلاحون غادروا الحقول، بسبب اشتداد الحر، ولا يوجد أحد منهم؛ وقد وضعوا محاصيلهم بجوار منازلهم. لذلك، فلم يكن يُسمع إلا طنين الصراصير، ولا يُرى إلا نهر "أرنو"، مما يزيد من ظمأ المرأة وتلهفها إلى الماء. وكانت ترى في أماكن بعيدة بعض الغابات والظلال والبيوت، فتتلهف إليها وتزيد من حزنها. ما الذي يمكننا قوله أكثر من كل هذا عن الأرملة المنكوبة؟ فالشمس من فوقها، وسخونة الأرض الملتهبة من تحتها، والجراح والذباب والهوام في كل أنحاء جسدها، الذي كان ينير ظلمة الليل ببياضه في الليلة السابقة، وصار الآن شديد الإحمرار، تغطية بقع الدم، ويبدو- لمن يراه- أنه أقبح شيء في الدنيا. وظلت على تلك الحال، لا تفكر في شيء، ولا تأمل في خلاص، وإنما تنتظر الموت وليس شيئًا آخر، عندما حل وقت الأصيل؛ فاستيقظ الشاب المتعلم من نومه، وتذكر السيدة. فرجع إلى البرج ليرى ما الذي حلَّ بها وبخادمه، الذي كان لا يزال هناك دون طعام. فصرف الخادم كي يتناول طعامه. وعندما أحست هي بوجوده، تقدمت وهي مغمومة ومنهوكة من حافة البرج، فجلست عليها وبدأت تقول له وهي تبكي:

– لقد بالغت في انتقامك، يا "رينيرى". فإذا كنتُ قد جعلتك تتجمد من البرد ليلًا في فناء بيتي، فإنك أحرقتني نهارًا فوق هذا البرج، ولا تزال؛ فضلًا عن أني سأموت من الجوع والعطش. ولهذا أتوسل إليك باسم الرب أن تصعد إلى هنا وتقتلني، لأنني لا أريد أن أقتل نفسي بنفسي، رغم رغبتي في الموت أكثر من أي شيء آخر، ليخلصني من ذلك العذاب الذي أنا فيه. وإن لم تشأ أن تقدم لي هذا المعروف، فجئني على الأقل بكوب من الماء أبلل به

فمي، لأن دموعي جفت ولم تعد تكفي لترطيبه.

عندما رأى الشاب المتعلم جسدها، وقد أحرقته الشمس، وصوتها الذي خفت من التعب، أدرك مدى ضعفها. وبعد أن سمع توسلاتها الذليلة، شعر بشيء من الشفقة نحوها؛ إلا أن هذا الشعور بالشفقة سرعان ما زال، وقال لها: لن تموتي بيدي، أيتها الخبيثة؛ لكنك ستموتين بيديك، إن كنت راغبة في الموت، ولن تتلقي من الماء لتخفيف حرارتك إلا قدر ما تلقيتُ من النار لتخفيف برودتي في تلك الليلة. ومع ذلك، فأراك أسعد حظًّا مني؛ فلم أبرأ من الداء الذي سببه لي البرد إلا باستخدام روث البهائم النتن علاجًا، بينما ما أُصبت به أنت من حروق فيداوَى بماء الورود العطرة؛ وكدت أن أفقد عروقي وأعصابي وحياتي من البرد، بينما ستفقدين أنت جلدك من الحر، وستعودين بعد ذلك جميلة، كما كنت، مثلك مثل الأفعى التي تبدل جلدها.

فقالت المرأة: آه، يا لي من تعيسة! أرجو من الرب الذي منحني هذا الجمال أن يعطيه لكل مَن أساء لحبي. أما أنت، فإنك أشد قسوة من الوحوش الضارية! مِن أين لك هذه القسوة التي تجعلك تتلذذ بتمزيقي هكذا؟ وما الذي كان يمكن لي أن أعاقب به أكثر من ذلك، منك أو من سواك، إذا ما كنت قد أقدمتُ على قتل كل أفراد عائلتك؟ الحقيقة إنني لا أعرف أية قسوة يمكنك استخدامها ضد خائن أباد مدينة كاملة، أشد من قسوتك معي في إحراقي تحت الشمس، وترك الذباب يأكلني، ثم ترفض بعد هذا كله إعطائي كوب ماء؛ بينما القتلة الذين تحكم عليهم المحاكم بالموت، يُقدم إليهم النبيذ قبل موتهم إذا ما طلبوه. لكنني أرى أنك مصمم على قسوتك، ولن يصرفك عَنها أي شيء. ولم يبق لي إلا أن أتقبل الموت بصدر رحب. وأرجو

https://telegram.me/maktabatbaghdad

من الرب أن يرحمني. وأدعوه أن ينظر بعين العدل إلى أفعالك.

ثم أخذت تزحف بصعوبة فوق أرضية البرج، وهي فاقدة الأمل في إمكانية النجاة من هذا الحر الحارق. وقد أحست بالموت ألف مرة من شدة الألم والظمأ، فأخذت تبكي بحرقة، وتندب سوء طالعها، وما أصابها من نكبة. عند هذا الحد، رأى الشاب المتعلم أن هذا يكفي، وأنه قد رد لها المكيدة، وجعلها تعاني أضعاف ما عانى هو، فأخذ ثيابها وأعطاها لخادمه. ثم ذهب إلى بيتها، فوجد الخادمة تبكي يائسة، وقد أنهكها البحث طيلة اليوم عن سيدتها.

فقال لها: أين سيدتك، أيتها الخادمة الطيبة؟

فأجابته الخادمة: لا أعلم، يا سيدي. لم أجدها في حجرتها منذ الصباح، حيث بدا لي أنها قد دخلت إليها في الليلة الماضية؛ كما أنني لم أجدها في أي مكان آخر. وأنا قلقة عليها. ولكن، هل يمكنك أنت، يا سيدي، أن تخبرني شيئًا عنها؟

فأجابها الشاب المتعلم: كم كنتُ أتمنى لو أنك معها، لتنالي العقاب على ذنبك، مثلما حدث لها! ولكني واثق من أنك لن تفلتي مني، دون أن أجعلك تدفعين ثمن احتيالك عليّ؛ وعندئذٍ، حين تتذكرينني، فلن تعودي للاستهزاء والاحتيال على أي رجل طيب.

ثم قال لخادمه: أعطها ثياب المرأة، وقُل لها أن تذهب لإحضار سيدتها، إذا ما أرادت.

أعطى الخادم على الفور ثياب السيدة إلى الخادمة، وأخبرها بما أمره به سيده. وعندما رأت أن هذه حقًّا ثياب سيدتها، ساورها الشك من أن يكون

قد قتلها، فاندفعت مهرولة نحو ذلك البرج. وأخيرًا، جاء أحد فلاحي هذه السيدة يبحث عن خنزيرين له كان قد فقدهما؛ وفيما كان يبحث عنهما، اقترب من البرج فسمع عويل وبكاء امرأة؛ فصاح: مَن الذي يبكي هناك؟ فعرفت السيدة أن هذا هو فلاحها، فأخذت تناديه باسمه، وقالت له: أسرع بالذهاب إلى خادمتي، وساعدها في الصعود إلى هنا في الأعلى!

وعندما تعرفَ الفلاح على صوتها، قال لها: آه، يا سيدتي! ما الذي أتى بك إلى أعلى البرج؟ إن خادمتك أمضت النهار وهي تبحث عنك. إلا أنه لم يخطر على بال أحد أن تكوني في هذا المكان.

ثم تناول السلم وأسنده إلى الجدار في مكانه المعتاد، وأخذ يثبته بدعائم خشبية من جانبيه. وبينما هو منهمك في ذلك، إذ وصلت الخادمة. ولم تستطع تمالك أعصابها فور وصولها إلى البرج، فشرعت تلطم وجهها، وتصرخ قائلة:

– آه، يا سيدتي الحبيبة! أين أنت؟

وما إن سمعتها السيدة حتى قالت لها بأعلى صوت تستطيعه:

– إنني هنا في أعلى البرج. لا تبكي، بل أحضرى لي ثيابي بسرعة.

لم تشعر الخادمة بالطمأنينة إلا بعد أن سمعتها تتكلم، فأسرعت بالصعود عبر السلم الذي كان الفلاح قد قام بتثبيته، إلى أن وصلت إلى أعلى البرج. وهناك، رأت سيدتها في أسوأ أحوالها، حيث كانت متعبة تمامًا، وملقاة على الارض، وهي عارية، في حالة يرثى لها؛ وقد بدا جسدها أشبه بجذع شجرة عنب محروقة بالنار منه إلى جسد بشري؛ فأخذت تلطم وجهها إلى أن خدشته بأظافرها، وراحت تبكي فوقها، وكأنها قد فارقت الحياة. لكن

https://telegram.me/maktabatbaghdad

السيدة توسلت إليها أن تصمت، وتساعدها في ارتداء ملابسها. وعندما عرفت من الخادمة أنه ليس هناك من يعلم بمكان وجودها سوى من حمل إليها ملابسها، وذلك الفلاح، أحست السيدة ببعض العزاء، وتوسلت إلى الرب ألا يبوح أحدٌ منهم بما جرى.

وبعد حديث طويل، حمل الفلاح السيدة على كتفيه، لأنها كانت عاجزة عن المشي، وأخرجها من البرج. وبينما الخادمة تحاول النزول بعدهما، زلت قدمها، وسقطت من فوق السلَّم على الأرض، فكُسر حوضها، وراحت تئن من الألم كالأسد. عندئذٍ، ترك الفلاح السيدة، وذهب ليرى ما الذي أصاب الخادمة. وعندما وجد حوضها مكسورًا، حملها ووضعها إلى جوار سيدتها، التي رأت في ذلك أعظم نكباتها؛ لأنها كانت تأمل في أن تقوم خادمتها- التي تثق بها- بمعاونتها في محنتها. فازداد حزنها، وانفجرت من جديد في بكاء يائس، مما جعل الفلاح يعجز عن مواساتها، بل انخرط هو الآخر في البكاء.

وكانت الشمس قد بدأت بالمغيب. وكي لا يداهمهم الليل وهم في هذا المكان، أخذت السيدة تتوسل إلى الفلاح بأن يذهب مسرعًا إلى بيته، ويحضر أخوين له وزوجته. فعاد الفلاح مسرعًا ومعه أقاربه ولوح خشبي، فقاموا بوضع السيدة وخادمتها عليه، وحملوهما إلى بيت الفلاح. وهناك أنعشوا السيدة بقليل من الماء البارد، وببعض الكلمات المحفزة، ثم حملها الفلاح إلى مخدعها. وبعد أن أطعمتها زوجة الفلاح خبزًا مبللًا، ثم نزعت عنها ملابسها، وضعتها في السرير. وفعلوا بعد ذلك كل ما يلزم لنقل السيدة وخادمتها في نفس الليلة إلى "فلورنسا". وبما أن السيدة بارعة في اختلاق

القصص الوهمية، التي لا تمت للواقع بصلة، فقد نجحت في أن تقنع جميع من حولها من أقاربها بأن ما حدث لها ولخادمتها إنما كان بفعل قوى شيطانية. وتم استدعاء الأطباء لكي يقوموا بمعالجة السيدة من الحمَّى، ومن الحروق التي ملأت جسدها. وقد عانى الأطباء كثيرًا، وتألمت هي أشد الألم، حيث كان جلدها يلتصق أحيانًا بالفراش الذي تنام عليه. وقام الأطباء كذلك بمعالجة الكسر الذي أصاب حوض الخادمة. وفي نهاية الأمر، نسيت المرأة تمامًا عشيقها، وتخلت عنه، وكذلك تخلت عن الخداع والسخرية من الآخرين. وعندما وصل خبر كسر حوض الخادمة إلى الشاب المتعلم، أدرك أنه أنجز انتقامه على أكمل وجه، واكتفى بما حدث لهما.

كان هذا ما حدث لسيدة حمقاء تخيلت أنها بإمكانها السخرية من الآخرين، دون أن تتوقع منهم رد المكيدة بمكيدة أشد منها، خاصةً رجال العلم؛ فهم يحسنون التخطيط أفضل من غيرهم من الرجال. ولهذا، يا سيداتي، يجب عليكن أن تعرفن مدى خطورة السخرية من الآخرين، وخاصةً السخرية من المثقفين من رجال العلم.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

القصة الثَّامنة

صديقان لا يفترقان، إلا أن أحدهما يخون صديقه ويضاجع زوجته. فيعلم صديقه بالأمر، ويحبسه في صندوق، ثم يضاجع زوجته فوق الصندوق نفسه.

كان وقع المحنة التي عانت منها "إيلينا" أليمًا وقاسيًا على مسامع السيدات؛ وبالرغم من اعتبارهن أن ما حدث كانت تستحقه، إلا أنهن رأين أن الانتقام كان شديد القسوة، فشعرن ببعض الشفقة نحوها. وعندما انتهت "بامبينيا" من قصتها، أمرت الملكة "فياميتا" أن تواصل، فانصاعت لأمر الملكة، وبدأت هذا القول: أرى، يا صديقاتي العزيزات، أن ما سمعتموه من قسوة انتقام ذلك الشاب المتعلم قد أشعركن بالمرارة. لذلك، فسأحاول أن أخفف عليكن بقصة أكثر مرحًا؛ وهي قصة شاب أكثر لطفًا، حيث تلقى الإهانة فقابلها بالمثل؛ فلم يبالغ في الانتقام، بل كان رده يتسم بالاعتدال والرفق.

كان "سبنلوشيو تافينا" و"زيبا دي مينو" شابين يعيشان في مدينة "سيينا"، وكانا ميسوري الحال. كانا جارين في حي "كانوليا"، لا يفترقان طوال الوقت،

وكل منهما يحب الآخر كما لو كان أخاه. وكانت زوجتا كل منهما في غاية الجمال. وكان "سبنلوشيو" يكثر من التردد على بيت صديقه "زيبا"، سواء كان موجودًا في البيت، أم كان غير موجود، حتى أصبح هناك نوع من الألفة بينه وبين زوجة صديقه "زيبا"؛ ثم تطور الأمر وأصبح يضاجعها. وبينما هما على تلك الحال، يستمتعان سويًا دون أن يعرف أحدٌ عن أمرهما شيئًا؛ إلا أنه في أحد الأيام، رجع "زيبا" إلى بيته دون أن تراه زوجته. وفي تلك الاثناء، جاء "سبنلوشيو" للسؤال عن "زيبا". فقالت له الزوجة إن "زيبا" بالخارج، فابتسم "سبنلوشيو"، وأخذ يقبل زوجة صديقه ويداعبها. فتفاجأ "زيبا" لما رآه واستشاط غضبًا، وكاد أن يظهر لهما ويدق عنق الاثنين. إلا أنه تماسك ليرى ماذا سيفعلان. ثم رآهما يتوجهان متعانقين إلى غرفة النوم، ويغلقان الباب خلفهما، فاستشاط غضبًا.

لكنه فكر في أن ما لحق به من إهانة لن يعالجه إثارة الصخب والضجيج، وإنما سيؤدي إلى افتضاح أمر زوجته، وسيسبب له المزيد من العار. فطرأت له فكرة الانتقام، لكي يشفي غليله؛ ولكن دون أن ينتشر الخبر، ويعلم به أحد في الوقت نفسه. وبعد أن فكر مليًا، توصل إلى خطة يستطيع بها الثأر من صديقه المخادع؛ فلم يحدث أية جلبة، وظل ساكنًا حتى غادر "سبنلوشيو"، فدخل هو إلى غرفة النوم، حيث وجد زوجته لا تزال ترتدي غطاء رأسها الذي نزعه عنها "سبنلوشيو". فقال لها:

– ماذا تفعلين يا امرأة؟

فردت عليه زوجته:

– ألا ترى ماذا أفعل؟

https://telegram.me/maktabatbaghdad

فقال لها:

– نعم، أرى جيدًا، لكني رأيت كذلك أمرًا لم أكن أود رؤيته.

ثم بادرها بأنه كان بالمنزل، ورأى كل ما تم بينها وبين صديقه "سبنلوشيو"، فارتعبت المرأة لذلك؛ فحاولت أن تنكر الأمر في البداية، إلا أنها ما لبثت أن اعترفت له بكل شيء. ثم راحت تبكي، وتطلب منه الصفح. فقال لها "زيبا":

– لقد أخطأتِ خطأ فادحًا، وارتكبتِ إثمًا عظيمًا، فإذا ما أردت أن أسامحك وأصفح عنكِ، فعليكِ أن تنصتي لما سأقوله لك، وتقومي به على أكمل وجه وبكل طاعة وانصياع؛ عليك أن تخبرى "سبنلوشيو" بأن يأتيك في التاسعة من صباح الغد، بعد أن يجد حجة لكي يتركني دون أن أشك في شيء. وعندما تصبحان معًا، سأرجع أنا إلى البيت. وعند وصولي، اجعليه يختبئ داخل هذا الصندوق. وبعدها، سأخبرك بما علينا القيام به. وأعدك بأنني لن ألحق به أي أذى، إذا ما فعلتِ ما آمرك به.

فوافقت المرأة التي تبتغي رضاءه على الفور. وفي اليوم التالي، وفيما كان "زيبا" و"سبنلوشيو" معًا، في حوالى الساعة التاسعة، وكان "سبنلوشيو" قد وعد المرأة بأن يذهب للقائها في تلك الساعة، فقال لصديقه:

– يجب عليَّ أن أذهب الآن. فقد وعدت صديقًا بأن أتناول الغداء معه، ولا أريد أن أتأخر عليه. لذا سأتركك في أمان الرب.

فقال "زيبا": لماذا العجلة؛ فما يزال الوقت مبكرًا. لم لا تبق معي لبعض الوقت؟

فأجابه "سبنلوشيو": عليَّ أن أتحدث معه أولًا في أمر هام؛ لذا يتوجب عليَّ

أن أبكر قليلًا.

عندما ترك "سبنلوشيو" صديقه "زيبا"، قام بجولة قصيرة، ثم توجه مباشرةً إلى منزل صديقه؛ فدخل ووجد زوجة صديقه بانتظاره، فأخذها إلى حجرة النوم؛ إلا أن "زيبا" رجع إلي البيت. وعند سماع الزوجة لصوت "زيبا"، تظاهرت بأنها خائفة جدًّا، وطلبت من عشيقها أن يختبئ داخل الصندوق المتفق عليه. ثم حبسته فيه، وخرجت من غرفة النوم.

عندئذٍ، صاح "زيبا" في زوجته قائلًا: لقد حان موعد الغداء، يا امرأة.

فقالت الزوجة: أجل، سأعده في الحال.

ثم قال "زيبا": لقد ذهب "سبنلوشيو" للغداء عند أحد أصدقائه، وترك زوجته وحدها: فاذهبي إلى النافذة، واستدعيها كي تأتي للغداء معنا.

استجابت المرأة المرتعبة على الفور لطلب زوجها. لم توافق زوجة "سبنلوشيو" في البداية على المجيء، لكن بعد أن ألحت عليها زوجة "زيبا" كثيرًا، وأخبرتها بأن زوجها "سبنلوشيو" لن يأتي للغداء معها في البيت، لبت دعوتهما. وعند دخولها، استقبلها "زيبا" بلطف شديد، وأمسك يدها، ثم أمر زوجته أن تذهب إلى المطبخ، وأقفل عليها الباب من الخارج. واقتاد بعد ذلك زوجة صديقه إلى حجرة النوم، ثم أغلق الباب خلفهما.

عندما رأته المرأة يفعل ذلك، قالت له:

– آه منك يا "زيبا"! ما الذي يعنيه كل هذا؟ وهل هذا هو حبك واحترامك لصديقك؟ وهل دعوتني إلى الغداء لهذا الغرض؟

أمسك "زيبا" بيدها، وراح يقترب من الصندوق المحبوس بداخله زوجها، ثم قال لها:

https://telegram.me/maktabatbaghdad

– أريدك، قبل أن تغضبي، يا سيدتي، أن تستمعي أولًا لما سأقوله لك؛ فلم أكن أعتبر زوجك مجرد صديق، بل كان لي بمثابة الأخ، وكنت أثق به أكثر من أي شخص آخر؛ إلا أنني اكتشفت بالأمس خيانته لي، حيث علمت أنه يضاجع زوجتي، كما لو أنه يضاجعك أنت. وبما أنني أحبه، فأريد أن أرد له خيانته بنفس القدر من الإهانة الذي اقترفه في حقي، ولا أزيد على ذلك شيئًا. فكما ضاجع زوجتي، فإنني أريد أن أضاجع زوجته. فعليك أن تقبلي، وإلا فسيكون انتقامي منه بطريقة أكثر قسوة، ولن أجعلكما تنعما براحة بعد اليوم.

وبعد أن أثبت لها "زيبا" صدق كلامه، واقتنعت هي بذلك، قالت له المرأة: إذا كان هذا الأمر لابد له من أن يتم، فإنني سأتقبله بكل سرور، شريطة ألا يسبب لي العداوة مع زوجتك؛ فهي صديقة عزيزة لي لا أريد أن أفقدها.

فرد عليها "زيبا": لك هذا. وفوق ذلك، فسأهدي إليك جوهرة ثمينة لم تري مثلها من قبل.

ثم احتضنها وراح يقبلها، ثم طرحها على الصندوق. وهناك فوقه بالذات، حيث يحبس زوجها، ضاجع المرأة، واستمتع بها واستمتعت هي الأخرى به. وكان "سبنلوشيو" يسمع- وهو في الصندوق- كل ما قاله "زيبا"، وكل ما قالته زوجته. وأحس بتقلباتهما فوق الصندوق، وكأنها رقصة مجون يرقصانها فوق رأسه. وكاد من شدة غيظه أن يخرج من الصندوق ويسب زوجته؛ إلا أن خوفه من "زيبا" منعه من ذلك، لا سيما أنه كان هو مَن بدأ بالإهانة، وأن صديقه على حق فيما يفعله. وقال في نفسه إنه سيكون صديقًا مخلصًا لـ"زيبا"، إذا ما رضي هو باستمرار صداقتهما.

وبعد أن استمتع "زيبا" بالمرأة كما أراد، نزل عن الصندوق. وعندما طلبت منه المرأة الجوهرة التي وعدها بها، فتح باب حجرة النوم، ونادى زوجته التي قالت لزوجة "سبنلوشيو": لقد كافأتماني يا عزيزتي بما أستحق.

فقال لها "زيبا": الآن، افتحي هذا الصندوق.

فتحت الزوجة الصنوق، وعند رؤية زوجة "سبنلوشيو" له كان خجلها لمعرفتها أن زوجها سمع كل ما تم فوق الصندوق مع "زيبا"، لا يقل عن خجل زوجها "سبنلوشيو" الذي رأى نفسه أمام صديقه "زيبا"، وقد عرف الحقيقة. ثم قال لها "زيبا" مشيرًا إلى زوجها:

- هذه هى الجوهرة التي أهديها إليك.

قال "سبنلوشيو"، الذي كان قد خرج من الصندوق: لقد صرنا الآن متساويين، يا صديقي العزيز. وأرى أن نظل صديقين، وحيث أن كل شيء بينى وبينك كان مشتركًا، باستثناء زوجتينا؛ فدعنا نتقاسمهما فيما بيننا، فيصبح لكل واحد منا امرأتان، ولكل منهما زوجان.

عند سماع "زيبا" لذلك ابتهج، ووافق على الفور. ثم تناول الأربعة غداءهم بكل وئام. واستمتع كل زوج منهم بزوجتين، وكل زوجة استمتعت هي الأخرى بزوجين، دون أي غضب أو عداء.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

القصة التَّاسعة

يدعو "برونو" و"بوفالماكو" الطبيب "سيمون" للانضمام إلى مجموعة تخرج في أعمال قرصنة، ثم يحملانه ليلًا إلى مكان، حيث يلقي به "بوفالماكو" في حفرة براز.

أُثيرت تعليقات كثيرة من قِبل السيدات على تلك الشراكة في الزوجات، التي ارتضاها كل من "سبنلوشيو" و"زيبا". ثم رأت الملكة أنها الوحيدة المتبقية من الرواة؛ حيث لم تكن تريد إغضاب "ديونيو"، وانتزاع ما لديه من امتياز بأن يكون آخر من يحكي؛ فقررت البدء في سرد قصتها، وقالت: صديقاتي الجميلات، لقد استحق "سبنلوشيو" ما دبره له صديقه "زيبا" من خديعة. ولذا، فلا أرى أنه يستحق تأنيبًا قاسيًا، مثلما أرادت "بامبينيا" أن توضح لنا قبل قليل؛ لأن من حفر حفرة لأخيه وقع فيها. وقد استحق "سبنلوشيو" الخدعة التي وقع فيها. وسوف أتحدث الآن عن شخص سعى بنفسه إلى الوقوع في الخديعة، فاستحق مَن سخروا منه الثناء وليس الذم. وكان ذلك الرجل الذي وقع في الخديعة يعمل طبيبًا، وكان عائدًا من "بولونيا" إلى "فلورنسا"، مرتديًا أفخر أنواع الثياب.

فكما تعلمون، يأتي كل يوم مواطنونا من "بولونيا"، وقد صار هذا طبيبًا، وذاك قاضيًا، وغيره كاتبًا؛ يرتدون ثيابًا فاخرة من الفراء ذي اللون القرمزي والأبيض، وغيرها الكثير من مظاهر الوجاهة. ونحن نرى يوميًّا أيضًا ما يترتب عن ذلك كله من أحداث. وكان من بين هؤلاء الطبيب "سيمون دي فيلاّ"، الثري بممتلكاته التي ورثها عن أبيه بأكثر من ثرائه الذي جناه من العلوم التي يتقنها. وقد عاد منذ زمن قريب إلى المدينة، وهو يرتدي بدلة قرمزية، كطبيب يعالج الناس، كما يقول هو نفسه. واستقر في الشارع الذي نسميه اليوم حيّ "كوكوميرو". وكان من بين عاداته- لأنه عائد حديثًا كما قلنا- أن يسأل من يرافقوه عن أي شخص يراه يمر في الشارع، كما لو أن الدواء الذي سيقدمه لمرضاه لابد من تشخيصه وفقًا لأحوال الناس. فهو يمعن النظر في الجميع، ويحاول معرفة كل شيء عنهم. وكان أكثر من أثار اهتمامه من بين كل من رآهم، شخصان جرى الحديث عنهما مرتين في هذا اليوم، وهما "برونو" و"بوفالماكو"؛ فهما يرافقان بعضهما البعض على الدوام، ويقيمان بالقرب من بيته. وقد لاحظ أن هذين الشخصين هما أقل الناس همًّا، ويعيشان حياة مرح وسعادة أكثر من الجميع. فسأل عنهما، وعن وضعهما، وماذا يعملان؛ وكان الجميع يقولون له إنهما رجلان فقيران ويعملان بالنقاشة. لكنه لم يستطع أن يفهم كيف يشعران بهذه السعادة مع فقرهما. وفكر (لأنه سمع أنهما رجلان ماكران) في أنهما يكسبان أموالًا كبيرة من مكان لا يعرفه أحد غيرهما من الرجال. وراودته الرغبة في إقامة صداقة معهما، أو مع أحدهما على الأقل؛ ورأى أن تكون هذه الصداقة مع "برونو". وسرعان ما أدرك "برونو"، بعد عدة لقاءات قليلة معه، أن ذلك

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الطبيب شخص أحمق؛ فصار يسخر منه ، ويحكي له أمورًا عجيبة وغريبة. وكان الطبيب بدوره يزداد إعجابًا وتعلقًا به؛ فدعاه في أحد الأيام لتناول الغداء معه، حتى يتمكن من تبادل الحديث معه على راحته. واعترف له بما يشعر به من إعجاب ودهشة لرؤيته- هو و"بوفالماكو"- يعيشان في سعادة غامرة على الرغم من فقرهما، ورجاه أن يعلمه بالطريقة التي يستخدمانها، وتوصلا بها إلى ذلك.

وعندما سمع "برونو" ما قاله الطبيب، بدا له السؤال أبله، يتناسب مع شخصية الطبيب؛ فأخذ يضحك، وفكر في الرد عليه بإجابة تتناسب مع بلاهته، فقال له:

- سيدي، ما تسألني عنه لا أستطيع أن أقوله لأي شخص، لأنه سر كبير؛ ولو علمه أحد فستنتهي حياتي، وسيُلقى بي إلى الجحيم. لكنني سأخبرك به لأننا أصدقاء، ولأنني أعرف أنك لن تخبر أحدًا بذلك. في الحقيقة، نحن نعيش، أنا ورفيقي، في أحسن حال، بل أفضل بكثير مما يبدو لك. وليس هذا من عمل النقاشة الذي نقوم به، ولا من أية ممتلكات لدينا، لأننا إذا ما اعتمدنا على مهنتنا، فلن نستطيع دفع ثمن الماء الذي نشربه. ولا أريدك أن تظن أننا نقوم بسرقة الناس؛ غير أننا نقوم بالقرصنة، ونحصل بذلك على كل ما نحتاج إليه ونرغب فيه، دون أن نؤذي أحدًا من أهل المدينة. وهذا هو سبب حياتنا السعيدة كما ترى.

لم يفهم الطبيب معنى القرصنة، لكنه أبدى دهشة كبيرة، وأحس برغبة كبيرة في فهم ما يعنيه القيام بالقرصنة، مؤكدًا له أنه لن يخبر أحد بذلك؛ فقال "برونو":

– آه، يا سيدي، ما هذا السؤال الذي توجهه لي؟ إن ما تريـد معرفتـه سرّ كبير، وإخبارك به قد يودي بحياتي، بل يضعني في فم شيطان "سان جالُّو"، إذا ما علم به شخص آخر. ومع ذلك، فإن محبتي لـك، والاحـترام الذي يـضفيه عليك وقارك ومكانتك، وثقتي بك، تجعلني غـير قـادر على رفـض أي شيء تطلبه. ولهذا سأخبرك، شريطة أن تقسم لي بصليب "مونتيزوني" بأنـك لـن تخبر أحدًا بذلك.

أكد الطبيب أنه لن يفعل. فقال له "برونو":

– اعلم، إذن، يا عزيزي، أنه منذ زمن قريب، كان في هذه المدينة مُعلـم كبير لفنون السحر واستحضار الأرواح، اسـمه "مايكـل اسـكوتو"، مـن اسكتلندا؛ وقد قام بتكريمه كثير من الوجهاء الذين لم يبق على قيـد الحيـاة اليوم منهم إلا عدد قليل. وعندما أراد مغادرة المدينة، وتلبيةً لرجاء أولئـك السادة، ترك لنا اثنين من تلامذته النابهين، وأوصاهما بأن يستجيبا لـكل مـا يطلبه أولئك السادة الذين أكرموه؛ وأن يكونـا تحـت تـصرفهم على الدوام. وأصبح هذان الشخصان يقـدمان خـدماتهما للـسادة المـذكورين في تحقيـق غرامياتهم، وفي أمـور وخـدمات أخـرى، دون مقابـل. وقـد أحبـا مـدينتنا وعادات أهلها، وقررا الاختلاط بالناس، وإقامة علاقات صداقة مع بعضهم، دون الأخذ في الاعتبار كونهم نبلاء أو غير نبلاء، أغنياء أو فقراء؛ المهم هو أن يكونوا متوافقين مع مزاجهم. وتلبية لرغبة أصدقائهم بعـد ذلـك، فقـد قاما بتكوين مجموعة من حوالي خمسة وعشرين رجلًا، يجتمعـون مـرتين كل شهر في مكان يتفقون عليه فيما بينهم. وفي الاجتماع، يخبرهما كل واحد من المجموعة عن رغبته وأمنيته، فيلبيانها له في الحال طوال تلـك الليلـة. وقـد

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ارتبطتُ أنا و"بوفالماكو" بصداقة متينة ووثيقة مع هذين الشخصين المذكورين، وانضممنا إلى تلك المجموعة، وما نزال فيها. وأقول لك إننا في كل مرة نجتمع، نرى أعاجيب مدهشة من الستائر المعلقة على الحوائط في القاعة التي نتناول الطعام فيها، ومن الموائد المعدة على الطريقة الملكية، وأعداد الخدم المتأنقين، سواء من الرجال أو النساء، القائمين على خدمة المجموعة. أما الأواني والأطباق والقوارير والكؤوس وكل أدوات المائدة الأخرى التي نأكل ونشرب بها، فهي مصنوعة من الذهب والفضة. وأما المأكولات، فهي أنواع كثيرة ومتعددة مما لذ وطاب، تُقدم لكل واحد حسب ما يشتهي، وتوضع أمامه في موعدها المحدد. ولا يمكنني أن أصف لك الألحان العذبة والآلات الموسيقية الكثيرة والأغاني الممتعة التي تُسمع هناك، ولا أستطيع كذلك أن أقدر لك كمية الشموع التي تُضاء في حفلات المساء تلك، أو كمية الحلوى التي يتم تناولها ، ومدى لذة الخمور التي تُشرب. ولا أريدك، يا سيدي، أن تظن أننا نكون هناك بتلك الملابس التي تراني أرتديها؛ فليس هناك من فقير إلا ويبدو كامبراطور في هيئته؛ لأننا نكون هناك بأفخر الملابس وأروع الزينات. ولكن أعظم الملذات هناك هي النساء الجميلات، فما إن يشتهي أي منا واحدة منهن، حتى تحضر له في الحال، ولو كانت في أي مكان في العالم. فترى هناك سيدة البربر، وملكة الباسكيين، وزوجة السلطان، وامبراطورة "أوزبِك"، وامبراطورة "نورنيكا"، وامبراطورة "سيميستانتي"، وكذلك امبراطورة "بيرلنزوني"، وملكة "نارسيا". ولماذا أحاول إحصاءهن؟ فجميع ملكات العالم يكنّ هناك، بمن فيهن زوجة الإمبراطور "برستو جوفاني"، الذى أظن أن له قرونًا حتى في مؤخرته. فتخيل كل هذا! وبعد تناول

الشراب وأكل الحلوى، والرقص، يذهب كل واحد إلى غرفة النوم مع المرأة التي اشتهاها. ولك أن تعلم أن تلك الغرف تبدو- لمن يراها- كأنها قطعة من الجنة لروعتها وجمالها! وهي ليست أقل عبقًا بالروائح الزكية من علب البهارات في دكانك، عندما تأمر بدق الكمون وطحنه؛ وفيها أسرّة تبدو أكثر فخامة من سرير أمير "فينيسيا". ودائمًا ما يطلب "بوفالماكو" أن تأتيه ملكة فرنسا، وأطلب أنا ملكة إنجلترا، وهما أجمل ملكتين في العالم. وهكذا، يتضح لك السبب في أننا أسعد من جميع الرجال، لأننا ننال حب هاتين الملكتين. وإذا ما طلبنا ألف فلورين أو ألفي فلورين، نحصل عليها في الحال. هذا هو ما نسميه نحن- فيما بيننا- بعملية القرصنة؛ لأننا مثل القراصنة الذين يستولون على أشياء الآخرين. وهذا بالفعل ما نفعله نحن. لكننا مختلفون عن القراصنة في الوقت نفسه، فهم لا يقومون بإعادة ما يستولون عليه، أما نحن فنعيدهن ثانية بعد أن نقضي وطرنا منهن. والآن أيها الطبيب، بعد أن عرفت ما الذي نعنيه بقولنا "القيام بالقرصنة"، عليك أن تحافظ على السر، وربما سيكون بإمكانك رؤية كل ذلك. ولهذا فلن أوصيك أكثر من ذلك بالتكتم وعدم إخبار أحد بذلك.

صدَّق الطبيب، الذي يبدو أن علومه كانت تنحصر في معالجة البثور التي تظهر في شفاه الأطفال، كلام "برونو"، وتمنى- في قرارة نفسه- بلهفة كبيرة أن يكون ضمن تلك المجموعة. وقال لـ"برونو" إنه لم يعد يتعجب لرؤيته سعيدًا هو ورفيقه بعد ما أخبره به. لكنه لم يطلب منه ضمه إلى تلك المجموعة رغم تلهفه على ذلك، ورأى أن عليه أولًا أن يقدم له مزيدًا من التكريم، كي يتمكن من الإعراب له بثقة أكبر عن رغبته تلك، ويتوسل إليه

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أن يضمه إلى المجموعة. أخذ يكثر من التردد عليه صباحًا ومساءً، ويدعوه لتناول الطعام في بيته صباحًا ومساءً، ويبدي له محبة مفرطة؛ حتى بدا- من اشتداد تلك الصداقة- أن الطبيب لم يعد قادرًا على العيش من دون "برونو". وقد وجد "برونو"، من جهته، راحة في ذلك الوضع؛ لكنه لم يشأ أن يبدو ناكرًا لجميل الطبيب في إكرامه له. ولكي تستمر علاقات المودة بينهما، رسم له "برونو"، فهو يعمل نقاش كما قلنا، على جدار حجرة الطعام لوحة الصوم الكبير، ونقشًا لحَمَل الرب[34] عند مدخل الحجرة، ومبولة فوق باب البيت الخارجي كي يتمكن مَن هم بحاجة إلى استشارته من تمييز بيته عن البيوت الأخرى المجاورة؛ كما رسم له- على جدار في البهو- معركة الفئران والقطط، وقد رأى الطبيب أنها عمل بديع. وكان "برونو" يأتي إلى الطبيب أحيانًا، ولا سيما بعد الليلة التي لا يكونان قد تناولا فيها العشاء معًا، فقال له ذات مرة: لقد كنتُ الليلة الماضية مع المجموعة، وقضيتُ وقتا قليلًا مع ملكة إنجلترا، ثم طلبت أن يأتوني بـ"الخاتون" زوجة الملك العظيم "كان دال تاريزي".

فقال له الطبيب: وما معنى الخاتون؟ أنا لا أعرف هذه الكلمة؟

قال "برونو": آه، يا سيدي، لستُ أستغرب ذلك؛ فقد سمعت مَن يقول إن "أبو قراريط" و"ابن ساني" لم يذكرا هما الآخران شيئًا عن ذلك في كتبهما.

فقال له الطبيب: أنت تقصد "أبو قراط" و"ابن سينا".

فقال "برونو": لا أدري، فما أعرفه عن رجال مهنتكم أقل بكثير مما

[34] "حَمَل الرب" و"ابن الإنسان": لقبان من ألقاب يسوع في العهد الجديد والمسيحية.

تعرفونه عن رجال مهنتي؛ ولكن كلمة "الخاتون" في لغتهم تعني مثلما تعنيه كلمة "امبراطورة" عندنا. لا بد أنها ستبدو لك أنثى رائعة! وأؤكد لك إنها ستُنسيك العقاقير والأدوية وكل أنواع اللصقات.

واستمر الحديث- بهذه الطريقة- مرةً بعد أخرى، حتى بدا للسيد الطبيب ذات ليلة، وكانا يتبادلان الحديث وهو يحمل له مصباحًا، فيما يرسم "برونو" له على الحائط معركة الفئران والقطط، أنه قد استحوذ على مودة "برونو" بتكريمه له، وقرر أن يبوح له بما في نفسه. ولأنهما كانا بمفردهما، قال له الطبيب:

- "برونو"، يعلم الرب كم أكنّ لك من المودة، وليس هناك من شيء أمنعه عنك، مهما يكن، حتى لو طلبت مني أن أذهب ماشيًا من هنا إلى "بيريتولا"، فلا أظن أنني سأرفض. ولهذا، فلا تتعجب ما سأطلبه منك بثقة مبعثها المودة التي بيننا. فمنذ وقت طويل، وأنت تحدثني عن اجتماعات مجموعتكم الرائعة. وقد راودتني الرغبة في الانضمام إليها، ولم أعد أرغب في شيء سوى ذلك. ولست أريد هذا الانضمام عبثًا كما سترى، وإنما لأنني سأطلب إحضار أجمل مخلوقة رأتها عيناك، وهي امرأة رأيتها السنة الماضية في "كاكافينشلي"، وأرغب فيها أكثر من أي شيء في الدنيا. وأقسم لك بالمسيح، إنني كنتُ أنوي إعطاءها عشر قطع من النقود البولونية، لو أنها وافقت على طلبي منها، لكنها رفضت رفضًا قاطعًا؛ ولهذا، أرجوك أن تخبرني بما عليَّ عمله كي أنضم إلى المجموعة، وأن تبذل أنت كل ما تستطيع من جهد، وستجدني أكثر الأصدقاء وفاءً مدى الحياة. وأنت ترى بنفسك أنني رجل وسيم، وأنا فوق ذلك عالم في الطب، ولا أظن أن في المجموعة طبيبًا: كما أنني

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أعرف أشياء كثيرة، وأغنيات جميلة، وسأغني لك واحدة منها الآن.

وبدأ يغني على الفور. فأحس "برونو" برغبة شديدة في الضحك، لكنه قاوم رغبته تلك. وبعد انتهاء الأغنية، قال له الطبيب:

– ما رأيك؟

فقال له "برونو": الحقيقة إن عدم ضمك سيكون خسارة كبيرة، لأن صوتك في غاية العذوبة.

فقال الطبيب: أظن أنك ما كنت ستصدق ذلك، لو لم تسمعني بنفسك.

قال "برونو": بكل تأكيد.

فقال الطبيب: وأنا أعرف أغنيات كثيرة أخرى: ولكن فلندع هذا الأمر جانبًا الآن. وأقول لك إنني من أسرة من علية القوم، بالرغم من أن أبي كان فلاحًا يعيش في الريف. ولكني أنتمي – من جهة أمي – إلى عائلة "فاليكيو". ولديَّ من الكتب والملابس، مثلما ترى، أفضل مما لدى أي طبيب آخر في فلورنسا. فقيمة ملابسي وحدها تبلغ قرابة مائة ليرة. فأرجوك أن تبذل كل جهدك من أجل ضمي إليكم. وإذا فعلت ذلك ، فلن أتقاضى منك أية نقود، إذا ما حدث وعالجتك في أحد الأيام.

وبينما "برونو" يسمع كلامه هذا، ازدادت قناعته ببلاهة الطبيب، فأجابه قائلًا:

– قرِّب المصباح الذي في يدك قليلًا إلى هذا الجانب، يا سيدي، لأنني لن أرد عليك إلا بعد أن أنتهي من رسم ذيول هذه الفئران.

وعندما انتهى من رسم الذيول، أبدى "برونو" امتعاضه من الرغبة التي أعرب عنها صديقه، وقال له: أعرف، يا سيدي، أنك مستعد لأن تقدم لي

خدمات عظيمة وكثيرة، وأعرف كذلك أن عظمة عقلك، كبيرة جدًّا في نظري، وأدرك أيضًا طيب نواياك ونبلها. ولو أنني أستطيع تقديم مثل هذه الخدمة، لما قدمتها لأحد سواك. ولكنني أريدك أن تعلم أنني لا أستطيع ذلك كما تظن. ولهذا، فلا يمكنني أن أقدم لك ما تريده. ولكن، إذا ما أقسمت لي ووعدتنى بالمحافظة على سرية ما سأقوله لك، فإننى سأخبرك بما عليك عمله لتحقيق ما ترنو إليه.

وهنا أجابه الطبيب: تكلم بكل ثقة ودون خوف. يبدو أنك لم تعرفني جيدًا بعد، ولا تعرف مدى حرصي على كتمان السر. فلك أن تعلم أن السيد "جواسبارولو دا ساليتشيتو"، قاضي "فورليمبوبولي"، لم يكن يفعل شيئًا دون أن يطلعني عليه. وكان يجدني كاتمًا لأسراره على الدوام. فهل تريد أن أثبت لك أنني صادق؟ لقد كنتُ أول رجل يخبره بنيته الزواج من "بيرجامينا".. فلك أن تتخيل!

قال "برونو": حسنًا! إذا كان ذلك القاضي يثق بك، فإنني أستطيع الوثوق بك أيضًا. وما يتوجب عليك عمله هو التالي: لدينا- في مجموعتنا- رئيس له مستشاران، وهم يتبدلون في المنصب كل ستة شهور. ومن المؤكد أن "بوفالماكو" سيصير الرئيس منذ مطلع الشهر القادم، وسأكون أنا مستشارًا، وهذا أمر أكيد. والرئيس يتمتع بسلطة كبيرة في إدخال وضم من يشاء إلى المجموعة. ولهذا أرى أن تبادر- بأسرع ما يمكن- إلى مصادقة "بوفالماكو" وإكرامه لتنال محبته ورضاه. وعندما يرى أنك رجل طبيب وذكي، سيُعجب بك، وعندئذٍ تستطيع بحكمتك وهداياك الجيدة أن تكسب وده. وبعد ذلك، تتقدم إليه بطلبك، فلا يستطيع أن يرفضه. لقد حدثته عنك، وهو يقدرك

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كثيرًا. فافعل ما قلته لك، وسأقوم أنا بترتيب الباقي.

وهنا قال له الطبيب: ما تقوله صحيح تمامًا، لا سيما أنك تؤكد لي أنه يحب الرجال الحكماء والأذكياء؛ لأنه بمجرد أن يتعرف عليَّ ويصاحبني، فلن يستطيع الاستغناء عني طوال الوقت، ليستفيد من ذكائي الذي يكفي مدينة بكاملها.

وبعد اتفاقهما على كل شيء، ذهب "برونو" إلى "بوفالماكو"، وأخبره بما دبره؛ فقال له إنه متلهف لتحقيق ما يريده الطبيب. أما الطبيب- الذي كان يتلهف حقًّا للقيام بعملية قرصنة- فلم يهدأ له بال إلى أن صادق "بوفالماكو"، وبدأ يقيم له ولـ"برونو" أفخر الولائم، وأصبحا يتصرفان كسيدين مهمين، يشربان الأنبذة الجيدة، ويأكلان الديوك السمينة وأشياء أخرى كثيرة، ولا يفارقان الطبيب. ودون أن يطلب منهما البقاء معه، كانا يظلان معه طوال الوقت، ويقولان إنهما لا يقبلان البقاء عادةً مع شخص آخر غيره. وعندما رأى الطبيب أن الوقت صار ملائمًا، طلب من "بوفالماكو" ما كان قد طلبه من "برونو" من قبل. فأبدى "بوفالماكو" امتعاضًا شديدًا، وتوجه إلى "برونو" غاضبًا قائلًا له: أقسم برب "بازينيانو" الأعلى إنني لا أعرف، أيها الخائن، كيف لا أضربك على رأسك، وأجعل أنفك عند كعبك، لأنك كشفت عن هذه الأمور السرية للطبيب.

فراح الطبيب يعتذر بكل السبل، ويقسم ويقول إنه علم بذلك من شخص آخر، وإنه لا علاقة لـ"برونو" بهذه المسألة. وبعد أن قال الكثير من كلامه الذكي والحكيم، تمكن من تهدئة "بوفالماكو"، الذي التفت إلى الطبيب وقال له: يبدو واضحًا- أيها الطبيب- أنك كنت في "بولونيا" قبل ذلك، وأنك

جئت من تلك المدينة، وقد تعلمت التكتم وإطباق فمك. بل أرى أنك لم تتعلم الأبجدية هناك على تفاحة، مثلما يفعل كثير من الحمقى، وإنما تعلمتها على بطيخة، وهي أكبر بكثير. وإذا صدق تخميني، فلابد أن تكون قد تعمّدت في يوم الأحد. ومع أن "برونو" قد أخبرني بأنك درست هناك الطب، إلا أنني أرى أن ما تعلمته هو ترويض الرجال، فأنت أفضل مَن رأيته يتقن هذا العمل، بذكائك وكلامك الحكيم. فقاطعه الطبيب، متوجهًا بالكلام إلى "برونو": يا لروعة التحدث والتعامل مع الأشخاص الحكماء! مَن الذي استطاع أن يدرك كل مزاياي بالسرعة التي توصل إليها هذا الرجل؟ أنت نفسك يا "برونو"، لم تدرك قيمتي ومزاياي بمثل هذه السرعة. ولكن، ما رأيك في معالجتي للموقف، ألا ترى أنني تصرفت بحكمة؟

فأجابه "برونو": بل بأقصى ما في العالم من حكمة.

عندئذ قال الطبيب لـ"بوفالماكو":

- لابد أن تقديرك لي كان له أن يكون أعظم لو أنك رأيتني في "بولونيا"، حيث لم يكن هناك كبير أو صغير، طبيب أو دارس، إلا ويقدرني أبلغ تقدير؛ حتى إنهم كانوا يسعون إلى التعلم من منطقي وحكمتي. بل أقول لك أكثر من ذلك، فلم أكن لأنطق بكلمة إلا ويضحك الجميع. فقد كانوا يبتهجون كثيرًا بأقوالي. وعندما غادرت تلك المدينة بكى الجميع بكاءً مريرًا، وكانوا يريدونني أن أبقى معهم هناك. ولكنني لم أستجب لرغبتهم، لأنه كان عليّ المجيء إلى هنا لأتسلم الميراث الذي تركته لي عائلتي.

عندئذ قال "برونو" لصديقه "بوفالماكو":

https://telegram.me/maktabatbaghdad

– ما تقول الآن؟ فأنت لم تكن تصدقني عندما أخبرتك. أقسم لك بالإنجيل أنه لا وجود في هذه المدينة لطبيب يفهم في بول الحمير مثل هذا الطبيب، وأؤكد لك أنك لن تجد له مثيلًا من هنا حتى باريس! فهيا! حقق له ما يريده!

فقال الطبيب: كل ما يقوله "برونو" صحيح. فالحقيقة إنني لا ألقى التقدير المناسب، لأنني أتعامل مع أناس جهلة. ولكنني حين أكون بين الأطباء، أتألق وأبرز.

وهنا قال "بوفالماكو": الحقيقة إنك رجل على علم، أيها الطبيب، أكثر بكثير مما كنت أظن. ولهذا سأقول لك ما يليق أن أقوله للحكماء. إنني سأضمك إلى مجموعتنا ببساطة شديدة.

ازداد تكريم الطبيب لهما كثيرًا بعد هذا الوعد، وكانا يتلاعبان به، وأرادا أن يرتكبا معه أكبر الحماقات في العالم، فوعداه بأن يقدما له الأميرة "شيفيلاري"[35] ليستمتع بها، وهي أجمل امرأة بين البشر. فسألهم الطبيب عمن تكون هذه الأميرة؛ فأجابه "بوفالماكو":

– إنها سيدة مهيبة، يا سيدي، ولا يوجد بيت لا يخضع لسلطانها. وسأكتفي بالقول لك إن صغار الكهنة يقدمون لها الولاء بالنقر على الدفوف. ويقال إنها عندما تكون في الشارع يشعر بها الجميع، بالرغم من كل التكتم الذي يحيط بها. لقد مرت منذ وقت قريب من أمام باب بيتي ليلًا، وكانت في طريقها إلى نهر "أرنو" لغسل قدميها، واستنشاق بعض الهواء؛ لكن

[35] يقصدون بهذه الكلمة– بلغة مدينتهم العامية– "البراز".

إقامتها شبه الدائمة هي في "لاتيرينا". وأينما اتجهت يحيط بها الحراس الذين يُظهرون عظمتها بحملهم العصي والحجارة. وباروناتها منتشرون في كل مكان، منهم البارون "تمانين" و"دون ميتا" و"مانيكو دي سكوبا" و"سكواكيرا"[36]، وغيرهم، وأظن أنك تعرفهم جميعًا، ولكنك لا تتذكرهم الآن. هذه السيدة العظيمة هي التي سنضعها بين ذراعيك الحانيتين. وعندئذٍ لن تعود إلى التفكير في فتاتك "كاكافينشيلي" التي تشتهيها.

ولأن الطبيب ولد وترعرع في "بولونيا"، فلم يكن يفهم شيئًا من التسميات التي يقولونها له باللهجة الفلورنسية. لكنه كان مسرورًا بما سمعه عن المرأة. وبعد وقت قصير من هذا اللقاء، أخبره النقاشان بأنه قد تم قبوله في المجموعة. وعندما حلَّ يوم الاجتماع الليلي، دعاهما الطبيب لتناول الغداء، ثم سألهما- بعد الانتهاء من الطعام- عن الطريقة التي ينبغي عليه اتباعها للالتحاق بالمجموعة، فقال له "بوفالماكو": انظر أيها الطبيب، يجب أن تذهب وأنت في غاية الثقة، وإلا فإنك ستواجه مصاعب كبيرة، وتُلحق بنا أذى كبيرًا. وسأخبرك بالطريقة التي ستقوم بها لفعل ذلك. عليك أن تذهب في بداية الليل، وتقف على أحد القبور العالية بجوار الموجودة في "سانتا ماريا نوفيلا". وتكون مرتديًا أفضل ثياب عندك، لكي تظهر أول مرة أمام المجموعة بمظهر لائق. ولأنك رجل نبيل، كما قلت، فإن السيدة الأميرة ستفكر في تعيينك فارسًا مبللًا. وانتظر هناك فوق القبر إلى أن يأتيك رسولنا. إلى أن ترى بهيمة سوداء ذات قرون وغير كبيرة الحجم؛ فستأتي

---

[36] كل هذه الأسماء أسماء ساخرة وتعني: الروث، والإسهال، ويد المكنسة، والثقب المفتوح.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

إليك، وتحاول إخافتك بالقفز، وبإطلاق أصوات مرعبة. وعليك أن تمتطيها. وعندما تستقر على ظهرها، ضع يديك على صدرك، وإياك أن تلمس البهيمة بيديك. عندئذٍ ستتحرك هي بهدوء وتوصلك إلينا. ولكنني أحذرك- منذ الآن- بأنك إذا ما ذكرت اسم الرب أو القديسين، أو شعرت بخوف، فإنها ستلقي بك أرضًا وترفسك. ولهذا، فإذا ما كان قلبك يحدثك بأنك ستشعر بالرهبة والخوف، فلا تذهب؛ لأنك ستؤذي نفسك، وستُلحق بنا ضررًا كبيرًا.

وهنا قال الطبيب: أنتما لم تعرفاني بعد، ربما لأنكما ترياني أرتدي ثوبًا أنيقًا، وأضع القفاز في يدي. لكن لو أنكما تعلمان بما كنت أفعله في "بولونيا" ليلًا، عندما كنت أخرج بحثًا عن نساء مع أصدقائي، لأصابكم الذهول والعجب. فأقسم لكم بالرب أنه- في إحدى الليالي- رفضت إحداهن المجيء معنا (وكانت دميمة وقصيرة)، فوجهت إليها أولًا لكمات كثيرة، ثم حملتها عاليًا ورميتها مثلما يُرمى السهم من القوس، فبدلت رأيها في الحال، وجاءت معنا. وفى ليلة أخرى، أتذكر أنه لم يكن معي سوى خادم، فمررت بجانب مقبرة صغار الكهنة؛ وكانوا قد دفنوا امرأة هناك في ذلك اليوم تحديدًا، ولم أشعر بأي خوف. فدعكما من هذه المخاوف، وثقا بي. فأنا شجاع جدًّا لا أعرف الخوف. ولكي أبدو في مظهر لائق، فسأرتدي البذلة القرمزية التي تخرجتُ بها طبيبًا، وستريان كيف أن المجموعة ستبتهج عندما تراني، وستختارني قائدًا لها في الحال. وسوف تريان كيف ستكون الأمور عندما أصل إلى هناك، خاصةً أن هذه الأميرة قد أغرمت بي قبل أن تراني، وهى تريد أن تنصّبني فارسًا. ألا يليق بي أن أكون فارسًا؟ ألست أهلًا لتحمل هذه المسؤولية؟

فقال له "بوفالماكو":

– لقد أحسنت القول، يا سيدي. ولكن حذار أن تسخر منا، وتتخلف عن المجيء إلينا، أو ألا يجدك رسولنا عندما يأتيك في المكان المقرر. وأنا أقول لك هذا لأن الجو بارد، وأنتم- السادة الأطباء- تحتاطون لأنفسكم كثيرًا، خوفًا من البرد.

قال الطبيب: حاشا! فأنا لست من أولئك الذين يخافون من البرد؛ فكثيرًا ما أنهض في الليل للتبرز، مثلما يُضطر أحدنا لعمل ذلك أحيانًا؛ فلا أرتدي سوى معطف فراء. ولهذا، فلن يعوقني أحدٌ أو شيء من الانتظار هناك.

وعندما حلَّ الليل، وجد الطبيب ذريعة يقولها لزوجته كي يغادر البيت. وحمل رداءه القرمزي الفاخر خفيةً. وعندما بدا له المكان مناسبًا، ارتداه وصعد على أحد المقابر العالية. وأخذ ينتظر البهيمة المنتظرة، منكفئًا على نفسه فوق أرضية القبر الرخامية، لأن البرد كان قارسًا. ووضع "بوفالماكو"، وكان طويلًا ضخم الجسم، واحدًا من تلك الأقنعة التي كانوا يستخدمونها في الألعاب قديمًا، ولم يعودوا يصنعونها اليوم. ووضع على ظهره فراءً أسود، بحيث يبدو مثل دب، مع أن القناع كان لوجه شيطان وله قرنان. ومضى وهو بهذه العدّة نحو ميدان "سانتا ماريا نوفيلاّ"، ووراءه "برونو"، ليرى كيف ستسير الأمور.

وعندما رأى الطبيب ينتظر هناك، بدأ يتقافز قفزات كبيرة في الساحة، ويقوم بأصوات وهمهمات كما لو أن به مسًّا شيطانيًّا. وما إن رآه الطبيب وسمعه حتى انتصبت كل شعرة في بدنه، وأخذ يرتجف، وكان أكثر خوفًا من أية امرأة. وتمنى- في إحدى اللحظات- لو أنه في بيته، وليس في ذلك المكان.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

حاول جاهدًا أن يبدي الشجاعة ويتماسك، لا سيما أنه كان راغبًا في التمكن من رؤية العجائب التي حدثاه عنها. وبعد أن قام "بوفالماكو" بتلك الأصوات الشيطانية لبعض الوقت، تظاهر بالهدوء، واقترب من المقبرة التي صعد عليها الطبيب، ووقف ساكنًا. ولم يدر الطبيب الذي كان يرتجف من الخوف ما إذا كان ينبغي عليه أن يركب الدابة، أم يبقى مكانه. وأخيرًا، خشي أن تُسبب له أذى إذا هو لم يمتطها، فطرد خوفُه الثاني خوفه الأول، ونزل عن المقبرة وهو يقول بصوت خافت: "ساعدني، يا ربا" وامتطى البهيمة. وبعد أن استقر فوقها وهو يرتجف، وضع يديه على صدره مثلما قيل له. وعندئذٍ بدأ "بوفالماكو" بالتوجه نحو "سانتا ماريا ديلا سكالا"، ووصل إلى دير الراهبات في "ريبولى". وكانت في ذلك الحي حُفر يلقي فيها الفلاحون الأميرة "شيفيلاري" –أي البراز– من أجل تسميد حقولهم. اقترب "بوفالماكو" من إحدى تلك الحفر، ووضع يده تحت إحدى قدمي الطبيب، وألقى به على رأسه في الحفرة، ثم راح يزمجر ويتقافز كمن به مس من الشيطان. وانطلق باتجاه "سانتا ماريا ديلا سكالا"، حيث التقى صديقه "برونو"، الذي كان قد تراجع مبتعدًا، لأنه لم يستطع منع نفسه من الضحك.

ابتهج الاثنان بفعلتهما، وهما يراقبان– من بعيد– ما يفعله الطبيب الغارق في الروث. وعندما وجد السيد الطبيب نفسه في ذلك المكان الكريه، بذل جهده في النهوض ومحاولة الخروج، لكنه كان يسقط من جديد، ويغوص فيه من قدميه حتى رأسه، فيبتلع في كل مرة بضع جرامات من البراز، إلى أن تمكن من الخروج بعد عناء وجهد كبيرين، تاركًا هناك رداءه القرمزي. فنظف نفسه بيديه قدر استطاعته، ورجع إلى بيته، حيث اضطر إلى طرق

الباب طويلًا قبل أن يفتحوا له. وما إن دخل- وتلك النتانة تفوح منه، وأغلق الباب خلفه- حتى كان "برونو" و"بوفالماكو" بالقرب من بيته، ليسمعا كيف سيكون استقبال زوجة الطبيب له. فسمعا المرأة توجه له أقسى الشتائم التي لم يسمع بها أي تعيس من قبل، قائلة له:

– كم أنت جيد، وأنت على هذا الحال! ذهبت إلى امرأة أخرى، وأردت الظهور متأنقًا بعباءتك القرمزية. ألا أكفيك أنا؟ عليك أن تعلم أنني أكفي لكل أهل البلدة، وليس لك وحدك. ليتك غرقت حين ألقوا بك في المكان الذي تستحقه! هذا هو حال الطبيب الذي لديه امرأة، ويمضي في الليل بحثًا عن نساء غريبات!

ظل الطبيب يغتسل، وهو يسمع هذه الكلمات وغيرها حتى منتصف الليل، دون أن تصمت زوجته عن تأنيبه. وفي صباح اليوم التالي، لطخ "برونو" و"بفالماكو" جسديهما ببقع بنفسجية، كأنها كدمات من ضرب تلقياه. وجاءا إلى بيت الطبيب، فوجداه قد استيقظ. وعندما خرج للقائهما، لاحظا أن الرائحة الكريهة ما تزال تنبعث منه. وبادرهما الطبيب بتحية الصباح، فرد عليه "برونو" و"بوفالماكو" وهما يومئان له:

– لن نرد عليك التحية، وإنما نرجو من الرب أن يلحق بك نكبة الموت ضربًا بالسيف، لأنك أكبر خائن وغادر رأيناه. لقد أردنا أن نكرمك ونقدم لك المتعة، فكدنا أن نموت كالكلاب بسببك. فبسبب خيانتك وعدم وفائك، ضربونا هذه الليلة ضربًا شديدًا، لو تلقاه حمار لسافر إلى روما؛ علاوة على أننا كنا على وشك أن نُطرد من المجموعة التي سعينا جاهدين لضمك إليها. وإذا كنت لا تصدقنا، فانظر إلى جسدينا، وما حل بهما.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وكشفا عن صدريهما الملطخين، ثم أعادا تغطيتهما مرةً أخرى. فحاول الطبيب أن يعتذر ويشرح لهما ما حل به، وكيف وأين أُلقي به، إلا أن "بوفالماكو" بادره قائلًا:

– كم أرغب في أن ألقي بك إلى نهر "أرنو" من فوق الجسر. لماذا ذكرت اسم الرب والقديسين في الليلة الماضية؟ ألم يسبق لنا أن حذرناك من ذلك؟

فقال الطبيب: أقسم بالرب، لم أذكرهم.

وقال "بوفالماكو": كيف لم تذكرهم؟ لقد ذكرتهم، وذكرتهم كثيرًا، وقد أخبرنا رسولنا بذلك، وأخبرنا أنك كنت ترتجف من الخوف كعود النبات. لقد خدعتنا وتلاعبت بنا بما يكفي، ولذلك سنعمل على ألا يحدث ذلك معنا مرةً أخرى، وألا يتلاعب بنا أمثالك.

أخذ الطبيب يرجوهما، ويستحلفهما بالرب أن يعفوا عنه، بعدم التشهير به وبسمعته. وأخبرهما بأن ذلك سيسبب له العار إلى الأبد. ثم راح يكرمهما أكثر من السابق، ويدعوهما لتناول الطعام معه، ويغدق عليهما الكثير من الهدايا. وهكذا، مثلما سمعتم، قاموا بتعليم مَن لم يحظ بقدر كاف من التعليم في "بولونيا".

القصـة العاشــرة

تخدع امرأةٌ من "صقلية" تاجرًا، وتستولي بمهارة على ما حمله معه من بضاعة إلى "باليرمو"؛ فيعود مرةً أخرى، ويتظاهر بأن لديه بضائع أكثر من المرة الأولى التي خدعته فيها، ثم يستدين منها نقودًا، ويدفع لها ماء وطينًا.

ضحكت النساء جميعهن من القصة التي روتها الملكة، إلى حد وصل إلى أن تسيل دموعهن جميعًا من كثرة الضحك. وعندئذٍ، جاء دور "ديونيو"، باعتباره آخر من يتحدث، فبدأ كالتالي: أرى، يا عزيزاتي، أنه إذا كانت المكيدة أو الحيلة موجهة إلى مَن يجيد الاحتيال والسخرية من الآخرين، تكون أكثر متعة وتسلية. وقد رويتن قصصًا جيدة وممتعة، إلا أنني أعتقد أنني سأروي لكُن قصة أكثر متعة وتشويقًا؛ وذلك لأن الضحية شخص بارع في تدبير المكائد، وفي السخرية من الآخرين.

يغلب في المدن البحرية، التي تضم مرافئ، أن يتم نقل التجار ومعهم بضائعهم إلى مخزن يسمونه "الجمرك"؛ وهو عبارة عن مخزن تابع للبلدية أو لعمدة المدينة. ويقوم التجار هناك بإخبار رجال الجمارك بمقدار بضاعتهم،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وقيمتها؛ ويكون ذلك كتابةً. فيقوم المسؤولون عن الجمرك بتوفير عنبر للتاجر ليضع فيه بضاعته، ثم يغلق العنبر بالمفتاح. فتصبح بضاعة التاجر مدونة في حسابه بسجل الجمرك، ويكون التاجر بعدها مطالبًا بتسديد ما عليها من ضرائب، أو على ما يخرجه منها من بضائع. ومن خلال هذه السجلات الجمركية، كان الوسطاء والسماسرة يطلعون على نوعية البضائع الموجودة هناك وكمياتها؛ كما يطلعون على ما يطرأ عليها من تبدلات في عمليات البيع والشراء والمقايضة وغيرها. وكان هذا النظام شائعًا في أماكن كثيرة أخرى، منها مدينة "باليرمو" الصقلية، حيث كانت هناك – ولا تزال- العديد من النساء اللواتي يتمتعن بالجمال، لكنهن- في المقابل- يتمتعن بمقدار يكاد يكون معدومًا من الأمانة والشرف؛ إلا أنهن عندما يعثرن على تاجر غريب يتصنعن العفة والشرف. وكن متفرغات لا لحلاقة رؤوس الرجال، وإنما لسلخ جلودهم بالكامل؛ فما إن يرين تاجرًا غريبًا هناك، حتى يستعلمن من سجل الجمارك عما يملكه، وعما يمكنه أن يحققه من الأرباح، ثم يعمدن بعد ذلك، بألاعيبهن وحيلهم اللطيفة والغرامية، وما يجدنه من معسول الكلام، إلى إغواء التاجر وإيقاعه في حبهن. وقد خدعن تجارًا كثيرين، واستولين على جزء كبير من بضائعهم، أو على بضاعتهم كلها؛ وحتى على سفن البعض منهم ولحمهم، فيتركونهم عظمًا دون لحم؛ وخاصةً إذا ما تمكنت الحلاقة من أن تمرر مشرطها بنعومة ساحرة.

وقُدر أن يصل إلى هذه المدينة، منذ زمن ليس بالبعيد، شاب فلورنسي مبعوثًا من رؤسائه التجار، وكان يدعى "نيكولو دي سنانو"، إلا أنه اشتُهر باسم "سالابيتو". وقد أتى محملًا بأقمشة صوفية تبلغ قيمتها نحو خمسمائة

فلورين ذهبي، كان قد استلمها في سوق "ساليرنو". وبعد تخزينها في عنبر الجمرك، طبقًا للإجراءات المتعارف عليها، لم يتعجل في بيعها، وإنما راح يجوب المدينة ليتعرف على أحيائها. ولأنه كان أبيض، وأشقر الشعر، ووسيمًا وممشوق القوام؛ وبعد أن سمعت واحدة من تلك النسوة البربريات- وتُدعى السيدة "بيانكافيوري"- عن أخباره، وضعت عينها عليه. وقد لاحظ هو ذلك، فرأى أنها سيدة عظيمة، وظن أنها قد أُعجبت بجماله، فقرر التفكير في نيل حبها. ودون أن يخبر أحدًا بأي شيء، أخذ يكثر المرور من أمام بيتها. ولاحظت هي ذلك، فانتظرت إلى أن أوقعته تمامًا بنظراتها، وأظهرت له أنها تشتاق إليه. ثم أرسلت إليه، سرًّا، خادمتها؛ وهي امرأة تجيد فنون الخداع، لتقول له والدموع في عينيها، إن سيدتها قد وقعت في حبه لجماله ورقته؛ وإنها مفتونة به، إلى أن وصل بها الأمر لفقدان الشعور بالراحة في الليل والنهار؛ وإنها ترغب في أن تلتقي به سرًّا في أحد الحمامات. وقدمت إليه خاتمًا كهدية من سيدتها.

ابتهج "سالا بيتو" لهذا الكلام، وشعر أنه أسعد رجل في الدنيا؛ فتناول الخاتم وقبله، ثم وضعه في إصبعه. وقال لها إنه إذا كانت السيدة "بيانكافيوري" تحبه، فإنه يذوب حبًّا فيها، وإنه على استعداد للذهاب إلى أي مكان تريده للقاء بها. نقلت الخادمة- على الفور- إلى "سالا بيتو" الخبر، بأن عليه أن ينتظر السيدة في اليوم التالي، في حمَّام حددته له بعد الغروب. فتوجه سرًّا، في الموعد المحدد إلى ذلك المكان، فوجد أن السيدة قد استأجرت قاعة الحمام كله. وبمجرد أن دخل، ظهرت فتاتان من العبيد تحمل إحداهما مرتبةً من القطن، وتحمل الثانية سلة كبيرة مملوءة بأشياء متنوعة. فوضعتا المرتبة

https://telegram.me/maktabatbaghdad

على سرير في إحدى حجرات القاعة، وفرشتا فوقها ملاءتين من الحرير، وغطاء قبرصيًّا ناعمًا، ووسادتين بديعتين؛ ثم دخلتا الحمام، ونظفتاه جيدًا. وبعد قليل من ذلك، جاءت السيدة إلى الحمام تتبعها فتاتان أخريان؛ واحتفت السيدة بـ"سالابيتو" حفاوة بالغة. وبعد المعانقات والقبلات والتنهدات، قالت له: ما كنت لأفعل ذلك لأحد غيرك. ولكنك أشعلت النار في قلبي، أيها الفتى التوسكانى. ثم تعريا ودخلا الحمَّام، ودخلت معهما الفتاتان، فلم تسمح لهما بتدليك جسمه. بل شرعت "بيانكافيوري" بنفسها تفرك جسده بصابون معطر، وبعطر له رائحة القرنفل. فغسلت كل جسد "سالابيتو" على أحسن وجه؛ ثم جعلت الفتاتين تغسلان جسدها وتعطرانه. وبعد هذا، أحضرت الفتاتان ملاءتين ناصعتي البياض وناعمتين، تفوح منهما رائحة الورد، حتى كأنهما منسوجتان من الورود، فلفتا كلًّا من "سالابينو" و"بيانكافيوري" بملاءة، ثم أمسكتا بيديهما واقتادتاهما إلى السرير المعد لهما.

وبعد أن تعرقا قليلًا، نزعت الفتاتان الملاءتين عنهما، فظلا عاريين على السرير. وأخرجا من السلة زجاجات فضية بديعة، بعضها مملوء بماء الورد، وغيرها بماء زهر البرتقال أو الياسمين، وسكبا كل تلك العطور على جسديهما. ثم أخرجا من السلة حلوى وأنبذة فاخرة، وتناولا منها ما ينعشهما ويجدد نشاطهما.

بدا للسيد "سالابيتو" كأنه في الجنة؛ ولم يتوقف عن النظر لحظة واحدة إلى المرأة التي بدت أمام عينيه رائعة الجمال. وكان يتمنى أن تنصرف الفتاتان وتتركانهما سويًّا، كي يتمكن من ضمها بين ذراعيه. فكانت كل لحظة تمر في

وجود الفتاتين كأنها مائة عام. وأخيرًا، تركت الخادمتان شعلة مضاءة في الحجرة، وانصرفتا بطلب من السيدة التي عانقت "سالا بيتو"، وعانقها. وظلا على تلك الحال وقتًا طويلًا، و"سالا بيتو" في غاية السعادة، وهو يشعر أنها تذوب حبًّا به. لكن السيدة رأت أن الوقت قد حان للمغادرة، فنادت على الفتاتين، وارتديا ملابسهما، ثم شربا النبيذ وأكلا الحلوى من جديد، ليستعيدا نشاطهما. وبعد أن تعطرا ، قالت له السيدة وهي تهم بالانصراف: إذا كان يروق لك، فإنني سأكون سعيدة إذا جئت هذه الليلة للعشاء والنوم معي.

فرد "سالا بيتو"، الذي افتتن بجمالها الساحر وبعباراتها الرقيقة واللطيفة، معتقدًا أنها تهيم بحبه قائلًا:

– كل ما ترغبين فيه يا سيدتي هو مصدر سعادة لي، وأنا على استعداد أن أفعل ما تريدينه مني، وما تأمرينني به، في أي وقت تشائين.

أخذت السيدة تستعد لمجيء "سالا بيتو"، فزينت حجرتها بالستائر والزينات، وأمرت بعشاء فاخر، وراحت تنتظره. وعند وصوله استقبلته بابتهاج وحفاوة بالغين، ثم تناولا العشاء معًا، وسط أجواء سعيدة وخدمة مترفة. وعندما دخل حجرة النوم، كانت تفوح في المكان رائحة رائعة. ورأى السرير مزينًا بملاءات قبرصية فاخرة، وستائر بديعة أخرى تتدلى من قوائمه؛ فجعلته كل تلك الأشياء مجتمعة، وكل واحدة منها منفردة، يفكر في أن تلك المرأة هي سيدة ثرية ومن علية القوم، دون شك. وبالرغم من أنه كان قد سمع عكس ذلك، عن طريقة حياتها وعاداتها، إلا أنه لم يصدق شيئًا من ذلك؛ وحتى لو كان بعض تلك الآراء صحيحًا، فإنه لا يستطيع أحد في

https://telegram.me/maktabatbaghdad

العالم أن يقنعه بذلك. وقد ازداد تعلقه بها بعد ما ناله من المتعة والسرور في تلك الليلة معها.

وفي الصباح، أهدت إليه حزامًا فضيًّا وحقيبة بديعة، وقالت له:

– حبيبي "سالا بيتو"، أقدم لك هذه الأشياء لتبقى ذكرى مني. وأريدك أن تعرف أنني- وكل ما أملك- ملكٌ لك تتصرف فيه كيفما تشاء.

فضمها "سالا بيتو" وأخذ يقبلها، وهو يشعر كأنه يكاد يطير من السعادة. ثم غادر البيت وذهب إلى حيث يجتمع التجار. وكان يذهب إليها كلْ يوم دون أن يكلفه ذلك شيئًا، فكان يزداد ولعًا وتعلقًا بها. ونجح "سالا بيتو" في أن يبيع كل بضاعته، وأن يحقق بذلك أرباحًا طائلة. وكانت المرأة قد علمت بذلك على الفور، لا منه شخصيًّا، وإنما من خلال أناس آخرين. وحين ذهب "سالا بيتو" إلى بيتها في مساء أحد الأيام لزيارتها ، أخذت تداعبه وتقبله، متظاهرة بحبها له أكثر من ذي قبل. وأرادت أن تهدي إليه كأسين من الفضة، لكن "سالا بيتو" رفض بشدة أخذهما، لأنه كان قد حصل منها على هدايا بقيمة ثلاثين فلورين ذهبيًّا؛ فيما رفضت هي أن تتلقى منه شيئًا، ولو كانت قيمته ضئيلة.

وأخيرًا، بعد أن أغرقته في هواها، مظهرة أنها هائمة بحبه ومتعلقة به، استأذنتها إحدى خادماتها، وفق خطة وضعتها مسبقًا. فخرجت من غرفة النوم وغابت قليلًا في الخارج، ثم رجعت باكية وارتمت فوق السرير محبطة؛ وبدأت تطلق الزفرات والحسرات بمرارة. فتعجب "سالا بيتو" مما رآه، فاحتضنها وانخرط معها في البكاء، وهو يقول لها: آه، يا قلبي ، ماذا أصابك فجأة؟ ما سبب هذه الأحزان؟ أخبريني، ما الذي جرى، يا حبيبة قلبي؟

فقالت له، بعد أن جعلته يلح عليها في السؤال: آه يا حبيبي! لا أدري ماذا أقول أو أفعل؟ لقد وصلتني رسالة للتو من مدينة "ميسينا"، وعلمت أن أخي في أزمة؛ فهو يحتاج فورًا إلى ألف فلورين ذهبي، وعليَّ أن أرسل هذا المبلغ إليه، حتى وإن اضطررت إلى بيع أو رهن كل ما أملك؛ وإلا فسيقومون بقطع رأسه، إن لم يتم تسديد المبلغ في غضون ثمانية أيام. ولست أدري كيف سأحصل على المبلغ في مثل هذا الوقت القصير؛ فلو كان لديَّ خمسة عشر يومًا على الأقل لاختلف الأمر، ولتمكنت من إحضار المال من مكان أحتفظ فيه بأكثر من هذا المبلغ بكثير، أو لتسنّى لي أن أجد الوقت لبيع بعض ممتلكاتي. غير أنني لا يمكنني عمل ذلك في هذا الوقت القصير. وأخذت تبكي دون توقف، مظهرة أشد الحزن والأسى.

فما كان من "سالا بيتو"- الذي كاد لهيب الحب أن يفقده لبه ووعيه- إلا أن صدق تلك الكلمات والدموع، وقال:

– سيدتي، لا أستطيع أن أقدم لك ألف فلورين، ولكن لديَّ خمسمائة فلورين ذهبي يمكنك أن تأخذيها، إذا كنت تستطيعين إعادتها إليَّ خلال خمسة عشر يومًا. فمن حسن الحظ أني بعت أقمشتي يوم أمس تحديدًا، ولولا ذلك لما صار لديَّ قرش واحد أقدمه لك.

قالت المرأة: آه، يا حبيبي! أكنت تعاني ضائقة مالية؟ ولماذا لم تطلب مني مالًا؟ وإذا كنتَ لا تملك ألف فلورين، فقد كنت سأقبل أن أقترض منك مائة أو مائتين. إلا أن امتناعك عن اللجوء إليَّ عند حاجتك للنقود يمنعني من قبول ما تعرضه عليَّ.

حين سمع "سالا بيتو" هذا الكلام ازداد حزنًا وضيقًا، وقال لها:

https://telegram.me/maktabatbaghdad

– لا تغضبي، يا سيدتي؛ فلم أمر بضائقة مثل التي تمرين بها الآن، وإن كان حدث ذلك لما ترددت من اللجوء إليك.

قالت السيدة: آه، يا قلبي، أنا على يقين من أن حبك صادق وحقيقي، فها أنت ذا تعرض عليَّ المبلغ الكبير الذي تملكه لتخرجني من أزمتي، دون أن تنتظر أن أطلب منك ذلك. صحيح إنني كنتُ لك ورهن إشارتك من قبل، ولكنني سأكون أكثر بعد عرضك هذا، وسأظل مدينة لك إلى الأبد بإنقاذ أخي. ويعلم الرب مدى استيائي من أخذ هذه النقود، لأنني أعلم أنك تاجر، والتجار بحاجة إلى المال في أعمالهم. لكن ما أنا فيه من ضائقة، ويقيني بأنني سأعيد إليك المال في أسرع وقت، يدفعانني إلى قبوله. وسأحاول التصرف في الجزء المتبقي من المبلغ، حتى لو اضطررت إلى رهن كل ما أملك.

وأخذت تذرف مزيدًا من الدموع، وألقت بنفسها منهارة بين ذراعي "سالابيتو"، الذي كان يحاول مواساتها، وقضى الليل معها كي يظهر لها مدى تعاطفه معها، واستعداده لخدمتها.

ودون أن ينتظر طلبًا منها، جاء إليها في اليوم التالي بالخمسمائة فلورين ذهبي، فأخذتها وهي تضحك في قلبها وتبكي بعينيها. ثم كررت وعدها له بأن تعيد إليه المبلغ في أسرع وقت ممكن. بعد ذلك، وعندما أصبحت النقود بحوزة المرأة، تبدلت معاملتها لها تبدلًا جذريًا. فلم تعد الزيارات متاحة للسيد "سالابيتو" كما كانت من قبل، حتى أنه من سبع محاولات لزيارتها، لم يُسمح له إلا بمرة واحدة. وفوق ذلك، فلم يستقبل بالحفاوة والترحيب المعهودين. وبعد مرور شهر على موعد استرداد النقود، ثم شهر آخر، وهو لا يسمع منها سوى عبارات غامضة، أدرك "سالابيتو" خدعة المرأة الماكرة،

ومدى غبائه وقلة عقله. وتيقن أنه لا يستطيع رفع شكوى ضدها أمام المحكمة، لأنه لا يملك أية وثيقة أو إيصال مكتوب. ولم يجد سوى الحزن والحسرة على ما أصابه بسبب غبائه. لكنه لم يجرؤ على إخبار أحد من التجار بذلك، خشية أن يسخروا منه، حيث أنهم قد حذروه من قبل. وبعد أن جاءته عدة رسائل من رؤسائه يطلبون منه فيها إرسال النقود إليهم، وهو لا يدري ما الذي سيقوله لهم، قرر العودة، ولكن ليس إلى "بيزا"، وإنما إلى "نابولي".

كان يعيش هناك- في ذلك الحين- صديقه "بيترو دي كانيجيانو"، خازن السيدة إمبراطورة القسطنطينية. وكان رجلًا ذكيًا وفطنا، وصديقًا حميمًا لـ"سالابيتو" وعائلته. ولأنه رجل لا يفشي الأسرار، فقد أخبره "سالابيتو" بعد أيام بمغامرته التعيسة، وطلب منه النصيحة؛ وكيف يمكنه أن يعيش في "نابولي"، حيث أنه لا يفكر في العودة ثانيةً إلى عائلته في "فلورنسا". تأثر "كانيجيانو" لما سمعه، وقال له:

- إنك لم تحسن التصرف، ولم تحافظ على مبادئك ومبادئ معلميك، وأضعت مبلغًا كبيرًا من المال باندفاعك وتهورك. ولكن لا فائدة من البكاء على اللبن المسكوب، فدعنا نفكر في طريقة لإيجاد حل لهذه المشكلة. وقد كان هذا الرجل يتمتع بقدر كبير من الفطنة ورجاحة العقل، فدبر خطة محكمة، وعرضها على "سالابيتو" الذي أُعجب بها، وقرر البدء في تنفيذها.

جمع "سالابيتو" كل ما لديه من مال، واقترض مبلغًا آخر من "كانجيانو". ثم اشترى كمية كبيرة من البضائع وحمَّلها جيدًا في السفينة، واشترى كذلك عشرين برميلًا كبيرًا من الزيت؛ ثم انطلق إلى "باليرمو". وقام هناك

https://telegram.me/maktabatbaghdad

بالإجراءات المعروفة، حيث سلم كل ما لديه من بضاعة للجمارك، وتم تسجيل كل هذه الأشياء في حسابه، وأودعها عنابر المستودع، بحجة أنه لا يريد بيعها الآن، لأنه ينتظر وصول بضائع أخرى.

وعندما علمت "بيانكافلوري" بأمر هذه البضاعة، وعرفت أن قيمتها تبلغ ما قدره ألفي فلورين ذهبي، دون حساب البضائع المنتظرة الأخرى التي تزيد قيمتها على ثلاثة آلاف فلورين، رأت أنها كانت مخطئة عندما اختارت الصفقة الصغيرة السابقة. وقررت القيام بعملية أكبر، وهي أن تعيد إليه الخمسمائة فلورين، كي تتمكن من الحصول على الخمسة آلاف. فاستدعت على الفور "سالابيتو"، الذي أسرع بالذهاب إليها ناويًا رد الخديعة، والانتقام منها. وعندما وصل، تظاهرت السيدة بأنها لا تعلم شيئًا عن البضاعة الجديدة، واستقبلته بجفاوة، وقالت له: إذا كنتَ قد غضبت مني لأني لم أعد إليك نقودك في الموعد المحدد....

فقاطعها "سالابيتو" ضاحكًا، وقال لها: لقد غضبت قليلًا، يا سيدتي، لكني، كما تعلمين، كنت على استعداد لأن أنتزع قلبي، وأن أقدمه إليك، إذا كان ذلك يرضيك. وقد دفعني حبي لكِ إلى أن أبيع معظم ممتلكاتي وأملاكي، وقد أتيت إلى هنا، ومعي بضائع تزيد قيمتها على ألفي فلورين، وأنتظر أن تصلني بضائع أخرى تساوى أكثر من ثلاثة آلاف. وقد انتويت أن أشتري مكانًا لأجعله متجرًا لي هنا، وأستقر في هذه المدينة، لأكون بجوارك.

فقالت المرأة: إن قرارك هذا، يا "سالابيتو"، يسعدني ويثلج صدري، لأنك الشخص الذي أحبه أكثر من نفسي؛ وكم أنا سعيدة لعودتك، ونيتك الإقامة والاستقرار هنا، لأنني آمل أن أقضي معك الكثير من الأوقات الممتعة.

ولكنني أريد الاعتذار منك قليلًا لأنك حاولت، قبل مغادرتك، المجيء إليَّ ولم تستطع، أو جئت ولم تُقابل بما يليق بك من حفاوة وحسن ضيافة؛ وكذلك لم أُعد إليك نقودك في الموعد المحدد. ويجب أن تعلم أنني كنت أشعر في ذلك الحين بحزن شديد، لأنني لا أستطيع أن أفي بوعد قطعته للشخص الذي أحبه، ولا يمكنني بالتالي أن أستقبله بالطريقة التي أود أن أقابله بها. واعلم أيضًا أنه ليس من السهل على امرأة أن تمتلك ألف فلورين ذهبي بسرعة. ففي كل يوم، يكذب الجميع عليها، ولا يفون بما وعدوا به، فكنت أضطر أنا أيضًا إلى الكذب على الآخرين؛ وهذا هو السبب، وليس أي شيء آخر. وهو ما جعلني غير قادرة على ردّ الدين الذي لك. ولكنني تمكنت بعدما غادرت بفترة وجيزة من الحصول على هذا المبلغ، إلا أنني لم أتمكن من الوصول إليك، ومعرفة مكانك، وإلا لكنت قد أرسلته إليك. وعندما فقدت الأمل في معرفة مكان تواجدك، استبقيت المبلغ معي.

ثم أسرعت بإحضار كيس به نقود، ووضعته بين يديه، قائلة له:

– قُم بعدّها، لتتأكد من أنها خمسمائة فلورين.

أحس "سالابيتو" بسعادة بالغة لم يشهدها من قبل، وأخذ يحصي نقوده ووجدها كاملة. ثم قال لها:

– أثق تمامًا في صدقك وأمانتك، يا سيدتي، وإلا لما كنتِ وفيت بما عليك من وعد الآن. لذا، أستحلفك بما أكنه لك من حب، ألا تترددي لحظة في طلب أي مبلغ تحتاجين إليه. ولسوف أقدم لك كل ما أستطيع. وحين أستقر هنا، ستتأكدين بنفسك من معرفة حقيقتي، في مثل هذه الأمور.

وهكذا نجح "سالابيتو" بالكلام في إصلاح علاقته بالمرأة، ثم أخذ يكثر

https://telegram.me/maktabatbaghdad

من زياراته لها والتودد إليها، فكانت تحيطه بأجمل الملذات وتستقبله- في كل مرة- بأعظم الحفاوة والترحيب. إلا أن الرجل لم يتخل ولم ينس قط ما فعلته به، وكان عازمًا أشد العزم على الانتقام منها، والرد على خديعتها له، بما هو أشد منها.

فذهب لزيارتها في أحد الأيام، حيث كانت قد دعته لتناول العشاء معها، ولقضاء الليلة سويًا، وقد بدت عليه مظاهر الحزن والغم الشديدين. فعانقته "بيانكافلوري" وقبلته، وسألته عن سبب ذلك. فدفعها بذكاء إلى مزيد من الإلحاح والتوسل، ثم قال لها: آه يا حبيبتي! لقد أوشكت على الإفلاس، فلقد احتجز قراصنة "موناكو" السفينة التي تحمل بضاعتي التي كنت أنتظر وصولها، وأرسلوا إليّ وأخبروني بأنهم لن يردوا البضائع إلا إذا أخذوا مقابل ذلك عشرة آلاف فلورين ذهبي. وما عليّ أن أدفعه لهم هو ألف فلورين قيمة بضاعتي المحملة على متنها. إلا أنني لا أملك شيئًا الآن من هذا المبلغ، لأني أرسلت الخمسمائة فلورين التي أعدتها إليّ، إلى نابولي لاستثمارها في شراء أقمشة. وإذا ما أردتُ بيع البضاعة الموجودة هنا، فلن أكسب فيها إلا القليل، لأن موسمها لم يحن بعد. وأنا غير معروف هنا حتى يقرضني التجار. ولهذا، فلم أعد أعرف ما الذي ينبغي فعله. وإذا لم أتمكن من دفع المبلغ لهم، فسأفقد بضاعتي إلى الأبد، لأنهم سوف يرسلونها إلى موناكو.

بدا للمرأة أنها خسرت كل شيء، فأحست بالقلق، ففكرت في ما بوسعها عمله كي تمنع حدوث هذه الكارثة وتخسر البضاعة، وقالت له: الرب يعلم كم يحزنني هذا بسبب حبي لك؛ ولكن بماذا ينفع الحزن؟ ويعلم الرب أنه

لو كان عندي هذا المبلغ، لكنت أقرضتك إياه على الفور. ولكنني أعرف مرابيًا أقرضني الخمسمائة فلورين التي كنت بحاجة إليها، غير أنه يتقاضى فائدة كبيرة، تصل إلى ثلاثين بالمائة. وإذا كنت ستقترضها منه، لا بد من رهن شيء ثمين. ولو كان الأمر بيدي لرهنت كل ملابسي، بل لرهنت نفسي مقابل القرض، من أجل خدمتك. ولكن كيف ستضمن سداد الدين؟

كان "سالابيتو"، الذي جعلته المرأة يتحول إلى خبير في أمور المكر والخداع، يعلم جيدًا السبب الذي يدفع المرأة إلى تقديم هذه الخدمة، إلا أن أكثر ما أسعده أنه أدرك أن ما سيقترضه من نقود سيكون منها هي نفسها. وبعد أن شكرها لوقوفها بجانبه، وأخبرها بأنه لا يوجد لديه حل آخر، وأن الضرورة تضطره إلى القبول بالفائدة الباهظة؛ ثم قال إن البضاعة المخزنة بالجمرك هي الضمان، وإنه سيسجلها باسم مَن سيقرضه النقود، لكنه سيحتفظ معه بمفاتيح المخزن، كي يتمكن من عرض بضاعته إذا ما جاءه مشترٍ، وكي لا يعبث بها أحد أو يستبدلها أو ينقلها.

عندئذٍ، قالت المرأة إنه ضمان جيد. وفي صباح اليوم التالي، أرسلت في طلب سمسار تثق به كثيرًا، فحدثته في الأمر، وأعطته ألف فلورين ذهبي كي يقرضها للسيد "سالابيتو"، ويقوم بتسجيل البضاعة التي يمتلكها "سالابيتو" باسمه. وبعد أن انتهوا من تسجيل الأوراق وتوثيقها، ذهب "سالابيتو" مسرعًا إلى المرفأ، ومعه ألف وخمسمائة فلورين ذهبي، ولحق بسفينة توشك أن تُقلع، فذهبْ إلى صديقه "بيترو كانيجياني" في "نابولي". وأرسل، من هناك، الحساب كاملًا إلى رؤسائه من كبار التجار الذين كانوا قد أرسلوه من قبل بالأقمشة، ورد إلى صديقه "بيترو" كل ما اقترضه منه،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وأصبح بلا ديون.

وبعد أن أقام أيامًا عديدة مع "كانيجياني"، وهو يضحك سعيدًا بخداعه لتلك المرأة الصقلية، قرر ترك العمل في التجارة، وانتقل للعيش في فيرارا.

أما "بيانكافلوري"، فقد راودتها الشكوك عندما اختفى "سالابيتو"، ولم تجد له أثرًا في باليرمو. وبعد أن انتظرته أكثر من شهرين، استدعت السمسار وذهبت معه للكشف على البضاعة في مخزن الجمرك. فكانت صدمتها ساحقة، حين اكتشفت أن ما في البراميل ليس زيتًا، وإنما هو ماء من البحر، وفى كل واحد منها كمية قليلة من الزيت تطفو فوق الماء عند فتحته. وعند فتحهم لبقية البضاعة، وجدوها مليئة بالأوبار وبقايا النسيج، باستثناء اثنتين منها تحتويان أقمشة، حيث لم تكن تساوي قيمة ما وجدوه سوى مائتي فلورين. فأدركت "بيانكافلورى" أنها قد خُدعت، ولكن بطريقة أشد قسوة وفداحة مما فعلته هي في حق "سالابيتو". وشعرت بمرارة الخديعة، وندمت أشد الندم على الخمسمائة فلورين التي ردتها إليه، ولكن كان ندمها وبكاؤها أشد على الألف فلورين التي استدانتها، وأصبحت تردد على الدوام: "مَن يتعامل مع توسكاني، عليه أن يكون حريصًا". وأدركت أنه إذا كان هناك مَن يعرف، فإن هناك مَن يعرف أكثر منه. وكادت أن تفقد صوابها جراء ما لاقته من خديعتها وسخريتها من الآخرين.



انتهى "ديونيو" من سرد قصته، وانتهت معها فترة حكم "لوريتا". وبعد أن أبدت إعجابها الشديد بنصائح السيد "كانيجياني"، وببراعة "سالابيتو"

وتنفيذه لخطته بمهارة، نزعت إكليل الغار عن رأسها، ووضعته على رأس "إيميليا"، وقالت لها: لسنا ندري كيف ستديرين حكمك كملكة، إلا أننا نرى أنك شديدة الجمال، ونتمنى أن تكون تصرفاتك تليق بما لديك من جمال.

شعرت "إيميليا" بالخجل، إلى أن ظهر ذلك على وجهها الذي تورد من حمرة الخجل، وذلك لأمرين؛ أولهما هو تتويجها ملكة، وثانيهما ما نالته على الملأ من مديح أمام الجميع؛ فأصبحت كالفجر الذي تخالطه سحب خفيفة وردية. وبعد أن ذهب عنها الخجل، رفعت صوتها مستدعية القهرمان، وناقشت معه أمور جماعتها، ثم قالت:

– سيداتي العزيزات، نحن نرى أن الثيران تتعب بعد أن تقضي صفحة النهار تحت النّير، إلا أنه حين يُفك عنها النير ويتم إطلاقها في الحقل، ترتاح وتمضي حرة سعيدة. ونحن نرى كذلك أن الحدائق المليئة بالأشجار والأزهار، لا تقل جمالًا عن الغابات التي لا يوجد بها سوى أشجار السنديان. لذا أرى أننا بحاجة إلى إلقاء هذا النير جانبًا الذي يقيدنا بموضوعات بعينها تفرض علينا، وهذا ما حدث معنا فيما سبق من أيام. ولهذا أقترح أن تكون قصصنا في الغد غير مقيدة أو مقتصرة على موضوع محدد، بل سيروي كل منا ما يروق له. وأنا متأكدة من أن ما سنقوم بروايته من قصص في هذا اليوم سيكون أكثر متعة وتسلية مما سبقه من أيام، عندما كان هناك موضوع واحد محدد ومفروض على الجميع.

وبعد أن انتهت من قولها هذا، أبدى الجميع إعجابه بما قالته، وأطروا عليه. ثم أذنت لهم بأن يذهب كل واحد منهم لفعل ما يشاء إلى أن يحين

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وقت العشاء؛ فذهبوا جميعًا للترويح عن أنفسهم. فبينما كان الشبان منهمكين في اللعب والغناء، كانت النساء منشغلات في صنع أكاليل الزهور، حتى جاء موعد العشاء؛ فتجمعوا حول نافورة جميلة، وبدأوا يأكلون ببهجة وسعادة.

وعند الانتهاء من العشاء، شرعوا في الغناء والرقص لبعض الوقت على سبيل التّسلية. وفي النهاية، فعلت الملكة مثل سابقيها، دون الالتفات إلى أن البعض منهم قد غنى كثيرًا، فأمرت "بانفيلو" بأن يغني أغنية، فبدأ يغني وهو رائق المزاج.

يا لعظمتك أيها الحب الأزلي،
فبفضلك امتلأ قلبي بقمة الخير والأمل،
كم أنا سعيد لاحتراقي بلهيبك القاسي.
قلبي يفيض عشقا، وفي السعادة يرتمي،
فهذا أيها الحب ما منحتني،
ولم يعد بالإمكان أن أخفي،
فضياء وجهي
يفضح سروري وفرحتي،
فالعشق يجعلني أحلق عاليًا في سماء سعادتي،
فرحًا بلهيب احتراقي.
عظيم حقًّا أيها الحب الباقي.

أيها الحب، لا بمقدور غيري ولا بمقدوري،
أن أعبر بغنائي،
أو أشير بأصابعي،
إلي الفرح الذي ينتابني.
فحتي لو تمكنت منذ ذلك فإني ألتزم الإغضاء،
فاستثارته تجعل لهيبه عاصفا عضالًا.
ففرحتي تحيط بي من كل جانب وتملأني،
ويحسها الجمع قبل أن تخرج الكلمات من فمي.

احتضنتها وكلي سعادة بذراعي،
وتلامس وجهي بوجهها دون حجاب،
فكم كان وجهها يعج بالملاحة والبهاء.
كم كنت حسن الطالع،
رغم كوني كنت أتأجج بكاملي،
بيد أنني كنت أخفي فرحتي وابتهاجي.

وإلي هذا الحد، انتهت الأغنية التي بدأها "بانفيلو"، والتي أعجبت الجميع، علي الرغم من أن لا أحد منهم قد وعى إلى من كانت موجهة؛ فتخيل كل منهم أمرًا مغايرًا عن الآخر، دون الوصول إلي الحقيقة. ولما فرغ "بانفيلو" من أغنيته هذه، أمرت الملكة الجميع بالذهاب إلى النوم والراحة. وهنا أسدل الستار عن اليوم الثامن.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

اليــوم التَّـــاسع

انتهى اليوم الثامن من الديكاميرون، وبدأ اليوم التاسع، تحت حكم الملكة الجديدة "إيلينا". ويتحدث فيه كل شخص من الرواة العشرة عما يحلو له، دون تقيد بموضوع معين.

أقبل نور الشمس ليغلب عتمة الليل، لينهي الليلة الثامنة، فيبدل سماءها من الأزرق القاتم إلى الأزرق السماوي، وينجلي به صباح اليوم التاسع. وبدأت الأزهار تتفتح لتستقبل نور الصباح، وسط المروج الخضراء. استيقظت "إيميليا" ودعت صديقاتها، وأيضًا الرجال الثلاثة؛ فأتوا جميعًا، واتبعوا خطوات الملكة البطيئة، حتى وصلوا إلى غابة قريبة من القصر القاطنين فيه؛ فساروا في أعماقها، ووجدوا هناك حيوانات متنوعة كالماعز البري والغزلان وغيرها من الحيوانات التي كانت تتنقل بحرية في كل مكان، لعدم وجود الصيادين الذي منعهم الوباء من القدوم للصيد؛ فكانت تقف

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أمامهم بلا خوف، بل تقترب من هذا وذاك، كما لو كانت حيوانات أليفة، وكأنهم يدعونهم للجري والقفز معهم؛ فأعجبهم ذلك، واستمتعوا بالمرح معهم. استمر هذا إلى أن سطعت الشمس في السماء بقوة، ورأى الجميع أنه قد حان وقت العودة. كان كل منهم متزينًا بأكاليل من الورود، وحاملين معهم باقات الزهور والنباتات العطرة، وكأنهم يقولون للموت "لن تتمكن من هزيمتنا، وحتى لو أتيت إلينا فستجدنا سعداء حين تقبض روحنا".

عادوا إلى القصر، وهم يسيرون على مهل، ويتغنون ويتبادلون المزاح والنكات المضحكة، حتى وصلوا إلى القصر؛ فوجدوا كل شيء جاهزًا، ووجدوا خدمهم يحتفلون في سعادة. وبعد نيل قسط من الراحة، جلسوا علي المائدة بعد ترديد عدةأغنيات رائعة غناها الجميع (كان عدد الأغنيات ستة، كل واحدة منها أجمل من سابقتها، وغناها الشبان والشابات).

وبعد غسل أيديهم، قادهم القهرمان إلى أماكنهم على المائدة، وفقًا للترتيب الذي أعدته الملكة سلفًا. فُرشت المائدة بالطعام، فتناولوه بشهية مفتوحة. وبعدما انتهوا من تناول الطعام، وتم رفعه من على المائدة، وبعد أن قضوا بعض الوقت في الغناء والرقص؛ بعد هذا كله، وبموافقة من الملكة، ذهب مَن شعر بالتعب منهم لينال قسطًا من الراحة. ولما حان الوقت المتفق عليه، ذهبوا كلهم إلى الركن المحدد للقصص والروايات، ونظرت الملكة إلى "فيلومينا"، وطلبت منها أن تبدأ قصص اليوم، فابتسمت وشرعت قائلة:

القصة الأولى

يقع رجلان في حب السيدة "فرانتشيسكا"، الأول شخص يُدعى "رِنُّوتشو"، والثاني "أليساندرو". لكنها لم تُعجب بأي منهما، وتقوم بإقناع أحدهما بأن يدخل قبرًا كأنه ميت، وتجعل الثاني يخرجه من المدفن. ولما لم يتمكنا من تنفيذ طلبها، تتخلص منهما بذكائها ودهائها.

سيدتي الملكة، يسرني كثيرًا أن أكون أول مَن يتم اختيارها لبداية الروايات في هذا الموضوع المفتوح الذي اخترتِه لنا. وأتمنى أن أكون عند حسن ظنك، وتنال روايتي إعجاب الجميع، فتكون حافزًا للرواة التالين، فيقدموا لنا كل ما لديهم ليتفوقوا عليَّ، ويصبحوا أفضل مني في هذا الشأن. لقد تحدثنا كثيرًا فيما مضى، يا صديقاتي العزيزات، عن تأثير الحب وقوته. غير أني أعتقد أنه لو تحدثنا في هذا الموضوع لمدة عام كامل فلن يكون كافيًا. فالحب لا يعرض صاحبه للأخطار الكبيرة فحسب، بل قد يقوده كذلك إلى الدخول بمحض إرادته إلى القبر. ولإيضاح ذلك، سأروي لكم قصة- تضاف لما قصصت من قبل- كي تتعلمن منها قوة وتأثير الحب،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وكذلك التعلم من فطنة إحدى السيدات النبيلات التي أحسنت التصرف، للتخلص من اثنين عشقاها، من غير أن تبادل أيًّا منهما هذا الشعور.

كان تعيش في مدينة "بستويا"[37] أرملة رائعة الجمال، وقع في حبها رجلان تم نفيهما من مدينة "فلورنسا". أحدهما يُدعى "رِنُّوتشو باليرميني"، والثاني "أليساندرو كياروموتيزي". ودون أن يعلم أيٌّ منهما عن الثاني، أحب الاثنان نفس السيدة. وحاول كل منهما أن ينال إعجابها بشتى الطرق، باذلين أقصى ما في وسعهما للحصول على ما يصبوان إليه.

كانت هذه السيدة الراقية- التي تُدعى "فرانتشيسكا دي لازاري"- تتلقى رسائل وتوسلات مستمرة من الرجلين. فأصغت إلى هذه التوسلات، بعد كثرة الإلحاح، وفكرت في وسيلة للتخلص من ملاحقتهما بشكل مهذب، ولكن دون جدوى. وفي النهاية، فكرت في طريقة لتتخلص من إصرارهما الشديد، لكن هذه المرة بشكل نهائي. فقد قررت أن تطلب منهما طلبًا لن يتمكنا من تنفيذه، حتى تتخلص منهما، وبذلك تتوقف رسائلهما لها بعد اليوم. كانت فكرتها كالتالي:

في ذلك اليوم الذي خطرت ببالها، توفي في بلدتها رجل ورث النبالة عن عائلته؛ غير أنه كان مكروهًا، فكان من أسوأ رجال العالم وأكثرهم خداعًا. أضف إلى كل ذلك أنه كان قبيحًا، مشوه الخلقة، يخاف منه أي شخص يراه. وقد تم دفن هذا الرجل في مقبرة قريبة من كنيسة صغار الرهبان. وفكرت تلك السيدة أن تكون هذه الحادثة أفضل ما يساعدها على تحقيق ما تريد،

---

[37] مدينة في الجزء الشمالي من وسط إيطاليا، ضمن إقليم "توسكانا".

فقالت لخادمتها:

– أنت تعلمين مدى الإزعاج والضيق اللذين يسببهما لي هذان الشخصان، "رِنُّوتشو" و"أليساندرو". وفي حقيقة الأمر، فأنا لا أريد أيًّا منهما، بل أود التخلص منهما تمامًا. وقد قررت أن أضعهما في اختبار لا يمكن النجاح فيه، شيء يستحيل أن يقوم به أيٌّ منهما. وبذلك، يتوقفان عن إلحاحهما وملاحقتي. فاسمعي جيدًا ما سأطلبه منك: تعرفين بالتأكيد أن "اسكناديو"– الذباح– (وهذا كان اللقب الذي أطلقته الناس على ذلك الشخص)، تم دفنه هذا الصباح، بالقرب من مدفن صغار الرهبان. وكان النظر إليه وهو حي يُدخل الخوف في قلوب الرجال. فكيف يكون الحال إذن وهو ميت. ولذلك، اذهبي سرًّا إلى "أليساندور" أولًا، وقولي له: "أرسلتني السيدة "فرانتشيسكا" لتخبرك أنها تعطيك فرصة لتنال حبها الذي تسعى له، وترغب فيه منذ وقت طويل. وقد أصبح بإمكانك الآن أن تحقق هدفك الذي لطالما كنت تصبو إليه. وإذا أردت ذلك، فبالطريقة التالية: سيتم الليلة– لسبب ستعلمه لاحقًا– نقل جثة "اسكناديو" الذي دُفن اليوم إلى بيتها؛ وهي تخافه ولا تريد أن تراه، حتى لو كان ميتًا، ولا تريده في منزلها. ولهذا، فهي تريد أن تقدم لها تلك الخدمة الكبيرة؛ فلتذهب الليلة تحديدًا في أول الليل، وتدخل قبره، وترتدي ملابسه، وتبقى هناك إلى أن يأتي الأشخاص الذين سينقلون الجثمان. فلتظل ساكنًا، ولا تتفوه بكلمة واحدة، وسيخرجونك ويأتون بك إلى بيتها. وسوف تلقاك هناك، وستظل معها هناك كما تريد، ثم تمضي بعدها إلى حيث تريد، وستقوم هي بتسوية هذا الأمر". فإن أجاب

https://telegram.me/maktabatbaghdad

بالقبول، فسيكون هذا جيدًا، وإذا رفض، فأخبريه نيابةً عني ألا يأتي لأي مكان أتواجد فيه، وألا يرسل لي أية مراسيل أخرى. وستذهبين بعدها إلى "رِنُّوتشو باليرميني"، وتخبريه أنني سوف أرضى عنه لو قدم لي خدمة عظيمة، وهي: أن تذهب إلى المدفن الذي بداخله "اسكناديو". وبدون أن تتفوه بكلمة، تأخذه من القبر، وتحمله إلى بيتها؛ ووقتها، ستعرف ما الذي تريده، وتنال مرادك هناك. أما إن رفضت، فإنها تخبرك بألا تبعث لها رسلًا أو رسائل بعد اليوم قط".

ذهبت الخادمة إليهما، وقالت لكل واحد منهما ما أخبرتها به سيدتها، وكان جواب الرجلين أنهما على أتم استعداد لتلبية طلبها، بل أكثر من هذا إذا أرادت. أخبرت الخادمة السيدة بجوابيهما، فانتظرت لترى إن كانا مجنونين حتى يقوما بتنفيذ طلبها، أم لا. ومع قدوم الليل، خلع "أليساندرو كيارومونتيزي" ملابسه، وظل بالجلباب الطويل. ثم خرج من بيته، لكي يذهب ويبقي في مكان جثة الرجل الميت بالمدفن. وأثناء سيره في الطريق، أخذت الشكوك والظنون تساوره، وأخذ يقول في قرارة نفسه: "آه، كم أنا غبي! إلى أين أذهب؟ وماذا لو علم أقارب السيدة أني مفتون بها، وطلبوا منها أن تقول لي هذا الكلام ليقتلوني في هذا المدفن؟ ولو حدث ذلك، فسأكون أنا مَن سيدفع الثمن بالتأكيد، ولن يعرف أحد بما حدث لي. ماذا لو كان لديها عشيق، ويريد التخلص مني لتؤول إليه؟" بعدها، قال لنفسه: "وربما، لو كان الأمر على نحو آخر، وحملني أقرباؤها إليها؛ فمن غير المرجح أخذهم للجثة ليحتفظوا بها أو ليعطوها للسيدة؛ بالتأكيد، هم يريدون التمثيل بالجثة انتقامًا منه للضرر الذي قد يكون قد أصابهم بسببه. فماذا يحدث لو قام

أقرباؤها بإيذائي، وخلعوا أسناني، أو قطعوا يدي، أو قاموا بأي شيء آخر؟ كيف سأظل صامتًا؟ وماذا لو تحدثت وتعرفوا عليَّ، فحتما لن يتركوني. وإن لم يفعلوا شيئًا، فإنني لن أنال ما أريد، لأنهم لن يتركوني مع السيدة هناك. ووقتها ستقول السيدة إنني لم أنفذ رغبتها، ولن أنال رضاها إذن مطلقًا. أثناء تفكيره بهذا الشكل، أراد العودة إلى بيته؛ لكن حبه الكبير قاده إلى هناك، إلى المدفن.

كان يبحث لنفسه عن مبررات وحجج حتى وصل إلى المدفن؛ وفتحه ودخل فيه، وجرد "اسكناديو" من الملابس ولبسها هو. أغلق المدفن عليه، ونام مكان الميت، وظل يجول بباله خواطر عن ذلك الميت، وعن كم الأخطاء والذنوب التي ارتكبها، وأيضًا عن الأشياء التي يسمع أنها تحدث في القبور. ظل في حالة من الرعب والخوف، وبدأ يتخيل أن الميت سينهض في أي وقت ويقتله. لكن حبه لتلك السيدة أعانه على التغلب على تلك الأفكار التي كانت تجول بخاطره، وظل نائمًا هناك، كأنه ميت بالفعل، بانتظار ما سيحدث.

ولما حل منتصف الليل، خرج "رِنُّوتشو" من منزله لينفذ ما طلبت منه السيدة. وأثناء سيره، راودته أفكار مقلقة حول المخاطر التي قد تحدث له، كأن يقبض عليه رجال الشرطة وهو يحمل الميت مثلًا، فيظنوا أنه مشعوذ، ويحكموا عليه بالحرق؛ أو أن يعلم الناس، ويستاء أهل ذلك الرجل المدفون من فعلته المشينة هذه بميتهم. بيد أنه حسم قراره، وقال لنفسه: "كيف أستطيع رفض أول طلب للسيدة التي أحبها؛ فقيامي بما تريد سيجعلني أحظي بحبها لا محالة. فليس بمقدوري عدم الوفاء بوعدي لها، حتى لو كان

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ما تطلب فيه نهايتي. ولما وصل إلى المدفن قام بفتحه. شعر "أليساندرو" بأن القبر ينفتح، فبقي مكانه دون أن يحرك ساكنًا، مع أنه كان مرعوبًا. ولما دخل "رِنُّوتشو" القبر، أمسك بـ"أليساندرو" من قدمه، وهو يظن أنه "اسكناديو"، وسحبه إلى الخارج. وبعدها، حمله على كتفه، وذهب به نحو بيت السيدة. وأثناء سيره في الطريق، وهو يحمله، ارتطم بواجهة أحد المنازل وبروزات أخرى يمينًا ويسارًا. كان يسير في ليلة حالكة السواد، فلم يستطع تمييز الطريق بسهولة. وحينما وصل "رِنُّوتشو" أمام بيت السيدة، وكانت تنتظر هناك قرب النافذة مع خادمتها، شاهدت "رِنُّوتشو" وهو يحمل "أليساندرو". فاستعدت لصرف الرجلين سويًّا.

أتى رجال الشرطة لكي يقبضوا على قاطع طريق كانوا قد دبروا له كمينًا. وعندما سمعوا صوت الضوضاء التي أحدثها "رِنُّوتشو"، قاموا على الفور بإشعال المشاعل ليعرفوا مَن القادم، وإلى أين يذهب. ثم أشهروا سيوفهم ورماحهم وصاحوا:

- مَن هناك؟

عرفهم الرجل من صوتهم، ولم يتمكن من التفكير، فألقى بالجثة التي يحملها على الأرض وجرى بأقصى سرعة. بعدها، قام "أليساندور"، وجرى مسرعًا. كان يرتدي ملابس الميت الطويلة. وشاهدت السيدة ما حدث بوضوح على ضوء مشاعل رجال الشرطة. وتعجبت من شجاعتهما. وبالرغم من دهشتها، فلم تتمكن من كتمان ضحكها على منظرهما، عندما رأت "رِنُّوتشو" يلقي بـ"أليساندور" علي الأرض، وينهض بعدها هاربًا. سرّها كثيرًا ما حدث، وفرحت لكونها تخلصت منهما. ثم عادت لغرفتها، وتأكد لها

ولخادمتها حب كلا الرجلين لها بشكل بالغ؛ فقد قاما بما طلبت منهما، وشاهدت هذا بأم عينها.

ومع كل هذا الذي جرى، فإن "رِنُّوتشو" الحزين لم يعد إلى منزله، وأخذ يندب حظه السيء، وبقي حتى ذهب الحراس من الحي، ورجع إلى المكان الذي ترك فيه "أليساندرو" في الظلام، يتحسس المكان لعله يجده، ليكمل تنفيذ مهمته. ولما لم يجده، عاد إلى بيته، وهو يظن أن الحراس قد وجدوه وأخذوه. أما "أليساندور"، فلم يعلم ماذا يفعل، وعاد إلى بيته كذلك من غير أن يعلم مَن الذي كان يحمله.

وفي صبيحة اليوم التالي، عندما وجد الناس المدفن مفتوحًا، وجثة "اسكناديو" غير موجودة هناك– فلقد حملها "أليساندور" إلى مقبرة أخرى لكي ينام في مكانه– تحدث الناس كثيرًا عن هذا الأمر، واعتقد بعض السذج أن الشياطين قد أخذته. أما الرجلان، فقد ذهب– كلٌّ منهما على حدة– ليخبر السيدة بما قام به، وما جرى له. أبدى كل منهما أسفه لعدم تمكنه من إكمال المهمة. وترجى كل منهما السيدة أن تمنحه حبها. لكنها تظاهرت بأنها لا تصدق ما يقولان، وردت عليهما بشدة وحزم، برفض كليهما، بسبب عدم تنفيذ ما طلبته منهما. وهكذا تخلصت منهما إلى الأبد.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

القصة الثانية

بسبب وشاية إحدى الراهبات، تصحو رئيسة الدير مسرعةً في الليل، لتفاجيء راهبة مع عشيقها. ولأن رئيستهن نفسها كانت وقتها في علاقة آثمة مع أحد الرهبان، وكان الظلام دامسًا، قامت بالخطأ بوضع سروال الراهب الداخلي فوق رأسها، وهي تظنه قلنسوتها. وعندما تلاحظ الراهبة المتهمة هذا، تلفت نظرها إليه، وتنجو من العقاب، وتأخذ مزيدًا من الحرية، وتبقى مع عشيقها دون خوف.

عندما أنهت "فيلومينا" قصتها، أبدى الجميع إعجابه بذكاء وعقل السيدة، وكيف تخلصت من كلا العاشقين. واعتبر الجميع أن ما قام به العاشقان كان حماقة، وليس حبًّا. نظرت الملكة إلى "إليزا"، وقالت لها بصوت عذب: فلتكملي أنتِ، يا "إليزا". فقالت بعدها فورًا: صديقاتي اللطيفات، لقد علمنا أن السيدة "فرانتشيسكا"، كما سمعنا، تخلصت من مضايقات عشيقيها بحظها الوفير وحكمتها. وأعرف قصة راهبة شابة، ساعدها الحظ، وحسن التصرف، والقول السديد، على أن تنجو من ورطة

كبيرة وقعت فيها. فكما تعلمـن، هنـاك أشـخاص يحـاولون جعـل أنفـسهم أوصياء على غيرهم، على الرغم من غبـائهم؛ وهـو مـا سـأحكي عنـه اليـوم، وأحيانًا ينالون جزاء أفعالهم. وهذا ما حدث مع رئيسة ديـر، كانـت الراهبـة التي أحكي عنها تعمل فيه تحت رئاستها.

كان هناك في "لومباردي" دير مشهور بقدسيته وتـدين مـن فيـه؛ ولا بـد أنكن سمعتن عنه. وكانت هناك راهبة شابة تنحدر مـن أصـل نبيـل، مـنَّ الرب عليها بجمال خلاب، وكانت تدعى "إيزابيتّـا". وذات يـوم، خرجـت إلى بوابة الدير الحديدية لتقابل أحد أقاربها، فوجـدت برفقتـه شـابًّا وسـيمًا أتى معه. ولما رآها الشاب وقع في حبها على الفور من أول نظرة، وأصيبت الفتـاة هي الأخرى بسهام الحب. استمر هذا الحـب لوقـت طويـل، بـل ازداد شـوقًا وحرمانًا، دون أي لقاء يجمعهما؛ إلى أن وجد الفتى طريقة يتمكن بها مـن لقائها دون أن يشعر به أحد، ففرحت لهذا. ومنذ ذلك الوقت، وهو يأتي إليها باستمرار.

وفي إحدى تلك المرات، رأته إحدى راهبات الدير وهو ذاهب إليها (مـن غير أن يشعر بها هو وعشيقته). أخبرت بعض الراهبات بذلك. واتفقـن على إخبار رئيـسة الديـر بمـا رأيـن، وكُـن يعتقـدن أن رئيـستهن، الـتي تُـدعى "أوسيمبالدا"، مثـالٌ في التقـوى والـورع؛ وهـذا مـا كان يـراه كل مـن كانـوا يعرفونها. وأرادوا أن تمسك بها رئيـسة الديـر متلبـسةً بفعلتهـا، فـأخفين الموضوع حتى لا تأخذ حذرها، وقاموا بمراقبتها في الخفـاء. ولمـا أتى الـشاب إليها في إحدى الليالي، لم تكن تعلم ما تدبره لها زميلاتها. وعندما شاهدته الراهبة التي كانت تراقبها وجدن أن الوقت مناسب للقبض عليها؛ فبقي جزء

https://telegram.me/maktabatbaghdad

منهن عند باب حجرتها، وذهبت الباقيات إلى حجرة رئيسة الدير، وطرقن عليها الباب، وهن يقلن:

- أفيقي، أيتها الأم؛ لقد وجدنا "إيزابيتّا" مع شاب في حجرتها.

كانت لدى رئيسة الدير- في هذه الليلة- كاهن يأتي إليها كل فترة، وتدخله غرفتها عن طريق صندوق يختبئ بداخله. فلما سمعت كلام الراهبات، خافت من كثرة طرقهن على الباب- لشدة استعجالهن- أن ينفتح الباب من تلقاء نفسه من شدة الطرق عليه. ومن ثم نهضت بسرعة، ولبستِ ثيابها متعجلة، ووجدت شيئًا أبيض بجوارها ظنت أنه قلنسوتها البيضاء فوضعته على رأسها، لكنه كان سروال الكاهن الداخلي. ثم خرجت وأغلقت الباب وراءها، وهي تقول:

- أين هي تلك الخبيثة الملعونة؟

توجهت مع الراهبات الغاضبات لضبط "إيزابيتّا"، متلبسةً بخطيئتها، دون أن تلاحظ إحداهن ماذا تضع فوق رأسها. وعندما وصلن إلى حجرتها، وفتحن الباب بالقوة، ودخلن عليهما، وجدوهما متعانقين. تفاجأ العاشقان بما جرى، ولم يعلما ماذا عساهما أن يفعلا ، فالتزما الصمت. أمسكت الراهبات بالفتاة، وأخذوها بأمر من رئيسة الدير إلى الحبس. أما الشاب الذي كان معها، فارتدى ملابسه، وأخذ يفكر ماذا يفعل. فكر في أن يضرب مَن يقف في طريقه، ويأخذ الفتاة بالقوة ويهرب. لكن ماذا لو ازداد الأمر سوءًا؟ وفي حجرة العقاب، قامت رئيسة الدير، بحضور الراهبات كلهن، بتوجيه عبارات التوبيخ واللعنات إلى الفتاة المذنبة، وكأن قداسة المكان

واحترام الناس للدير ستنهار لو سمع أحد بما فعلت من أفعال خبيثة تدنس طهارة وقداسة المكان. واصلت الشتائم وتوعدتها بأشد العقاب. كانت تلك الفتاة مرتبكة وخائفة. وبما أنها كانت مُقرة بخطئها، فقد بقيت صامتة، لعلهم يرحمونها من العقاب. أثناء كل تلك التوعدات والتهديدات، رفعت الفتاة نظرها إلى أعلى، فوجدت أن ما تضعه رئيسة الدير على رأسها يتدلى منه أربطة؛ فعرفت ما هذا، وتأكدت من ذلك، فقالت لها:

- سيدتي، فليُعنك الرب على ما أنتِ فيه! اربطي أولًا الكوفية على رأسك، ثم تحدثي بما تريدين بعدها.

فأجابتها رئيسة الدير، التي لم تعرف ماذا تعني بهذا الكلام:

- عن أي كوفية تتحدثين أنتِ؟ هل وصلت بكِ الوقاحة للاستهزاء بي؟ هل تعتقدين أنكِ في موقف يسمح لك بالمزاح؟

فقالت لها الشابة ثانية:

- أرجوك، يا سيدتي أن تربطي الكوفية، وبعدها يمكنك قول ما تريدين.

في تلك اللحظة، تحققت بعض الراهبات، ممن نظرن إلى رئيسة الدير، من ماهية الشيء الموجود على رأسها، وتحسسته هي أيضًا بيدها. وعلمن ماذا تعني "إيزابيتّا" بكلامها؛ فشعرت رئيسة الدير بذنبها، وعلمت أنهن كلهن قد رأينها، ولم يعد ممكنا إخفاء الحقيقة؛ فتغيرت نبرة صوتها وطريقة كلامها، وتكلمت بشكل مغاير لما كانت تقوم به. وقد توصلت أخيرًا إلى أنه من الصعب جدًّا عليهن الصمود ومقاومة رغبات الجسد. وسمحت لهن بأن يستمتعن بذلك حين يتمكن منه؛ ولكن مع أخذ حذرهن. بعدها أفرجت

https://telegram.me/maktabatbaghdad

عن الفتاة، ورجعت لتنام مع كاهنها، وكذا "إيزابيتّا" مع عشيقها.

ومنذ ذلك الحين، أصبحت تأتي به كما تشاء، رغم غيرة الحاسدات. أما اللواتي لم يكن لهن عشاق، فقد أخذت كل واحدة منهن تجرب حظها بكل ما أوتيت.

القصة الثالثة

شخص يُدعى "سيمون"، يطلب من "برونو" و"بوفالماكو" و"نيلّو" أن يجعلوا "كالاندرينو" يعتقد أنه حامل، حتى يستغلونه فيأخذون ماله ويعطونه الدواء، ليشفى من حمله من غير ولادة.

بعد انتهاء قصة "إليزا"، فرحت السيدات لنجاة الشابة من مأزقها، وخلاصها من مكر الراهبات الحاقدات. ثم أمرت الملكة "فيلوستراتو" أن يكمل، فبدأ قصته دون تردد: سيداتي الفاتنات، أخذ قاضي "لاماركا" البغيض، الذي حدثتكم عنه أمس، من على لساني، قصة عن "كالاندرينو"، كنت أنوي أن أحكيها لكم. إن الحديث عنه حقًّا يزيد المرح والتسلية، ويا لها من قصص كثيرة تلك التي حكيتها عنه وعن صديقيه. وسأحكي لكم القصة التي خطرت على بالي ليلة البارحة.

لقد علمنا بشكل جيد مَن هو "كالاندرينو"، ومن الذين يحيطون به، وهم من تتناولهم قصتنا هذه؛ لذا، سأدخل في الموضوع مباشرة، دون الحاجة للتعريف بهم.

فبعد موت عمة "كالاندرينو"، ورث منها مائتي ليرة نقدية، فرغب في

https://telegram.me/maktabatbaghdad

شراء مزرعة. وعرف بهذا سماسرة الأراضي بـ"فلورنسا"، تمامًا كما لو كان سينفق الكثير من النقود. أخذ يبحث ويبحث عن صفقات، لكنها كانت دائما ما تبوء بالفشل بسبب المبلغ المطلوب، ورغبته في عدم دفع أموال كثيرة؛ فقد كان في قمة البخل. كان "برونو" و"بوفالماكو" يعلمان بما يحدث، وأوعزا إليه أن الأفضل أن ينفق النقود بدلًا من شراء أرض، لكن كلامهما لم يعجبه، ولم يتمكنا من إقناعه بتناول الطعام معهما ولو مرة واحدة. وأثناء نقاشهما في هذا الموضوع، وضيقهم من تصرفاته، أقبل عليهم صديق اسمه "نيلّو" كان يعمل مثلهم في دهان المنازل. أخذ يفكر ثلاثتهم معًا لإيجاد طريقة يستغلون بها هذا البخيل، إلى أن توصلوا لفكرة ما، ورتبوا ماذا سيفعلون. وعندما خرج "كاندرينو" من منزله في اليوم التالي، وجد "نيلّو" أمامه، فقال له:

– صباح الخير، يا "كالاندرينو".

فرد "كالاندرينو" عليه، متمنيًا له إنعام الرب عليه بالخير.

فتوقف "نيلّو" أمامه متأملًا، محدقًا بوجهه، فسأله "كالاندرينو":

– ما الذي تنظر إليه، وتحدق فيه هكذا؟

فقال له "نيلّو":

– هل حدث شيء ما البارحة؟ تبدو لي متغيرًا، ووجهك شاحبًا.

أقلقت تلك الكلمات "كالاندرينو"، فقال:

– آه، هل تعتقد أني مريض؟

فقال "نيلّو":

- لا أعلم تحديدًا، ولكن هناك خطبًا ما. قد يكون شيئًا آخر.

مضي في طريقه. بيد أنه بدأ يشعر بالخوف من حديث "نيلّو". لكنه لم يكن يشعر بأي ألم. مضي في طريقه. وشاهد "بوفالماكو" الذي أقبل من بعيد، فأوقفه وألقي عليه التحية، وسأله هل هناك ما يؤلمه . فرد "كالاندرينو":

- لا أعلم، ولكن "نيلّو" قال لي منذ قليل إنه لاحظ بي تغيرًا. أيمكن أن أكون مصابًا بمرض ما؟

فقال "بوفالماكو":

- يمكن أن تكون قد أصبت بمرضٍ ما، فشكلك يشبه الموتى.

بدأ "كالاندرينو" يشعر بارتفاع حرارته، كأنه أصيب بالحمى. ووقتها حضر "برونو"، وقال بمجرد أن نظر إليه:

- لماذا يبدو وجهك شاحبًا هكذا؟ إنك تشبه الميت. ما الذي حدث بك؟

حينئذٍ، تأكد له أنه مريضٌ فعلًا. فقد أجمع أصدقاؤه الثلاثة على هذا الأمر، فسألهم وهو مضطرب:

- ماذا عساني أن أفعل الآن؟

فقال "برونو":

- يجب أن ترتاح في منزلك، وتنام على فراشك، وتحصل على تدفئة مناسبة، وتبعث لطلب الحكيم "سيمون"؛ فيمكنه أن يساعدك فهو صديقنا. وسنقوم بزيارتك حتمًا. ولو أردت شيئًا منا، فسنقوم به من أجلك بالقطع.

تبعهم "نيلّو". وأخذوا "كالاندرينو" إلى بيته؛ فدخل مهمومًا إلى غرفة نومه، وقال لزوجته:

https://telegram.me/maktabatbaghdad

– تعالي، وضعي عليَّ الغطاء جيدًا، فأنا مريض وحالتي سيئة.

بعد أن نام في سريره، بعث الخادمة ومعها عينة من البول إلى الطبيب "سيمون"، الموجود في دكان العقاقير بالسوق القديم. في هذه الأثناء، قال "برونو" لأصدقائه:

– ابقيا هنا بجواره، وأنا سوف أذهب إلى الطبيب لنرى ما سيقول، وسآتي بالطبيب لو تطلب الأمر ذلك.

فقال له "كالاندرينو":

– نعم، يا صديقي، وصف له حالتي. فأنا لا أعلم ماذا يحدث بداخلي.

ذهب "برونو" إلى ذلك الطبيب، وأطلعه على حقيقة الموضوع. وحينما وصلت الخادمة، ونظر الطبيب في عينة البول، قال لخادمة "كالاندرينو":

– اذهبي إلى سيدك، وقولي له أن يدفئ نفسه جيدًا. وسوف آتي له بعد قليل، وسأخبره بما يعاني، وماذا عليه فعله.

عادت الخادمة إلى البيت، وأخبرت سيدها بما قاله الطبيب. وبعد مرور بعض الوقت أتي "برونو" ومعه الطبيب، وقام بفحص نبض "كالاندرينو". ثم قال له، وكانت زوجته حاضرة هناك:

– انظر، يا "كالاندرينو"، سوف أتحدث معك كصديق، أنت لا تعاني من أي مرض، وكل ما في الأمر أنك حامل.

بمجرد سماعه هذا، صاح بعلو صوته، وقال:

– آه منك، يا "تيسًا"! كل هذا بسببك، فأنتِ تودين أن تكوني فوقي دائما؛ لقد حذرتك من هذا كثيرًا!

لما سمعت زوجته كلامه، وهي سيدة عفيفة، ولديها حياء وخجل، احمر وجهها خجلًا ونظرت في الأرض، وخرجت من الغرفة دون أن تتفوه ولو بكلمة واحدة. أما "كالاندرينو" فظل يشتكي، ويقول:

- آه، يا لحظي التعيس! ما العمل الآن؟ كيف سألد هذا الجنين؟ من أين سيخرج؟ كنت أعلم أني سأموت بسبب رغبات زوجتي، وأتمنى من الرب أن يبعث لها الشقاء بقدر ما أرجو لنفسي من سعادة. ولو كنت بقوتي، وأنا على غير هذه الحالة، لقمت لها وأوسعتها ضربًا. إنني أستحق هذا، فأنا من سمح لها أن تفعل هذا بي. ولو قُدر لي، وبقيت حيًّا ونجوت من هذه المصيبة، فلن أسمح لها بهذه الوضعية ثانيةً، مهما فعلت.

كان "برونو" و"بوفالماكو" و"نيلّو" يكتمون ضحكاتهم بصعوبة بالغة، حين سمعوا ما قاله "كالاندرينو". وقد نجحوا في ذلك. أما الطبيب، فكان يضحك بشدة ويقهقه. وفي النهاية، اتجه "كالاندرينو" صوب الطبيب مترجيًا إياه أن يساعده وينصحه بما عليه فعله، فقال الطبيب:

- لا تخف! فقد عرفنا بالأمر مبكرًا، ويمكنك ببعض الجهد الشفاء قريبًا. ولكن هذا سيكلفك بعض المال.

فقال "كالاندرينو":

- آه أيها الطبيب، أستحلفك بالرب! إنني أملك مائتي ليرة كنت أود شراء مزرعة بها؛ خذها كلها لو تطلب الأمر، وخلصني من هذا، لأنني لا أدري ماذا سيحدث لي. لطالما كنت أسمع النساء يصرخن وقت الولادة، مع العلم أن لديهن مكانًا واسعًا يسمح لهن بالولادة وخروج الجنين. ولو حدث لي

https://telegram.me/maktabatbaghdad

هذا الألم، فمن المؤكد أنني سأموت قبل أن يخرج المولود.

فقال الطبيب:

- لا تقلق بخصوص هذا الأمر، سأحضر لك شرابًا طبيًّا، وسأعالجك به، ومذاقه مقبول؛ وبعد أيام ستصبح بخير، وستصير مثل السمكة الطازجة. لكن يجب عليك الانتباه، ولا تقم بهذه الأفعال الغبية في المستقبل. سوف أحضر لك الدواء مقابل ثلاثة من الديوك الكبيرة السمينة، كما ينبغي أن تعطي لأحد أصدقائك خمس ليرات لجلب بعض المواد التي تحتاجها تركيبة الدواء، وترسل ما طلبت إلى دكان العقاقير الخاص بي غدًا، بإذن الرب، وسأبعث لك الشراب، وتتناول منه كأسًا كبيرًا يوميًّا.

لما سمع "كالاندرينو" حديث الطبيب، قال له:

- إنني أثق في قدرتك أيها الطبيب.

أعطي خمس ليرات لـ"لبرونو"، وأيضًا نقودًا إضافية ليشتري ثلاثة من الديوك. وطلب منه المساعده في شراء طلبات الطبيب. أما الطبيب، فقد توجه إلى معمله، وجهز له شرابًا مُحلًّى، وأرسله إليه. اشترى "برونو" الديوك الشهية، وكل ما يلزم لإقامة حفل عشاء فاخر لأصدقائه وللطبيب. وبعد أن تناول "كالاندرينو" الشراب ثلاثة أيام متتالية، أتى الأصدقاء ومعهم الطبيب لزيارته، وتفحصه الطبيب، وقال له:

- لقد شُفيت، يا "كالاندرينو" تمامًا. يمكنك النهوض، والعودة لأعمالك وحياتك من جديد.

قام "كالاندرينو" مسرورًا وعاد لأعماله. وكان عندما يقابل أي شخص،

يقوم بمدح الطبيب "سيمون" ودوائه الشافي الذي أجهضه في ثلاثة أيام فقط بدون ألم. فرح "برونو" و"بوفالماكو" و"نيلّو" لتمكنهم من القيام بنجاح بهذه الحيلة الماكرة، وكذلك السخرية من بخل "كالاندرينو". أما زوجته "تيسًّا" فعادت لمداعبة زوجها، ولكن بحيطة وحذر.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

القصـة الرابعـة

يلعب "تشيكُّو" ابن السيد "فورتارِّيجو" القمار في "بونكونفنتو" بكل ما معه، وأيضًا بأموال "تشيكُّو" ابن السيد "أنجيليري"، الذي مضى راكضًا وراء صديقه، وهو بملابسه الداخلية، صائحًا ومقسمًا– بهتانًا وافتراءً– أنه قد سرقت أمواله؛ مما جعل المزارعين يقبضون عليه؛ فيذهب المقامر ليرتدي ثياب صديقه ويمتطي فرسه، ويرجع تاركًا إياه في الطريق.

ضحك الجميع بشدة على كلام "كالاندرينو" بشأن زوجته. وحين أنهى "فيلوستراتو" كلامه، بدأت "نيفيله" بسرد قصتها، بعد أن أشارت لها الملكة بذلك؛ فقالت: سيداتي النبيلات، إن كثرة الكلام عند الرجال لا يدل على حكمة أو عقل، فكما يقال: مَن كثر كلامه كثر خطأه. ولو لم يكن إثبات الرجل لحكمته أمام الآخرين أسهل عليه بكثير من البرهنة على سذاجته، لسعى الكثيرون إلى كبح جماحهم وإمساك ألسنتهم.. لكن هذا لا ينطبق على "كالاندرينو"، الذي لم يكن بحاجة، بأي شكلٍ كان، حتى يُشفى من الحمل الذي صدقه بسذاجته، للتحدث عن تفاصيل علاقته الزوجية أمام الحاضرين؛ وقاده الغباء إلى أن يفسر ما قالوا له بهذا الشكل. وقد ذكرتني

تلك القصة بقصة أخرى مختلفة عنها، إذ تتفوق فيها بلاهة أحد الأشخاص على ذكاء صاحبه. وهذه هي القصة التي سوف أقصها على مسامعكم الآن.

كان يعيش في مدينة "سيينا"، منذ وقت قريب، رجلان اسماهما "تشيكُّو". أحدهما ابن السيد "أنجيليري"، والثاني ابن السيد "فورتارِّيجو". وعلى الرغم من اختلافهما في كل الصفات تقريبًا، لكنهما اتفقا في أمر وحيد، ألا وهو أنهما يكرهان والديهما. وقد أصبحا صديقين يتحدثان معًا في بعض الأحيان.

أراد "أنجيليري"، وهو شاب وسيم مهتم بمظهره، أن يخرج من بلدته "سيينا"، ويتعرف على الدنيا. وقد عرف أن ثمة مطرانًا، كان يحترمه ويفضله، قد عُين نائبًا للبابا في منطقة "ماركا دي أنكونا"[38]؛ فقرر أن يذهب إليه، حتى يبدأ في الاعتماد على نفسه. وقد قال لوالده ما يجول في داخله وما يريد أن يفعل، ووافق الأب على إعطائه مبلغًا يكفي نفقاته لستة شهور دفعة واحدة، ليأخذ معه ملابس ملائمة وفرسا يركبه، كي يبدو بمظهر محترم. وبحث عن شخص يأتي معه لخدمته، فسمع "فورتارِّيجو" بهذا، وأتى إليه مسرعا، وترجاه بكل غالٍ لديه أن يأخذه معه، قائلًا إنه يريد أن يكون خادمه، وسيفعل له كل ما يرغب فيه، وحتى بدون مال، فقط نظير الطعام والشراب. فأجابه "أنجيليري" بأنه لا يوافق على ذهابه معه، لا لأنه لا يستطيع خدمته، ولكن لأنه يلعب القمار، ويشرب الخمر لدرجة السُّكر. وعده

---

[38] مدينة تقع في الجزء الشمالي من وسط إيطاليا، اسمها الحديث "أنكونا". وهي ميناء على البحر "الأدرياتيكي".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

"فورتارِّيجو" بألا يقوم بأي من تلك الأشياء مرةً ثانية، وحلف بذلك مؤكـدًا وعده، وظل يتوسل لـ"أنجيليري" إلى أن وافق. وبالفعل انطلقا في رحلتيهمـا. عندما ذهبا في رحلتهما، وبعد بضع ليال، توقفا في "بونكونفينتو" ليتنـاولوا الطعام. وبسبب حرارة الجو، طلب "أنجيليري" مـن "فورتـارِّيجو" أن يجهـز له سريرًا في النُّزل بعد الغداء، وخلع ثيابه بمساعدته، ثم طلب منـه أن يوقظـه عند العصر. عندما استغرق "أنجيليري" في النوم، نزل هو إلى الحانة وأكثر من الشراب، وبدأ يلعب القمار هناك. وبسرعة خسر المال القليل الذي كان معه، ثم ملابسه أيضًا. أراد "فورتارِّيجو" أن يعوض خـسارته، وصـعد إلى الحجـرة التي ينام فيها "أنجيليري"، فوجده غارقًا في أحلامه؛ فأخذ كل ما كان معه من نقود، ورجع يلعب بها حتى خسرها كلها، كما حدث سابقًا.

حينما استيقظ "أنجيليري"، وارتدى ثيابه، نـادى على "فورتـارِّيجو"، فلـم يجده. فظن أنه ربما يكون ثملًا، ولعله نام في أي مكان. وكالعـادة، قـرر أن يتركه. طلب أن يجهزوا له جواده، ويضعوا عليه أغراضه. ولمـا أراد أن يـدفع لصاحب المكان حتى يذهب، لم يجد معه أية نقود؛ فأحدث ضـجة في المـكان، وطلـب تفتـيش الموجـودين بـالنُّزل، وتوعـدهم بـالحبس. حينئـذٍ، ظهـر "فورتارِّيجو"، وكان يريد أخذ ملابس "أنجيليري" ليقامر بها، كما فعل بالنقود. لكنه عندما وجده يستعد للرحيل، قال له:

– ما الأمر، يا "أنجيليري"؟ هـل سـنذهب الآن؟ انتظـر قلـيلًا، فـسيأتي شخصٌ بملابسي، كان قد أخذها رهنًا مقابل ثمان وثلاثين قطعة نقدية؛ وأنا على يقين من أنه سيعيدها، لو أعطيته خمسًا وثلاثين في الحال.

في أثناء هذا الكلام، أتى شخص وأكد لـ"أنجيلـيري" أن "فورتـارِّيجو" هـو

مَن أخذ نقوده، وأراه النقود التي خسرها في القمار. فاستشاط غضبًا، وسبه بأفظع الشتائم. ولولا الحاضرين، لانقض عليه وضربه ضربًا مبرحًا. لكنه توعده بالعقاب الشديد، وفضحه في "سيينا" عند العودة. ثم ركب فرسه. تجاهل "فورتارِّيجو" كل ما سمعه، وكأنه ليس موجهًا له، وقال له:

– آه يا "أنجيليري"، دعك مما تقول، فلن تستفيد منه بشيء. فالمهم الآن هو استعادة الملابس مقابل خمس وثلاثين عملة فضية لو أعطيتها الآن؛ وإن بقينا للغد، فلن يوافق بأقل من ثمان وثلاثين. وهذا هو المبلغ الذي أقرضني إياه. فهو بهذا يصنع لي معروفًا. فلما لا نستفيد نحن بالثلاث قطع النقدية؟

شعر "أنجيليري" بالضيق، وازداد غيظًا حينما سمع هذا الكلام، وبخاصة عندما شاهد كيف ينظر جميع الموجودين له، فكلام "فورتارِّيجو" جعل الموجودين يظنون أن المال ليس ماله، وإنما هو لـ"فورتارِّيجو"، و"أنجيليري" يحفظها معه كأمانة. فقال له:

– وماذا تريد إذن، وما الذي تعنيه بمعطفك؟ وما يهمني لو حتى شنقوك؟ فأنت لم تسرق نقودي، وقامرت بها فقط، لكنك أيضًا عطلتني عن السفر، وتريد أن تستهزئ بي إلى جانب كل هذا .

ظل "فورتارِّيجو" غير مكترث بكلامه، كما هو، كأنه لا يسمع شيئًا، وكأنه يتحدث عن شخص آخر غير موجود، وأكمل كلامه، وقال:

– لما لا ترغب في توفير الثلاث عملات؟ أتعتقد أني لن أردها لك؟ آه! ولمَ كل هذا التعجل؟ يمكننا الوصول إلى "تورينيري" الليلة. ولا يمكننا أن نعثر في "سيينا" كلها على معطف مشابه له. وقد تركته عند هذا الرجل مقابل

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ثمان وثلاثين قطعة نقدية! وهو يساوي أكثر من أربعين في الحقيقة، وبهذا فأنت تصيبني بالضرر البالغ.

ولشدة ضيق "أنجيليري" من هذا السارق، الذي يحاول تعطيله بما يقول، فقد توقف عن الرد عليه، واتجه بفرسه نحو طريق "تورينيري". وخطرت على بال "فورتارِّيجو" فكرة شريرة، فقد مشى وراء صديقه وهو بثيابه الداخلية، يترجاه حتى يستعيد المعطف. وبعدما مشي ما يقرب من ميلين، زاد "أنجيليري" من سرعته، ليتخلص من ضوضاء الرفيق هذا. رأي "فورتارِّيجو" بعض المزارعين في حقل مواجه لـ"أنجيليري"، فصاح فيهم بقوة، قائلًا:

– أمسكوا به، أمسكوا به!

رفع الفلاحون فؤوسهم ومعاولهم وقطعوا الطريق أمام "أنجيليري"، ظنًّا منهم أنه قد سرق ذاك الرجل الذي يصيح ويصرخ في الوراء. وبالفعل، أوقفوه وأمسكوا به. وحاول أن يوضح لهم الأمر، لكن بدون فائدة. ولما وصل إليه "فورتارِّيجو"، قال له باستياء:

– لا أعلم لمَ لا أقتلك أيها السارق!

ثم التفت ناحية الفلاحين، وقال لهم:

– أترون ماذا فعل بي هذا الرجل؛ لقد تركني في النُّزل بعد أن أضاع مالي في لعب القمار. وبفضلكم أنتم– بعد الرب– سوف أستعيد ما سلبه مني، وسأظل ممنونًا لتصرفكم الشهم ما حييت.

كان "أنجيليري" يقول لهم إن الحقيقة على العكس تمامًا مما قال الرفيق المحتال، ولكن أحدًا لم ينصت إليه. أخذ "فورتارِّيجو" ملابس "أنجيليري"،

ثم لبسها بعد أن خلعوها عنه، وركب جوداه تاركًا إياه بعد أن أنزلوه من عليه. أصبح "أنجيليري" عاريًا وحافيًا، وعاد "فورتارِّيجو" إلى "سيينا"، حيث بدأ يدعي أنه كسب الحصان والملابس من "أنجيليري".

أما "أنجيليري"، الذي اعتقد أنه سوف يذهب إلى مطران "أنكونا" بأفضل حال وهيئة، فقد ذهب إليه في "بونكونفينتو" فقيرًا بملابسه الداخلية، ولم يتمكن من الرجوع إلى "سيينا" وقتها، وبقى لفترة، واستعار بعض الملابس، وركب حصان "فورتارِّيجو" وذهب إلى بعض أقربائه هناك. وبقي عندهم حتى عرف أبوه بما حدث، وأنقذه ثانية.

وبهذا، فقد أضر سوء خلق "فورتارِّيجو" بالنوايا الحسنة التي كانت لدى "أنجيليري". ومع كل ذلك، فإنه لم ينج بفعلته، فقد تمت محاسبته بعدها بمدة بعد تفكير وتدبير، فكما تدين تدان.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

القصة الخامسة

يحب "كالاندرينو" فتاة شابة. ويكتب له "برونو" طلسما[39]، فتذهب معه الفتاة حين يقترب بهذه الكتابة منها. وحين تعرف زوجته، تحدث مشكلة كبيرة وخلاف بينهما.

لما أنهت "نيفيله" قصتها التي لم تكن طويلة، لم يتحدث عنها الباقون كثيرًا، أو بمعنى آخر لم تلق نجاحًا كبيرًا؛ ونظرت الملكة إلى "فياميتا"، وأخبرتها أن تكمل هي القصص، فأجابتها بأنها ستقوم بذلك بكل ترحاب؛ وقالت: صديقاتي النبيلات، أظن أنكن تعرفن أن تكرار الحديث في نفس الموضوع قد يشعر بالملل. لكن في موضوعنا هذا، ونظرًا للمكان والزمان الذي نحن فيه، ومن أجل الترفيه والتسلية عنا جميعًا، يجب علينا الحديث عما يعجبنا ويضحكنا، حتى وإن تحدثنا عنه كثيرًا من قبل. لقد تكلمنا عن حواديت "كالاندرينو"، نظرًا لأنها تتسم بالفكاهة، كما قال "فيلوستراتو" من قبل. ولديَّ قصة أخرى تضاف إلى ما سبق. وكان بمقدوري

[39] خطوط وكتابات لا تحتوي على معنى واضح ومفهوم، يستخدمها السحرة أو أتباع بعض المعتقدات، في شكل تعويذة، يُزعم أنها تدفع الأذى أو تجلب الحظ السعيد.

وضع أسماء أخرى لشخصيات أخرى؛ ولكن من الممتع أكثر ألا نبعد عن حقيقة القصة. ولهذا سوف أحكيها كما حدثت، مستندةً على ما قيل من قبل.

"نيكولو كورناكيني" مواطن من بلدتنا، وهو شخص ثري جدًّا. ومن ضمن ممتلكاته قطعه أرض في "كاميراتا" بنى عليها منزلًا فخمًا. واتفق مع "برونو" و"بوفالماكو" ليقوموا بطلاء بيته؛ ولكبر حجم البيت أخذوا معهما كلًّا من "نيلّو" و"كالاندرينو"، وعملوا معًا في البيت. كانت هناك أسرة وبعض الأغراض، مع أن أحدًا لم يكن يسكن فيه، باستثناء خادمة تقوم علي حراسة المكان. وكان من عادة ابن صاحب المنزل الذي يُدعى "فيليبو"- وهو صبي لم يتزوج بعد- أن يجلب معه كل فترة امرأة تروق له، وتبقى معه عدة أيام ثم ترحل.

وذات مرة، أتى معه بامرأة تدعي "نيكولوزا"، تعمل لدى قواد اسمه "مانجيوني"، يؤجرها لكل من يريدها. كانت امرأة جميلة الشكل، حسنة المنظر، تبدو أفضل من الأخريات العاملات في هذا المجال؛ كانت امرأة لطيفة تجيد اختيار كلامها. وذات مرة، خرجت من الغرفة بملابس بيضاء شفافة، وشعرها منسدل على كتفيها لتغسل يديها ووجهها بماء بئرٍ في البيت. وبالصدفة، رآها "كلاندرينو" حين أتى في نفس الوقت إلى البئر، فألقى عليها التحية، وردت عليه بمثلها. غير أنها نظرت له باستغراب، لأن منظره كان يبدو غريبًا عجيبًا، لا أكثر. وبدوره أمعن "كالاندرينو" النظر فيها، وشعر بجمالها، وراح يختلق حججًا ليبقى عندها، ولا يرجع لمن معه بالماء. إلا أنه خجل من التحدث إليها، فهو لا يعلم من تكون. انتبهت المرأة لنظراته،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ففكرت في السخرية منه، وراحت ترمقه بنظراتها وتطلق زفرات وزفـرات. جذبت حركاتها انتباه "كالاندرينو"، الذي بقي متجمدًا في مكانه حتى ذهبـت الفتاة، عندما نادى عليها "فيليبو" لتدخل الغرفة. وحينما عاد "كلانـدرينو" إلى العمل، كان يشعر بالضيق ويطلق الكثير من التنهدات والزفرات؛ فـشعر بهذا "برونو" الذي كان معه، فقال له:

– ما بك يا "كالاندرينو"؟ لما تتنهد كثيرًا هكذا.

فأجابه "كالاندرينو":

– آه، يا صاحبي، لو أجد من يساعدني، فسأصبح في أفضل الأحوال.

– ماذا تقصد؟ قالها "برونو".

وهنا قال "كالاندرينو":

– هذا شيء لا يمكنني أن أطلع عليه أحدًا. فهناك في الأسفل أجمل فتاة رأيتها في حياتي، وقد وقعت في حبي مـن أول وهلـة. لقـد أظهـرت هـذا لي بتصرفاتها، عندما ذهبت إلي البئر لجلب الماء.

فقال له "برونو":

– انتبه! قد تكون امرأة "فيليبو".

– أعتقد أنها هي – قالها "كالاندرينو"، وأكمل قائلًا– لأنه نادى عليهـا، وذهبا معًا إلى غرفته. لكن هذا غير مهم. فأنا لا أخشاه، ولا أخشى أي أحد آخر كائنًا من كان، وإن كان المسيح نفـسه. وفي الحقيقـة، يـا صـديقي، فقـد أعجبتني بشدة، لدرجة أنه لا يمكن وصفها بالكلمات.

وهنا رد عليه "برونو":

– سوف أرى من تكون هذه الفتاة، وإن كانت على علاقة مع "فيليبو"، سأتدبر لك الأمر، وأتكلم معها؛ فأنا أعرفها. لكن "بوفالماكو" يجب أن يعرف بالأمر، فأنا أريد التحدث معها وهو معي حتى أتشجع.

فأجابه "كالاندرينو":

– لا مشكلة من "بوفالماكو"، لكني أخشى من "نيلّو". فعليك الحذر منه، فهو من أقارب زوجتي "تيسَّا"، وسيفسد كل شيء.

– كلامك صحيح، عندك حق!

عرف "برونو" تلك المرأة عندما شاهدها وهي قادمة؛ كما أن "فيليبو" حدثه بنفسه عنها. وبسرعة، حين ترك "كالاندرينو" العمل، وذهب ليراها، أخبر "نيلّو" و"بوفالماكو" بما دار بينهما. واتفقوا على ما سيقومون بفعله نحو هذا الغرام المشتعل. وحين عاد "كالاندرينو" سأله "برونو":

– هل شاهدتها؟

– نعم، لقد استولت على قلبي وجوارحي من الوهلة الأولى!

فقال له:

– سأتأكد أنها هي التي أعرفها. وإن كانت هي نفسها، فحينها لا توجد مشكلة. وسوف أرتب لك الأمر.

ثم ذهب إليهم، وقابل "فيليبو" والفتاة، وعرفهما بمن يكون "كالاندرينو"، وما حدث بشأنها. واتفقوا على ما سيقوم كلٌّ منهم به، ليسخروا من غرامياته ويضحكوا عليه؛ وبعدها عاد لـ"كالاندرينو" وقال له:

– نعم، هي تلك الفتاة التي أعرفها. ولكن عليك التصرف بحنكة حتى

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لا يعرف "فيليبو" بالأمر؛ فلو عرف ستكون العواقب وخيمة. ماذا تريد أن أوصله لها، لو تمكنت من الحديث معها؟

فقال له:

– قل لها أولًا أنني أحبها من كل قلبي، وأنني أعبدها، وأنها كل ما يتمناه قلبي؛ ولو أرادت أي شيء فسوف أقوم به من أجلها. أتفهمني؟

– نعم، سوف أفعل ما تريد.

عندما حان وقت العشاء، توقف النقّاشون عن العمل، وتوجهوا لمساعدة "كالاندرينو". كان "فيليبو" و"نيكولوزا" هناك. بدأ "كالاندرينو" بالنظر إلى المرأة، وأومأ لها بإشارات عجيبة بشكل يمكن للأعمى ملاحظته. فجارته وفعلت كل ما يثيره، لتوقع به في حبال عشقها، كما أخبرها "برونو". تظاهر "فيليبو" بأنه يتحدث مع "بوفالماكو" والآخرين، كأنه لا يشعر بما يحدث. وانتهى هذا الموقف، ثم عاد كل منهم إلى بيته بعدها بقليل. كان "كالاندرينو" مستاءً، لأنه لم يتمكن من البقاء مع الفتاة التي أُغرم بها. وأثناء عودتهم إلى "فلورنسا"، قال "برونو" لـ"كالاندرينو":

– في الواقع، هذه المرأة تكاد تذوب في هواك كما تذوب الثلوج تحت الشمس. وأكاد أجزم أنك لو أحضرت لها ربابتك، وقمت بالغناء لها بكلمات الحب التي تعلمها، فستقوم بالقفز من النافذة لتأتي إليك، وترمي بنفسها في أحضانك.

فرد عليه "كالاندرينو":

– أتعتقد هذا حقًّا؟ هل أجلب معي آلة الكمان؟

- نعم، بكل تأكيد. أحضرها معك.

حينئذٍ فقط قال "كالاندرينو":

- أرأيت؟ لم تصدق كلامي حين أخبرتك بهذا اليوم؛ ولكني أعلم ما يجب عليَّ فعله أكثر من غيري. فمن يمكنه أن يجذب فتاة مثلها لتحبه بهذه السرعة؟ لن يقدر أيٌّ من أولئك الشبان الذين يصخبون كثيرًا، دون أن يتمكنوا حتى من جمع القليل من الجوز في ألف عام. وسترى بنفسك ماذا سيحدث حينما أعزف لها على الربابة! فقد شعرت أني لست عجوزًا كما يبدو، وقد شعرت بهذا بالفعل. سأجعلها تعرف جيدًا مدي حيويتي وقدراتي حينما تصبح بين ذراعي. حتمًا سأجعلها تلاحقني في كل مكان.

- آه، أعلم ماذا ستفعل تقريبًا. فأنا أتصورك وأنت تعضها بأسنانك- فلها شفاه حمراء وخدود وردية- حتى تأكلها كلها بعدها.

حينما سمع "كالاندرينو" هذه العبارات، تخيل نفسه وهو يقوم بذلك، وشعر بالحماس، وجرت الدماء في عروقه، وراح يغني بفرحة بالغة لا توصف. وفي اليوم التالي، أتى معه بربابته، وقام بالغناء أمام الجميع كثيرًا. لم يفعل شيئًا طول اليوم غير النظر إليها، وقضى النهار يتنقل من هنا إلى هناك، من النافذة إلى الباب إلى الفناء، وهكذا. كل هذا ليتمكن من رؤيتها فقط. وبناءً على اتفاقها مع "برونو"، فإنها سوف تمكنه من هذا. قام "برونو" بالعمل كرسول بينهما، ونقل رسائل الحب والغرام بينهما، وأحيانًا كان يختلق كلامًا من عنده ليوصله إليه. استمر الوضع هكذا لمدة شهرين، وهم يضحكون منه. وكانوا يوصلون له رسائل تزيد رغبته في التقرب منها. ثم ادعت المرأة أنها

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ذهبت إلى أهلها، ولا تستطيع أن تلقاه. كان "برونو" و"بوفالماكو" ينظمان الأمر، ويحيكانه عليه، ويتسليان بأفعاله وكلامه، ويطلبان منه أشياء على أن السيدة تريدها هدية منه، كمشط مصنوع من العاج، أو حقيبة، أو سكين. وفي المقابل يعطونه منها- مدعين ذلك- بعض الخواتم الزائفة التي لا تساوي شيئًا، وكان يهتم بها كما لو كانت أشياء نفيسة لا مثيل لها. كما كان يدعوهما إلى الطعام ويستفيدان منه أيضًا؛ فهما من يساعدانه للقاء هذه المرأة.

ظلا شهرين تقريبًا بهذه الطريقة، ووجد "كالاندرينو" أن العمل في المنزل قد أوشك على الانتهاء، ولم يصل حتى الآن إلى ما كان يصبو إليه. ففكر في أنه إن لم يتمكن منها الآن فلن يصل إلى شيء مطلقًا. بدا مستاءً، وأصبح يلح على "برونو" في مساعدته أكثر وأكثر. استغل "برونو" فرصة قدومها، واتفق معها ومع "فيليبو" على ما سيفعلون من جديد، وذهب إلى "كالاندرينو"، وقال له:

- انظر، يا أخي؛ لقد وعدتني المرأة بأن ترضيك وتعطيك ما ترغب. وأنا أرى أنها لن تفعل شيئًا؛ وأشعر أنها تستهزئ بك. ونظرًا لأنها لا تفي بوعودها، فسنجعلها تفعل ما تريد، سواء أرادت أما لا، لو رغبت في هذا.

فرد عليه "كالاندرينو":

- نعم، حبًّا بالرب، وليحدث هذا في أقرب وقت.

قال له "برونو":

-هل تستطيع أن تلمسها بطلسم أصنعه لك؟

فقال "كالاندرينو":

- نعم، يمكنني فعل هذا بالتأكيد.

فقال له "برونو"

- إذن، فأحضر لي قطعة من ورق الكتابة، وجزءًا من جلد خفاش؛ وثلاثة أحجار بخور؛ وشمعة مباركة. وسأكتب أنا لك هذا الطلسم.

بقي "كالاندرينو" يبحث عن الخفاش طوال الليل، حتى اصطاد واحدًا عن طريق فخّ أعده له. ثم ذهب به إلى "برونو"، ومعه باقي الأشياء؛ فجلس الثاني في أحد جوانب الحجرة بمفرده، وكتب على جلد الخفاش كلمات غير مفهومة، وأعطاه له، وقال:

- تأكد، يا "كالاندرينو"، أنك لو لمستها بهذا الشيء، فسوف تأتي خلفك فورًا، وتفعل معها ما يحلو لك. فقط، انتظر إلى أن يخرج "فيليبو" إلى أي مكان، والمسها به في الحال، ثم اذهب تجاه مستودع التبن الموجود هنا. إنه أفضل مكان لا يراكما فيه أحد، ولا يأتي أحد إلى هذا المكان أبدًا. وستشاهد بعينك أنها ستأتي وراءك في التو؛ وحينها، فأنت تعلم ما يجب عليك فعله.

شعر "كالاندرينو" أنه أكثر إنسان حالفه الحظ السعيد في الدنيا، وقال له:

- اترك الأمر لي.

كان "نيلّو"- الذي أراد "كالاندرينو" ألا يعلم بالأمر، يعرف منهما كل شيء، ويشاركهما في السخرية من "كالاندرينو"، وذهب هو أيضًا بسرعة، كما اتفق مع أصدقائه، إلى زوجة "كالاندرينو" في "فلورنسا"، وقال لها:

- أتذكرين، يا"تيسًا"، كيف ضربك "كالاندرينو" حين عاد يحمل أحجار جبل "مونيون"؟ يمكنك الآن الانتقام منه؛ وإن لم تقومي بهذا فلن أكون

https://telegram.me/maktabatbaghdad

قريبك ولا صديقًا لك أبدًا. فقد أحب زوجك امرأة عديمة الأخلاق، ويختليان ببعضهما كثيرًا. وقد اتفق على لقائها بعد قليل. وأود أن تنتقمي منه، وتمسكيه متلبسًا بخطيئته وتعاقبيه.

عندما سمعت "تيسًا" هذا الكلام، شعرت بصدق كلامه، فقامت وقالت وهي تتأجج غضبًا:

- يا له من لص، أيكون هذا جزائي؟ أقسم بالمسيح لسوف أجعلهما يعرفان معني الندم، وسأجعله يدفع ثمن فعلته غاليًا.

وضعت غطاء رأسها، وجلبت معها امرأة أخرى، وذهبت مع "نيلّو"، بأقصى سرعة؛ فقد كانت تهرول. وحين رآها "برونو" آتيةً من بعيد، قال لـ"فيليبو":

- هيا لنبدأ التنفيذ.

اقترب "فيليبو" من المكان الذي يقومون بطلائه، وقال:

- سأذهب إلى "فلورنسا" الآن، فاستمروا في العمل بجدية.

ثم اختبأ بعدها بمكان يمكنه منه أن يراقبه دون أن يعلم. وحين ظن "كالاندرينو" أن "فيليبو" قد رحل عن المكان تمامًا، نزل إلى الفناء حيث كانت "نيكولوزا" بمفردها؛ وتحدث معها، وبدأت هي بتنفيذ ما عليها. فاقتربت منه أكثر مما اعتادت عليه في السابق، فلمسها "كالاندرينو" بالطلسم. وبعدها، أدار نفسه من غير أن ينطق بكلمة، واتجه إلى مخزن التبن. وجاءت خلفه "نيكولوزا" إلى ذلك المكان، ودخلت هناك، وأقفلت الباب، وأمسكته، وعانقته وطرحته فوق التبن. ثم امتطته، ووضعت يديها

على كتفيه، ونظرت له نظرات ممتلئة بالرغبة والشهوة، وقالت له:

- حبيبي "كالاندرينو"، يا حياتي وراحتي، مضي وقت طويل وأنا أرغب بامتلاكك بين ذراعيَّ؛ وأخيرًا نلتُ ما أريد! لقد سلبتني حبل قميصي برقتك، وقبضت على قلبي بعزفك. هل هذه حقيقة أنك الآن بين يدي؟

فأجابها "كالاندرينو"، وهو ساكن لا يستطيع الحركة:

- نعم يا حبيبتي! دعيني أقبلك.

فقالت له:

- لمَ العجلة! اتركني أنظر لوجهك الجميل، أولًا!

كان "برونو" و"بوفالماكو" موجودين في المكان الذي اختبأ فيه "فيليبو". ومن مكانهما هذا، كانوا يرونه ويسمعون الحديث الدائر بينهما. وأثناء ما كان "كالاندرينو" يقبل "نيكولوزا"، أتي "نيلّو" ومعه "تيسًا"، زوجة "كالاندرينو"، فقال لها:

- أقسم لك إنهما معًا.

دفعت السيدة باب ذلك المخزن بغضب وقوة، ودخلت؛ فوجدت "نيكولوزا" فوق زوجها. وما أن رأت "نيكولوزا" الزوجة تدخل حتى نهضت من فوقه، وجرت لتختبئ بالقرب من "فيليبو". فانقضت "تيسًا" على "كالاندرينو"، وأنشبت أظافرها بوجهه، ثم شدت شعره، وأخذت تجذبه يمينًا ويسارًا، وهي تقول:

- أيها الكلب القذر، أهكذا تفعل بي، أيها العجوز الأبله؟ اللعنة عليك وعلى اليوم الذي أحببتك فيه. ألا يوجد عندك ما تريد في منزلك، لتأتي

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وتفعله مع نساء أخريات؟ الخزي والعار عليك، أيها العاشق المتصابي! ألا تعلم- أيها الحزين- أني لو اعتصرتك كلك لما خرج منك ما يكفي لطبخة واحدة. أقسم أنك ما حملت بسببي، وإنما بسبب تلك الخبيثة؛ وأتمنى من الرب أن يغفر لها فعلتها!

حينما رأى "كالاندرينو" زوجته تجمد في مكانه، ولم يفعل أي شيء، ولم يقم بأي ردة فعل، حتى أنه لم يحاول أن يدافع عن نفسه حين مزقت وجهه بأظفارها. وبعد وقت قليل، أمسك بعباءته، وتوسل إلى زوجته أن تهدأ وتخفض صوتها، ولا تنهال عليه بالضرب، لأن المرأة التي كانت معه سيدة ذاك البيت. فردت عليه:

- ألا فليعاقبها الرب على أفعالها!

كان "برونو" و"بوفالماكو" والباقون يضحكون بشدة؛ ثم تدخلوا لتهدئة الزوجة. وبعد نقاش طويل، نصحوا "كالاندرينو" أن يذهب إلى "فلورنسا"، ولا يأتي إلى هذا المكان مرةً أخرى، حتى لا ينال منه "فيليبو"، إذا ما عرف بما حدث. عاد "كالاندرينو" حزينًا ومكتئبًا وممزقًا إلى "فلورنسا"، ولم يعد إلى ذلك البيت ثانيةً.

استمر الضيق يتعقبه ويحيط به من كل جانب ليلًا ونهارًا. وكانت زوجته تؤنبه وتعاتبه باستمرار، وأيضا بسبب حبه الذي لم ينله. لكنه كان قد أضحك رفاقه كثيرًا، كما ضحك "نيكولوزا" و"فيليبو" بقدر ما حزن هو.

القصـة السَّادسـة

يبيت شابان عند رجل، فينام أحدهما مع ابنته، وينام الآخر مع زوجته دون أن تشعر بهذا. ومَن نام مع الابنة، ينام بجوار الأب ويحكي له ما حدث وهو يظنه رفيقه. فيحدث شجار بينهما؛ فتأتي الأم إلى فراش ابنتها، وتهدئهما بكلماتها الذكية المحددة.

كما أضحك الحديث عن "كالاندرينو" الحاضرين في المرات السابقة، فقد أضحكهم مرةً أخرى بسبب سذاجته؛ وعلق الجميع على بلاهته. بعدها، أشارت الملكة إلى "بانفيلو" بالحديث، فقال: سيداتي المحترمات، ذكرني اسم "نيكولوزا" هذا، التي أحبها "كالاندرينو"، بحكاية أخرى عن فتاة تحمل نفس الاسم. ويسرني أن أقص عليكم قصتها، لتعلموا كيف أن فطنة المرأة وسرعة بديهتها تجعلها تتصرف بحكمة، لتتجنب وقوع فضيحة كبرى.

كان هناك في سهل "مينيوني"، الذي دارت فيه أحداث قصتنا منذ وقت قريب، رجلٌ يمتلك مكانًا كاستراحة، يقدم فيه الطعام والشراب للمسافرين على الطريق مقابل المال. كان رجلًا فقيرًا وبيته صغيرًا، لكنه كان أحيانًا– في أضيق الحدود– إذا ما لجأ إليه بعض معارفه، كان يسمح لهم بالمبيت عنده.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وكان للرجل زوجة جميلة، ولديه منها ولد وفتاة: الفتاة كان عمرها خمسة أو ستة عشرة عامًا؛ ولم تكن قد تزوجت بعد. أما الصبي، فلم يكن قد أتم عامه الأول بعد، وكانت أمه ما تزال ترضعه. أحب الفتاة شاب وجيه من بلدتنا ووضع عينه عليها، وظل يتردد ناحيتهم، وأصبح مهتمًّا بها أكثر وأكثر. وحينما شعرت الفتاة أن ذلك الشاب الوسيم معجب بها، فرحت بشدة، وأصبحت تحاول جذبه أكثر لها بالإشارات تارةً، وبالكلمات تارةً أخرى، ليظل متيمًا بها. فقد وقعت في حبه هي أيضًا. وتمكن الاثنان من ممارسة الحب مرات عديدة، بمحض إرادتهما، ليتذوق بعضهما بعضًا أكثر فأكثر، مع تأجج مشاعرهما ورغباتهما التي كانت تزداد يومًا بعد يوم. فلم يتعمد الشاب الإساءة لشرف الفتاة، ولكن شوقه لها كان يجذبه نحوها بشدة.

وذات يوم، أراد الشاب "بينوكيو" لقاء محبوبته. وفكر في إيجاد طريقة للمبيت عندهم في بيت والدها، وفكر أن بإمكانه القيام بذلك بدون أن يشعر به أحد. وبعد تفكير في الموضوع، استقر على القيام بهذا الأمر في أقرب فرصة. وبالفعل، أخذ معه صديقة المقرب، المدعو "أدريانو"، الذي كان يعلم بالأمر. ثم استأجرا جوادين وقت الغروب في ذات الليلة، ووضعا عليهما حقيبتي أمتعة، ووضعا بداخلهما بعض القش، ليبدوَا كأنهما قادمان من سفر. وبالفعل، غادرا "فلورنسا" يمتطيان جواديهما، وبقيا يتجولان حتى وصلا إلى سهل "مينيوني" في وقت متأخر من الليل. وادعيا أنهما قادمان من رومانيا، وذهبا إلى بيت الرجل والد الفتاة، وطرقا الباب. ولأن هذا الرجل كان يعرف هذين الشابين جيدًا، فقد بادر بفتح الباب لهما. فقال "بينوكيو" على الفور:

– أيمكنك، أيها الرجل الطيب، أن توفر لنا مبيتًا هذه الليلة؛ فقد كنا في سفر طويل، واعتقدنا أننا سنصل إلى "فلورنسا" الليلة؛ لكننا لم ننجح في هذا الأمر، ووصلنا إلى هنا في هذا الوقت المتأخر.

فقال له الرجل صاحب البيت:

– تعلم، يا "بينوكيو"، أنه لا يوجد لديَّ مكان مناسب يليق بكما؛ غير أنه بما أنكما قد أتيتما إلينا في هذه الساعة المتأخرة من الليل، ولا يوجد مكان آخر قريب، فإنني سوف أتولى هذا الأمر بكل ترحاب، و سأفعل أقصى ما يمكنني فعله، وسأدبر لكما مكانا تنامان به.

وبهذا نزل الشابان من على فرسيهما، وقاما بإطعام الفرسين. كان معهما طعام للعشاء، فتناولاه مع مضيفهما. كان بالبيت غرفة واحدة صغيرة، وبها ثلاثة أسرَّة. قام صاحب البيت بوضع سريرين في أحد أركان الغرفة، ووضع الثالث في الاتجاه الآخر، فكان المكان لا يكاد يسمح سوى بالمرور فحسب. وجهز لهما السرير الأفضل من بين الثلاثة، وطلب منهما النوم عليه. وبعد مضي بعض الوقت، لم يكونا قد غرقا في النوم بعد، لكنهما تظاهرا بذلك. وجعل ابنته تنام على أحد السريرين الباقيين. ونام هو بجانب زوجته، ومعهما طفلها الصغير.

كان "بينوكيو" يستمع لهم جيدًا، وانتظر بعض الوقت حتى شعر أن الجميع قد راحوا في نوم عميق، فقام بهدوء، وذهب إلى السرير الذي تنام فيه حبيبته بكل حذر وحيطة، ونام بجانبها. فاستقبلته بشوق على الرغم من خوفها. وأثناء ما كانا يتبادلان الملذات الجسدية معًا، أسقطت هرةٌ شيئًا ما في بيتهم،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

فسمعت الزوجة الصوت، ونهضت لترى ماذا حدث، ومن أين صدر هذا الصوت. قامت في جنح الليل، وذهبت باتجاه الصوت. وبالصدفة المحضة، قام "أدريانو" من نومه في هذا الوقت لقضاء حاجته، فوجد الصبي الرضيع في طريقه، فأزاحه من مكانه كي يتمكن من المرور، ووضعه بجانب الفراش الذي ينام عليه. وعندما عاد، نام على فراشه من غير أن يعيد الرضيع إلى مكانه. كانت السيدة، بعدما ذهبت لتعرف سبب الصوت، ووجدت أنه أمر غير جدير بالاهتمام، قد أبعدت ذلك الهر. ودون أن تشعل الضوء، رجعت إلى الغرفة. اتجهت ناحية السرير الذي كانت تنام عليه مع زوجها، غير أنها لم تجد الرضيع هناك، فظنت أنها أخطأت السرير: وقالت لنفسها:

- لقد أخطأت. كنت سأتجه نحو سرير الضيوف.

فذهبت إلى الناحية الأخرى في الظلام الدامس، تتحسس طريقها. ووجدت الرضيع فنامت بجانبه على نفس السرير الذي ينام به "أدريانو"، وهي تظنه زوجها. كان "أدريانو" لم ينم بعد، فشعر بوجودها فاقترب منها بلطف؛ وقام بممارسة الجنس معها دون أن يدخر أي جهد؛ قام بذلك دفعة واحدة، وبتلذذ بالغ من المرأة.

في هذا الوقت، خاف "بينوكيو" أن يغلبه النوم وهو في أحضان الفتاة، بعدما قضى معها كل ما يرضي رغباته من المتع، فنهض من جوارها ليعود إلى سريره. غير أنه وجد الطفل الرضيع، فاعتقد أن هذا هو سرير صاحب البيت، فانصرف لينام على السرير الآخر، ونام في فراش المضيف الذي أيقظه قدوم "بينوكيو"، فاعتقدا أنه صاحبه "أدريانو"، فقال له:

- في الواقع، أنني لم أجد أبدًا أجمل من جسد "نيكولوزا"! وأقسم بالمسيح أنني عاشرتها، ومارست الحب معها كما لم يفعل أي رجل مع امـرأة مطلقًـا. لقد جامعتها ست مرات منذ أن تركتك.

عندما سمع الرجل كلام "بينوكيو" شعر بالغضب مـن كلامـه، وفكـر في نفسه قائلًا: "أية لعنة أتت بهذا الرجل إلى سريري؟ ثم قال بصوتٍ عال، وقد تمكن الغضب منه:

- ما تقوله يعني أنك شخص دنيء، ولا أعلم لمـاذا قمـت بهـذا؛ ولكـني سأجعلك تنال جزاء فعلتك الشنعاء.

كان "بينوكيو" شابًّا طائشًا لا يتمتع بالحكمة. فحين علم أنـه تحـدث مـع والد الفتاة، لم يحاول تدارك الخطأ الذي قام به، لكنه قال للرجل:

- ماذا يمكنك أن تفعل؟ كيف ستنال مني؟

كانت زوجة صاحب البيت تعتقد أنها تنام مع زوجها، فقالت "لأدريانو" وهي تظنه زوجها:

- انظر، الضيفان يتشاجران، ولا أعلم لماذا!

فرد عليها "أدريانو" ضاحكًا:

- اتركيهما وشأنهما، عليهما لعنة الرب. فمن المؤكد أنهما أكثرا من تناول الخمر هذه الليلة.

حينها، أدركت الزوجة لما سمعت زوجها يصيح، وبعدما سـمعت صـوت مَن بجانبها، علمت على الفور أين نامت ومع مَن. ولأن لديها سرعة بديهـة، فكرت بسرعة، وقامت دون أن تنطق بحرف واحد، ثم أخذت وليدها معهـا،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لتستفيد من عدم وجود إنارة بالحجرة، ووضعته بجانب ابنتها، ونامت بجانبها. ثم ادعت أنها استيقظت على صوت شجار زوجها، فنادته وقالت له، ماذا يحدث ولمَ يتشاجر مع "بينوكيو"، فقال لها الزوج:

- ألم تسمعي عما فعله مع "نيكولوزا"؟

فردت عليه الزوجة:

- منَ المؤكد أنه كذاب كبير؛ فلم يحدث أي شيء مما قال. فأنا أنام بجانبها هنا، لعدم تمكني من النوم. ألا يوجد لديك أي فهم ولا عقل حتى تصدقه؟ فأنتم- أيها الرجال- تُكثرون في شرب الخمر ليلًا، وبعدها تحلمون، وتتنقلون من هنا إلى هناك دون أن تشعروا، وتتخيلون أنكم فعلتم أشياء عظيمة. لا أدري لمَ لا تقتلون أنفسكم! ولكن، ما الذي أتى بهذا الفتى إلى عندك؟ ولمَ لا ينام على سريره؟

أدرك "أدريانو" أن السيدة تحاول بذكائها إخفاء الحقيقة، حتى لا يعلم زوجها بما حدث معها ومع فتاتها، فاشترك معها في إخفاء الأمر، وقال:

- ألم أقل لك كثيرًا يا"بينوكيو" ألا تنام خارج بيتك، فعادتك الحمقاء هذه بالقيام في الليل، والتحدث بما تحلم، ستجعلك تقع في مصائب كبيرة يومًا ما. تعال إلى مكانك هنا، اللعنة على هذه الليلة الغابرة!

لما سمع الرجل صاحب البيت هذا الكلام من زوجته، ومن صاحب الفتي، صدق ما قالا؛ وأن "بينوكيو" كان يتحدث وهو نائم؛ فأمسكه من كتفه، وقام بهزه ونادى عليه قائلًا:

- قُم، يا "بينوكيو"؛ ارجع إلى فراشك.

أما "بينوكيو"، فحين سمع ما قالا، تظاهر بأنه نائم وقام بأشياء بلهاء، جعلت الرجل يضحك عليه. وكما شعر بالرجل وهو يهزه، فإنه تظاهر بأنه يفيق من نوم عميق، ونادى على صديقه، وقال له:

- لماذا توقظني الآن؟ هل أتى النهار؟

فرد عليه "أدريانو":

- نعم، تعال إلى هنا.

تظاهر "بينوكيو" أنه نائم ولا يرى أمامه. ثم قام- في النهاية- من جانب الرجل، ورجع إلى فراشه بجانب صديقه "أدريانو".

لما أشرق الفجر وأقبل الصباح، قام الرجل صاحب البيت وراح يسخر من "بينوكيو" ومن أحلامه. وبقي الجميع يضحك ويقهقه على ما حدث، ثم ما لبث أن قام الشابان بتجهيز فرسيهما، ووضعا على ظهريهما حقيبتي الأمتعة. وبعدما شربا في نخب صاحب البيت، امتطيا فرسيهما، واتجها عائدين إلى "فلورنسا"، وكانا فرحين لنجاتهما، وأيضًا لما نالاه في تلك الليلة. وبعدها ازداد حيطة في لقاءاته بـ"نيكولوزا"، التي كانت تؤكد دومًا لوالدتها أن ذاك الشاب كان يحلم أثناء نومه، ولم يمارس الجنس معها؛ فقالت المرأة لنفسها، وهي تذكر لقاءها مع "أدريانو"، إنها هي فقط مَن كانت مستيقظة في تلك الليلة الموعودة.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

القصــة السَّابعــة

يحلم "تالانو دي موليزي" أن هناك ذئبًا يمزق حنجرة زوجته ووجهها، فيطلب منها أن تحتاط. غير أنها لم تأخذ كلامه على محمل الجد، فوقع لها ما حلم به، وتحقق كأنه حقيقة.

حين انتهى "بانفيلو" من قصته، أشاد الجميع بذكاء المرأة وسرعة معالجتها للأمور. بعد ذلك، أشارت الملكة إلى "بامبينيـا" أن تحـكي قـصتها، فـشرعت تقول: صديقاتي الرفيقات، كنا قد تكلمنا سابقًا عن بعـض الأحـلام الـتي يسخر منها البعض؛ غير أني سأحكي لكن قصة حدثت- منذ وقت قريب- لجارتي التي لم تهتم بحلم حلم به زوجها لها.

لا أعلم ما إذا كنتم تعرفون رجلًا محترمًا اسـمه "تـالانو دي مـوليزي". فهذا الرجل تزوج من شابة اسمها "مارجريتا"، التي كانت تُعتبر أجمل النساء، غير أنها في المقابل كانت سطحية وعنيدة، من باب العناد ليس أكثر، فـضلًا عن كونها متقلبة المزاج، وتساورها الشكوك دومًا في من حولهـا؛ ولا تحـب سماع نصائح الآخرين. وبالمثل، فإن الكثيرين كانوا لا يستمعون إليها. وكانت طريقتها هذه تجعل زوجها يشعر بالضيق حيالها، بيد أنه لم يجد بُدًّا من تحمل

حماقتها.

وفي ذات ليلة، كان "تالانو" معها في الريف، في إحدى المزارع التي تمتلكها. وأثناء نومه، حلم بأن زوجته كانت تمشي في غابة جميلة بالقرب من بيتها؛ وأثناء هذا، خُيل إليه ظهور ذئب كبير في الحجم من الغابة، وانقض عليها وطرحها أرضًا. ظلت تصرخ وتطلب النجدة، وتحاول النجاة من بين براثنه. وحين استطاعت أن تبتعد عنه، كان وجهها وحنجرتها قد صارا ممزقين من مخالبه. ولما استيقظ "تالانو" في الصباح قال لزوجته:

- على الرغم من أني مستاء كثيرًا من طباعك تلك، التي منعتنا أن نعيش في راحة وسعادة معًا، لكني سأحزن لو حدث لكِ أي مكروه؛ ولذلك، فإنني أطلب منكِ أن تلتزمي الحيطة والحذر، ولا تذهبي إلى الغابة اليوم، ولا تخرجي من البيت.

فسألته عن سبب ذلك، فأخبرها بالحلم بالتفصيل، فسخرت من كلامه، وهزت رأسها، وقالت له:

- حلمك هذا دليل على أنك تتمنى حدوث هذا لي. فما في عقلك يظهر لك في أحلامك. وتدعي أنك خائف علي؛ لكنك تحلم بما تود أن تراني عليه. غير أني سآخذ حذري اليوم ودائمًا، حتى لا أجعلك تفرح لرؤيتي مصابة بمكروه.

فقال لها: كنت أعلم أن غرورك سيجعلك تقولين هذا، فهذا أجر من يربي غرابًا. على العموم، فقد قدمت النصيحة الواجبة لكِ. وأذكرك بتحذيري لك ثانيةً بأن تبقي في البيت، أو ابقَي بعيدة عن الغابة اليوم.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

فقالت المرأة: لا بأس!

وحدثت نفسها: "هذا الماكر يود إخافتي حتى لا أذهب إلى الغابة اليوم، لأنه سوف يلتقي مؤكدًا بإحدى النساء السيئات هناك، ولا يريد أن أكشف أمره. يا له من محتال! كم سأكون ساذجة لو صدقت ما قال! لكنه لن ينال ما يريد. وعليّ أن أتأكد بنفسي، حتى لو بقيت هناك طوال اليوم لأرى أية واحدة سيلتقي اليوم".

وحين خرج زوجها من أحد أبواب البيت، خرجت من الباب الثاني، وذهبت إلى الغابة وهي تمشي بحذر، واختبأت بين الأشجار الكثيفة. ظلت تنتظر وهي تراقب المكان هنا وهناك. وفي أثناء هذا، ودون أن تشعر، ظهر لها فجأةً ذئب ضخم مخيف. فراحت تصرخ وتقول: "النجدة، النجدة، أغيثوني... أنقذوني!" وفي هذا الوقت، هاجمها الذئب، وأمسك بها من رقبتها ووجهها، وراح يجرها كما لو كانت حملًا صغيرًا حتى أصبحت لا تقوى حتى على مجرد الصراخ، لأنه يضغط على حنجرتها بشدة. لم تتمكن من فعل شيء لصد الهجوم الدامي عليها. ولولا قدوم بعض الصيادين الذين صرخوا فيه، لفتك الذئب بها، ولكانت في عداد الموتى. تركها الذئب وهرب، عندما وجد الصيادين قادمين. بعد ذلك، تعرف عليها الصيادون، وكانت في حال يرثى لها، فحملوها على الأعناق حتى بيتها. وبعد وقت طويل وشاق، تمكن الأطباء من علاجها؛ إلا أن رقبتها وجزءًا من وجهها ظلا بحالة سيئة، وقد تشوه شكلها. أصبحت امرأة قبيحة مشوهة الوجه بعدما كانت من أجمل النساء، وأصبحت تخشى الظهور أمام الناس. بقيت تشعر بالندم لسوء ظنها بزوجها، وعدم سماع نصيحته لها، التي دفعت ثمنها غاليًا.

القصــة الثَّــامنة

يسخر "بيونديلُّو" من "تشاكُّو" بسبب وليمة غداء، فيغضب "تشاكُّو" مما حدث له، ويقرر الانتقام، فيتسبب في ضرب "بيونديلُّو" بشكل مبرح ومخزٍ.

رأى جميع الحاضرين أن ما شاهده "تالانو" أثناء نومه لـم يكـن حلمًـا، لكنه كان رؤيا، لأن ما شاهده تحقق كله بدون أي تغير في التفاصـيل، حـتى ولو كانت بسيطة. وبعدما فرغوا من الكلام في ذلك الموضوع، نظرت الملكـة إلى "لوريتا"، وطلبت منها أن تكمل روايات اليوم، بإضافة رواية جديدة لها؛ فشرعت تقول: صديقاتي، راجحـات العقـل: حيـث أننـا- في هـذا اليـوم- نستوحي قصصنا من قصص تكلمنا عنها من قبل، فإن قصة انتقام الـشاب المتعلم القاسي التي حكتها لنا "بامبينيا" ليلة البارحة، قد ذكرتني بقصة بها انتقام قاس على من لاقاه؛ لكنه أقل قسوة من ذلك الانتقام الذي تـم تنـاوله من قبل.

كان هناك في "فلورنسا" رجل اسمه "تـشاكُّو". كان رجـلًا أكـولًا بـصورة مفرطة، وشرهًا في الأكل فلا أحد يستطيع أن ينافسه في هذا الأمر، حتى إنه

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لم يعد يملك المال الكافي الآن لينفق على طعامه الكثير. وقد حاول، لتمتعه باللباقة وحس المرح والدعابة، ألا يكون مهرجًا، وإنما متحدثًا ظريفًا ليتقرب من الأغنياء الذين يتناولون أشهى وأجود المأكولات. كان يذهب إليهم لتناول وجبتي الغداء والعشاء، رغم أنه لا يكون مدعوًّا أصلًا في أغلب الأوقات. وكان هناك- في ذات المدينة، وذات الوقت- رجل آخر اسمه "بيونديلُّو"، وكان غاية في التهذب والأناقة، يرتدي قبعة فوق شعره الطويل الأشقر المصفف بعناية. وكان هذا الشخص يفعل مثلما كان يفعل "تشاكُّو" أيضًا.

وفي أحد أيام الصوم الكبير[40]، ذهب "بيونديلُّو" إلى السوق لشراء سمكتي شلق[41] كبيرتين للسيد "فيري دى شيرشي"؛ وشاهده "تشاكُّو" هناك، فتوجه إليه وسأله:

- ما الذي تشتريه، يا "بيونديلُّو"؟

فأجابه "بيونديلُّو":

- أشتري سمكتي شلق إضافيتين- أكبر من أسماك الشلق الثلاثة السابقة، وأكبر مما تم إرساله ليلة البارحة- وكذلك سمكة حفش[42] للسيد

---

[40] الصوم الكبير هو أحد فترات الصيام، حسب الديانة المسيحية، في الطقوس الشرقية؛ وتبلغ مدته 55 يومًا. وفي هذا الصوم، لا يأكل المسيحيون السمك الذي يؤكل في الصوم الصغير، وذلك زيادةً في التقشف والتذلل أمام الرب، ولاتباع السيد المسيح مشاركين له في صومه عنهم وفي تألمه وموته من أجل الناس، وهكذا يحملون الصليب (معنويًا) معه.

[41] من أسماك المياه المالحة. يبلغ طول هذا النوع من السمك من 40 إلى 50 سم.

[42] نوع يتميز بجسمه الممدود، وعدم وجود حراشف له، وحجمه الكبير.

"كورسو دوناتي". غير أنهم لا يكفون للوليمة الكبيرة التي ستقام اليوم لبعض السادة المهمين؛ فبعثني لأحضر له سمكتين أخريين. ألن تأتي إلى الوليمة؟

فرد عليه "تشاكُّو":

– تعلم أنني سوف آتي، بالتأكيد.

وحين قدر "تشاكُّو" أن الوقت قد أصبح مناسبًا للذهاب، ودع السيد "تشاكو"، وانطلق صوب منزل "كورسو"؛ فوجده مع بعض جيرانه، ولم يكن قد تناول الغداء وقتها، ولما سأله عن سبب قدومه ، أجابه "تشاكُّو":

– أتيت، يا سيدي، لتناول الغداء معك ومع أصدقائك.

فقال له السيد "كورسو":

– أهلًا ومرحبًا بك، وحيث أن وقت الغداء قد أتى فهيا بنا.

فلما جلسوا لتناول الطعام على المائدة، بدأوا بتناول حمص مسلوق مع سمك التونا، ثم أُخذوا بعدها– كطبقٍ ثان– أسماكًا مقلية نهرية فقط. فعلم "تشاكُّو" حينئذٍ بالحيلة التي دبرها له "بيونديلُّو"، فغضب بشدة بسبب ذلك، وقرر أن يرد له الصاع صاعين.

مضت أيام قلائل، والتقاه مرةً ثانية. وكان قد حكى لكثيرين عن تلك الحيلة التي قام بها، وضحكوا كثيرًا عليها. وعندما شاهده حياه والابتسامة ترتسم على شفتيه، وسأله كيف كانت أسماك الشلق في بيت السيد "كورسو"؛ فرد "تشاكُّو" قائلًا:

– ستعلم هذا جيدًا قبل مرور ثماني ليال.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وبدون تأجيل، اتفق "تشاكُّو" مع شخص محتال، وأعطاه زجاجة، وذهب معه بالقرب من بيت عائلة "كافيكيولي"، وأشار له من بعيد إلى سيد يدعي "فيليبو أرجينتي"، وهو شخص ضخم وقوي وسريع الغضب، وقال له:

– اذهب إليه، وأنت تحمل هذه الزجاجة، وقل له : "سيدي، لقد أرسلني إليك "بيونديلُّو"، وهو يرجوك أن تملأ له هذه الزجاجة من نبيذك الأحمر الفاخر؛ فهو يود المرح مع أصدقائه بعض الشيء". وعليك الانتباه جيدًا حتى لا يمسك بك، فسيضربك بالتأكيد، وتفسد الخطة التي رتبتها.

فسأله ذلك المحتال:

– هل تريد أن أضيف شيئًا؟

فرد "تشاكُّو" قائلًا:

– لا تُضف شيئًا، فلتذهب لتقول ما قلته لك فقط! وبعد ذلك، عُد إلى هنا، ومعك الزجاجة حتى أعطيك أجرك.

ذهب الرسول مسرعًا، وبلغ الرسالة إلى "فيليبو". ولما سمع السيد "فيليبو" ما قاله اعتقد أن "بيونديلُّو" يود السخرية منه، فاستشاط غضبا، وقال:

– أي تفاهات هذه؟ لعنة الرب عليكما ("بيونديلُّو" والمرسال)!

ثم قام وهم بالإمساك بالرسول ليضربه، غير أن ذلك الفتى كان منتبهًا، فهرب بسرعة إلى حيث كان ينتظره "تشاكُّو"، ينتظر ويرقبهما بنظراته من بعيد، وأخبره برد السيد "فيليبو". دفع "تشاكُّو" لهذا الرجل أجره وهو مسرور، ثم ذهب ليبحث عن "بيونديلُّو"، وقال له:

– هل ذهبت مؤخرًا إلى عائلة "كافيكولي"؟

فرد عليه "بيونديلُّو":

- لا، لم أذهب، ولكن لمَ تسأل؟

فقال له "تشاكُّو":

- لأن السيد "فيليبو" يبحث عنك؛ ولا أعلم ماذا يريد منك.

فرد "بيونديلُّو":

- لا توجد مشكلة، سوف أذهب إليه لأتبين حقيقة الأمر.

بمجرد أن مضى، لحق به "تشاكُّو" من بعيد، ليشاهد ماذا سيحدث معه. أما السيد "فيليبو"، فبما أنه لم يتمكن من الإمساك برسول "بيونديلُّو" المحتال، فقد بقي مغتاظًا إلى حين تفريغ شحنة الغضب التي تتملكه من صاحب الشأن شخصيًّا، أقصد "بيونديلُّو"؛ فهو لم يفهم من تلك الكلمات غير أن "بيونديلُّو" يسخر منه. في هذه الأثناء، أقبل "بيونديلُّو" متجهًا إليه. وما أن رآه حتى تقدم لملاقاته، ولكمه بشدة في وجهه.

فقال "بيونديلُّو":

- آه! لمَ هذا، يا سيدي؟

غير أن السيد "فيليبو" لم يكتف بإمساكه من شعره، ورمي قبعته على الأرض، وقال له وهو يضربه:

- ستعرف الآن ما هذا، وماذا أعني. وعن أية زجاجة وأي استخفاف تفعله معي؟ أتعتقد أني فتى صغير تستهزئ به، بمزاحك السخيف هذا؟

أثناء ذلك، كان يضربه بقبضة حديدية في وجهه، وهو يجره من شعره جرًّا، ثم قام بإسقاطه في الوحل، ومزق له ملابسه التي كان يلبسها. كل هذا

https://telegram.me/maktabatbaghdad

دون أن يسمح له بالكلام، أو حتى معرفه سبب كل هذا؛ كل ما فهمه هو كلام عن ملء الزجاجة، غير أنه لم يفهم ما معنى ذلك. وبعدما أشبعه ضربًا، أنقذوه منه بصعوبة شديدة. وأخبروه بسبب قيام السيد "فيليبو" بضربه، ولاموه لإرساله شخصًا يقول له ما قال؛ فالسيد "فيليبو" ليس من النوع الذي يمكن المزاح معه. بكى "بيونديلّو"، واعتذر وهو يقول إنه لم يرسل أحدًا أبدًا لطلب نبيذ من السيد "فيليبو". وعندما تمكن من الوقوف على قدميه، عاد إلى بيته حزينًا ومتوجعًا من الضرب. وبقي يفكر أن ما حدث له من المؤكد أنه من تدبير "تشاكُّو". بقي مدة في بيته، حتى تختفي آثار الكدمات التي كانت في وجهه، وبعدها خرج من المنزل، فقابله "تشاكُّو" الذي قال له فور رؤيته:

- كيف كان نبيذ السيد "فيليبو"؟

فأجابه "بيونديلّو":

- تمامًا كما وجدت أنت أسماك الشلق عند السيد "كورسو"!

حينها قال له "تشاكُّو":

- أصبح الأمر الآن واضحًا بالنسبة لك. ولتفهم وتعلم جيدًا أنه لو أردت لي أن آكل بتلك الطريقة، فسوف أجعلك تشرب بتلك الطريقة.

وبما أن "بيونديلّو" كان يعلم أنه ليس بمقدوره مجاراة "تشاكُّو" في المقالب الماكرة، فقد طلب منه أن يدعه في سلام. ولم يجرؤ- منذ ذلك اليوم- على السخرية منه مرةً أخرى.

القصــة التَّاســعة

طلب شابان نصيحة سليمان؛ فسأله الأول كيف يكون محبوبًا، وأمّا الثاني فسأله كيف يؤدب زوجته لعنادها معه؛ فقال للأول بالحب، ونصح الثاني بالذهاب إلى جسر الإوزة.

لم يبق غير الملكة و"ديونيو". واحترامًا منها للامتياز الذي أخذه، بدأت هي بالحديث، بعد ضحك السيدات على ما حدث لـ"بيونديلّو" تعيس الحظ، وقالت وهي باسمة الثغر: سيداتي المحبوبات، لو نظرنا إلى الأمور بشكل دقيق وذهن نقي وصاف، فسنعلم بوضوح أن النساء يخضعن للرجال بفعل الطبيعة، والعادات والتقاليد، وأيضًا القانون. فالملك والحكم يناسبان الرجال نظرًا لطبيعتهم وبُعد نظرهم؛ وبالتالي، فعلى كل من تريد العيش في طمأنينة وراحة وهناء مع الرجال أن تكون من الهادئات الصابرات المطيعات لهم؛ وأهم من كل هذا العفة، التي هي الكنز الكبير الذي يزين كل واحدة منا. وإن كانت القوانين الموضوعة لمصلحة الجميع ليست سليمة في أمور كثيرة، ولا تحقق مبتغاها بالقدر الكافي، هي والعادات والأعراف والتقاليد بقوتها وكونها جديرة بالاحترام، فإلى جانب كل هذا، فإن طبيعة

https://telegram.me/maktabatbaghdad

تكويننا البشري جعلت منا- نحن معشر النساء- ناعمات لينات، في مظهرنا الخارجي، رقيقات خجولات في أعماقنا، رحيمات مرهفات القلوب؛ فقوتنا ضعيفة، وأصواتنا ناعمة، وحركاتنا رقيقة. وكل تلك الأشياء تبرهن على أننا في حاجة لمن نعتمد عليه ويعيننا. والمحتاج إلى من يساعده ويعينه يجب عليه احترام وطاعة مَن يحتاج إليه. سيداتي، من يقوم بتوفير الحماية لنا والمساعدة غير الرجال؟ فيجب علينا طاعة الرجال وتقديرهم. ومن تخالف هذا لا تستحق اللوم والعتاب فقط، لكنها تستحق أيضًا العقاب. ومع أني قد تأكدت من هذا مرات عديدة قبل ذلك، لكن قصة "بامبينا" ذكرتني بهذا حين حكت قصة عناد زوجة "تالانو" التي عاقبها الرب على تفاهتها، وعدم إنصاتها لكلام زوجها. ولهذا، أقول إن العقاب القاسي هو ما تستحقه النساء المغرورات اللاتي يمنعهن عنادهن من الإنصات لكلام أزواجهن واتباعه، ويتخلين عن اللطف والرقة والوداعة، ويبتعدن عن العادات والقوانين والأعراف. ويشرفني- في هذا السياق- أن أحكي لكن نصيحة سليمان الحكيم التي تقدم علاجًا مفيدًا لكل أولئك النساء المصابة بهذا الداء. وبالطبع، فلا ينطبق كلامي على جميع النساء، على الرغم من أن بعض الرجال يرددون أحيانا المثل القائل: "العصا ضرورية مع المرأة الطيبة والمرأة الخبيثة على السواء". فمن تريد تفسير هذا بصورة هزلية ستعتقد- من أول وهلة- أن هذا ينطبق على كل النساء؛ ولو فكرنا فيها بشكل آخر، فربما نجد الأمر مغايرًا. فكثير من النساء متقلبات ويتأثرن بسهولة؛ وحتى تتم مواجهة هذه التقلبات من الجنوح بعيدًا عن المسار الصحيح، فلابد من معرفه أن هناك عقابًا لكل عمل مخالف للقوانين البشرية؛ كما يقال في نظرية العصا والجزرة،

فالخوف مفيد، ويدعم تعزيز الفضيلة في النساء، حتى لا يتركن يسرن وراء أهوائهن. والآن، سوف أبدأ قصتي التي توضح ما قلته من قبل:

اشتُهر سليمان الحكيم بعلمه وحكمته في سائر بقاع الأرض، وكان يقدم العون والنصيحة لكل من أراد. كان يذهب إليه الناس من كل حدب وصوب في العالم، ليقدم لهم المشورة والنصح لحل مشاكلهم. وكان من بين هؤلاء الناس رجلٌ نبيل وغني اسمه "ميلسُّو"، قدم من مدينة "لايتزو" التي كان يعيش فيها. وأثناء طريقه إلى "القدس"، بعد أن ترك "أنطاكية"[43] قابل شابًّا يدعى "جوزيفو"، يسافر على الطريق ذاته؛ فمضى كل منهما على فرسه. وبعد مدة، أخذا يتبادلان أطراف الحديث كما يفعل المسافرون عادة. وبعد أن أخبر "جوزيفو" "ميلسُّو" باسمه وحاله، ومن أين هو قادم، وإلى أين يذهب؛ سأله "ميلسُّو" عن سبب سفره ، فقال "جوزيفو" إنه ذاهب إلى سليمان الحكيم، ليطلب نصيحته عن كيفية تعامله مع زوجته، التي لا تتوقف أبدًا عن العناد والمكر، وأنه حاول إقناعها- بكل وسيلة- لترك تلك الخصلة البغيضة. ثم سأله بدوره عن بلده، وعن سبب قدومه فرد عليه "ميلسُّو":

– أنا من "لايتزو". وكما أن لديك ما يؤرقك، فإنني أيضًا عندي ما يصيبني بالحزن، ويتعبني في هذه الحياة. أنا رجل غني، أنفق الكثير في دعوة أبناء بلدتي إلى الطعام، وأكرمهم كل الكرم؛ ولكني لا أجد من يحبني حقًّا، مع

---

[43] تعتبر مدينة "أنطاكية" إحدى أهم المدن في تاريخ سوريا، حيث كانت عاصمة سورية قبل الفتح الإسلامي في القرن السابع، وما تزال حتى الآن عاصمة للكنائس السورية المسيحية.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كل ما أقدمه لهم. ولهذا، فـإني متجـه إلى نفـس المـكان الذي تقـصده، طلبًـا للنصيحة، حتى أكون محبوبًا من الناس.

مضى الرجلان في الطريق معًا، حتى وصلا إلى القدس، وتمكنا من لقاء سليمان بمساعدة بعض خدمه. وحين مثلوا أمامه، تكلم "ميلـسُّو"، وقـال شكواه، فنصحه سليمان قائلًا:

- أَحِب.

بعدها، أُخرج "ميلسُّو" من القاعـة. ثـم تحـدث "جوزيفـو" عـن سـبب قدومه، فأجابه سليمان بقوله:

- اذهب إلى جسر الإوزة.

أُخرج "جوزيفو" كذلك بعدها من حضرة الملـك سـليمان. وحـين لـقي "ميلسُّو" الذي كان ينتظره عند البـاب، وأخـبره بمـا قـال له سـليمان؛ فكـر كلاهما في مغزى تلك الكلمات. لم يتمكن أيٌّ منهما من فهم المقصود منها. ولم يستنتجا أي شيء يفيدهما فيما أتيا بسببه. فشعرا أنهما قد سُخر منهما، واتجها عائدين كل منهما إلى موطنه.

بعد عدة أيام، وصلا إلى نهر عليه جسر جميل. وكانـت تمـر مـن هنـاك قافلة كبيرة من البغال والخيول، فوقفا حتى تعـبر القافلـة. وحينمـا اقتربـت القافلة من الانتهاء مـن العبـور، توقـف بغـل، كمـا يحـدث أحيانًـا لتـك الحيوانات، وتسمر في مكانه ولم يتحرك مطلقًا؛ فأمسك أحد الـرعاة بعـصا وراح يضربه برفق في البداية، حتى يواصل المسير. غـير أن البغـل انتقـل إلى الجانب الآخر من الطريق، وشرع في العودة إلى الخلف مـن غـير أن يتقـدم.

غضب الراعي وراح يضربه بالعصا بشدة، تارةً على رأسه وتارةً على مؤخرته، ولكن بلا فائدة. كان "ميلسُّو" و"جوزيفو" يراقبان ما يحدث، فقالا لهذا الراعى:

- ماذا تفعل، أيها الشقي؟ أتريد قتله؟ لماذا لا تحاول أن تسحبه بلين ورفق، وسوف يمضي معك حينئذٍ، بدلًا من أن تضربه هكذا؟

فأجابهما الراعي:

- أنتما تعرفان جواديكما، وأنا أعرف بغلي؛ فاتركاني وشأني.

قال هذا وانهال على بغله بالضرب أكثر وأكثر، فتقدم البغل إلى الأمام، وحدث ما أراد الراعي. واصل الرجلان طريقهما، واتجه "جوزيفو" نحو رجل كان يجلس عند بداية الجسر، وسأله عن اسم هذا الجسر، فقال له الرجل الطيب:

- اسمه جسر الإوزة، أيها السيد.

وقتها، تذكر "جوزيفو" كلمات سليمان الحكيم، وقال لـ"ميلسُّو":

- الآن، فهمت معنى نصيحة سليمان؛ وقد تفيدني وتكون جيدة. لقد انتبهتُ إلى أنني لم أضرب زوجتي كما تستحق؛ ولكني عرفت كيف أتصرف معها تمامًا كما فعل الراعي.

بعد عدة أيام، وصلا إلى "أنطاكية"، فطلب "جوزيفو" من "ميلسُّو" أن يبقى عنده ليستريح عدة أيام في بيته. استقبلته زوجته بفتور شديد، فطلب منها أن تجهز لهما العشاء كما يريد "ميلسُّو"، الذي أخبرها- عندما وجد أن هذا ما يطلبه صديقه- بما يفضله على العشاء. فقامت المرأة، مثلما هي

https://telegram.me/maktabatbaghdad

معتادة، بتجهيز عشاء مخالف تمامًا لما طلبه "ميلسُّو". وحين وجد "جوزيفو" هذا، قال لها وهو غاضب:

- ألم يقل لك ماذا يريد؟

فردت المرأة عليه بعجرفة وقلة أدب:

- ماذا يقصد بهذا؟ آه! إذا كان العشاء لا يروق لك، فاتركه ولا تأكل منه! حتى وإن كان طلبه مغايرًا، فإني أردت أن أجهزه بهذه الطريقة. فإن أعجبك فتناوله، وإن لم يعجبك فاصمت.

اندهش "ميلسُّو" من ردها.

وحينها، قال لها "جوزيفو":

- ما تزالين كما أنتِ، أيتها المرأة. ولكني أعلم جيدًا كيف سأجعلك تتغيرين.

التفت إلى "ميلسُّو" قائلًا:

- سنجرب الآن يا صديقي نصيحة سليمان؛ وأتمنى ألا تستاء من هذا. وحتى لا تحاول منعي، تذكر جواب الراعي لنا حين أشفقنا على ذلك البغل.

فقال له "ميلسُّو":

- أنا في بيتك، يا"جوزيفو"، ولا أفكر في التدخل في شؤونك الخاصة.

بحث "جوزيفو"عن عود قوي من شجرة سنديان، ثم توجه إلى الغرفة المتواجدة فيها زوجته، التي نهضت من على مائدة الطعام غاضبةً متذمرة. فأمسكها من شعرها، وألقاها على الأرض، وانهال عليها بالضرب. أخذت المرأة تصرخ في البداية، ثم صارت تهدده وتتوعده. لكنها لما وجدت أنه لم

يتأثر بكلامها، وكان الضرب يؤلمها، أخذت تتوسل إليه ليتركها. وتقول له إنها ستفعل كل ما يطلب، وستفعل كل ما يرضى عنه. لكنه لم يتركها إلا بعد أن تعب من كثرة ضربها. لم يبق موضع في جسدها إلا وهو مصاب بكدمات وسحجات. رجع بعدها لـ"ميلسُّو" وقال له:

- غدًا، سوف نعلم بنتيجة نصيحة "اذهب إلى جسر الإوزة".

بعد أن ارتاح قليلًا، غسل يده وتناول العشاء مع "ميلسُّو"، ثم ذهبا ليناما. أما السيدة المسكينة، فكانت تحاول النهوض بصعوبة، حتى تمكنت من الاستلقاء على السرير لتريح جسدها. وقد استيقظت مبكرًا في اليوم التالي، وسألت "جوزيفو" عما يود تناوله على الغداء. فأخبرها بما يريد، وهو يضحك مع "ميلسُّو". وعندما رجع للغداء، وجد كل ما طلبه مجهزًا، فامتدح تلك النصيحة التي نصحه بها الحكيم سليمان، والتي لم يفهمها في بادئ الأمر.

انقضت عدة أيام، وودّع "ميلسُّو" صاحبه "جوزيفو"، وعاد إلى وطنه. وأخبر صديقًا له بما قال له سليمان، فقال له صديقه:

- لم تكن هناك نصيحة أفضل ولا أصدق من تلك النصيحة. فأنت تعلم أنك لا تحب أحدًا، وأن ما تقوم به للآخرين لا تفعله بدافع المحبة؛ ولكن من باب الرياء والتفاخر. أحب الناس تحبك الناس، كما قال لك سليمان، لتصبح محبوبًا من الجميع.

وبهذا، تحسنت طباع المرأة العنيدة، وأحب الشاب الناس فأصبح محبوبًا من الجميع.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

القصــة العاشــرة

بناءً على طلب صديقه "بيترو"، يقوم الكاهن "دونو جانّي" بسحر زوجة "بيترو" نفسه، وتحويلها إلى مهرة. ولما هم بوضعِ الذيل لها- استكمالًا للسحر- يعترض زوجها، فيبطل السحر تمامًا.

أحدثت القصة التي سردتها الملكة على مسامع الباقين بعض الجروح في نفوس السيدات خاصةً، وعلى النقيض فقد أضحكت الرجال. وبعد صمت مطبق من الجميع، شرع "ديونيو" في قصة جديدة، قائلًا: سيداتي الفضليات، بين سرب كبير من الطيور البيضاء، يستطيع الغراب الأسود أن يزيد الصورة جمالًا أكثر مما تحدثه بجعة ساذجة؛ وهكذا نرى ذلك في أمور أخرى. ويمكن القياس على هذا بأن من بين جمع من الحكماء، يستطيع من هو أقل حكمة منهم أن يظهر معه تميز الآخرين ومدى روعتهم. وهكذا فأنا الذي يبدو أحمق مقارنةً بكم، تُظهر تصرفاتي تميزكن، وما تتمتعن به من رجاحة عقل، وفكر مستنير. لذلك، فأتمنى إتاحة الفرصة والاهتمام بي أكثر من الذين يطغون على تألقكم. واسمحن لي بالتحدث بحرية أكبر كما أريد، وأن تتحلين بالصبر معي، وأنا أحكي لكم قصتي بشكل مفصل عن ماذا لو كنت

حكيمًا. وسوف أحكي لكم قصة صغيرة، تهدف إلى أنه يجب الالتزام بوصفات السحر كما هي من غير زيادة ولا نقصان، لأن أي تغير فيها يفسد السحر كله.

كان هناك كاهن اسمه "جانّي دي بارولو" يعيش في "بارليتا"[44]، لكن كنيسته كانت فقيرة، فلم يكن يمتلك المال الكافي؛ فقام بحمل بعض البضاعة على فرس لديه ليتنقل هنا وهناك، ليبيع ويشتري في الأسواق الشعبية. وقد تعرف في أثناء ذلك على شخص يُدعى "بيترو دي تريسانتي"، وأصبحا صديقين. كان "بيترو" يقوم بالعمل ذاته، غير أنه يحمل بضاعته على ظهر حمار. وكإشارة لمدى قربهما من بعضهما البعض كان الكاهن يناديه بـ صاحبي "بيترو"، كما يفعل أهل "بوليا"[45]. وحينما كان "بيترو" يذهب إلى "بارليتا"، يكون في ضيافة الكاهن في كنيسته، وكان يقدم له ما يقدر عليه. وكان صاحبه "بيترو" يسكن في كوخ صغير في "تريسانتي"، يسعه بالكاد هو وزوجته الشابة الجميلة وحماره. وكان يستضيف الكاهن في بيته حينما يأتي إلى "تريسانتي"، ويكرمه حسبما يقدر، ليرد له كرم ضيافته له. ولكن- في وقت النوم- لم يكن بمقدوره إكرامه، فهو لا يملك سوى مرقد ضيق، ينام فيه مع زوجته، ولا يوجد ما يستضيف صديقه عليه لينام فيه إلا حظيرة

---

[44] مدينة بجنوب إيطاليا، على البحر "الأدرياتي" ضمن إقليم "بوليا"، من أشهر معالمها تمثال أثري برونزي ضخم يعرف بعملاق "بارليتا"، وهو لأحد الأباطرة البيزنطيين ، ويصل ارتفاعه إلى 4.5 متر.

[45] منطقة في جنوب شرق إيطاليا مطلة على البحر "الأدرياتيكي".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ضيقة لحماره ومهرة الكاهن؛ فلم يكن متاحًا له أن ينام إلا على كومة من القش. ولما علمت المرأة بمدى إكرام الكاهن لزوجها، حين يذهب إلى "بارليتا"، أرادت أن تذهب هي للنوم عند جارتها "زيتا كارابريسا"، زوجة القاضي "ليو"، عندما يأتي الكاهن؛ حتى ينام بجانب زوجها. وقالت هذا للكاهن، لكنه لم يوافق عليه. وقال لها ذات مرة:

- لا تقلقي بشأني، يا سيدة "جيمانا"، فسأكون في حال جيدة مع الفرس، لأنني أقوم بتحويلها إلى فتاة جميلة لأنام معها حينما أرغب في ذلك، ثم أرجعها متى أريد إلى مهرة مرةً ثانية. ولذلك لا أفضل البعد عنها.

اندهشت الزوجة الشابة مما قال، لكنها صدقت كلامه، وأخبرت زوجها بما سمعت، وقالت له:

- لو كان الكاهن صديقك المقرب حقًّا مثلما تقول، فلمَ لا تطلب منه تعليمك هذا السحر، وتحولني إلى مهرة؛ فتزيد تجارتك بالحمار والمهرة، وتكسب أكثر وأكثر؟ وحينما نعود للمنزل تعيدني امرأةً كما كنت.

كان "بيترو" رجلًا محدود الفهم، فصدق الأمر مثلها. وبالفعل، قام بما قالت له، وطلب من الكاهن بكل الطرق تعليمه السحر. حاول "جانّي"- بشتى الوسائل- إخراج هذه الحماقة من عقله، بيد أنه لم يتمكن، فقال له:

- حسنًا، إن كنت مصرًّا على هذا، فسوف تصحو باكرًا في الغد، كما هو متبع قبل الفجر. وحينها، سأشرح لكم طريقة ذلك. والواقع أن أصعب جزء في الموضوع، هو تركيب الذيل للفرس، كما ستشاهدان.

لم يستطع "بيترو" وزوجته "جيماتا" أن يستغرقا في النوم هذه الليلة، فقد

كانا يترقبان قدوم الفجر بفارغ الصبر. ولما حان الوقت، أيقظا الكاهن "جانّي"؛ فاستيقظ، وكان مرتديًا الملابس الداخلية، وأتى إلى غرفة "بيترو" وقال له:

- بما أنكما مصران على تعلم السحر، فسوف أفعل ما تريدان. ولكن عليكما تنفيذ كل ما أقوله بالضبط، حتى يحدث ما تريدانه تمامًا.

فقالا له إنهما سيقومان بكل ما يطلب؛ فأمسك السيد "جانّي" بمصباح ووضعه في يد "بيترو"، وقال له:

- انظر جيدًا إلى ما سأقوم به، وتذكر كل ما سأقوله بالضبط، إن كنت لا ترغب في إفساد الأمر كله. وإياك أن تتفوه ولو بكلمة واحدة، مهما سمعت أو شاهدت؛ ولتدعيا الرب أن يلتصق الذيل بشكل جيد.

أمسك "بيترو" المصباح، وقال إنه سيفعل ما طُلب منه. ثم طلب "جانّي" من "جيماتا" أن تتعرى كما وُلدت تمامًا. وأن تضع يديها أمام قدميها على الأرض، كما هو شكل المهرة. وطلب منها ألا تتكلم مطلقًا مهما جرى. وقام بلمس وجهها ورأسها بيده وهو يقول:

- فلتكن رأسك رأس مهرة.

ثم لمس شعرها، وقال:

- فليكن شعرك عُرف مهرة.

ثم لمس ذراعيها، وقال:

- ولتكن هاتان الذراعان قائمتي فرس.

ولمس بعدها صدرها، فوجده لينًا ومكورًا، فأيقظ فيه رجولته، فقال:

https://telegram.me/maktabatbaghdad

- وليكن هذا الصدر صدر مهرة أصيلة.

وقام بهذا الشيء مع باقي جسمها، حتى وصل إلى الفخذين. ولم يتبق غير وضع الذيل؛ فرفع طرف ثيابه وأخرج قضيبه، وقام بإدخاله في المكان المناسب له في جسم المرأة، وقال:

- وليكن هذا ذيل مهرة لائق.

كان "بيترو" يراقبهما باهتمام، ولما قام بآخر خطوة، لم يعجبه ما يحدث، فقال:

- ماذا يا سيد "جانّي"، لا أود ذيلًا، لا أريده!

وقد كانت الرطوبة السائلة قد خرجت منه وتدفقت، حين رجع "جانّي" للخلف، فقال له:

- آه منك، يا صاحبي "بيترو"، ماذا فعلت؟ ألم أقل لك ألا تتحدث مهما رأيت؟ كانت المهرة توشك على أن تتشكل، وقد أفسدت الأمر، ولن نتمكن من إعادة المحاولة لإصلاحها مطلقًا. فلا توجد هناك طريقة أخرى لإعادة الأمور إلى نصابها.

وهنا أجاب "بيترو" قائلًا:

- حسنًا، أنا لا أرغب في هذا الذيل مطلقًا. ولماذا لم تطلب مني أن أقوم بوضعه أنا؟ علاوةً على أن وضعية الذيل منخفضة للغاية. لقد أصبح الأمر برمته غير مريح.

فقال "جانّي":

- لم يكن بإمكانك لصق الذيل بمهارة، مثلما فعلت أنا في المرة الأولى،

ولهذا السبب لم أطلب منك وضعه.

عند سماع الزوجة هذه الكلمات، انتفضت من مكانها، ووجهت حديثها إلى زوجها قائلة:

– يا لك من حمار حقًّا! كيف أفسدت الأمر هكذا؟ هل رأيت مهرة بلا ذيل من قبل؟ أعلم أنك فقير، ولكنك تستحق أن تزداد فقرًا على فقرك.

لم تعد هناك أية وسيلة ممكنة لتحويل المرأة إلى مهرة جراء كلمات "بيترو"، ومن ثم ارتدت ملابسها مرةً أخرى، بكل كآبة وحزن. وكما جرت العادة، خرج "بيترو" مع حماره ليقوم بعمله الذي كان يقوم به من قبل، واصطحب معه "جانِّي" إلى سوق "بيتونتو"[46]؛ بيد أنه لم يعد يطلب منه شيئًا مرةً أخرى.



قهقهت النساء من سماع هذه الرواية، وفهمنها تمامًا، ربما أكثر مما أراد "ديونيو" نفسه، وليتمعن الأمر من يقرأها الآن هو الآخر. ولما انتهت هذه القصة، كانت الشمس قد شرعت في المغيب رويدًا رويدًا، ومن ثم أدركت الملكة قرب انتهاء ملكها، فنهضت واقفة من مكانها، وخلعت التاج عن رأسها، ثم قامت بوضعه على رأس "بانفيلو"، الذي لم يتول سُدة الحكم بعد من بين العشرة، ثم أردفت قائلة تعلوها ابتسامة رقيقة:

– قطعًا، هناك عبء ثقيل سوف تحمله، لأنك آخر الرواة، وعليك أن

---

[46] مدينة أثرية قديمة تقع جنوب إيطاليا في مقاطعة "باري" ضمن إقليم "بوليا".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

تتجنب بل أن تصلح أخطائي وأخطاء الآخرين، الذين تولوا هذه السلطة من قبلك. فأتمنى لك من الرب التوفيق، لتكون ملكًا سديدًا خلال حكمك.

بهذه الكلمات الطيبة، تلقي "بانفيلو" التكريم الممنوح له بفرحة وسعادة غامرة؛ ثم قال ردًّا على كلمات الملكة:

– أشكر أفضالك وأفضال رفقائي الآخرين، أيتها الملكة. وأود أن أنال رضا واستحسان الآخرين تمامًا، مثل من سبقوني.

وكالعادة، قام بترتيب كافة الأمور التنظيمية اللازمة مع القهرمان، ثم عاد إلى السيدات المنتظرات، وقال:

– منحتنا الملكة "إيميليا"- أثناء فترة حكمها- حرية كبيرة، عندما سمحت لكل واحد منا بالتحدث عما يريد. وبما أن الجميع قد استراح الآن، فإنني أرى أن نعود إلى سابق عهدنا، ونتحدث عن موضوع محدد مسبقًا. وأريد من كل واحد منكم أن يفكر في قصة يسردها على مسامعنا غدًا، تتناول شخصية ما، تصرفت بشهامة وعزة نفس، سواء في الحب، أو في شيء آخر.

استحسن الجميع موضوع قصص الغد بكل الحب والترحاب، ثم قاموا- بعد أن أذن لهم الملك الجديد- ليلعبوا ويتسلوا كل على حسب هواه. وظلوا هكذا حتى موعد تناول العشاء. ولما فرغوا من الطعام وسط أجواء تعج بالسعادة، بدءوا يرقصون ويغنون، كما كان يحدث في الأيام السابقة. ثم أصدر الملك أوامره لـ"نيفيله" بأن تغني أغنية، فأخذت تغني بسعادة ورقة هذه الأغنية:

أنا صبية في مقتبل العمر عاشقة للهوى،
في الربيع أفرح وأغني،
لمشاعر الحب التي تسري.

بين ثنايا المروج الخضراء متأملة أمضي،
والزهور البيضاء والحمراء والصفراء تتوسطني،
وورود واقفة شامخة فوق الأشواك، ومعها الزنبق الأبيض تحيطني،
فأراها كأنها وجه الحبيب الذي أعشقه ويعشقني،
فهو من سأبقى أعشقه أبد الدهر،
ولا سبيل لي من وراء ذلك سوى منحه السعادة والفرح.

حين ترى عيناي زهرة حتمًا به تذكرني،
فألتقطها وأقبلها وأكلمها عن حبيبي،
فتنتعش روحي نحوها، ومعها كل رغباتي،
فأجمعها مع غيرها لأصنع إكليلا يزين رأسي،
وعلى شعري الناعم الأشقر يجملني.

المتعة التي تمنحها الزهور لناظري،
يمنحني مثلها مَن يؤججني،
بلهيب هذا الحب الرقيق السرمدي.
فيا لها من لذة يوحي بها رحيقها الفواح،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وتعجز عن وصفه كلماتي،
فتبوح به تنهداتي.

تنهدات تنطلق من أحشاء صدري،
مغايرة لآلام الحزينات غيري،
فتارة ناعمة رقيقة وتارة حارة ملتهبة تخرج آهاتي،
فتحلق في الأعالي مع حبي،
فيسمعها ويرق لها حبيبي،
وإلى حيث أكون يأتي،
ليسرني بقوله لي:
"ها أنا ذا هنا ياحبيبتي، إلى جوارك، فلا تحزني".

نالت أغنية "نيفيله" إطراء واستحسان الملك والسيدات جميعهن، بلا استثناء. وفي هذه اللحظة، كان قد انقضى جزء ليس باليسير من ساعات الليل الأولى، فأمر الملك الجميع بالذهاب إلى النوم، لينالوا قسطًا من الراحة، استعدادا لليوم التالي. وهنا أُسدل الستار على اليوم التاسع.

اليوم العاشر

انتهى اليوم التاسع من الديكاميرون، وبدأ اليوم العاشر والأخير. وسيكون هذا اليوم تحت حكم "بانفيلو"، ورواياته؛ ويدور حول التصرف بشهامة وحسن الخلق، والقيام بأعمال نبيلة وعظيمة، وتحقيق النفع الكبير، سواء أكان ذلك في أمور الحب، أو في أمور أخرى.

كانت الشمس ترسل ضوءها الذهبي في أول شعاع لها قادم من الشرق، حينما كانت لا تزال هناك سحب حمراء تنسج من الجانب الآخر صوب الغرب. كانت الشمس تزداد ضياء وتألقًا كلما اقتربنا منها. وفي هذا الوقت تحديدًا، استيقظ "بانفيلو"، وأرسل في طلب الجميع- رفاقه الرجال، والنساء- ليحضروا. وعندما أتوه، تناقشوا عن أي مكان يودون التوجه إليه للتنزه والترفيه، ثم انطلقوا، وبرفقتهم "فيلومينا" و"فيامينتا". كانوا يتبادلون أطراف

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الحديث حول ما سيقومون به في المستقبل. قضوا بعض الوقت في النقاش، إلى أن ارتفعت الشمس في كبد السماء، وازدادت حرارتها، فعادوا جميعًا إلى المنزل. وفور عودتهم، توقفوا هناك عند ينبوع المياه، وقاموا بغسل رؤوسهم في مياهه النقية، وشرب كل من كان عطشانًا منهم، ثم تفرقوا في أرجاء الحديقة البديعة، إلى أن حان موعد الغداء. وبعد أن تناولوا غداءهم، ذهبوا لينالوا قسطًا من الراحة لبعض الوقت اليسير، كما جرت العادة. وبعد الاستراحة استدعاهم الملك، واجتمعوا من جديد، فطلب من "نيفيله" أن تفتتح الحديث، وتروي قصتها لهذا اليوم، فابتسمت، وبدأت حديثها قائلة:

القصــة الأولــى

يظن أحد الفرسان القائمين على خدمة ملك أسبانيا أنه لا يعطيه الأجر الذي يستحق نظير خدماته، فيوضح له الملك أنه لم يتعمد هذا الخطأ، وإنما سوء حظه هو السبب؛ ثم يقوم بمكافأته بكرم منقطع النظير.

– صديقاتي الموقرات، يسعدني اختيـار ملكنـا لي لأبـدأ بالحـديث عـن الكرم، أهم الفضائل والصفات الحسنة؛ فجمال هذه الصفة الحميدة يـضاهي جمال الشمس وهي تزين السماء الواسعة. سأقص على مسامعكم قـصة أرى أنها مفيدة للغاية، وبها الكثير من المعاني السامية الجلية.

لا بد أنكم تعرفـون أن الـسيد "روجـيري دي فيجوفـاني" مـن أفـضل وأشجع، بل أعظم الفرسان الذين عرفتهم مدينتنا، منـذ وقـت طويـل حـتى الآن؛ إن لم يكن أفضلهم على الإطـلاق. كان رجـلا غنيًّـا، ويتمتـع بقـدر عظيم من العزم والشجاعة والهمة والطمـوح، الذي دفعـه إلى الخـروج مـن بلدته، نظرًا لأساليب الحياة والعيش غير الملائمة فيها، والتي لا تساعده على تحقيق تطلعاته. وقرر العمل لفترةٍ ما في خدمة ملك أسبانيا "أنفونسو"، الذي

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كان يتمتع بشهرة واسعة تتجاوز شهرة أي ملك آخر، في ذلك الوقت. كان هدف "روجيري دي فيجوفاني" هو أن يبذل قصارى جهده في العمل، ويتزود بما يريد من علم وخبرات حتى يعلو شأنه.

وبالفعل، ذهب "روجيري ذي فيجوفاني" إلى أسبانيا، واستقبله الملك بترحاب شديد. عاش هناك في حياة مترفة، وحقق العديد من الانتصارات في المعارك الحربية، وذاع صيته وشجاعته وشهامته. وذات يوم، لاحظ "روجيري دي فيجوفاني" أن الملك لا يتصرف بحكمة مع بعض الأشخاص، حيث وجده يمنح قلاعًا ومدنًا، وأيضًا ألقابًا، لأناس ليسوا جديرين بها. كما وجد أنه هو نفسه مثلًا لم ينل أية مكافأة من الملك، مع أنه من أهم وأفضل الفرسان؛ فظن أن الملك يقلل من شأنه، كأنه لا يرى الأعمال التي يقوم بها، فقرر الرحيل، وطلب من الملك أن يأذن له بذلك.

وافق الملك، وأعطاه بغلة من أجود البغال التي أعجبت "روجيري" كثيرًا جدًّا. بعد هذا، أوصى الملك أحد رجاله غير المعروفين بأن يرافقه دون أن يعلم أن الملك قد أرسله خصيصًا لهذا الغرض، وأن يراقب أقواله وأفعاله ويحفظها جيدًا، وأن يطلب منه- في اليوم التالي- العودة إلى الملك. انتظره هذا الرجل المكلف بسرية من قبل الملك حتى خرج من المدينة، ولحق به في الطريق، وقال له إنه متوجه إلى إيطاليا. مشيا، وهما يتسليان بالحديث سويًّا أثناء الطريق. وكان السيد "روجيري" يركب البغلة التي أهداها له الملك. بعد مضي بعض الوقت، قال للخادم:

– أظن أن الوقت مناسب لإراحة الدابتين، وأن نتركهما لقضاء حاجتهما.

بالفعل أدخلهما الحظيرة ، وأخذتا راحتهما، وتخلصت دابة الرفيق من فضلاتها، لكن البغلة لم تفعل؛ ثم أكملا طريقهما، وكان الرجل منتبهًا لكل ما يقوله الفارس حتى وصلا إلى نهر، فأوقفا الدابتين هناك لتشربا، فتبولت بغلة "روجيري" في النهر. فقال الفارس حين رآها تفعل ذلك:

– اللعنة عليك، أيتها البهيمة! فأنتِ تشبهين السيد الذي أعطاك لي.

انتبه الرجل لهذه الكلمات، ولكل ما قاله الفارس في الطريق. لم يسمعه يقول كلمة طيبة قط عن الملك. وعندما أشرقت شمس اليوم الثاني، ركب الفارس البغلة ليواصل طريقه إلى "توسكانا"، لكن أبلغه رفيقه بأمر الملك بضرورة عودته، فأسرع بالعودة تنفيذًا للأوامر الملكية الصادرة إليه. لدى عودتهما، وقد علم الملك بما قاله عن تلك البغلة، طلب حضوره على الفور، وسأله عما قال، وتشبيهه له بالبغلة، أو- بمعنى آخر- مقارنة الملك بالبغلة. فرد عليه السيد "روجيري" قائلًا:

– في الحقيقة لقد شبهتك بهذا، يا سيدي، لأنك تمنح الهدايا والعطايا لمن لا يستحقون، ولا تمنحها لمن هو جدير بها. وهكذا فعلت البغلة؛ فلم تقم بإخراج فضلاتها في المكان المخصص لذلك، وإنما فعلت هذا في ماء النهر النقي.

فقال له الملك: إن لم أعطك شيئًا، يا سيد "روجيري"، وأعطيت من هم أقل منك، فهذا ليس لأني لا أراك فارسًا شجاعًا تستحق أفضل العطايا؛ ولكن بسبب قلة حظك؛ فلم يمكنني هذا من إكرامك كما ينبغي. فالخطأ ليس في شخصي مطلقًا. وسوف أبرهن لك على صحة كلامي.

فقال له السيد "روجيري":

https://telegram.me/maktabatbaghdad

– يا مولاي، أنا لم أحزن بسبب عدم حصولي على هداياك ومنحك، فأنا لديَّ مال، ولا أريد المزيد منه؛ ولكن لأن جلالتك لم تُظهر لي أي تشجيع أو تقدير. لكني الآن وجدت في كلامكم هذا ما يكفيني ويزيدني عزة وشرفًا. وأنا على أتم استعداد لتقبل ما ترغب به، وحتى من غير دليل.

أخذه الملك معه إلى قاعة كبيرة، بها صندوقان كبيران مغلقان، وقال له أمام أناس كثيرين: سيد "روجيري"، يوجد في أحد هذين الصندوقين تاج وصولجان ملكي وخير كثير مما أملك من مجواهرت فريدة. أما الصندوق الثاني، ففيه تراب. اخترِ واحدًا منهما! وما ستختاره سيكون من نصيبك، وستعرف وقتها السبب الحقيقي في عدم حصولك على منح وعطايا: أنا، أم سوء حظك.

حين وجد السيد "روجيري" أن هذا ما يريده الملك، اختار أحد الصندوقين؛ فأمر الملك الخدم بفتح الصندوق الذي اختاره، فوجد أنه ممتلئ بالتراب. فضحك الملك، وقال له:

– أرأيت ما حدثتك به عن سوء حظك، وأنه سبب عدم منحي لك العطايا والهبات؛ ولكني- نظرًا لشجاعتك- سوف أعارض سوء طالعك هذه المرة. ولمعرفتي أنك لا ترغب في أن تصبح إسبانيًا، فلن أعطيك قلعة أو مدينة هنا. ولكني سأعطيك الصندوق الذي منعك الحظ من أن تناله. أود أن تصبح ملكًا، رغم أنف حظك التعس، حتى تأخذه معك إلى بلدك، وتُظهر مدى شجاعتك أمام أهل بلدك بهديتي التقديرية لمقامك الرفيع تلك.

قبل السيد "روجيري" المنحة التي قدمها له الملك، وشكره جزيل الشكر بقدر تلك الهدية العظيمة، وعاد وهو مسرور إلى موطنه في "توسكانا".

القصــة الثَّــانية

يقوم "جون دي تاكو" بأسر رئيس دير "كلوني"، ويعالجه من آلام في بطنه، ثم يتركه حرًّا طليقًا بعدها؛ ويرجع رئيس الدير إلى بلاط روما، ويعقد صلحًا بين "جون" والبابا "بونفاتسيو"، فيتم تعيينه راهبًا بالمستشفى.

أثنى الموجودون على كرم وعظمة الملك "أنفونسو" في تعامله مع الفارس الفلورنسي. بعدها أشار الملك إلى "إليزا"، حتى تكمل القصص؛ فقالت في التو: سيداتي الجميلات، مما لا شك فيه أن قيام ملك بعمل عظيم مع فرد من رعاياه عمل جليل يستحق المديح. ولكن أيضًا هناك أفعال أكثر عظمة ونبلًا، وتستحق الثناء أكثر وأكثر؛ وهذا ما قام به رجل دين تصرف بشهامة تجاه فرد، كان من السهل له معاملته كعدو، دون أن يلومه أي شخص. في الحقيقة، إن ما قام به الملك كان فضلًا منه، ولكن ما قام به رجل الدين هو معجزة. فرجال الدين- في أحيان كثيرة- أشد حقدًا وبغضًا من النساء، وهم خصوم أشداء لا يُبدون رحمة التسامح لأعدائهم. ورغم أن رجال الدين يعظون الناس عن تلك الصفات، إلا أنهم أكثر أناس قد لا يتصفون بها، وقد

https://telegram.me/maktabatbaghdad

يفضل المغالون منهم الانتقام، بحجة نصرة الدين. وستظهر لكم عظمة هذا الرجل- الذي أحدثكم عنه- جليةً بين ثنايا قصتنا.

كان "جون دي تاكو" مشهورًا بشراسته وسرقاته، والعداء لكونت "سانتا فيوري". ولهذا السبب، تم نفيه من "سيينا". كما قام بالتمرد في "راديكوفاني" ضد كنيسة روما. أضف إلى كل هذا أنه كان يقطع الطريق في هذه المنطقة، ويقوم بالسطو- مع أفراد عصابته- على من يمر في هذا الطريق الحيوي. وحينما كان البابا "بونفاتسيو" الثامن في روما في هذا الوقت، أتى إلى بلاطه رئيس دير "كلوني"، وكان يظن أنه أغنى رجل دين كنسي في العالم. وفجأةً، أصابته آلام في معدته، وهو هناك لدى الباب، فأشار عليه الحكماء بالذهاب إلى حمامات "سيينا"، لأن مياهها شافية معافية – بإذن الرب –، ومن ثم أخذ موافقة البابا، وانطلق متجهًا ومعه قافلة كبيرة من الأمتعة والخيول والخدم. ولم يبالِ بشهرة "جون" وسيطرته على المنطقة التي سيمر منها، ومعه قافلته. وحين عرف "جون دي تاكو" بقرب مجيئه نصب له العديد من الكمائن حتى حاصره، وكل من كان معه، في مكان ضيق. ثم بعث إلى رئيس الدير شخصًا يطلب منه بأدب أن يقبل الذهاب معه ليحل ضيفًا على "جون" في حصنه. غضب رئيس الدير لما سمع ما قيل له، وقال إنه يرفض هذا الطلب، لأنه ليس هناك سبب لمقابلة "جون"، وإنه سيكمل طريقه، ولن يمتثل لطلب "جون"، وليكن ما يكون، ولن يجرؤ أحد على منعه. فقال له الرسول بلطف:

– سيدي، أنت في مكان لا نخاف فيه من أحد غير الخالق، فكل من هنا

محرومون من رضا الكنيسة؛ ولذلك أتمنى أن تقبل دعوة "جون".

كان المكان حولهم أثناء حديثهم محاطًا من كل جانب برجال عصابة "جون"، المدججين بالسلاح. ولما وجد رئيس الدير أنه ومن معه محاصرون، ذهب مع الرسول إلى الحصن وهو في غضب جم، وبرفقته خدمه وأمتعته. وبمجرد نزوله من على فرسه، قيدوه بمفرده، كما أمرهم "جون"، ووضعوه في حجرة صغيرة مظلمة وغير مناسبة لمقامه. أما مَن كان معه، فاستقبلوهم بشكل لائق، كل على حسب مكانته. وُضعت الخيول والأغراض في مكان آمن تمامًا، من غير أن يقربها أحد. بعدها، أتي "جون" إلى رئيس الدير، وقال له:

- سيدي، من أنتم في ضيافته بعث يسأل عن وجهتكم، وسبب قدومكم إلى هنا.

فأخبره رئيس الدير المحترم، وهو يكظم غيظه، عن وجهته، وسبب قدومه. لما علم "جون"، ذهب وهو يفكر كيف يعالجه من غير تكبد وعثاء السفر، حتى وصوله إلى الحمامات. أمر رجاله بحراسة رئيس الدير جيدًا، وأن تظل النار موقدة لتدفئ الحجرة. وعاد إليه في صباح اليوم التالي، وكان يحمل في يده منديلًا أبيض، وقطعتين من الخبز المحمص، وكأسًا من النبيذ صُنع في "كورنيليا"، وقال لرئيس الدير:

- سيدي، السيد "جون" درس الطب في بداية عمره، وهو يقول إن أفضل علاج لألم المعدة هو الطعام الذي أقدمه لك الآن؛ فخذ منه، وسوف تتحسن حالتك.

كان رئيس الدير يتضور جوعًا. ورغم أنه أبدى استياءه، فقد أكل الخبز وشرب النبيذ. ثم أخذ يسأل عن أشياء كثيرة، ثم طلب أن يلتقي بـ"جون".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كان "جون" يسمعه ويجيب عليه في بعض الأمور بأدب واحترام، وأخبره أن "جون" سوف يأتي إليه في أقرب فرصة. ثم ودعه وانصرف، ورجع إليه في اليوم التالي. وكان يحمل معه نفس ما أخذه له في اليوم السابق من الخبز والنبيذ. ظل هكذا لفترة ليست كبيرة من الوقت حتى رأى- في ذات مرة- أن رئيس الدير قد أكل حبات الفول الجافة، التي كان قد أحضرها له، وتركها له ليرى ماذا سيفعل بها، فقال:

– لقد أمرني "جون" أيها السيد أن أسالك كيف هي حال معدتك الآن؟

فرد عليه رئيس الدير:

– أظن أني سأكون أفضل حالًا لو لم أكن محبوسًا هنا عند "جون"؛ ولا أريد غير تناول الطعام؛ فيبدو أنني قد شُفيت بفضل علاجكم.

أمر "جون" أن يتم تجهيز غرفة لائقة، وإعداد مأدبة طعام كبيرة تكفى كل رجال الحصن، وأتباع رئيس الدير جميعًا، ثم عاد وذهب إليه في اليوم التالي، وقال له:

– بما أنك قد استعدت صحتك، يا سيدي، فهيا لتترك غرفة العلاج هذه.

ثم أمسك بيده، وأخذه إلى الحجرة التي تم تجهيزها خصيصًا من أجله، وتركه مع رجاله، واتجه للتأكد من إعداد المائدة بشكل يليق بالضيف ذي المكانة الرفيعة.

تحدث رئيس الدير مع بعض رجاله، وحكى لهم ما حدث معه عندما كان بمفرده. فقالوا له إنهم تم التعامل معهم على نحو مختلف عما حدث معه، وإن "جون" عاملهم جيدًا. وعندما حان موعد الغداء، جلس رئيس الدير ومن

معه إلى المائدة، وتم تقديم كل ما لذ وطاب لهم، وكذلك أجود أنواع الشراب؛ كل هذا تم من غير أن يتعرف رئيس الدير على "جون".

توالت الأيام على نفس الوتيرة والمعاملة سالفة الذكر، إلى أن أمر "جون" فجأةً بجمع كل الأغراض التي كانت مع رئيس الدير، ووضعها في إحدى القاعات، وأيضًا بجمع كل الخيول التي كانت معه في الفناء قبالة نفس القاعة؛ ثم توجه إلى رئيس الدير، وسأله ما إذا كان بصحة جيدة تسمح له بركوب فرسه. فرد عليه قائلًا بأنه في صحة جيدة، بل في أحسن حالاته، وأنه لم يعد يتألم من معدته بتاتًا، وسيكون سعيدًا لو أصبح حرًّا طليقًا من قبضة "جون". اصطحبه إلى تلك القاعة، حيث كانت هناك كل أغراضه وممتلكاته وجميع من كان معه، وطلب منه النظر من النافذة ليرى خيوله الموجودة خارج القاعة بالفناء، وحينها قال:

– سيدي رئيس الدير، من المؤكد أنك تعلم أن كثرة الأعداء والفقر والطرد هي السبب في تحويل "جون دي تاكو" من نبيل إلى قاطع طريق وعدو للكنيسة. وأؤكد لك أني لست كما تظن، وأفعل ما أفعل فقط من أجل الدفاع عن شرفي، لا من أجل غرض آخر من وراء هذا. وأنا أراك رجلًا متميزًا، ولا أرغب في أن أصنع معك كما أفعل مع الآخرين، بعد ما عالجتك من مرضك. فحين ما يقع أحد في يدي، كما حدث معك، آخذ ما يروق لي من عنده. ولكني لا أرغب في أخذ شيء من أغراضك؛ وسوف أعيدها لك كاملة، وتقدم لي أنت ما تريد منحه لي منها، إذا ما أردت ذلك. وهي كما ترى كلها أمامك الآن. ولو نظرت نحو الفناء من خلال النافذة، فسترى خيولك هناك، فخذها كلها لو شئت، أو اترك منها ما شئت. أنت حر من

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الآن، ويمكنك أن تذهب أو تبقى حسبما تريد.

شعر رئيس الدير بالذهول لما سمع هذا الكلام من قاطع الطريق. لقد أسعده ما سمع؛ فتبدد كل شعور لديه بالغضب والضيق، وتحولت مشاعره إلى رأفة وعطف، واحتضن "جون" كما لو كان صديقًا قديمًا له لم يره منذ وقت بعيد، ثم قال:

– قسمًا بالرب أني كسبت صديقًا يحمل قلبًا طيبًا مثلك. وهذا ما جعلني أتغاضي عن أفعال كنت أظنها إساءات أكبر مما تخيلت أن تفعل معي إلى هذه اللحظة. اللعنة على حظك السيء الذي جعلك تلجأ إلى طريق الشرا

بعد ذلك، أخذ معه القليل من أغراضه الضرورية، وبعض الخيول، وترك باقي أمتعته، وعاد إلى روما. كان البابا على علم بما حدث له من أسر، وكان حزينًا بشدة. وفور وصول رئيس الدير إلى روما، سأله البابا عن تأثير الحمامات على صحته. فرد عليه رئيس الدير، وهو مبتسم:

– نيافة البابا، قبل وصولي إلى الحمامات، وجدت طبيبًا ممتازًا عالج آلامي، وصرت بالفعل في أحسن حال.

ثم حكى له ما حدث، فضحك البابا كثيرًا، فأكمل رئيس الدير كلامه. وبروح من السماحة والمحبة، طلب من البابا أن يتكرم عليه بمنحة. فاعتقد البابا أن ما سيطلبه رئيس الدير سيكون من أجل شخصه، فأجابه أنه سيلبي له كل ما يطلب. فقال حينها:

– كل ما أريده، يا نيافة البابا، هو أن تمنح المغفرة لـ"جون دي تاكو"، الطبيب الذي قام بمداواتي. فأنا أجد فيه ما يجعله من أحسن الرجال الذين قابلتهم في حياتي. أما الأفعال المشينة التي قام بها، فسببها سوء طالعه، لا

لأنه شخص سيء على الإطلاق. ولو منحته فرصةً، فسترى ما رأيته واضحًا بعد مدة قليلة. ولو نال مغفرتك، وما يعينه على العيش بشكل جيد، فحتمًا سيتحول إلى إنسان آخر.

أثرت كلما رئيس الدير في البابا الذي كان رجلا حكيمًا طيب القلب، ويثمن شجاعة الرجال جيدًا؛ فقال له إنه موافق، إذا كان الأمر كما يقول، وإنه- أي "جون"- يمكنه القدوم بلا خوف. وبهذا سُمح لـ"جون" بالحضور إلى البلاط البابوي تحت رعاية من رئيس الدير؛ وسرعان ما قدره البابا، ونال الأمان، ومنحه الأفضلية بترقيته إلى درجة راهب للمستشفى.

وهكذا، ومن بعد حصوله على هذا اللقب، ظل مخلصًا ووفيًّا للكنيسة ولرئيس الدير.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

القصـة الثَّـالثة

يفعم الحقد والغيرة "متريدنيس" من حسن ضيافة "ناتان" وكرمه، فيفكر في قتله. ويقابله من غير أن يعرفه؛ ويعلم منه ما سيفعله حتى يحقق مراده. ثم يقابله بالغابة، كما عرفه "ناتان" نفسه من قبل، وعندما يعرف أنه هو نفسه، يشعر بالخجل من نفسه، ويصبحان صديقين بعد ذلك.

تعجب الحاضرون، واندهشوا لما وجدوا من تصرف رجل الدين، الذي قام بعمل عظيم يكاد يصل إلى حد المعجزة. ولما صمت الجميع، اتجه الملك إلى "فيلوستراتو"، وطلب منه البدء بالقص، فقال على الفور:

– سيداتي الرقيقات، لا شك في كرم ملك إسبانيا، كما أنه نادرًا ما ترى تصرفًا كتصرف رئيس دير "كلوني". غير أن الأكثر غرابة وإثارة للتعجب أن يسلم الفرد منا نفسه إلى شخص يرغب في قتله، مدفوعًا بالمروءة والشجاعة! وكان يمكنه القيام بهذا، ولم يكن هناك مَن يمنعه، إن أراد. وهذا ما سنراه في طيات قصتنا التي سأحكيها لكن الآن.

لو صدقنا ما كان يحكيه سكان "جنوة"[47]، ومن كان يعيش هناك، فإنهم يخبروننا أنه كان هناك- في إحدى ضواحي "كاتا"- رجل من أصل عريق ونبيل، وكان ثريًا جدًّا لدرجة لا توصف، اسمه "ناتان". كانت لديه مزرعة بجانب الطريق، فكان كل المسافرين يمرون عليها، سواء كانوا قادمين من الغرب إلى الشرق، أو العكس. وبما أنه كان يتصف بالكرم، ويحب أن يعرفه الناس بأعماله، فقد كان لديه عدد من الصناع والعمال الذين أمرهم أن يشيدوا هناك، وفي أسرع وقت، منزلًا كبيرًا وفخمًا وجميلًا. ثم يضعوا بداخله كل ما يلزم لاستضافة الناس وإكرامهم. كان لديه العديد من الخدم، الذين كانوا يقومون على تقديم واجب الضيافة لكل عابر سبيل بشكل طيب. وقد داوم "ناتان" على هذه الصفة الحميدة إلى أن وصلت شهرته لكافة الأرجاء. ومع أنه قد بلغ من السن مبلغه، ولقي أيامًا عصيبة، إلا أنه ظل يكرم الناس ويعمل على خدمتهم.

وقد وصلت شهرته إلى شاب يدعى "متريدنيس"، من مقاطعة قريبة، ولديه أموال كثيرة مثل "ناتان"؛ لكنه كان يغار من شهرة "ناتان" وفضائله الفريدة؛ فأمر بأن يُبنى له بيت مثل بيت "ناتان"، وراح يكرم الناس كما لم يفعل أحد، لكل من يمر من هناك؛ وأصبح مشهورًا في مدة قصيرة هو الآخر. وذات مرة، وبينما كان الشاب يجلس بمفرده في فناء منزله، دخلت عليه سيدة عجوز فقيرة من أحد الأبواب تطلب صدقة، فأعطاها، ثم عادت

---

[47] مدينة بشمال غرب إيطاليا، عاصمة إقليم "ليكوريا". ميناؤها هو الأهم في إيطاليا وأحد أكبر موانئ البحر المتوسط. تم تأسيسها في القرن السادس قبل الميلاد.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لتدخل من باب آخر، فقابلها ثانية، وأعطاها، وقامت بهذا الفعل اثنتي عشرة مرة، وهو يعطيها في كل مرة ما تريد. وفي المرة الثالثة عشرة، قال لها "متريدنيس":

– إنك تلحين كثيرًا في طلبك، وتطلبين مرات عدة، أيتها العجوز الطيبة.

ومع هذا، أعطاها صدقةً مرةً أخرى، لكن المرأة ردت بالقول:

– يالك من شهم ونبيل الأخلاق، يا "ناتان"! كم أنك رجل عظيم يا "ناتان"! لقد دخلت من أبواب بيته- الذي لا يختلف كثيرًا عن هذا البيت- اثنتين وثلاثين مرة أطلب الصدقات. ومن غير أن يُبدي لي أنه عرفني، كان يعطيني الصدقة في كل مرة، دون كلل أو ملل. أما هنا، فأنا لم آتِ سوى ثلاث عشرة مرة، وتعرفت عليَّ، وعاتبتني عتابًا موجعًا.

رحلت السيدة بعدما قالت هذا، ولم تدخل بيت "متريدنيس" ثانيةً؛ بيد أن كلامها جعل "متريدنيس" يفكر أن شهرة "ناتان" لا تزال تطغى عليه؛ فغضب بشدة، وقال في قرارة نفسه: "يا لتعاستي! فمتى سأصبح في شهرة "ناتان". لم أتمكن من التفوق عليه، حتى أني لم أقدر على مجاراته في كل الأمور، حتى لو كانت صغيرة؟ وفي الواقع، فأنا أتعب نفسي بلا فائدة. والشيء الوحيد الذي يمكنني عمله- للحصول على مرادي- هو التخلص منه نهائيًّا. ولأنه رجل عجوز، فهذا ما سيمكنني حتمًا من القيام بهذا الأمر بنفسي".

وبالفعل، نهض من مكانه عاقدًا العزم على قتل "ناتان". ومن غير أن يخبر أحدًا بما يفكر، ركب حصانه وذهب، ومعه بعض المرافقين. وبعد مرور

ثلاث ليال، وصل إلى المكان الذي يعيش فيه "ناتان"، وطلب من المرافقين له أن يبقوا بعيدًا عنه ولا يقتربوا منه، وأن يجدوا مكانًا ليبقوا فيه، حتى يقرر هو ما عليهم القيام به.

وفي جُنح الليل ذهب بمفرده، وقابل "ناتان"، بينما كان يسير بمفرده قريبًا من بيته. كان من عادة "ناتان" أن يتمشى قرب بيته، من غير أن يبدو عليه أنه هو نفسه "ناتان" شديد الثراء، أشهر رجال المدينة؛ فكان يمشي متواضعًا دون أن يُبدي أيًّا من مظاهر الغنى. ودون أن يعرفه "متريدنيس"، سأله إن كان يمكنه أن يدله على بيت "ناتان"، فأجابه "ناتان" بنفسه قائلًا:

– أنا أفضل من يمكنه أن يرشدك إلى بيته، بل على استعداد للذهاب معك إليه وقتما تريد.

شكره الشاب قائلًا له إنه لا يود لقاء "ناتان"، فقال له "ناتان":

– يمكنني تحقيق هذا لك بسهوله.

نزل "متريدنيس" من على حصانه، واقترب من "ناتان"، طبعًا دون أن يتعرف عليه، وأخذ يتبادل معه أطراف الحديث. وبسرعة انسجما معًا، ومضى معه إلى بيته. وهناك، أمر "ناتان" بأخذ حصان الشاب، وهمس لخادمه في الحال ألا يخبر أحدٌ هذا الشاب أنه هو "ناتان" نفسه؛ ففعل الخادم ما أمر به.

بعد أن دخل البيت، اصطحب "ناتان" الشاب "متريدنيس" إلى غرفة جميلة، حتى لا يراه سوى من أخبرهم للقيام على خدمته؛ ورافقه بنفسه حتى باب الغرفة. أثناء هذا، كان "متريدنيس" يتعامل معه باحترام وتقدير وتوقير لكبر سنه، وسأله من هو، فقال له "ناتان":

https://telegram.me/maktabatbaghdad

– أنا خادم فقير لدى "ناتان". كنت أقوم على خدمته منذ أن كنت طفلًا صغيرًا حتى صرت شيخًا كبيرا. ولم يرفع من قدْري أبدًا كما ترى. ولذلك ليس بمقدوري الثناء عليه، مع كل الثناء والمديح والإطراء الذي يقوله الناس بحقه.

دفع هذا القول "متريدنيس" إلى التفاؤل، ومنحه بصيصًا من الأمل في أن يساعده هذا الرجل بالنصح، أو ما هو أكثر من هذا، في تنفيذ مخططه لقتل "ناتان". سأله "ناتان" بلباقة مَن يكون، وما سبب قدومه، عارضًا عليه المساعدة قدر ما يستطيع. فكر "متريدنيس" قليلًا قبل الجواب، ثم قرر أن يثق به. طلب منه أن يعطيه وعدًا وكلمة شرف بألا يعلم أحد بما سيخبره به، وأن يساعده قدر استطاعته. ثم أخبره مَن هو، وفي أي أمر قد جاء، وما الذي دفعه للقدوم إلى ما يود القيام به. حين علم "ناتان" سبب مجيء "متريدنيس" ونيته المبيتة، غضب وحزن جدًّا بداخله؛ لكنه لم يظهر هذا، وقال للفتى بتماسك وقوة:

– لقد كان والدك رجلًا نبيلًا وذا شهرة، يا "متريدنيس"، وأنت لا ترغب في أن تصبح أقل منه. وقمت كما تقول ببذل الكثير من الجهد، وأكرمت، وأعطيت بسخاء. وأنا أفهم ما في نفسك من غيرة نحو "ناتان" وفضائله. قطعًا، لو كان هناك كثيرون يقومون بهذه الفضائل لتحول هذا العالم السيء إلى الأفضل، بل ربما إلى عالم جميل يعج بالسعادة وكرم الأخلاق. أما فيما يتعلق بما أفصحت عنه، فسيظل سرًّا بيننا، وسوف أعطيك نصيحة أفضل من أية مساعدة يمكن عملها، وهي: انظر هناك! يمكنك أن ترى من هنا غابة صغيرة، ومن عادة "ناتان" الذهاب إليها بمفرده كل صباح ليتنزه قليلًا

بمفرده. ويمكنك بسهولة أن تلقاه في هذا المكان، ويمكنك أن تفعل به ما تريد. فإن قتلته، وأردت العودة إلى بيتك من غير مشاكل، فلا تمضِ من حيث أتيت، ولكن اسلك الطريق الأيسر، على الرغم من وعورته، لكنه أقصر مسافة لتصل إلى بيتك، ولهذا، فهو أكثر أمانًا بالنسبة لك.

بمجرد أن أخبر "ناتان" "متريدنيس" بهذه النصيحة، تركه وذهب إلى رفاقه في الخفاء، بالمكان الذي سيلقاهم فيه اليوم التالي، كما اتفق معهم. ولما حل الصباح، لم يغير "ناتان" المكان، وإنما فعل "متريدنيس" كما أُخبر، وبالفعل ذهب إلى الغابة ليواجه الموت. استعد "متريدنيس" بكل أسلحته، فحمل القوس والسيف، ثم ركب على ظهر فرسه، ومضى متجهًا إلى الغابة. شاهد "ناتان" من بعيد يتمشى بمفرده، فأراد أن يهاجمه وجهًا لوجه، ويسمع ماذا سيقول، فاندفع نحوه ممسكًا بعمامته وقال:

– ستموت بلا شك، أيها العجوز!

فقال "ناتان":

– أترى أني أستحق الموت، إذن؟

لما سمع "متريدنيس" صوته، ونظر إلى وجهه، علم في الحال أنه هو نفسه الرجل الذي استقبله الليلة الماضية، وقام بنصيحته؛ فتبدد حقده وتلاشت غيرته، وشعر بالخجل من نفسه، وألقى بالسيف بعيدًا بعدما كان شاهرًا إياه، مستعدًّا لقتل الرجل، ونزل من على حصانه، وركع عند قدم "ناتان"، وهو يقول:

– الآن، فهمت مدى كرمك وشهامتك، وحقيقة حب الناس لك، أيها الأب، وكيف أتيت لتسلم لي حياتك التي أردت القضاء عليها، دون وجه

https://telegram.me/maktabatbaghdad

حق. إرادة الرب هي التي أرادت، وفضله ومن بعده فضلك أنت، كانا سببًا لينشرح صدري بعد أن أعماني الحقد. وكما أنك سارعت في تنفيذ طلبي، فعليَّ الآن التكفير عن خطئي. تقدم وافعل بي ما تراه مناسبًا، جزاء ما أقبلت عليه من ذنب كبير في حقك.

ساعد "ناتان" "متريدنيس" لينهض، واحتضنه بحنان ومحبة، ثم قال له:

– يابني، لست بحاجة لطلب العفو عما كنت تنوي فعله. فإن دافعك لم يكن الحقد، وإنما رغبتك الملحة في أن تصبح الأفضل! تأكد تمامًا أنك لن تجد شخصًا يحبك أكثر مني، تقديرًا مني لسمو روحك، بعدم رغبتك في كنز المال وجمعه، وإنما في إنفاقه بسخاء على ضيافة الناس وخدمتهم. أنت لا تكنز المال، كما هو حال كثير من الأشقياء البؤساء. فلا تشعر بالذنب لما بدر منك؛ فقد فكرتَ في هذا لتصبح الأكثر شهرة. ولا أتعجب من سلوكك. فأعظم الأباطرة والملوك لم يوسعوا ممالكهم، إلا من خلال المعارك والحروب والانتصارات التي حققوها، ولم يحدث هذا بقتل رجل واحد فقط، ولكن بقتل أعداد غفيرة من البشر. ليس هذا فحسب، لكنهم قاموا بحرق بلداننا، ودمروا مدنا عديدة. وأنت، حينما فكرت في قتلي حتى تشتهر، لم تبتدع شيئًا لم يحدث من قبل، بل هذا التفكير منتشر بكثرة في عالمنا هذا.

لم يجد "متريدنيس" كلامًا ليبرر به رغبته القبيحة، غير أنه أشاد بالعذر الذي التمسه له هذا الرجل الكريم "ناتان". وبعد تفكير وتأن، قال إنه في ذهول ودهشة شديدين من قبول "ناتان" لفكرة قتله، التي أرادها "متريدنيس"، بل قيامه بتقديم النصح له حتى يتمكن من قتله، فرد عليه "ناتان":

– لا أريد رؤيتك متعجبًا من قراري ونصحي لك. فأنا- منذ أن بلغت وأصبحت سيدًا- كنت أريد تنفيذ طلب كل من يقدم إليَّ ويأتي إلى بيتي، مهما كان طلبه. وقد قدمتَ وأنت ترغب في حياتي. وحين سمعتك تطلبها، وحتى لا أخالف ما اعتدت عليه منذ صغري، وتكون الوحيد الذي أتى لي ولم ينل مراده، قررت أن أعطيك ما تريد. أرشدتك إلى الطريقة التي تساعدك في هذا دون أن تخسر حياتك. ولهذا أقول لك، لو كانت هذه رغبتك، فهيا قم بتنفيذها؛ ها أنا ذا أمامك الآن، فافعل بي ما ترى. لقد عشت ثمانين عامًا، مضت كلها في الملذات. وحياتي ستنتهي قريبًا، كما يحدث لكل البشر، ولكل من في هذه الحياة وفقًا لقوانين الطبيعة؛ ولذلك أُفضل أن أمنحها، كما أنفقت أموالي وثرواتي كلها، ولا أريد أن أنتظر حتى تأخذها مني الطبيعة. إن منح مائة عام من الحياة لهي عطية قليلة، فما بال ستة أو سبع سنين قبل أن أرحل نهائيًّا عن الدنيا؟ خذها لو كانت ترضيك، فكل السنين التي مضت لم أقابل أحدًا يود أخذها، ولا أعلم إن كنت سأجد مَن يريدها ثانيةً، إذ لم تقم أنت بهذا. هيا، خذها قبل أن تصير بلا قيمة.

فرد "متريدنيس"، وهو في قمة الخجل الشديد:

– معاذ الرب أن آخذ منك شيئًا غاليًا كحياتك. لم تعد لديَّ رغبة فيما سبق أن قلته. وعلى العكس، فقد أصبحت أتمنى لو أني أستطيع أن آخذ من عمري لأعطيك عمرًا إضافيًّا على عمرك.

فقال "ناتان" مسرعًا:

– وهل تظن أنني سأقبل هذا منك، حتى لو كنت تستطيع فعله؟ ألا تعلم أني هكذا سوف آخذ منك، وأنا ظللت طيلة عمري أعطي لغيري، ولا آخذ

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أي مقابل؟ لكني أود أن أطلب منك شيئًا آخر!

قال "متريدنيس: تفضل، سأفعل ما تريد حتمًا.

فقال له "ناتان":

– لتفعل إذن ما سأقول لك، الآن! فأنت ما تزال في عز شبابك، وأود أن تظل هنا في بيتي، ويصبح اسمك "ناتان"، وأذهب أنا إلى دارك، وأكون هناك مكانك، وأطلق على نفسي اسم "متريدنيس".

قال "متريدنيس":

– لو أني أستطيع أن أتعامل مع الأمور بمثل حكمتك، لقبلت ما تعرضه عليَّ بدون تفكير؛ غير أني أعلم أن تصرفاتي سوف تقلل من شهرتك، ولا أرغب أن أسيء إليك فيما لم أتمكن من عمله لنفسي.

بقيا في جدل طويل حول أمور كثيرة. وعندما عادا سويًّا إلى بيت "ناتان"، استضافه هناك وأكرمه لعدة أيام. وحين أراد "متريدنيس" العودة– مع من أتوا معه– كان متأكدًا تمامًا أنه لا ولن يقدر أن يفوق "ناتان" في كرمه ونبل أخلاقه.

القصـــة الرَّابعـــة

يصل السيد "جينتيلي دي كاريسيندي" من "مودونا"[48]، ويخرج امرأة كان يحبها من القبر، بعد ظن الناس أنها ماتت فدفنوها، فيجد فيها الروح، وتُعاد ثانيةً إلى الحياة، ثم تضع مولودًا ذكرًا. ثم يعيدها وولدها إلى زوجها "نيكولوتشو كاتشانميكو".

ذُهل الجميع من كرم "ناتان"، وخاصةً من استعداده للتخلي عن حياته؛ وقالوا إن كرمه طغى على كرم ملك أسبانيا ورئيس الدير، بل فاقهما بكثير. وبعد نقاش لم يدم طويلًا، نظر الملك إلى "لوريتا"، وقال لها إنه يود أن يسمع حكايتها اليوم، فشرعت تقول: صديقاتي اللطيفات، كم هي جميلة ورائعة القصص التي سمعناها. ولا أعتقد أنه قد بقي لنا ما يمكننا قوله، إلا إذا تحدثنا في شؤون الحب، وهي بئر لا ينضب. ولذلك، ولأننا نهتم كثيرًا بقصص الحب، فسوف أروي قصة شهامة ونبل عاشق، ربما يشبه في كرمه من سبق أن تحدثنا عنهم، إن لم يتجاوزهم. فأي شخص في سعيه لينال ما يحب ينسى العداء، وقد يعرض في سبيل حبه حياته وشرفه وسمعته لمخاطر

[48] مدينة عريقة، وهي مقر للأسقفية، وتقع على واذي نهر "بو".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

جمة.

كان هناك في "بولونيا"، تحديدًا في المدينة العظيمة "لومباردي"، فارس نبيل يتمتع بكل الصفات الحميدة، يُدعى السيد "جينتيلي دي كاريسيندي". وكان يحب سيدة تدعى "كاتالينا"، وكانت متزوجة من "نيكولوتشو كاتشانميكو". ولكن هذه السيدة لم تهتم لأمره، فحزن لهذا الأمر بشدة، ثم سافر بعدها لمدينة "مودونا"؛ فقد تم إرسالة إلي هناك ليصبح حاكمها. في هذا الوقت، كان "نيكولوتشو"، زوج السيدة "كاتالينا"، في رحلة خارج "بولونيا"، وذهبت زوجته للعيش في مزرعة قريبة من المدينة، فقد كانت حاملًا. وفي تلك الآونة، أصيبت بحالة مرضية جعلتهم يعتقدون أنها قد ماتت، وقال أقاربها إن حملها كان في بدايته، ومن غير الممكن أن يكتمل نموه، لهذا حملوها إلى مقبرة كنيسة قريبة، وبكوا لفراقها كثيرًا، وتم دفنها هناك.

حين علم السيد "جينتيلي" بذلك، بعد دفنها مباشرة، عن طريق صديق له، حزن وتألم لوفاتها؛ لكنه قال في داخله: "ها أنتِ ذا تموتين، يا حبيبتي الرقيقة العذبة، ولم أتمكن من أن أنال حتى ولو نظرة من عينيك، وقد تركت الدنيا الآن. لن يمنعني شيء من توديعك وتقبيلك".

وفي نفس الليلة، جهز نفسه، وانطلق برفقة خادم له، ولم يتوقف حتى وصل إلى القبر الذي دفنت فيه؛ ففتحه، ودخل بحرص شديد، وجلس بجوارها، وقرب وجهه من وجهها، وانهمرت الدموع من عينيه، وهو يقبلها. لم يتوقف عند هذا فقط. فكما نعرف، يود العاشق دائمًا في المزيد، فتلمس جسدها حتى وصل إلى صدرها، وأبقي يده هناك لمدة من الوقت. عندئذٍ، شعر بقلبها يدق. فخاف، ثم استجمع شجاعته بعدها، وفحصها بدقة؛ فتبين

له أنها ما تزال على قيد الحياة، لكن نبضها كان ضعيفًا جدًّا.

نهض من مكانه بحرص. وبمساعدة خادمه، قام بإخراجها من المدفن، ووضعها على الجواد، وحملها إلى بيته في "بولونيا". كانت هناك والدته، وكانت سيدة كريمة الخلق تتمتع بالحكمة. وقد أشفقت عليها حين علمت من ابنها حكايتها، فأمرت بإعداد حمام ماء ساخن، وإشعال نار كبيرة، حتى استعادت المرأة وعيها، فأطلقت زفرة كبيرة وفتّحت عينيها، وقالت:

– آه! أين أنا؟ ما هذا المكان؟

فأجابتها المرأة الكريمة:

– اطمئني، أنتِ بأمان هنا.

ورغم أنها استعادت وعيها، لكنها لم تتمكن من معرفة أين تكون. غير أنها حين شاهدت السيد "جينتيلي" اتجهت لأمه مباشرةً ترجوها أن تخبرها كيف أتت إلى هذا المكان؛ فأخبرها "جينتيلي" بكل ما حدث لها. حزنت لما سمعته، وشكرته على إنقاذها، وتوسلت إليه بمقدار الحب الذي يكنه لها، ألا يسيء إلى شرفها وشرف زوجها، لكونها في بيته؛ ويأذن لها بالرجوع إلى بيتها في الصباح. فقال لها السيد "جينتيلي":

– سيدتي، لا تخافي؛ فكل رغباتي الماضية قد ولّت وانتهت، ولم تعد موجودة. ولن أفكر بها ثانيةً أبدًا "فالرب قد أنعم عليَّ بعودتك للحياة بعد الموت، بسبب الحب الذي شعرت به نحوك". وسوف أعاملك- من الآن فصاعدًا، هنا أو في أي مكان آخر- مثل أختي الغالية. ولكن ما قمت به من أجلك يسمح لي بأن أطلب منك شيئًا، أرجو أن تقبليه.

فقالت له إنها تقبل بما يطلب، إن كان لا يمس الشرف، وتقدر على فعله.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

فأخبرها السيد "جينتيلي":

– سيدتي، كل أقربائك، وأهل المدينة يظنون أنك ميتة، ولا يوجد من ينتظر رجوعك إلى بيتك؛ ولهذا أرغب في أن تبقي مع أمي هنا، دون أن يعلم أحد بوجودك، لحين عودتي من "مودونا"؛ وسوف يحدث هذا قريبًا. وسبب طلبي هذا هو أني أرغب في أن أقدمك، في حضور أهل البلدة، كهدية غالية إلى زوجك.

ولإدراك السيدة أنه قد قدم لها معروفًا كبيرا، وأن طلبه نبيل، بالتالي وافقت؛ مع أنها كانت تريد العودة إلى بيتها سريعًا؛ ووعدته أن تنفذ ما طلب. بعدها بلحظات، شعرت أنها على وشك الوضع، وبمساعدة من أم السيد "جينتيلي"، ولدت طفلًا جميلًا، مما زاد من سعادة السيد "جينتيلي" وأمه. وأمر بتوفير كل ما تريد، وأن تتم معاملتها برعاية واهتمام بالغين.

عاد بعد ذلك السيد "جينتيلي" سرًّا إلى "مودونا"، للقيام ببعض الأعمال الضرورية. ولما فرغ من عمله هناك، عاد إلى "بولونيا". وفور عودته، أمر خدمه بتحضير وليمة كبيرة في بيته، صباح اليوم التالي لعودته إلى المدينة. وقد دعا نبلاء "بولونيا" وسادتها، ومن بينهم السيد "نيكولوتشو كاتشانميكو"، زوج "كاتالينا". وحين وصل نزل من على فرسه، وذهب ليرى السيدة الجميلة، وفرح لأنها أصبحت في أتم صحتها هي وولدها، توجه إلى ضيوفه. جلس إلى المائدة، التي كانت ممتلئة بأشهى المأكولات. وحين أوشك الضيوف على إنهاء الطعام، وكان قد بلغها بما ينوي فعله، بدأ يقول:

– أيها السادة، أذكر أنني سمعت عن عادة فريدة لدى الفُرس؛ فحينما يرغب شخص في إكرام صديق على أكمل وجه، فإنه يدعوه لمنزله، ويريه أغلى

ما يملك، سواء كانت امرأته، أو صديقته، أو ابنته. وأنا أود القيام بهذه العادة نفسها هنا. فبعد ما تكرمتم بتشريفي بالحضور اليوم لوليمتي، أرغب بتكريمكم بنفس طريقة الفُرس، لتروا أثمن ما لديَّ في الحياة. ولكني أتمنى أن تخبروني برأيكم عن أمر يشغل بالي ويحيرني: إذا كان هناك لدى أحد الناس- في منزله- خادم مخلص، وقد مرض مرضًا عضالًا؛ فلم ينتظر ما قد يحدث له، ولكنه أمر بإخراجه من البيت وتركه في الشارع، ولم يهتم بم حدث له بعدها. ثم يقوم شخص غريب، بدافع من الرحمة، بأخذه من ذلك المكان والذهاب به إلى منزله، والإنفاق على علاجه ليستعيد عافيته؛ فإنني أتساءل: هل من حق السيد الأول أن يشكو أن الثاني هذا لا يرد إليه خادمه، أو أن الخادم لا يرغب بالعودة لسيده هذا؟

أخذ السادة الحضور في التفكير فيما قد قاله، واتفقوا كلهم على إجابة واحدة قاطعة، وطلبوا من "نيكولوتشو" أن يجيب هو، بصفته متحدثًا بارعًا ومتكلمًا بليغًا. فبدأ قوله بمدح تلك العادة الفارسية، وقال إن رأيه ورأي السادة الحضور أنه ليس لذلك السيد الأول أي حق في هذا الخادم؛ فقد تخلى عن الاهتمام به، كما رماه في الخارج، وتركه ليلقى مصيره المجهول؛ في حين أبقاه السيد الثاني عنده، بعد أن عالجه وقام برعايته. ولا يوجد في هذا أي إهانة أو ضرر للسيد الأول، بل ليس هناك ما يجعله يتذمر. أيده في ذلك كافة الحضور. وأعجب هذا الرد الفارس "جينتيلي"، وتحديدًا لأن "نيكولوتشو" هو الذي قاله وأيده، ثم قال:

- لقد جاء الوقت المناسب لأفي بما وعدتكم به.

قام السيد "جينتيلي" باستدعاء اثنين من خدمه، وبعثهما لطلب السيدة

https://telegram.me/maktabatbaghdad

التي كانت تلبس أجمل الثياب والحلي، لتشرف السادة النبلاء بحضورها. فأتت، وهي تحمل طفلها بيدها، ومعها خادمان؛ وجلست بين أبرز الضيوف. حينها قال "جينتيلي":

– السادة الكرام، هذا هو أغلى ما عندي، وما أود أن أمتلكه أكثر من كل ما دونه. فانظروا، ما رأيكم في قولي.

مدح السادة المرأة وحسنها، وتأمل البعض شكلها، وكان الكثيرون منهم يتساءلون في حيرة: مَن تكون هذه السيدة الشابة؟ هل حقًا هي السيدة ...! هل هذه السيدة هي زوجة "نيكولوتشو"، لكنها كانت قد ماتت بالفعل، وتم دفنها؛ فكيف يستقيم هذا الأمر؟ كان "نيكولوتشو" أكثر مَن أمعن النظر فيها، وهو متلهف لمعرفة مَن هي؟ فانتهز ابتعاد الفارس قليلًا، وقام بسؤالها هل أنتِ من مدينتنا، أم أنك غريبة. لما سمعت سؤال زوجها، منعت نفسها من الجواب بصعوبة بالغة. وظلت صامتة، كما قال لها الفارس، وسألها زوجها هل هذا الطفل ابنك، وقام الآخرون بسؤالها إن كانت زوجة "جينتيلي"، أو قريبته. لم تنطق السيدة ولو بكلمة واحدة. فقال أحد الموجودين للسيد "جينتيلي":

– إنها رائعة الجمال، غير أنها على ما يبدو صماء بكماء؟

فأجاب السيد "جينتيلي":

– أيها السادة، عدم نطقها بكلمة واحدة خير دليل على عفتها وطهارتها.

– أخبرنا إذن، من هي!

فقال الفارس:

– سأقول لكم هذا بكل سرور، ولكن عليكم أن تعدوني بعدم التحرك من أماكنكم، مهما سمعتم، حتى أنهي كلامي.

وعده الجميع بتنفيذ ما طلب، وجلس السيد "جينتيلي" بجوار السيدة، وقال:

– أيها السادة، إنها هي نفسها هذا الخادم الوفي الذي كلمتكم عنه من قبل. فهي لم تجد التقدير الذي يليق بها من أهلها، وتركوها في عرض الطريق مثل أي شيء بلا قيمة. وقد أخذتها أنا وقمت برعايتها، بعد أن كانت في عداد الموتى. والرب وحده يعلم نقاء وصفاء نيتي، والمجهود الذي بذلته كي تستعيد جمالها المعهود. ولكي تعرفوا ما الذي صار لها، سأحكي لكم بإيجاز.

حكى عن بداية حبه لها، وكل ما حدث حتى النهاية، وسط دهشة وتعجب من كل الموجودين، ثم قال في النهاية:

– ونظرًا لكل ما حدث، وإن كنتم لم تغيروا رأيكم فيما قلتم منذ قليل، وخاصةً السيد "نيكولوتشو"، فإني أستحق أن تبقى السيدة عندي، بعدما فرطتم فيها، وليس من حق أحد أن يستردها.

لم ينطق أي منهم بكلمة، وانتظروا ما سوف يقوله بعدها. فقام السيد "جينتيلي" وحمل الطفل بيده، وأمسك بيد المرأة، ورافقهما حتى زوجها، وقال:

– أنا لا أعيد إليك زوجتك التي تخلى عنها أهلك وأهلها، ولكني أعيد إليك هذه السيدة التي أصبحت بمثابة أختي، ومعها ولدك الذي أثق أنه من صلبك، وقد حملته عند تعميده، وكنتُ عرابه؛ وقد أطلقت عليه اسم "جينتيلي". أتمنى ألا تكون مستاءً من بقائها ثلاثة شهور في بيتي؛ فقسمًا بالرب الذي جعل حبي لها سببًا لنجاتها، أنها كانت هنا كما كانت مع والدها

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ووالدتها، أو حتى معك، محافظة على شرفها، وظلت مع أمي في هذا البيت.

ثم قال للسيدة:

– سيدتي، أنتِ من الآن في حل من الوعد الذي وعدتني به، أنـت حـرة، وأنا أسلمك إلى زوجك "نيكولوتشو".

بعدما أعطي الطفل والزوجة إلى "نيكولوتشو"، رجع إلى مكانه من جديد. فرح "نيكولوتشو" بعودتهما، بعد أن كان قد فقد كل أمـل في لقائهمـا ثانيـةً، وشكره بأطيب الكلمات. كان الـسادة الموجـودون متـأثرين بـالموقف بـشدة، وأشادوا بكرمه ونبله. قوبلت السيدة بحفاوة وترحـاب مـن أهلهـا، وبـقي الناس في "بولونيا" ينظرون إليها على أنها السيدة العائدة مـن المـوت؛ ومنـذ ذلك الحين، صارت هنـاك صـداقة جليلـة بـين "جينتـيلي" و"نيكولوتـشو"، وأهلهما، وبين أهل السيدة أيضًا.

ماذا يمكننا قوله في هذا المقام، أيها السيدات الطيبات؟ أجـد أن تقـديم ملك لتاجه، أو شهامة رئيس الدير مع شخص، أو قيام عجوز بتسليم نفسه لعدو يرغب بقتله، تستحق بأن نقارنه بعمل السيد "جينتيلي" العظيم؟ هـذا الشاب الذي كان في عنفوان شبابه، ومنحه القدر ما سلبه منـه غـيره، وكان سببًا لنجاته، ومع هذا تحلّى بحسن الخلق والصبر؛ ليس هذا فقط، لكنه تخلى عن كل رغباته التي كان يـود أن يـشبعها. وفي الواقـع، أرى أن هـذه القـصة تفوقت على ما سبقتها.

القصـة الخامسَــة

تطلب السيدة "ديانورا" من السيد "أنسالدو" أن يوفر لها حديقة غناء في شهر يناير، أثناء هطول الثلوج، كما لو كانت في شهر مايو؛ فيستعين السيد "أنسالدو" بساحر حتى ينفذ ما طُلب منه، مقابل دفع مبلغ عظيم من المال. ولما وفّى السيد "أنسالدو" بوعده، سمح لها زوجها بالقيام بما يود السيد "أنسالدو"، الذي يخجل من كرم زوجها، ويحلها من الوعد الذي وعدته إياه. وبدوره، حين يرى الساحر- صانع الحديقة الغناء- ما حدث، يُعفي السيد "أنسالدو" من الدفع له مقابل ما طلب منه.

أشاد كافة الحضور بموقف السيد "جينتيلي" وكرم أخلاقه، ونال أعلى درجات المديح. ثم توجه الملك إلى "إيميليا"، وطلب منها أن تحكي حكايتها، فبدأت الحديث واثقة من نفسها، وقالت: صديقاتي الرقيقات، لا ننكر أن السيد "جينتيلي" قام بموقف شهم؛ ولكن لا يمكن القول إن ما قام به لا يمكن لأحد أن يتخطاه، وسأبرهن لكن بقصتي على هذا الكلام.

حدثت قصتنا في "فريولي"، وهي بلد جميلة وسعيدة، مع أن درجة الحرارة

https://telegram.me/maktabatbaghdad

فيها منخفضة للغاية؛ جبالها شامخة، أنهارها متعددة، ينابيعها نقية صافية، بها مدينة اسمها "أوديني". كانت تسكن هناك سيدة نبيلة ورائعة الجمال، تُدعي السيدة "ديانورا"، وكانت متزوجة من سيد عظيم وثري جدًّا، اسمه "جيلبيرتو"، معروف عنه دماثة الخلق وقمة اللطف. وقد وقع في حبها سيد آخر نبيل عالي المقام والشأن، اسمه "أنسالدو جرادينسي"، كان يتمتع بشهرة كبيرة نظرًا لشجاعته وبراعته في القتال، فضلًا عن لباقته، وحسن تدبيره. كان متيما بها، يحبها من كل قلبه، لدرجة جعلته يطلب رضاها بكل السبل. غير أنها كانت تعيد رسائله إليه بلا أمل، ولم تفلح كل محاولاته لينال رضاها ولم تسمح له بلقائها؛ دون أن يثنيه هذا عن تكرار مبتغاه. ولما وجدت المرأة أنه لا يمل من كثرة إلحاحه، وعرضه عليها كل الأشياء، فكرت أن تنهي هذا بأن تطلب منه شيئًا يستحيل تنفيذه برأيها، لتتخلص منه بشكل نهائي. فقالت ذات مرة لامرأة اعتادت حمل رسائله إليها:

– أيها المرأة الطيبة، لقد أتيت لي كثيرًا لتخبريني عن مدى حب السيد "أنسالدو" لي، وكم جلبت لي من الهدايا منه. لكني أرغب في أن يحتفظ بهداياه تلك لنفسه، فهي لن تجعلني أحبه، وأنفذ رغباته؛ ولكن أريد أن يثبت لي حبه بشيء أطلب منه تنفيذه، ووقتها سأكون مستعدة لتلبية ما يطلب.

فقالت لها:

– وما ذاك الشيء الذي ترغبين فيه، يا سيدتي؟

فأجابتها:

– ما أريده هو أن يجهز لي في شهر يناير المقبل، على مشارف المدينة،

حديقة يكسوها العشب الأخضر، مزينة بالأزهار الجميلة، والأشجار الوارفة، تمامًا مثلما تكون الحدائق في شهر مايو. وإن لم يتمكن من هذا، فلا أود أن يرسلك أنتِ لي أو أي شخص آخر. وإذا لم يستجب لما قلت، وظل في محاولاته هذه، فليعلم جيدًا أني سأبحث عن طريقة للتخلص منه، وليعلم أيضًا أني أخفي هذا الأمر عن زوجي وأهلي حتى هذه اللحظة.

حين علم السيد "أنسالدو" بما طلبته السيدة، وعلى الرغم من أنه كان يعلم جيدًا صعوبة تنفيذ ما طلبت، بل استحالته؛ فإنه تأكد أنها طلبت هذا حتى تفقده الأمل في قربها منه. ولكنه قرر بذل قصارى جهده لتنفيذ رغبتها. بحث كثيرًا عن من يمكنه مساعدته، أو تقديم المشورة له، في هذا الإطار، إلى أن وجد شخصًا أخبره أنه يمكنه عمل ما يريد عن طريق السحر؛ ولكن مقابل الكثير من المال. ظل منتظرًا بسعادة الموعد الذي حددته له حتى أقبل البرد، وهطلت الثلوج البرية، وقاما بالذهاب إلى مرج جميل بالقرب من المدينة. قام الساحر الذي اتفق معه بعمل سحر في تلك الليلة التي تسبق أول يوم من شهر يناير، ليظهر في الصباح- حسبما قال من شاهدها- كأنها أجمل حديقة يمكن أن يراها إنسان؛ فكانت تملؤها الكثير من الأعشاب، والأشجار المثمرة. وحين رأى السيد "أنسالدو" هذا المنظر البديع، غاص قلبه في الفرح. وقطف بعضًا من ثمار الأشجار، وباقة من أجمل الأزهار النضرة، وقام بإرسالها إلى السيدة في الخفاء، ودعاها لرؤية الحديقة التي طلبتها منه حتى تتأكد من صدق حبه، وليذكرها بوعدها الذي قطعته على نفسها، وأن عليها الآن الوفاء به وتنفيذه.

لما رأت السيدة الأزهار والثمار، وسمعت الناس يتحدثون عن جمال تلك

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الحديقة الغناء، شعرت بالندم على ما وعدت به. وبالرغم من هذا، ذهبت في جمع من السيدات لرؤية هذه الحديقة الفريدة من نوعها. لم تتمكن من إخفاء دهشتها عندما ذهبت إلي هناك معهن، ولكن التعاسة والحزن سيطرا عليها، وهى عائدة، حين فكرت بالمقابل فيما عليها فعله نظير الوفاء بوعدها، لأن طلبها قد تم تحقيقه؛ حيث لبى لها رغبتها السيد "أنسالدو". ولشدة حزنها، لم تتمكن من مواراة شعورها، فبدا هذا جليا عليها. أحس زوجها بأن هناك خطبًا ما، وأراد أن يعرف السبب بكل الطرق. إلا أنها خجلت من أن تخبره، وبقيت صامتة لوقت طويل، لكنها اعترفت له في النهاية بكل شيء.

غضب "جيلبيرتو" بشدة في أول الأمر حين سمع هذا الكلام؛ ولكنه تفهم حسن نواياها، فهدأ قليلًا، وقال لها، وهو لا يكاد يتمالك نفسه من شدة الغضب:

– ليس من الحكمة وحسن التصرف أن تسمحي بقبول رسائل يحملها رُسل، مهما كانت يا "ديانورا"، أو أن تفاوضي أحدًا على شرفك، مهما كان. فالكلمات التي يسمعها الإنسان لها تأثير شديد لا يمكنك تصوره، واندفاع العاشق الولهان يجعله يفعل أي شيء. فأنتِ لم تحسِني التصرف باستجابتك للرسائل في البداية، وأيضًا عندما عقدت اتفاقًا بعدها. ولتتأكدي من صفاء قلبك ونواياك، وحتى تتحرري من وعدك هذا، سأسمح لك بما لا يمكن أن يسمح به أحد لزوجته. وهذا بسبب خوفي مما يمكن لهذا الساحر الذي استعان به السيد "أنسالدو" من أن يسبب لنا الضرر. ولذلك، أريدك أن تذهبي إليه، وتتحدثي معه، وتحاولي الإلحاح عليه، وإقناعه بأن يصون

شرفك، لو كان يحبك حقًّا، لتتحرري من وعدك هذا. وإن لم تستطيعي، فلا حل سوى أن تسمحي له– ولمرة واحد فقط– بالقيام بما يريد، ولا تمنحيه مشاعرك وروحك.

بكت المرأة بتألم لما سمعت كلام زوجها، ولم ترغب في أن يوافق على هذا. لكنه أصر على أن تفي بوعدها الذي قطعته على نفسها. خرجت تلك المرأة في الصباح الباكر من اليوم التالي، من دون أن تعتني بنفسها، تتقدمها خادمتان، وتمشي وراءها الثالثة؛ وذهبت إلى بيت السيد "أنسالدو"، الذي ما إن علم أن السيدة أتت لتزوره، حتى نهض بسرعة البرق من فراشه، والذهول يتملكه، وأرسل إلى الساحر من شدة فرحته، وقال له:

– أريدك أن ترى هذا الحدث الكبير المهم الذي ساعدتني في أن أحصل عليه.

خرج للقائها. فقابلها باحترام وتقدير، دون أن يظهر أي شيء آخر، ثم اتجها إلى حجرة جميلة بها موقد كبير، ودعاها للجلوس، ثم قال لها:

– سيدتي، أتمنى لو أن حبي الكبير لكِ قد نال مراده من قلبك، وأن تخبريني بسبب قدومك في هذا الوقت، ومع هؤلاء الخدم.

فقالت له السيدة بخجل، والدموع تنهمر من عينيها:

– سيدي، ليس حبك، ولا الوعد الذي وعدته لك، هما سببا قدومي إليك، وإنما بأمر من زوجي. فقد قدر العمل الذي قمت به بدافع الحب، وأمرني بالقدوم إليك. وأنا هنا بناء على طلبه، ومستعدة للقيام بما ترغب، لكن لمرة واحدة فقط.

كان قدومها قد أصابه بالذهول، لكن دهشته من سماع ما قالت كانت

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أشد وطأة، وتأثر بشدة من شهامة زوجها؛ وتغيرت مشاعره نحوها، وتحولت تمامًا، وقال لها:

– سيدتي، كوني على ثقة تامة أنني لن أدنس شرف مَن أشفق عليَّ وتفهم مشاعري. ولن يكون وجودك عندي مهما طال أكثر من وجود أخت عند أخيها. يمكنك الخروج وقتما تودين، ثم قدمي له- نيابةً عني- بالغ الشكر بالقدر المناسب لشهامته. وإني لأعتبر نفسي من الآن فصاعدًا صديقًا وخادمًا لكِ.

لما سمعت المرآة هذه الكلمات، شعرت بسعادة تغمر قلبها، وقالت:

– في الواقع، لم أنتظر منك ما سمعته، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على شهامتك وكرم أخلاقك. وسوف أبقى مدينةً لك بمعروفك هذا حتى آخر العمر.

غادرت السيدة، وودعها السيد "أنسالدو" بكل تقدير واحترام، وعادت مع خادماتها إلى زوجها "جيلبرتو"، وحكت له ما جرى معها. بعدها توطدت صداقة متينة بينه وبين السيد "أنسالدو". وحين أراد السيد "أنسالدو" أن يدفع للساحر المكافأة التي وعده بها، لم يقبل الساحر، لما رأى تصرف "جيلبرتو" نحو السيد "أنسالدو"، ورد "أنسالدو" بمثلها مع هذه السيدة. فقال:

– أعوذ بالرب أن أصبح أقل منكما مروءة، بعدما رأيت بأم عيني من شهامة "جيلبرتو"، ومروءتك أنت مع مَن أحببت. فلن أكون أقل منكما خلقًا فيما يخص مكافأتي؛ فإنها لك، ولن آخذها أبدًا.

خجل السيد "أنسالدو"، وحاول بشتى الطرق إقناعه بأن يأخذ مكافأته أو حتى بعضًا منها؛ لكن الساحر رفض تمامًا. بعد ذلك، جعل الساحر

الحديقة تتلاشي ثانيةً، بعد مرور ثلاث ليال. ولما أراد الرحيل، ودعه السيد "أنسالدو" متمنيًا له السلامة في سفره هذا. وخرجت من قلب السيد "أنسالدو" كل رغباته الجسدية لهذه السيدة، وحلت محلها مشاعر نبيلة راقية من أخ لأخته.

فماذا يمكننا القول، يا صديقاتي العزيزات، في هذه الحالة؟ هل نفضل قصة امرأة عادت من الموت، وحب عشيقها الذي أصابة الفتور، بعد ضياع الأمل، على عمل السيد "أنسالدو".وحبه الفياض الذي تجددت آماله، وأصبح مراده سهل المنال وتحت أمره، ثم يتخلى عنه لمروءته وشهامته؟ في رأيي لا توجد مقارنة بين هذه الشهامة وتلك التي تحلى بها أبطال حكايتنا السابقة.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

القصــة السَّــادسة

الملك "كارلو الأول"، العجوز صاحب الانتصارات، يقع في حب شابة قوية يافعة، فيشعر بالخجل من حبه هذا، ويتراجع عنه، ثم يُزوج الفتاة وأختها زواجًا لائقًا ومحترمًا.

قد لا يتمكن أي شخص من إعادة رواية الجدل الواسع الذي حدث بين الحاضرين عن مَن هو أكثر شهامة ومروءة: أيكون "جيلبرتو"، أم السيد "أنسالدو"، أم ذلك الساحر، في قصة السيدة "ديانورا"؟ فالنقاش في هذا الموضوع مرهق، ويمكن أن يطول إذا تركناه، ولم ننهه. وبعد أن سمح لهم الملك بذلك النقاش الطويل، أشار إلى "فياميتا" بأن تبدأ قصتها حتى يخرجوا من هذا الحديث. فشرعت دون تردد، وقالت: سيداتي الكريمات، وجدت دوما أن النقاشات في الاجتماعات، كالتي نحن فيها، يفضل أن تكون باستفاضة حتى لا نترك مكانًا للحيرة، ونعطي كل موضوع حقه في النقاش والجدال. وهذا الأسلوب يصلح في المدارس ومع المثقفين، وليس مع من هم مثلنا. كنت سأروي لكم قصة تثير الحيرة، ولكن بعدما شاهدت جدلكم هذا، غيرتُ رأيي، وسوف أحكي لكم قصة رجل غير عادي، كان

ملكًا عظيمًا ومقدامًا، تصرف بشهامة بدلًا من أن يسيء إلى شرفه أو ينتقص من قدره، خاصة بعد أن بلغ من العمر مبلغه.

من المؤكد أنكم قد سمعتم جميعًا الكثير والكثير عن الملك "كارلو" العجوز، أو الملك "كارلو" الأول كما يطلقون عليه، وعن سلوكياته العظيمة، وعن انتصاراته على الملك "مانفريدي"[49]، حين تمكن من طرد الجيبلينين[50] من "فلورنسا"، وأعاد إليها الجويلفيين. كان هناك فارس اسمه السيد "نيري ديلي أوبيرتي"– من الجيبلينين– لم يرغب في الرحيل، وفضل البقاء مع عائلته وثروته؛ حتى يبقي في مكان بعيد ليقضي فيه بقية عمره– ليستريح؛ فذهب إلى "كاستيلو دا ماري دي ستابيا". اشترى أرضًا هناك، بعيدًا عن بيوت المدينة. ووسط غابة من أشجار الزيتون والبندق والكستناء المنتشرة بهذا المكان، شيد بيتًا كبيرًا وواسعًا وجميلًا، وبجانبه حديقة يتوسطها ينبوع ماء جارٍ. كما قام ببناء حوض رائع ممتلئ بالأسماك. وبما أنه كان بلا عمل، فقد كان يهتم بالحديقة بشكل كبير حتى تصبح أكثر روعة، ويزداد جمالها يومًا بعد يوم.

---

[49] مانفريدي هوهنشتاوفن (Manfredi di Hohenstaufen) (1232-1266): ملك صقلية. ابن الامبراطور الشوابي "فريدريك الثاني". كان الوصي من 1250 وبعد ذلك صار ملك صقلية. مات خلال معركة "بينيفنتو" التي خسرها أمام قوات "كارلو الأول".

[50] يشير مصطلح "الجويلفيون" و"الجيبيلينيون" إلى الفصيلين الذين دعما، منذ القرن الثاني عشر– في سياق الصراع بين الكنيسة مع الامبراطورية، وحركة البلديات على التوالي– آل "فلف"، حكام "بافاريا" و"ساكسونيا"، في الصراع من أجل التاج الإمبراطوري، بعد موت "هنري الخامس" (1125) الذي لا ورثة مباشرين له.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وذات مرة، خرج الملك "كارلو" وقت الظهيرة، ليرتاح بعض الوقت في "كاستيلو"، وأراد رؤية حديقة "نيري" التي كان قد سمع عن روعتها. ولعلمه أن "نيري" يتبع الفريق الثاني، ولأنه كان يفضل التعامل معه بشكل جيد؛ فقد قام بإرسال أربعة من حاشيته ليبلغوه برغبة الملك في القدوم إليه في الغد، وتناول العشاء معه في الحديقة. أسعد هذا "نيري" كثيرًا، وجهز موائد جميلة وفخمة تليق بملك البلاد، ورتب كل الأمور التنظيمية لحفل الاستقبال هذا. وبحفاوة بالغة استقبل الملك ومن معه في تلك الحديقة البديعة. تجول الملك في كل أرجاء الحديقة والمنزل، وأثنى على كل ما شاهده هناك، ووجد مائدة في الحديقة، بجوار بركة الماء، فجلس هناك، وجلس بجواره الكونت "جيدو دي مونفورتي"، الذي كان برفقته، وأجلس السيد "نيري" أمامه. ثم أمر الثلاثة الآخرين الذين كانوا يرافقونه أن يقوموا على خدمتهم. قُدم لهم النبيذ الفاخر بأسلوب راق وبشكل لائق، من غير أخطاء، مما جعل الملك يمتدحه كثيرًا. وأثناء ما كان يأكل بسعادة، وهو مستمتع بالمكان، أقبلت فتاتان في الخامسة عشرة من عمرهما، ذواتا شعر ذهبي لامع، ترتديان تاجين مصنوعين من أزهار الدفلى، وتبدو عليهما الرقة والجمال والإبداع الرباني. كانتا تلبسان ثيابًا شفافة بيضاء مثل الثلج على جسديهما. كان الثوبان ضيقين من عند الصدر حتى الخصر، ويتسعان من تحت الخصر وإلى القدم، بتموج رقيق إلى آخر القدمين. كانتا ساطعتين كأنهما حوريتان من حوريات الجنة. كانت إحداهما تضع شبكة صيد على كتفها، وتمسكها بإحدى يديها، وتمسك باليد الأخرى عصا طويلة؛ أما الفتاة الثانية، فكانت تحمل في إحدى يديها مقلاة، وبعض الحطب، وتحمل باليد الأخرى إناء زيت

خزفي، وشعلة نار. شهق الملك من شدة الدهشة حين شاهدهما، ثم نظر وتأمل ليفهم ماذا يجري وسبب قدومهما. تقدمت الفتاتان برهبة نحوه، وانحنتا احتراما للملك؛ واتجهتا بعدها ناحية البركة. أما بالنسبة لمن كانت تحمل المقلاة فقد نحتها جانبًا، ومعها أيضًا الأشياء الأخرى التي كانت تحملها؛ ونزلت الاثنتان إلى البركة، وكانت المياه فيها تصل حتى صدريهما. قام أحد خدم السيد "نيري" بإشعال النار، ثم وضع المقلاة على أحجار الموقد، وسكب الزيت بها، حتى تلقي الفتاتان بالسمك له، فيقليه. كانت إحداهما تبحث في أماكن اختباء السمك، وتجهز الثانية الشبكة للإمساك به، بينما كان الملك ينظر إليهما وهو في قمة الاستمتاع بهذا المشهد الرائع. وخلال وقت قليل، اصطادتا أسماكًا كثيرة، وكانتا تلقيان ما تصطاداه إلى الخادم، الذي تقع على عاتقه مسئولية قلي الأسماك. قامت الفتاتان باختيار أفضل الأسماك وأكبرها، ووضعوها على المائدة أمام الملك، وأيضا الكونت "جيدو" وولديهما. كانت الأسماك تقفز من على المائدة، الأمر الذي جعل الملك يتعجب أكثر وأكثر؛ فكان يلتقطها ويعيدها إليهما وسط إعجاب منه بما يحدث. استمر الوضع هكذا قليلًا، حتى قام الخادم بشواء وقلي الأسماك التي أعطوها له، وتم وضعها أمام الملك، كما طلب السيد "نيري". ولما رأت الفتاتان الأسماك المقلية والمشوية، وشعرتا أنها تكفي؛ همتا بالخروج من بركة الماء. في خلال هذا الوقت، كان ثوباهما الأبيضان ملتصقين بجسديهما، حيث ظهرت مفاتن جسديهما بشكل واضح. ثم حملتا الأشياء التي أتتا بها، ومشتا بخفة أمام الملك، ثم عادتا إلى داخل البيت. كان الملك والكونت وكل من هم هناك ينتظرون الفتاتين طويلًا لحين عودتهما من البيت، ويشعرون

https://telegram.me/maktabatbaghdad

بمدي حسنهما، وأيضًا لطفهما ولباقتهما. كان أكبر المعجبين بهما هو الملك ذاته، الذي فتن بجمالهما وجسديهما، خاصةً حينما التصقت الثياب عليهما بعد خروجهما من الماء، لدرجة أنه لو أن أحدًا كان قد وخز الملك بإبرة لما شعر وقتها بأي شيء.

بقي الملك مشغول الفكر بهما، من غير أن يعلم مَن تكونان، حتى شعر بشيء يدفعه لشكرهما ورغبة تطغي على قلبه؛ فعلم أنه سيقع في حبهما ويغرم بهما، ما لم يوقف نفسه عند هذا الحد. لم يكن يعرف أية واحدة منهما تعجبه أكثر من الأخرى، فقد كانتا متشابهتين تمامًا. لكنه بعد شرود فكره لمدة طويلة، نظر إلى السيد "نيري"، وسأله عن تلك الفتاتين، ومن تكونان؛ فأجابه السيد قائلًا:

– إنهما ابنتاي، يا سيدي الملك، وهما توأم، إحداهما اسمها "جنيفرا" الجميلة، والثانية "إيزوتّا" الشقراء.

امتدحهما الملك كثيرًا، وحثه على تزويجهما؛ فاعتذر السيد "نيري"، وأخبره أنه ليس في موقف يسمح له بهذا. وقتها أتى موعد تقديم الفاكهة على المائدة، فأتت الفتاتان بثياب جميلة، وكانت كل واحدة منهما تحمل معها طبقًا كبيرًا من الفضة، بهما أنواع عديدة من الفاكهة، ووضعتاهما على المائدة أمام الملك. وبعدها تراجعتا إلى الخلف قليلًا، وبدأتا في الغناء بأغنية تقول بدايتها:

إلى أين تركتني أيها الحب،

وأنا لم أعد أستطيع منع دموعي.

كانتا تغنيان برقه وعذوبة لا مثيل لها، وكان الملك يستمع لهما وهو يمتع

عينيه بالنظر إليهما، لدرجة أنه شعر أن الملائكة جاءت لتغني في هذا المكان. بعدما انتهتا من الغناء، وقفتا أمام الملك، وطلبتا السماح لهما بالانصراف؛ ومع أنه لم يكن يود انصرافهما، فقد حاول إبداء السعادة وهو يسمح لهما بذلك.

وهكذا انتهى العشاء، ورجع الملك ومَن كان برفقته إلى القصر الملكي بعد أن ركبوا خيولهم، وقاموا بتوديع السيد "نيري". غادروا المكان، وهم يتحدثون في أمور عديدة حتى وصلوا إلى القصر. حتى بعد عودته، بقيت مشاعره تتأجج، ولم يستطع أن ينسى جمال "جنيفرا" ورقتها وكم هي لطيفة. ومع كل الأحداث والأشياء التي كانت تحدث حوله، إلا أنه كان كثير التفكير في الفتاتين، تقريبًا طيلة الوقت. وقع الملك في الغرام، ولم يعد يفكر سوى بهما. كان يتذرع بأمور عديدة ليقترب منهما، حتى أنه دشن صداقة مع السيد "نيري"، وأصبح يكثر من زياراته حتى يشاهد "جنيفرا". وحينما لم يعد قادرًا على التحمل، وفكر ألا يكتفي بواحدة، بل يأخذهما عنوة من والدهما؛ تحدث في هذا الأمر مع الكونت "جيدو"، الذي كان يتمتع بالشهامة والمروءة، فقال له:

– مولاي، إنني– في الحقيقة– متعجب جدًّا مما أسمع منك. وما يزيد من تعجبي هذا هو أنني أعرفك جيدًا منذ أيام طفولتك وإلى الآن؛ ولا أذكر أنك وقعت في الحب في فترة شبابك، وهو الوقت الذي يكون فيه المرء مندفعًا ومتحمسًا للحب، وبدون تفكير وبسهوله جدًّا يرضخ لهذه المشاعر الجياشة. وحين أسمعك الآن، وأنت قريب من الشيخوخة، فيُشعرني هذا بالدهشة والتعجب من وقوعك في الحب. فهذا الأمر شبه مستحيل. ولو كان يحق لي

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لومك وتأنيب جلالتك، لكنت فعلت. فينبغي عليك أن تنتبه أنـك لا تـزال في حالة حرب، في تلك المملكة التي فُتحت منذ وقت قريب، وحولك أنـاس غرباء لا تعرفهم، ممتلئون بالخداع والغدر؛ وأمورك لم تستقر هنـا إلى الآن، وها أنت تفتح الطريق للمشاعر لتسيطر عليـك. هـذا مـا يفعلـه الـشباب الطائش، وليس ما يقوم به ملك عظيم مثلك. بل الأسوأ من كل هذا، قولك إنك تريد انتزاع الفتاتين من أبيهما، هـذا الرجـل الطيـب الذي استـضافك عنده وأكرمك قدر ما يستطيع. أضف إلى هذا، أنـه آمنـك على بنتيـه حـين جعلهما تظهران أمامك بهذا الـشكل، مظهـرًا لـك ثقتـه الكاملـة، ومؤكـدًا اقتناعه بأنك ملك وليس وحشًا كاسرًا؛ فكيف يكون هذا رد فعلك تجـاه ثقته بك. ويبدو أنك نسيت أن أفعال "مانفريدي"، وسلوكه العنيف لإيـذاء النساء، كانت من أسباب تقهقره، وفتح هـذا أبـواب ملكـه لـك وانتـصرت عليه؟ فأية خيانة أكبر من أن تسيء لمن أكرمـك، بقيامـك بـانتزاع شرفـه، وماله، وأمله في الحياة، بل ومَن يأنس بهم في حياته؟ ماذا سيقول عنك الناس إن قمت بهذا؟ قـد يكـون هـذا مـبررًا ليقولـوا: "إنـك قمـت بهـذا لأنـه جيبيليني". فهل تعتقد أنه من صـفات الملـوك وعـدلهم أن يتـصرفوا بهـذا السلوك مع مَن يترك أمره بيدهم، مهما كان مذهبه أو معتقده؟ إنني أحب أن أذكـرك- يـا سـمو الملـك- أن انتـصارك كان عظيمًـا، وكـذلك هزيمتـك لـ"بكورادينو"؛ لكـن الأعظـم مـن كل هـذا هـو أن تنتـصر على نفـسك، وتكبح جماح نزواتك. فأنت من يتوجب عليه إصلاح الناس، ولذا لابد أن تنتصر على نفسك أولًا، وتتحكم فيها، حتى لا يدنس هذا الفعل المشين ما قمت به من إنجازات وانتصارات.

أحرجت هذه الكلمات الملك، وجعلته يشعر بجرح أليم. وما أحزنه- في الحقيقة- علمه بأنها حقيقة وصادقة؛ فأطلق زفرة حارةً، وقال:

- في الواقع، أيها الكونت، إن هزيمة النفس، والتغلب عليها، تكون أصعب كثيرًا من أن تنتصر على عدو لك، مهما بلغت قوته وجبروته. ولكني مع شدة رغبتي واحتياجي لقوى هائلة لكبح جماحها- إلا أن كلماتك قد أعادت إليَّ رشدي للقيام بما هو لائق وواجب؛ وقبل أن تمضي أيام قليلة، سوف أثبت هذا لك، لترى بنفسك- وليس بالكلام فقط- أنني أعلم جيدًا كيف أتحكم بمشاعري ورغباتي، كما علمت كيف أنتصر على الآخرين.

وقبل أن يمضي وقت طويل على حديثهما، عاد الملك إلى "نابولي"، حتى لا يترك لنفسه المجال مفتوحًا للقيام بأي شيء من ناحية، وحتى يكافئ السيد "نيري" على كرمه من ناحية أخرى، بالابتعاد عن بنتيه. ومع قسوة أن تقدم لغيرك ما ترغب فيه أنت، فقد قرر تزويج الفتاتين كما لو كانتا بنتيه. وبعد موافقة من والدهما، قدم الملك لهما دوطة محترمة، وزوج "جنيفرا" الجميلة من الشاب "مافيو دي باليزي"، وزوج "إيزوتا" الشقراء من الشاب "جوليلمو ديلا ماجنا"، وكانا من أنبل الفرسان وأفضل البارونات. ثم اتجه إلى "أبوليا" وهو في حزن عميق. وقد ناضل بقوة ضد نفسه حتى يوقف هذا الحب، وتحرر منه بقية حياته. قد يقول البعض إنه شيء قليل الأهمية أن يزوج الفتاتين ويقدم دوطة لكل منهما؛ لكن عظمة هذا الملك تكمن في أنه زوج مَن أحب، من غير أن يقطف أية ثمرة أو زهرة من هذا الحب. وتصرف بنبل من الرجل الذي أكرمه، وزوج الفتاتين، وتغلب على نفسه بيده من غير مساعدة أحد.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

القصــة السَّــابعة

يعلم الملك "بيرو" بحب "ليزا" المريضة له، فيقوم بمواساتها، ويُقبلها الملك في جبينها. ثم يزوجها من شاب نبيل، ويقول لها إنه سيبقى فارسها أبد الدهر.

انتهت "فياميتا" من حكايتها، وقد أعجب الحاضرون بشهامة وحسن تصرف الملك "كارلو الأول"، ماعدا واحدة من النساء الموجودات، وهي "جيبلينية"؛ ومن ثم فلم ترغب في الثناء عليه. أمر الملك "بامبينيا" أن تروي قصتها لهذا اليوم، فبدأت تقول: سيداتي الراقيات، ليس هناك شخص ذو عقل لا يشيد بالملك "كارلو"، إلا إذا كان لديه ما يكرهه من أجله. ويذكرني هذا كله بقصة جديرة أيضًا بالمديح، ربما أكثر من سابقتها، عن فتاة من مدينتنا هذه "فلورنسا"، أحب أن أقصها على مسامعكن.

كان يوجد هناك في "باليرمو" بائع دواء فيورنتيني ثري للغاية اسمه "برناردو بوتشيني". وحدث ذلك في الزمن الذي طُرد فيه فرنسيو "صقلية". كان لهذا الرجل ابنة واحدة في غاية الجمال، وكانت في سن الزواج. وفي هذا الوقت، تمكن الملك "بيرو دي راونا" من السيطرة على جزيرة "صقلية"،

وأقام احتفالات كبيرة ومهيبة في "باليرمو" مع رجاله. وفي أحد هذه الاحتفالات، وأثناء مبارزة بالرماح علي طريقة أهل كتالانية، كانت ابنة "برناردو"، التي تُسمي "ليزا"، تنظر من إحدى النوافذ مع السيدات لتشاهدن المبارزة؛ وحين رأت الملك وهو يعدو على فرسه، فُتنت به، وظلت تنظر إليه كأنها وقعت تحت تأثير السحر؛ فأحبته وأُغرمت به لدرجة لا توصف. حتى بعد انتهاء الحفل، لم تكن تفكر في سواه؛ فقد سيطر حبها له عليها بشكل كامل. وأكثر ما كان يؤلمها هو أنها أقل منه كثيرًا من ناحية الشأن والمكانة، حينما تقارن بملك؛ وهو ما لا يسمح لها بأي أمل في حبه والتقرب منه. ومع ذلك، فلم تمنع نفسها عن التفكير فيه، ولم تجرؤ على البوح بحبها هذا خوفًا من العواقب.

كان الملك لا يعلم شيئًا عنها، ولم ينتبه إليها، وقد أشعر هذا الفتاة الجميلة بالحزن. كان حبها له يزيد يومًا بعد يوم، لدرجة أنها وصلت إلى مرحلة عدم التفكير في شيء سواه. بقيت على حالتها هذه حتى مرضت من شدة حزنها. أصبح مرضها يشتد يومًا بعد يوم، وتذوب كما يذوب الجليد من الحرارة. قلق والداها من مرضها الشديد، وكانا يحاولان التخفيف عنها، وأتيا لها بالأطباء والأدوية التي يمكن أن تداويها، لكن هذا كله لم يُجدِ نفعًا؛ لأنها كانت حزينة لدرجة أنها أرادت التخلي عن الحياة.

في هذا الوقت، أخبرها والدها أنه سيفعل لها كل ما تطلب، فخطر على بالها فكرة أن تحاول جعل الملك يشعر بحبها قبل موتها؛ فطلبت من والدها يومًا ما أن يطلب من "مينوتشيو دي أريدزو" زيارتهم. وقد كان هذا الشخص مغنيًا وموسيقيًّا بارعًا ومشهورًا، يحب الملك سماعه ويقدره.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وبالفعل، أخبره والد الفتاة أن "ليزا" تود سماع عزفه وغنائه، وكان هذا المغني طيبًا ولطيفًا، فقبل المجيء إليها لبعض الوقت والغناء من أجلها. حين أتى، قالت الفتاة إنها ترغب في التحدث معه بمفردهما. سُمح لها بذلك، وخرج الموجودون من الغرفة، ثم قالت له:

– ا لالا رخترتك لأئتمنك على سري، ولا أريد أن تعلم أحد به سوى شخص واحدا سأقول لك اسمه. أتمنى بعدها أن تساعدني بقدر ما تستطيع. لابد أن تعرف، يا عزيزي "مينوتشيو"، أنه في يوم الاحتفالات التي أقامها الملك "بيرو"، بمناسبة جلوسه على العرش، قدر لي أن رأيته وهو يشارك في مبارزة الرماح. ومنذ هذا الوقت، وأنا لا أستطيع التفكير في سواه، وأصبت بسهم الحب واجتاحت نيرانه قلبي حتى وصلت لهذا الحال الذي تراني عليه. لقد اخترت الموت للتخلص من عذابي هذا. وقد أجد بعض السلوى إن تركت الحياة وهو يعرف بمدي حبي له.

عزيزي "مينوتشيو" لن أجد أفضل منك يخبر الملك بمشاعري تجاهه. أريدك أن تقوم بهذا الأمر، وتخبرني بعدها بما حدث كي أموت بطمأنينة، تاركةً خلف ظهري هذه الآلام الموجعة. قالت هذه الكلمات، وراحت تبكي في صمت؛ فتأثر "مينوتشيو" مما سمع منها، واستشعر عظمة قلبها وروحها، وصعوبة قرارها هذا. أشفق عليها بشدة، وفكر في طريقة لمساعدتها بشكل مُرض، فقال لها:

– أعدك، يا"ليزا"، أن أفعل ما طلبتِه مني. وسأبذل قصارى جهدي حتى أعود إليكِ ثانيةً. لكن امنحيني ثلاثة أيام، وسأعود بما يسعدك من أخبار. وحتى لا نضيع الوقت، سوف أبدأ في الحال في تنفيذ تلك المهمة.

ودعته الفتاة وهي تشكره، وذهب المطرب في الحال ليجد "ميكو دي سيينا"، وهو من أشهر وأفضل ناظمي الشعر في هذا الوقت، وطلب منه أن يلحن وينغم له الأغنية التالية:

أيها الحب، تحرك واذهب إلى سيدي،

وأخبره عما أنا فيه من آلام،

وعذاب وحيرة،

قل له إني أموت كل يوم مائة مرة

أموت خيفة إظهار حبي له.

أرجوك أيها الحب أن تذهب إليه

وتخبره بحبي واشتياقي إليه،

ونار الحب والشوق في قلبي؛

اجعله يعلم بمرضي وسقمي الذي سببه حبي له.

أخبره بغرامي واشتياقي لقاءه في كل لحظة

فنار الحب تشعل قلبي

اجعله يشعر بى، ويعلم مدي معاناتي!

منذ وقعت في غرامه

أيها الحب أخذت القوة والشجاعة،

وأصبحت في خوف دائم،

أكتم مشاعري دومًا ولا أبوح بها

لمن أحب وأعشق.

أتعذب، وأموت ببطء اليوم تلو اليوم

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وهو ربما لا يتضرر إن علم بإحساسي
لا أستطيع أن أخبره بما ألاقيه بسبب حبي له
وقد بخلت عليَّ أيها الحب
حين سلبت مني الشجاعة،
كي أبوح له بما أعاني.
أيها الحب، أتمنى أن تصبح رسولي له
وتجعل قلبه يرق ويحنو علي.
آه يا قلبي! أخبره بما أنا فيه،
امضِ إليه، وأخبره بمشاعري
منذ أن شاهدته يحمل درعه ويمسك حربته،
وقتما كان يبارز الفرسان.
اجعله يعرف أني أموت ببطء من حبي له.

قام "مينوتشيو" باختيار لحن رقيق وحنون ليناسب هذه الكلمات. ثم ذهب- في اليوم الثالث- إلى الملك، الذي كان يتناول طعامه، فطلب منه العزف على قيثارته والغناء من أجله. فبدأ يعزف برقة وعذوبة منقطعة النظير، وغني تلك الأغنية، فتأثر بها هو وكل الموجودين في القاعة، وأصبحوا في حالة من الشجن. كان الملك أكثر من شعر بالحزن الدفين فيها. ولما انتهى منها "مينوتشيو"، سأله الملك مِن أين أتى بهذه الأغنية؛ فهو لم يسمعها من قبل. فقال "مينوتشيو":

– إنها أغنية جديدة وقد وضعت الكلمات والألحان منذ ثلاثة أيام فقط.

فسأله عن مَن ألّف هذه الكلمات البديعة، فقال له "مينوتشيو":

– لا يمكنني أن أخبرك، يا مولاي، إلا إذا كنا بمفردنا.

ولرغبة الملك في معرفة هذا، رافقه- بعد انتهاء الطعام- إلى غرفته، فحكى له "مينوتشيو" الموضوع بأكمله، بكافة التفاصيل. أُعجب الملك بتلك الفتاة ومدحها، وقال إنها شابة تستحق المساعدة والرحمة والرأفة، وأخبر "مينوتشيو" أنه يود الذهاب إليها، وطلب منه أن يبلغها بأنه سوف يأتي ليزورها وقت الغروب في تلك الليلة. أخذ المغني قيثارته، وذهب مسرعًا ليبلغ الفتاة بالخبر السار.

وحين قابلها بمفردها، حكى لها كل ما جرى، وغنى لها تلك الأغنية، وهو يعزف على قيثارته. فرحت الفتاة، وشعرت بأن الحياة تدب فيها من جديد، من غير أن يعلم أحدٌ من أهلها بما حدث. بقيت في انتظار قدوم الغروب بكل شوق ولهفة. كان هذا الملك كريمًا وطيب القلب، وفكر فيما سمع من "مينوتشيو"، وعلم بجمال الفتاة وحسنها البالغ، مما زاد من رأفته بها.

وحينما حل المساء، ركب فرسه متظاهرًا بأنه خارج للتنزه، ثم ذهب إلى بيت والد الفتاة بائع الدواء. وهناك، طلب أن تُفتح له حديقة المنزل الجميلة، فنزل من على حصانه، وتحدث كثيرًا مع "برناردو"، ثم سأله عن ابنته، وإن كانت تزوجت أم لا، فقال له "برناردو":

– ليست متزوجة، يا سيدي، وهي مريضة بشدة؛ ولكنها بدأت في تحسن مفاجئ منذ الظهيرة.

فقال له الملك، وهو يعلم سبب تحسن حالتها:

– من المؤسف أن يترك الحياة مَن بمثل جمالها. هل يمكنني زيارتها؟

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وما هي إلا لحظات قلائل حتى كان الملك بنفسه في غرفتها، ومعه اثنان من مرافقيه، وبصحبتهم أبوها. اقترب من سريرها الذي كانت تجلس عليه، منتظرةً إياه بلهفة واشتياق، وقال لها وهو ممسكًا بيدها:

– ما أخبارك؟ أنتِ شابة في مقتبل العمر، وعليك مساعدة الآخرين. فلِمَ تتركين نفسك للمرض ينهش فيكِ هكذا؟ أرجوك، وبحق حبك، أن تقوي وتتماسكي، وأن تتماثلي للشفاء في أقرب وقت.

لما شعرت الفتاة بيد الملك المتيمة به تمسك يدها، ومع أنها كانت في شدة الخجل، شعرت أنها في الجنة، وردت عليه بما استطاعت قوله:

– مولاي، لقد حملت حملًا ثقيلًا بقواي الضعيفة، وقد أصابني هذا بالتعب الذي حل بي. لكنك سوف تراني قريبًا معافاة وفي أحسن حال.

كانت هي والملك فقط مَن يفهم معنى كلامها هذا، فشجعها بكلماته وبعث فيها الأمل من جديد؛ وحزن من داخل قلبه. قضى معها بعض الوقت، وهو يحثها على مقاومة المرض والتحلي بالشجاعة، وقام بتوديعها، ثم غادر المكان.

أما أهل البيت، فقد استشعروا أخلاق وسماحة الملك الحميدة؛ ورحبوا به بأحر الكلمات لسعادتهم بتكرمه بالقدوم إليهم، لدرجة أن الفتاة شعرت بسعادة غامرة لا مثيل لها، ولا يمكن أن تصفها الكلمات؛ فهذا هو حبيبها الذي طالما انتظرته وتمنت لقاءه.

ولم تمض سوى أيام قليلة إلا وقد شفيت الفتاة، وأصبحت تشع بالجمال والنور أكثر من ذي قبل. وبعد أن استعادت صحتها، وتعافت تمامًا، تحدث الملك مع الملكة للتفكير بطريقةٍ ما، ليقدم لها مكافأة على مشاعرها نحوه

وهذا الحب العظيم. وذات يوم ركب حصانه، وذهب وسط جمع من حاشيته ليقدم لها المكافأة في بيتها. دخل حديقتهم وطلب قدوم الفتاة ووالدها. أثناء هذا، قدمت الملكة ومعها سيدات كثيرات، واحتفلوا مع الفتاة بمناسبة شفائها من المرض.

مضى بعض الوقت، ثم استدعي الملك والملكة "ليزا"، فقال لها الملك:

– أيتها الفتاة الكريمة، حبك الكبير لنا أسعدنا وشرفنا، ولهذا نريد إسعادك. وبما أنكِ الآن في سن الزواج، فنحن نود أن نزوجك من رجل محترم اخترناه لكِ. على أن تبقيني فارسك إلى الأبد، ولا أطلب منك غير أن تعطيني قبلة واحدة.

شعرت الفتاة بالخجل، واحمرت وجنتاها، وقبلت بما يراه الملك، وأجابته بصوت منخفض قائلة:

– مولاي، أنا على يقين من أنه لو عرف أحدٌ أنني أحببتك، فسيظنني مجنونة. فكيف لو علم الناس، فحتمًا سيقولون إني لا أعلم مَن أكون وما قدري، حتى أنظر إلى ملك عظيم في مقامك. لكن الرب فقط هو من يعلم ما في قلوب الناس، وهو يعرف أني منذ اللحظة التي رأيتك فيها، ووقعت في هواك، كنت أعلم تمامًا أنك ملكٌ وأنني ابنة بائع العقاقير"برناردو"، ولا يحق لي النظر إلى مقامك العالي. بيد أنك يامولاي تعلم جيدًا أفضل مني، أننا لا نقع في الحب باختيارنا، لكن هناك دوما قوة خفية تدفعنا. وعلى الرغم من أني حاولت كثيرًا منع نفسي من التفكير فيك، لكن كانت هناك قوة أكبر مني تقودني؛ فلم أتمكن من هذا؛ فأحببتك، وأحبك، وسيبقى حبي لك أبد الدهر. ومنذ اليوم الذي وقعت فيه في حبك، قررت أني سأقوم بكل ما

https://telegram.me/maktabatbaghdad

تطلب؛ ولذلك فأنا سأنفذ وأحترم من تختاره جلالتك ليكون زوجي. أنا على أتم استعداد لإلقاء نفسي في النار، لو طلبت مني هذا. أما القبلة التي طلبتها مني، فلن تحصل عليها إلا بموافقة الملكة.

ثم حل صمت مطبق بعد هذا الكلام، وقد أعجبت الملكة بإجابتها، وأحست برجاحة عقلها، تمامًا كما أخبرها الملك. استدعى الملك والد الفتاة ووالدتها، وقد ظهرت عليهما الفرحة بما يريده الملك لها. ثم أمر بإحضار شاب يُدعى "بيرديكوني"، وكان شابًّا نبيلًا لكنه فقير، وزوجه من "ليزا". وقدم الملك والملكة الكثير من الحلي والمجوهرات الرائعة للعروس، وأعطاهما الإقطاعيتين "سيفالو" و"كالتابيلوتا" الجميلتين، وقال للعريس:

– لقد منحتك هاتين الإقطاعيتين كهدية للعروس، أما ما أود تقديمه إليك، فستراه قريبا.

ونظر إلى الفتاة وقال لها:

– يجب لنا أن ننال نصيبنا من ثمرة الحب الذي سوف تحظيان به.

ثم أمسك برأس الفتاة بيديه الاثنتين، وقبلها من جبينها. فابتهج "بيرديكوني" ووالد الفتاة، وحتى "ليزا" نفسها كانت في حالة سعادة. وأقاموا حفل زفاف ضخم ومُبهر. وكما يقول الناس، فقد أوفي الملك بوعده الذي قطعه على نفسه للفتاة، فقد ظل طوال عمره يعتبر نفسه فارسها، ولم يقم بحمل أي شعار غير ما تطلب منه تلك الفتاة حمله لدى خروجه للحرب. وهذه هي التصرفات التي تجعل الملوك يدخلون قلوب رعاياهم، ليكونوا بهذا مثلًا يُحتذي، في السير على دربه، ليذكرهم التاريخ دومًا بالخير. لكننا الآن قليلًا ما نجد من يتمتع بهذه الحكمة؛ فأصبح أغلب الحكام طغاة مستبدين.

القصــة الثَّــامنة

تعتقد "سوفرونيا" أنها تزوجت "جيزيبُّو"، لكنها في حقيقة الأمر قد تزوجت من "تيتو كوينزو فولفو"، وتذهب معه إلى روما. يذهب "جيزيبُّو" إلى بلد صديقه، وهو في حال يرثى لها، ويظن أنه سُيعامل بمهانة من ناحية صديقه "تيتو"، حتى يحكم عليه بالإعدام لاتهامه بقتل شخص. هناك يتعرف عليه "تيتو"، ويحاول إنقاذه مدعيًا أنه هو القاتل وليس "جيزيبُّو". ولما يشاهد القاتل الحقيقي هذا الوفاء وهذه التضحية، يعترف بالحقيقة. عندئذٍ، يقرر الإمبراطور "أوتّافيانو"[51] إطلاق سراحهم جميعًا. ثم يزوج "تيتو" أخته لـ"جيزيبُّو"، ويعطيه نصف ما يملك.

بعد أن أنهت "بامبينيا" قصتها، وأشاد الحاضرون بتصرف الملك "بـيرو"، أشار الملك لـ"فيلومينا" فبدأت تقول:

– سيداتي الجميلات، مَن منا لا يعلم أن من السهل على الملوك أن يعطوا،

[51] هو نفسه الإمبراطور "أوكتافيوس" أو "أغسطس قيصر" مؤسس الإمبراطورية الرومانية، حيث حكم من 27 ق.م حتى مماته في 14 م. وقد توفي عن عمر يناهز 75 عامًا.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

متى رأوا هذا، وأن يقوموا بأعمال عظيمة إن أرادوا، وأن إقدامهم أهم أسباب عظمتهم؟ فحينما يفعل أحدهم هذا فهو يقوم بواجبه المنوط به، بحكم مسئوليته. وهو بذلك يحسن التصرف، واستخدام سلطاته لا أكثر. غير أن هذا لا يجعلنا نندهش، بقدر ما يحق لنا الإطراء على أشخاص عاديين، مثلنا، يفعلون أشياءً عظيمة قد لا ننتظرها منهم. فبلا أدنى شك، ما يستحق التمجيد هو قيام أناس مثلنا بتصرفات الملوك أو أعظم منها. وفي هذا السياق، فكرت في أن أروي لكُن قصة عمل عظيم قام به صديقان.

في زمن القيصر "أوتّافيانو"، قبل أن يصبح اسمه "أغسطس"، حينما كان يحكم الإمبراطورية الرومانية، وعندما كان عضوًا في الحكومة الثلاثية، كان يعيش بـ"روما" شخص نبيل اسمه "بوبليو كوينزو فولفو". وكان لديه ولد اسمه "تيتو كوينزو فولفو"، يتمتع بالذكاء، ولديه مواهب عديدة؛ فأرسله أبوه إلى "أثينا" ليتعلم الفلسفة. وأوصى به رجلًا نبيلًا وصديقًا قديمًا له اسمه "كريميتيس". استضاف هذا الرجل الفتى "تيتو" في منزله، وكان له ولد يُدعى "جيزيبُّو". أوكل "كريميتيس" تعليم "تيتو" و"جيزيبُّو" إلى فيلسوف يدعى "أريستيبو". ونشأت بين الشابين صداقة حميمة، لدرجة أنهما صارت لهما نفس العادات والتقاليد، فكانا أخوين، ولا يمكن لأحد فصلهما عن بعضهما بعض. لم يكن أحدهما يحس بالراحة والأمان بعيدًا عن الآخر. وبدأت دراسة الاثنين سويًا، وكان كل منهما لديه مواهبه، وكان كلاهما يتمتع بالذكاء المستنير، فوصلا إلى أرفع درجات العلم، وكانا محط إعجاب وتقدير الجميع.

بقيا على هذا الوضع- وكان "كريميتيس" سعيدًا لهذا، ويعتبرهما كليهما

ابنيه- لأكثر من ثلاث أعوام. بعدها، كان لسنة الحياة رأي آخر، فقد توفي "كريميتيس"، الذي كان قد بلغ من العمر عتيذًا وفارق الحياة. شعر كلاهما بالأسى والحزن لفقدانه، كما أنه هو أبوهما الفعلي، فلم يعرف أصدقاء وأقرباء "كريميتيس" أيهما يجب عليهم مواساته أكثر من الثاني.

بعد شهور من هذا الحدث الأليم حضر أصدقاء "جيزيبُّو" وأقاربه، وحثوه على الزواج، وأتوا له بفتاة جميلة حسناء من أصل نبيل من "أثينا"، تسمي "سوفرونيا"، كانت في الخامسة عشر من عمرها. وحين اقترب موعد العرس، طلب "جيزيبُّو" بإلحاح من "تيتو" أن يذهب معه ليرى خطيبته، فهو لم يرها بعد. وبالفعل ذهب معه إلى بيتها، وجلست الفتاة بينهما، وشعر "تيتو" بإعجاب تجاه خطيبة صاحبه، وراح يتأملها، فقد كانت جذابة ومتناسقة القوام. وأثناء ما كان يحدث نفسه عن جمالها ومفاتنها، وقع في هواها، وأضحى كالمتيم العاشق الولهان. وبعد أن بقيا هناك لبعض الوقت، ودّعاها، وعادا إلى مسكنهما. وهناك دخل "تيتو" إلى غرفته، وجلس فيها بمفرده، فقد كان فكره مشغولًا بتلك الشابة التي أسرت قلبه، وكل دقيقة تمر كان يزيد ولعه وهيامه بها. راح يتنهد ويطلق الزفرات. وفجأةً انتبه إلى حالته، وقال محدثا نفسه: "آه، ما هذا البؤس! ما الذي أنا فيه، وما الذي حل بي؟ أين أضع نفسي وحبي وآمالي؟ أبعد أن حظيت من "كريميتيس" وأسرته بالتكريم، وصارت بيني وبين "جيزيبُّو" صداقة حقيقة، سأرد هذا الجميل بالتفكير في خطيبته، هل هذا يجوز؟ يجب عليَّ احترامها وتوقيرها ومعاملتها كأخت لي. كيف لي الوقوع في غرامها؟ إلى أين يأخذني هذا التصرف؟ وإلى أين أنا أسير مع هذا الرجاء الخادع والبريق الكاذب؟ افتح عينيك جيدًا، وعُد إلى رشدك

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وعقلك، واعلم حقيقتك، أيها البائس المغتر. تعقل، وروض جماح نفسك ورغباتك، وأبعد عنك كل الأفكار المشينة الأخرى. وتعامل مع نفسك بحزم وشدة، لتواجه نفسك قبل أن يمضي الوقت، ويفوت الآوان. ما أفكر فيه لا يليق بي ولا يتسم بالشرف، حتى وإن كنت حسن النية. ولست أنا هذا الشخص. يجب عليَّ تجنب وقوع ذلك؛ فهذا ما توجبه عليَّ الصداقة الحقيقة. لكن ماذا أفعل؟ سأقوم بما يمليه علي ضميري. يجب عليَّ نسيان مشاعري هذه تمامًا".

ومع كل هذا، ظل الفتى يفكر في جمال "سوفرونيا". وسرعان ما تراجع عما قاله وعما فكر فيه منذ قليل؛ وبدأ يقول لنفسه: "الحب أقوى من أي شيء آخر في الوجود. الحب يجتاز قوانين الصداقة. ليس هذا فقط، لكنه أيضًا يجتاز القوانين الإلهية. فكم من مرات عديدة أصابت سهام الحب الأب لابنته، والأخ لأخته، ووقعت العرابة "فلونها" في حب "ابنها في العماد". كل تلك الأمور كبيرة جدًّا إذا ما قورنت بوقوع صديق في حب خطيبة صديقه؛ فهذا الأمر كثيرًا ما يحدث. علاوة على ذلك، فأنا شاب، والشباب يتبع وينساق وراء قوانين الحب؛ ولذا سأستمع إلى صوت قلبي. العفة والشرف يُتركان لكبار السن والشيوخ. وتلك الفتاة جميلة جدًا لدرجة تجعل الكثيرين يعشقونها. فإن عشقتها أنا، فليس من حق أحد لومي وعتابي؟ أنا لا أحبها لكونها خطيبة صديقي "جيزيبُّو"، وإنما أحبها لشخصها. وقد أراد القدر أن تكون خطيبة صديقي، وليس لأحد آخر. جمالها جدير بالحب، فلن يكون "جيزيبُّو" مستاءً إن أحببت جمالها".

وبعد وقت من التفكير وحديث النفس، سخر من نفسه، وبقي على هذا

الحال هكذا، يتبدل من رأي إلى رأي، ولـيس هـذا لليلـة واحـدة فحـسب، لكن هذا الوضع استمر على مدار أيام كثيرة متتالية، حتى شحب وجهه، ولم يعد يتذوق طعم النوم أو الطعام، وأصبح ملازمًـا للفـراش وضـعف كثـيرًا. حزن "جيزيبُّو" لما وجد صديقه على تلك الحال، حتى انتهى به الأمر مريـضًا؛ ولم يعد يتركه، وحاول أن يخرجه من حالته السيئة هذه بـشتى الطـرق. وكان يسأله دوما عن سبب شروده ومن بعـدها مرضـه. وكان "تيتـو" يجيبـه دومًـا بإجابات مخالفة للحقيقة، لكن "جيزيبُّو" شعر بهذا، فاضطر وقتهـا "تيتـو" لقول الحقيقة، وهو يبكي قائلًا:

- لو أن الآلهة تستجيب لي، يا"جيزيبُّو"، لاخترت الموت على البقاء في هذه الحياة. فقد وُضعت في مأزق صعب وامتحان شديد يختبر فيه فـضيلتي، وأنـا أشعر بالخزي حين أجد فضيلتي تنهار. ولكني أرجـو أن أنـال قريبًـا الجـزاء الذي أستحق ألا وهو الموت. فهـو عنـدي أطيـب مـن الحيـاة، لأنـني أشـعر بوضاعتي؛ فأنا لا أستطيع ولا ينبغي عليَّ أن أخفي هذا عنك، فسأخبرك وأنـا أشعر بالخزي والعار.

حكى له كل ما بداخله وصراعه مع الأفكار التي تـراوده، والفكـرة الـتي تغلبت عليه، وسـيطرت على كل جوارحـه. كمـا أخـبره بأنـه يهـيم في حـب "سوفرونيا"، وأكد لصديقه أن موته هو الحل الوحيد للتكفير عمـا بداخلـه، وأنه يفضل الموت قريبًا على أن يحيا في هذا العذاب وتأنيب الضمير.

حين سمع "جيزيبُّو" كلام "تيتو"، وشاهد بكـاءه، فكر لبعض اللحظـات، وهو يتأمل تعلق صديقه بجمال خطيبته، فاتخذ قرارًا مباشرًا مفاده أن حيـاة صديقه أهم عنده من حبـه لــ"سـوفرونيا". ترقرقـت عينـاه بـالدموع، ثـم

https://telegram.me/maktabatbaghdad

انهمرت بكثافة، وهو يقول لصاحبه:

– صديقي الغالي، إن لم تكن في حال يرثى لها، لكنت شكوتك إليك، فأنت تنكرت لصداقتنا حين أخفيت عني مشاعرك كل تلك الفترة الفائتة، حتى وإن كانت عاطفتك تشعرك بالخجل. فالحقيقة أنه يجب عليك إخبار الصديق بما هو شريف، وما هو غير شريف. فالصديق يفرح للأمور الجيدة التي تحدث لصديقه، ويحاول دومًا إبعاده عما يسبب له المتاعب والآلام. وحتى نبقى في موضوعنا! لقد أحببت "سوفرونيا"، وهي خطيبتي كل ذلك الحب الفياض؛ وهذا ليس بشيء أتعجب منه، وإنما قد أستغرب إن كان الأمر عكس هذا. فأنا أعلم كم هي جميلة، كما أعرف حسن نواياك ونبلك، وأن جمالها الأخاذ هو الذي جذب روحك التي تعشق الجمال ناحيتها. فأنت تجني على القدر لشكواك من حب "سوفرونيا"، فأنت ترى– من غير أن تنطق بهذا– أن القدر منحها لي، وكأن حبك لها سيكون شريفًا إن كانت ستتزوج شخصًا آخر غيري. ولكنك لو فكرت بتأنٍ، لكنت مدحت القدر الذي قادها إلى طريقي؛ فلا يمكن لأحد غيري أن يعتبر حبك لها شريفًا، طالما أنه يحبها أكثر مما يحبك. لا أزال أراك صديقي الوفي كما أنا بالنسبة لك، إن لم يكن قد طرأ جديد. وأنا لا أذكر منذ أن جمعتنا الصداقة، أني ملكت شيئًا إلا وشعرت أنه لك بقدر ما هو لي. ولو كان أمر الزواج من "سوفرونيا" قد وصل لما هو أبعد من هذا، لكنت قمت بالشيء ذاته؛ وهي في الواقع ليست لي بعد. فمع أنها خطيبتي، وأنا أحبها، وكنت أنتظر حفل زواجنا؛ لكني أقول لك الآن إنني لن أتزوجها، وستتزوجها أنت

في بيتي. ونظرًا لحبك الكبير لها وعظمته، وعقلك الرشيد، أطلب وأرجو منك أن تتخلى عن هذا الحزن، وعُد لسابق عهدك ولقوتك التي فقدتها وحيويتك التي بددتها. انتظر من اليوم الحصول على حبك، والزواج بهذه الفتاة التي تتمناها، ياصديقي الغالي!

لما سمع "تيتو" كلام "جيزيبُّو"، فرح به، لكنه شعر بالخجل من نفسه، قدر ما شعر بشهامة "جيزيبُّو" وكرمه معه، فأراد أن يكون تصرفه أكثر نبلًا، فقال لصديقه بصوت ضعيف، وهو منخرط في البكاء:

– إن لطفك وصداقتك الحقيقة يا"جيزيبُّو" يحتمان عليَّ القيام بالأمر الصائب. فأنت أحق بها مني، فقد قدر الرب هذا. ولا أستطيع قبول أن تكون زوجتي. ولو أن الرب وجد أنها تناسبني، لما كانت من نصيبك أو من نصيب رجل آخر. تزوجها راضيًا بمشيئة الرب! واتركني لحزني الذي أصابني، فأنا لا أستحق الخير الذي لم يأت لي. وإما أن أتخطي آلامي ، وأبقى صديقك؛ أو تسيطر عليَّ أحزاني فتقضي عليّ وينتهي عذابي وألقى حتفي.

فقال له "جيزيبُّو":

– إن كانت صداقتنا تتيح لي، يا "تيتو"، أن أجعلك تطيعني، وأن تقوم بما أمليه عليك؛ فإنني سأستخدمها في هذا الموقف. إن لم يُجْدِ إلحاحي عليك، فسأستخدم الإكراه، وهذا ما يجب عليَّ من أجلك، حتى تتزوج "سوفرونيا". إنني أعلم تأثير الحب وقوته، كما أعلم أنه قضى على حياة أغلب المحبين، وانتهت قصصهم نهايات حزينة؛ وأنا أجد أنك هكذا تقترب من الموت، ولا تتمكن من إيقاف دموعك أو السيطرة عليها؛ فهي قد تقضي على حياتك؛ ووقتها سأموت أنا أيضًا لا محالة. فأنا لن أقدر على فراقك طويلًا. لا يوجد

https://telegram.me/maktabatbaghdad

حل آخر، ياصديقي. فحياتك غالية عندي، وحتى أبقى على قيد الحياة أنا الآخر، فلا حياة لي بدونك، أيها الصديق. ستكون "سوفرونيا" لك، فأنت لن ترى فتاة أخرى تعجبك مثلها، وسأبحث أنا بكل سهولة عن واحدة أخرى، فتسعد أنت وأسعد أنا. وفي الواقع، فلا أجد هذا الأمر عويصًا؛ فالبحث عن النساء أسهل بكثير من البحث عن صديق. لذلك، فأنا أود الآتي: "لا أرغب في قول خسارتها، لأني لا أخسرها حينما أتنازل عنها من أجلك ياصديقي، ولكني أمنحها لك، حتى لا أخسرك أنت". صديقي العزيز، إن كنتُ عزيزًا عليك، فأرجوك أن تنحي هذا الحزن جانبًا، وتسعدني وتسعد بحياتك. وتحب الحياة من جديد، فتعيش وتحصل على من تحب.

كان "تيتو" يشعر بالخجل من قبول الزواج من "سوفرونيا"، فظل رافضًا ولم يقبل؛ إلا أنه قد قبل في نهاية المطاف لشدة حبه لها، ورغبة صديقه الملحة في ذلك، وقال معبرًا عن ذلك:

– يكفي هذا، يا "جيزيبُّو"! لا أعلم إن كانت موافقتي هذه فيها سعادتي أم سعادتك. فأنت تقول إن هذا يسعدك كثيرًا. وفي الحقيقة، فإن كرمك ومروءتك قد تغلبا على إحساسي بالخجل والإحراج، وجعلاني أوافق على ما تطلبه مني. أعلم جيدًا يا صديقي أنك بهذا العمل لا تمنحني امرأة أعجبتك فحسب، بل منحتني معها الحياة أيضًا. فليساعدني الرب، وليتح لي الفرصة كي أرد معروفك هذا يومًا ما، وأظهر لك كم أنا مقدر لشهامتك وممتن لها.

بعدها قال له"جيزيبُّو":

– وحتى ننفذ ذلك، يا"تيتو"، أقترح عليك التالي: أنت تعرف أنه حدثت مفاوضات عديدة بين أهلي وأهل "سوفرونيا"، وهي الآن خطيبتي، وتعتبر

بمثابة زوجتي. فإن ذهبت إليها وأخبرتها أني لم أعد أرغب في الزواج منها، فسيُحدث هذا مشكلة كبيرة، وستغضب عائلتي وعائلتها؛ وهذا ليس مهمًّا كثيرًا إن كنتُ على ثقة من أنها ستكون من نصيبك. غير أني أخشى لو تركتها أن يزوجها أهلها من رجل آخر، وقد لا تكون أنت هو ذاك الرجل، فتخسرها في نهاية المطاف. وأرى أن توافق على ما أفكر فيه، وهو أن أكمل ما بدأتُه وأتمم الزواج، حتى تأتي الفتاة إلى بيتي كزوجة لي؛ وتدخل أنت إليها في الظلام، وتتزوجها أنت. وبعد مدة، نختار الوقت المناسب لنخبرهم بالحقيقة؛ فإن وافقوا كان بها، وإن لم يعجبهم الأمر، فلن يتمكنوا من فعل شيء، ونكون قد وضعناهم تحت وطأة الأمر الواقع بهذه الطريقة.

أحس "تيتو" أن ما يقوله صديقه منطقي. وبعد أن تحسنت صحته، انتقلت الفتاة كزوجة لـ"جيزيبُّو" في حفل زفاف كبير. وحلَّ الليل بظلمته، ورحلت النساء من عند العروس، وتركوها وحيدة في غرفة عريسها. كان "تيتو" في الغرفة الملاصقة لها، وكان يمكنه الدخول منها إلى الغرفة التي بها العروس. شرع "جيزيبُّو" في إطفاء الأضواء الموجودة بالحجرة، وخرج بدون إحداث صوت، وكان "تيتو" ينتظره هناك، فطلب منه الذهاب إلى غرفة النوم ليتزوجها. ولما سمع كلامه، أحس بالخزي، وأراد التراجع، ولم يشأ الدخول؛ غير أن "جيزيبُّو" كان مصممًا على أن يفعل هذا، فأصر عليه. وبعد نقاش طويل بينهما، اقترب "تيتو" من السرير، وأمسك بالفتاة، وسألها بصوت خافت، كأنه يمزح معها، إن كانت تقبل بالزواج منه. فقالت إنها تقبل، وهي تظن أنه "جيزيبُّو"- الذي لم تكن قد رأته من قبل. فوضع في إصبعها خاتمًا ثمينًا وجميلًا، وقال لها:

https://telegram.me/maktabatbaghdad

– وأنا أقبل أن أكون زوجك.

وهكذا تم الزواج. وبقي "تيتو" يستمتع بحبه لوقت طويل، من غير أن تنتبه هي أو أي أحد آخر إلى أنها لا تنام مع "جيزيبُّو"، ولكن مع رجل آخر. ظل "تيتو" و"سوفرونيا" على هذا الوضع إلى أن توفى أبوه، فوصلته رسالة تدعوه إلى الرجوع إلى "روما" بلا أي تأخير، ليهتم بأعمال أبيه المتوفَّى وإدارتها. تحدث مع "جيزيبُّو"، وقال له إنه يود أخذ "سوفروينا" معه، وهذا أمر غير ممكن، ولا يليق دون أن تنكشف الحقيقة لها. وهكذا دعاها الصديقان في ذات يوم بالحجرة، وأخبراها بما حدث، وأكد لها "تيتو" هذا بحكي ما حدث بينهما.

نظرت إليهما بغضب شديد، وانفجرت في البكاء، ووجهت اللوم والعتاب الشديدين لـ"جيزيبُّو" على خداعه لها. وقبل أن تقرر أي شيء، ذهبت إلى بيت والدها، وأخبرته بخداع "جيزيبُّو" لها ولهم، وأكدت له أنها ظلت طوال الوقت زوجة لـ"تيتو"، وليس "جيزيبُّو"، كما كان الجميع يعتقدون. كان وقع هذا عظيمًا على والد "سوفرونيا"، وشعر هو وأهله وأيضًا أهل "جيزيبُّو" بالاستياء مما حدث. غضب كلا الطرفين على "جيزيبُّو"، وأجمعوا على أنه يستحق العقاب، وليس فقط التأنيب والعتاب. أما هو، فظل يخبرهم أنه قام بعمل شريف، ولا يستحق اللوم، فقد زوجها بشخص أفضل منه. أما "تيتو" فكان يسمع حديثهم، ويتحمله بصعوبة بالغة. وكان يعلم أسلوب الإغريق في التمادي في اللوم والتهديد، إن لم يجدوا من يرد عليهم ويوقفهم عند حدهم في اللحظة المناسبة، فيتحول أسلوبهم إلى العكس، بل إلى الإذعان والخضوع. فلم يكن يفضل تحمل كلامهم طويلًا. وبما أن عنده روح الرومان وحكمة

الأثينيين، فقد قام بدعوة أقارب "جيزيبُّو" و"سوفرونيا" واجتمعوا بالمعبد، ودخل عليهم ومعه "جيزيبُّو" فقط، وقال لهم التالي:

– يظن أكثر الفلاسفة أن ما يجري للبشر الفانين هو من إرادة الآلهة الخالدة وترتيبها. ولذلك يرى العديد منهم أنه لا مهرب لنا من كل ما يجري حولنا أو معنا؛ فكلها أمور حتمية، ولا يمكن تغيرها. إلا أن هناك آخرين منهم يقولون إن الحتمية تكون لما حدث سلفًا وأصبح ماضيًا. ولو أننا نظرنا جيدًا إلى تلك الآراء، لتجلى لنا أن كل اللوم على أمر لا مجال لتبديله لا يعدو رغبتنا في إظهار كما لو أننا نعلم أكثر من الآلهة، التي علينا الإيمان بأنهم يحكموننا، ويدبرون شئوننا، وكل الأشياء الأخرى، بشريعة الأبدية ومن غير أخطاء. ولذلك أجد، ويمكنكم أن تروا ذلك بسهولة، أن من الحماقة والجنون القول بأنكم ستصلحون أفعال الآلهة بتصرفاتكم هذه. فمَن يتجرأ وتصل به الوقاحة إلى هذه الدرجة؟ أنتم جميعًا، كما أرى، ممن يتجرؤون على إرادة الآلهة، لو كان صحيحا ما فهمته من كلامكم طوال الوقت، وأن رفضكم لزواجي من "سوفرونيا" التي قدمتموها إلى "جيزيبُّو"، دون أن تهتموا بأن مشيئة القدر هي التي اختارتها، منذ خلق الكون، لتصبح زوجتي، وليس زوجه لـ"جيزيبُّو"، وهو ما قد حدث بالفعل. وبما أننا نتحدث عن أسرار العناية الإلهية ونوايا الآلهة، فإن الأمر يبدو فهمه عصيًّا على من يقولون أنه لا علاقة للآلهة بما نقوم به. أما إذا احتكمنا لحكم البشر، فهذا يوجب عليَّ قول أمرين، لا أحب ذكرهما: الأول أني لا أحب مدح نفسي؛ والثاني هو التقليل من قدر الآخرين، أو إلحاق الأذى بهم. ولكني مضطر لقول هذا. فسبب رفضكم ولومكم هو الغضب، لا

https://telegram.me/maktabatbaghdad

التفكير بالعقل، فأنتم لا تتوقفون عن الضجيج والصخب واللوم والإساءة إلى "جيزيبُّو"، لقيامه بتقديم "سوفرونيا" زوجةً لي بكامل إرادته؛ وقد أعطيتموها له بإرادتكم أيضًا. أجد أن ما قام به يستحق التقدير والمديح لسببين: الأول، أنه قام بما يجب على الصديق القيام به، والثاني، أنه تصرف بحكمة لن تصلوا لمثلها في أفعالكم. ولا أنوي أن أشرح لكم ما تحتمه الصداقة المقدسة من صديق لصديقه؛ وأكتفي بالقول إن أواصر الصداقة توحد البشر لدرجة أشد من رابطة الدم أو القرابة؛ فالأصدقاء نختارهم بمحض إرادتنا، لكن رابطة الدم هي أمر قدري بحت، لا دخل لنا فيه، لا من قريب ولا من بعيد. فقد فضل "جيزيبُّو" حياتي على رضاكم، ذلك لأنني صديقه كما هو صديقي، وليس في هذا ما يدعو للعجب. فلنتطرق الآن إلى السبب الثاني، وهو ما يستدعي منا الوقوف عنده طويلًا. فمع أنه أكثر حكمة وعقلًا منكم، كما أنكم- كما أجدكم- لا تعلمون إلا القليل عن إرادة الآلهة، وأقل منها كثيرًا عن روابط الصداقة؛ أقول إنكم بما تملكون من عقل قد أعطيتم "سوفرونيا" لـ"جيزيبُّو" لاعتباره شابًّا وفيلسوفًا؛ فقدمتها حكمة "جيزيبُّو" إلى شاب وفيلسوف. قدمتموها لأثيني، فقدمها إلى شخص من روما. قدمتموها إلى شاب نبيل، فقدمها "جيزيبُّو" إلى شاب أكثر نبلًا. أعطيتموها إلى شاب ثري، فقدمها هو إلى شاب أكثر منه ثراءً. أعطيتموها إلى رجل لم يكن يحبها بشدة، ولم يكن يعرفها حق المعرفة، فقدمها هو إلى شخص يحبها أكثر من نفسه وحياته. وكي تتأكدوا أن ما قلته هو الحقيقة، سأشرح لكم بإيجاز: فأنا شاب وفيلسوف، كما "جيزيبُّو"، وسمعتي وتعليمي يثبت هذا دون أن أحتاج إلى أن ألقي عليكم محاضرة. ونحن في نفس السن،

ونمضي في الدراسة في نفس الخطوات. وأما عن كونه أثينيًّا وكوني من روما؛ وإن كانت أمجاد كل مدينة هي سبب المشكلة، فأنا أقول إنني أنحدر من مدينة حرة، لكنه ينتمي إلى مدينه تابعة وتدفع الجزية؛ وأنا أنتمي إلى مدينة تحكم العالم كله، وينتمي هو إلى مدينة تابعة لمدينتي؛ ومدينتي متقدمة بجيشها وإمبراطوريتها وعلومها؛ لكن لا يمكنه التباهي بغير العلوم وحدها. إضافةً إلى كل هذا، فمع أنكم قد ترونني طالب علم فقيرًا هنا بينكم، فإنني لست من عامه الناس في روما؛ فقصوري الخاصة مثل الأماكن الراقية في روما، ممتلئة بتماثيل أجدادي. والكتب الرومانية مكتظة بانتصارات عظيمة قام بها أفراد أسرتي من عائلة "كوينزو" في "الكابيتول" الروماني. ولا أعتقد أن أفعالهم المجيدة قد تنساها الناس بمرور السنين، بل إن هذه الأمجاد أضحت أكثر شهرة اليوم؛ فهي أعمال خالدة أبد الدهر. وأنا لا أتحدث بسبب الخجل عن ثروتي، متذكرًا أن الفقير النزيه هو في مقام أرفع النبلاء الرومان. وإن كان هذا هو موضع التقليل من الجهلاء ممن يحبون الأموال، فأنا عندي الكثير من الثروات، ولا يعني هذا أني بخيل أو طماع. أعلم أنكم تفضلون مصاهرة "جيزيبُّو" لكونه من بلدكم، ولكنني سأكون أكثر مساعدةً لكم في روما، فستجدونني هناك صديقًا مخلصًا، ومن تلجئون إليه سواء في الأمور العامة أو الخاصة. أما لو نحينا المشاعر جانبًا، ونظرنا بعين العقل والمنطق، فمن منكم يمتدح موقفكم ويفضله على موقف صديقي "جيزيبُّو"؟ لا يوجد أحد. فـ"سوفرونيا" تزوجت من شخص محترم هو النبيل "تيتو كنتو فولفو"، الروماني، ذو الأصل الرفيع والثري، وصديق "جيزيبُّو". ومَن يتضايق منكم يكون على خطأ. قد نجد من يقول إنكم لم تتضايقوا

https://telegram.me/maktabatbaghdad

من الزواج نفسه، بل من الطريقة التي حدث بها في الخفاء، ومن غير أن يعلم أحد من الأقرباء أو الأصدقاء. لكن هذا الأمر مردود عليه بأنه قد حدث كثيرًا من قبل، وليس أول أمر فريد من نوعه. وأضرب لكم مثلًا بالفتيات اللاتي يتزوجن من غير علم آبائهن، ومَن تهرب مع عشيقها، ومن تصبحن مرافقات وليس زوجات؛ وعمن يكتشف الناس حملهن وولادتهن قبل أن يخبرن أحدًا، ثم نأتي لضرورة الاعتراف بهذا الزواج. لم يحدث أي من هذه الأشياء لـ"سوفرونيا"، التي قدمها "جيزيبُّو" زوجةً لي بكل تقدير واحترام. قد تقولون إنني قد تزوجتها، ولم يكن متفقًا أن تُزف إليّ. وهذا كلام ينم عن قلة العقل وسوء التقدير. فهذه ليست أول مرة يقرر فيها القدر تحويل أمور مصيرية في حياتنا إلى طريق آخر. لقد زوّج "جيزيبُّو" "سوفرونيا" لي، فتحججتم أنتم بأن الطريقة التي حدث بها الزواج غير لائقة، وهذا كلام تافه ولا فائدة منه؛ فإنكم لو لم تكونوا تثقون برأيه، لما زوجتموه من ابنتكم. فاشكروه على ما قام به! يجب أن تعلموا- علاوةً على كل ما سبق- أنني لم أسع بالخداع أو المكر، إلى الإساءة لشرفكم أو تلويث سمعتكم في شخص "سوفرونيا". ورغم أنني تزوجتها سرًّا، فإنني لم أسلبها شرفها، ولم أحصل عليها بطريقة غير مشروعة، ولكنني انبهرت بها ووقعت في حبها، وكنت على علم بأنكم لن ترضوا بي زوجًا لها لو تقدمت لها بالشكل المعتاد، لحبكم لها، وخوفكم عليها من أن آخذها معي إلى روما. ولهذا السبب تحديدًا فعلت هذا سرًّا؛ وقد كشفت الأمر لكم الآن، وجعلت "جيزيبُّو" يقوم نيابة عني بشيء لم يرغب في عمله. ومع شدة حبي لها، لم أمسها كعشيق، ولكن كزوج "؛ وهذا ما يمكنكم سؤالها فيه "أو تجيب عليه

بنفسها"؛ فأنا لم أتزوجها إلا بعد عبارات الموافقة المعتادة، وبعدما شبكتها بخاتمي. وسألتها إن كانت تقبل بالزواج مني، فوافقت. وإن ظننتم أنني قد خدعتها، فلا لوم عليَّ، وإنما عليها؛ فهي لم تسأل مَن أكون. هذه هي الجريمة الشنعاء، والخطيئة الفظيعة، والذنب غير المغتفر الذي فعله "جيزيبُّو" كصديق، وارتكبته أنا كمحب؛ وهو زواج "سوفرونيا" من "تيتو كنتو". ولذلك، توجهون له التهديد، وتحاولون النيل منه؛ كما لو أنه زوجها من خادم أو متشرد أو أحد وضيع المقام؟ أية سجون، وأية أغلال كانت ستكفيكم وقتها؟ لنترك هذا جانبًا، وقد حكم القدر بما لم أكن أنتظره وتوفى أبي. فأنا مضطر للرجوع إلى روما. ولرغبتي في أخذها معي، بُحت لكم بما كان سرًّا. ولو أنكم تتمتعون بالحكمة لقبلتم الأمر بطيب خاطر: والآن، لو كنت أود خداعكم أو إهانتكم، لكنت تركتها ورحلت بكل خسة وغدر؛ ولكن حاشا أن يقوم روماني ذو أصل رفيع بتلك الوضاعة. فالآلهة هي التي أرادتها لي، وأيضا بحكم الواقع، وحكمة صديقي، وبحيلة المحبة؛ ولكنكم "يا من تعتقدون أنكم أكثر حكمة من الآلهة والناس" تبرهنون لي على خطإكم بأمرين: الأول، باحتجازكم لـ"سوفرونيا"عني، وليس لكم الحق في هذا، إلا ما أقبله؛ والثاني، تعاملكم مع "جيزيبُّو" كأنه عدو، مع أنه يجب عليكم شكره. ولا أحب التحدث عن قلة عقلكم في كلا الأمرين، إلا كصديق ينصحكم بالتراجع عن غضبكم، وأن تعود "سوفرونيا" لي، حتى أعود سعيدًا كصهر لكم. وأقول لكم إن أعجبكم هذا أم لا، فأنا سآخذ "جيزيبُّو" منكم؛ وحين أعود من "روما"، سأسترد زوجتي، فهي من حقي، حتى إن لم تقبلوا بهذا الأمر. وسأجعلكم وقتها تعلمون، بما سترون

https://telegram.me/maktabatbaghdad

بأعينكم، ماذا يحدث حين يغضب الرومان.

بمجرد أن أنهى كلامه، وقف وشرر الغضب ينبعث من عينيه، وأمسك بيد "جيزيبُّو"، وهو غير مهتم بكل مَن كان في المعبد، وخرج وهو يتوعدهم. أما الذين كانوا بالمعبد، فقد دخلوا في حوار فيما بينهم، ربما للرغبة في الصداقة، وربما للخوف من الوعيد، وقرروا أنه من الأفضل لهم قبوله كصهر، خاصة أن "جيزيبُّو" لم يقبل بالمصاهرة. وفي النهاية، فإن فقدان قرابة "جيزيبُّو"، وكسب عداوة "تيتو"، لن يفيد أحدًا. وخرجوا ليلقوا "تيتو"، وأخبروه بموافقتهم على زواجه من "سوفرونيا"، وعلى أن يكون صهرًا غاليًا عليهم، ويبقى "جيزيبُّو" صديقًا للعائلة. ثم أقاموا حفلًا عائليًّا صغيرًا. وبعثوا بطلب "سوفرونيا"، وقد تفهمت الوضع وتصرفت بعقلانية، وأبدت له التقدير لحبه الذي دفعه لكل ما قام به، وتحولت مشاعرها نحوه إلى حب، وذهبت مع زوجها إلى "روما". وقد قوبلت هناك بحفاوة وتقدير كبيرين.

أما "جيزيبُّو"، فقد بقي في "أثينا"، وبدأت الناس تهمله، وتعامله باحتقار. ولم يمض الكثير من الوقت، إلا وقام بعض الطغاة بطرده وأسرته من المدينة، فقيرًا وحزينًا، وحكموا عليه بالنفي من المدينة أيضًا. تدهورت أحواله، لدرجة أنه صار متسولًا يشحذ في الشوارع والطرقات، لكنه تمكن من الذهاب إلى "روما" لما تيسر له ذلك، ليرى إن كان "تيتو" يذكره. وقد علم أنه ما يزال على قيد الحياة، وينال الاحترام والتقدير من أهل بلده؛ وعرف أين يعيش، فذهب إلى هناك وانتظر قدوم صديقه القديم.

في البداية، لم تكن لديه الشجاعة الكافية للقاء صديق عمره، بسبب حالته التي يرثى لها، لكنه حاول لفت انتباهه ليعرفه. فمر "تيتو" بجانبه، وظن

"جيزيبُّو" أنه رآه وتحاشاه، فتذكر ما فعله من أجله، ومضي تعيسًا وحزينًا. ولما أقبل الليل، وكان "جيزيبُّو" يتضور من الجوع، وليس معه أي مال، ولا يعلم إلى أين يتجه؛ وكان يتمني الخلاص من هذه الحياة، وصل إلى مكان مهجور بالمدينة، حيث وجد هناك مغارة كبيرة، فدخلها ليقضي الليل بها. ومن شدة بكائه، راح في نوم عميق على الأرض، حتى بلا شيء يضعه تحته، ولا يجد ما يغطيه غير بعض ثيابه البالية. وقرب حلول الفجر، ذهب إلى تلك المغارة لصان كانا يسرقان في ظلمة الليل الحالكة. ولما شرعا بتقسيم المسروقات حدث نزاع بينهما، وكان أحدهما أقوى من الثاني، فقتله وهرب. شاهد "جيزيبُّو" وسمع ما دار بينهما، وفكر أن ما حدث سيساعده في التخلص من حياته البائسة دون أن يفعل هذا بنفسه. لذلك، بقي مكانه عند الجثة حتى أتى جنود الحاكم، حين علموا بوقوع الجريمة، واصطحبوا "جيزيبُّو" معهم إلى السجن. وحين سألوه من الجاني، اعترف على نفسه بأنه هو مَن قتل هذا الرجل، وأنه لم يتمكن من الهروب من المغارة، ولهذا حكم عليه القاضي "ماركو فارون" بالموت مصلوبًا، فهذه كانت هي طريقة تنفيذ الإعدام في ذلك الوقت.

أراد القدر أن يصل "تيتو" إلى القاضي في هذه اللحظة، فنظر إلى وجه الشخص المحكوم عليه، ووقتها تعرف عليه، وعلم أنه صديقه القديم "جيزيبُّو". اندهش من حالته وهيئته وسوء حظه، وتساءل كيف وصل إلى روما. شعر برغبة في مساعدته غير أنه لم يجد وسيلة لإنقاذه، غير أن يتهم نفسه بهذه الجريمة، لينقذه صديقه القديم من هذه التهمة البشعة. فتقدم نحو القاضي، وقال بصوت عال:

https://telegram.me/maktabatbaghdad

- فلتحكم ببراءة الشخص الذي حكمت عليه الآن، أيها القاضي "ماركو فارون"؛ فهو بريء من التهمة الموجهة إليه. ويكفيني أني قمت بهذا الذنب، وأغضبت الآلهة بقتل ذلك الرجل الذي وجدتموه في الصباح داخل المغارة. ولا داعي لإغضابها من جديد، بإرسال شخص بريء إلى الموت.

تفاجأ القاضي "فارون"، وتضايق أن كل مَن كان في المحكمة سمع كلامه. وبما أن من واجبه القيام بما يقتضيه عمله بموجب القانون، فقال لـ"جيزيبُّو" أمام "تيتو":

- كيف وصل جنونك لدرجة أن تغامر بحياتك، وتعترف- دون أي ضغط من أحد- بجريمة لم تقم بها؟ وتدعي أنك مَن قتلت الرجل ليلة الأمس، وهناك رجل آخر أتى ليقول إنك لست من قتل، وإنما هو.

نظر "جيزيبُّو" إلى الرجل فوجده "تيتو"، فعلم أنه قام بهذا لينقذه ردًّا على معروفه الذي قام به معه حينما كان في "أثينا". بكى بمرارة وقال:

- الحقيقة أنني أنا القاتل، يا سيدي، وأن شفقة "تيتو" عليّ ورغبته في إنقاذي هما ما دفعاه للاعتراف بجريمة لم يقترفها.

ولكن "تيتو" قال من ناحيته:

- أنت ترى بنفسك أيها القاضي أن هذا شخص غريب، ولا يملك أي سلاح، وقد وجدتموه بالقرب من جثة القتيل؛ وأنت ترى أن بؤسه يجعله يطلب الموت. ولذا، فيجب أن تطلق سراحه ويرحل، وتعاقبني على فعلتي.

اشتدت حيرة القاضي أكثر لما تجلى له إصرار كل منهما على الإعتراف بالجريمة، وشعر أن كلًّا منهما ليس مذنبًا. فكر القاضي كيف يمكنه حل

هذا الأمر. وفي هذا الوقت، أتى شاب اسمه "بابليو أمباسترو"، وكان يتصف بالغموض، وكان يُعرف في المدينة بلصوصيته؛ وكان هو الفاعل الحقيقي لهذه الجريمة. وحين علم أن كلًّا من الرجلين بريء من تلك التهمة التي ادعى كل منهما القيام بها، ملأت الرحمة قلبه، وحركته المشاعر الطيبة ليعترف بالحقيقة، وقال أمام القاضي "فارون":

– سيدي القاضي، قدمت اليوم لحل هذا الجدل بين هذين الرجلين. ولا أعلم ما الذي يدفعني لهذا ويحثني لأعترف بخطيئتي. أنا المذنب وليس أحدًا من هذين الرجلين الماثلين أمام عدالتكم. فالحقيقة أني قتلت ذلك الرجل فجر هذا اليوم. وقد شاهدت هذا الشخص البائس في هذا المكان، نائمًا داخل المغارة، حينما كنت أتقاسم ما سرقناه سويًّا مع القتيل. ومن ناحية "تيتو"، فلا داعي لأن أبحث له عن عذر، فسمعته يشهد بها كل الناس. وجلي لنا أنه ليس من هذا النوع من الرجال، فأطلق سراحهما، يا سيادة القاضي، وألحق بي العقاب بما تجده مناسبًا وفق القانون.

أثناء ما كان يحدث هذا، علم الإمبراطور "أوتّافيانو" بما حدث، فأمر بمثول الرجال الثلاثة أمامه. وأراد أن يعرف السبب الذي جعل كلًّا منهم يتهم نفسه بهذه الجريمة البشعة؛ فقال كل شخص منهم الأسباب المؤدية لاعترافه بالجريمة. فأمر "أوتّافيانو" بإخلاء سبيلهم جميعًا؛ "تيتو" وصديقه لبراءتهما، والثالث لشجاعته واعترافه، كي لا يعاقب مَن لم يقم بالجريمة.

قام "تيتو" بعناق صديقه "جيزيبّو"، ولامه على ظنه السيء فيه، ورحب به، وأخذه معه إلى بيته حيث قابلته "سوفرونيا" بترحاب ومودة، كما لو كان صديقًا قديمًا. وقاما بمواساته، وقدما له الثياب التي تليق بقدره وفضله،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وأعطاه "تيتو" نصف ما يملك من ثروات وممتلكات، وزوجه بعدها من أخته الشابة التي تدعي "فولفيا"، وقال له بعدها:

– لك أن تختار، يا "جيزيبُّو"، إما أن تظل معي هنا، أو ترجع إلى "أثينا"، ومعك ما أعطيتك إياه.

وبما أنه قد نُفي من بلده من جانب، وحبه من جانب آخر لـ"تيتو" وصداقته له، فقد اختار أن يبقى معه في "روما"، وأصبح رومانيًا. عاش مع "فولفيا"، و"تيتو" و"سوفرونيا"، في بيت فسيح، تحيطهم السعادة، وتزداد فيه قوة صداقتهما يومًا بعد يوم. كم هي عظيمة تلك الصداقة التي نادرًا ما يجدها المرء منا، وليست محل الاحترام والتقدير فقط، بل هي موضع ثناء دائم بوصفها أم المكارم والأخلاق، مثلها مثل الفضل والإحسان، تلك الفضيلة التي تتناقض مع الحقد والجشع؛ تلك الفضيلة التي تعطي دومًا، دون أن تسأل. فالصديق الحق يمنح صديقه العون دون أي غرض، بل بكل محبة، كما لو أنه يساعد نفسه. فقلما ترى صداقة حقيقية في هذا الزمان، والسبب طمع البشر الفانين وظلمة قلوبهم، فهم لم يعودوا يهتمون سوى بمصالحهم الشخصية فقط، فعزلتهم القسوة لأبعد الحدود، بعيدًا جدًّا عن عالمنا. فأي حب، وأي غنى، وأي رباط دم يكون مثل الصداقة التي جعلت قلب "جيزيبُّو" يشعر بألم ودموع صديقه "تيتو" ومعاناته، فيتنازل له عن خطيبته النبيلة التي أحبها ويزوجها له؟ وأية قوانين تلك، أو أية مخاوف هذه التي تجعل "تيتو"، يمتنع عن الاقتراب، في الأماكن المنعزلة، أو في سريره، من معانقة تلك الجميلة غير الصداقة؟ وأية مزايا، أو منافع قد تجعل "جيزيبُّو" لا يكترث لخسارته عائلته وأقرباء "سوفرونيا"، ولا يلتفت لحديث

الغوغاء والإساءة إليه، وتعرضه للسخرية من أجل صديقه، غير قيمة الصداقة عنده؟ وما الذي يدفع "تيتو" لينجي صديقه من القتل صلبًا، ويقدم على أن يُصلب مكانه غير الصداقة؟ وما الذي جعل "تيتو"، وهو الغنى ابن الأغنياء، أن يتقاسم ثرواته وأملاكه مع "جيزيبُّو" الذي فقد أمواله، غير الصداقة؟ وما الذي دفعه لتزويج أخته، من غير تردد، لـ"جيزيبُّو" الذي كان لا يملك وقتها أي شيء، غير تلك الصداقة الحقيقية؟ يمكن للرجال أن يتمنوا أن يكون عندهم الكثير من الأقران، وجيش غفير من الأخوة، وأن يزيدوا ما عندهم من المال والخدم؛ لكن أيًّا من كل هؤلاء يقف بجانب الآخر ضد أي خطر يهدده، ويحميه. فالصديق الحقيقي يظهر في الأوقات العصيبة، ويقف إلى جانبك دومًا، فحقًّا كما يقال: "الصديق وقت الضيق".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

القصـة التَّاسِـعة

يستضيف السيد "توريلُّو" صلاح الدين المتنكر، ويكرمه، ويحسن ضيافته. بعدها، ينضم السيد "توريلُّو" إلى حملة صليبية، ويقول لزوجته إنه لو لم يعد بعد وقت معين فعليها أن تتزوج من آخر غيره. ثم يقع أسيرًا في الحرب، ويقدَّم إلى السلطان لكونه ماهرًا في تدريب الصقور، فيعرفه، ويذكره بلقائهما السابق، ويكرمه إكرامًا بالغًا. يمرض السيد "توريلُّو"، ثم يُشفى، وينتقل عن طريق السحر، في ليلة واحدة فقط، إلى "بافيا"؛ فيصل أثناء حفل زفاف زوجته على شخص آخر، وتتعرف عليه، ويرجعا معًا إلى منزلهما.

انتهت "فيلومينا" من حكايتها، وأشاد بها الجميع، وتحدثوا عن شهامة "تيتو" ومروءته. ويحصل "ديونيو" على الامتياز الخاص به بالتحدث في نهاية كل يوم، تكريمًا له من قبل الملك، فتحدث، وقال:

– سيداتي الجميلات، مما لا شك فيه ما قالته "فيلومينا" عن الصداقة، وهي على صواب فيما قالته في آخر كلامها من أن الصداقة المتينة أصبحت اليوم ضئيلة الشأن عند بني البشر في وقتنا هذا. و إن اجتمعنا من أجل

الكلام عن مشاكل حياتنا، أو لذمها، لواصلت وقلت وأسهبت في الحديث في الأمر. غير أننا قد التقينا لهدف آخر، ولهذا فكرت في أن أقص عليكن قصة، مع أنها طويلة جدًّا، لكنها ممتعة جدًّا، عن أحد أفعال صلاح الدين العظيمة والرفيعة. فإذا كانت الصداقة المثالية شبه مستحيلة، فيمكننا أن نعلم أنه يوجد دائمًا أمل. ففي قصتي، نجد أن نبل الأخلاق والكرم والشهامة لا تضيع هباءً، وإنما تطرح ثمارًا قد لا نراها الآن، وربما لا تنسى.

حدث أثناء حكم الإمبراطور "فردريك الأول" أنه تم التجهيز لحملة صليبية كبيرة، حتى يستعيدوا الأرض المقدسة، كما يقال. علم السيد صلاح الدين بتلك الأخبار، وكان وقتها سلطان "بابليونيا"، فقرر أن يستطلع بنفسه تجهيزات ملوك المسيحيين لهذه الحملة الصليبية، حتى يستطيع صدهم. فقام بتجهيز نفسه بمصر، وادَّعى أنه متجه ليحج، وأخذ معه اثنين من أفضل رجاله وأكثرهم علمًا، وثلاثة من خدمه، وسافر متنكرًا على أنه تاجر. بعد أن سافروا عبر الكثير من الأراضي المسيحية، وصلوا على صهوات جيادهم إلى "لومبارديا"، ليعبروا الجبال التي بعدها، فالتقوا- وهم يمضون من "ميلان" إلى "بافيا"، في ساعة الغروب- برجل من "إيستريا دي بافيا"، اسمه "توريلُّو"، يسير مع خدمه وكلابه وصقوره، متجهًا إلى مزرعته بجانب نهر "تسينو". بمجرد أن رآهم، علم أنهم نبلاء وغرباء، وأحب أن يساعدهم، وما أن سأل صلاح الدين السيد "توريلُّو" عن المسافة المتبقية ليصلوا إلى "بافيا"، وإن كان يمكنهم الوصول لها قبل إغلاق أبوابها، فبادر "توريلُّو" بالقول:

– لن تتمكنوا من الوصول في الوقت المناسب.

فقال صلاح الدين:

https://telegram.me/maktabatbaghdad

– فهل يمكنك أن تخبرنا عن مكان يمكننا المبيت فيه هذه الليلة، لأننا غرباء.

فقال له السيد "توريلُّو":

–يمكنني ذلك بكل تأكيد. كنت أنوي، في هذا الوقت، أن أرسل أحد رجالي إلى مكان قريب من "بافيا" للقيام ببعض الأعمال، وسأرسله معكم ليدلكم على مكان لتقضوا فيه الليل، وتنالوا قسطا من الراحة بعد وعثاء السفر.

اقترب من أكثر أتباعه حرصًا وكتمانًا، وأخبره بما يفعل، وأرسله معهم. ثم توجه بسرعة إلى مزرعته، وجعلهم يعدون عشاءً فاخرًا، ووضعوا مائدة الطعام بالحديقة؛ ولما تجهز كل شيء، وقف ينتظرهم عند الباب. وفي هذا الوقت، كان الخادم الموجود مع الغرباء يحدثهم في أشياء مختلفة، ومشي بهم عبر بعض الطرق، ثم انحرف بهم، من غير أن يشعروا نحو مزرعة سيده. وما إن شاهدهم، حتى خرج ليلقاهم بالترحاب، وهو مبتسم، فقال:

– أهلًا وسهلًا بكم، أيها السادة الكرام.

تفهم صلاح الدين، وهو الرجل الفطن الذي يشع عقله بالذكاء، أن هذا الفارس فكر ألا تقبل دعوته لو دعاهم حين لقاهم أول مرة. لذلك، وحتى لا يستطيعوا رفض البقاء في بيته هذه الليلة، فقام بتلك الحيلة. رد صلاح الدين على تحيته قائلًا:

– أيها السيد، لو كان من الممكن أن نشكو من الكرم، لكننا شكوناك، ووجهنا إليك أصابع اللوم. فمع أنك أخرت سفرنا حتى تستضيفنا عندك، ومن غير أن نعرف بعضنا بعضًا، لكن كرمك هذا يجبرنا على قبول دعوتك

وحفاوتك التي لا نستحقها.

فرد عليه السيد "توريلُّو"، وكان حكيمًا ومتحدثًا مفوهًا:

– أيها السادة، ما تجدونه مني ليس سوى تكريم متواضع، لو قارناه بمكانتكم التي يشير إليها مظهركم. وفي الواقع، فإنكم لن تجدوا خارج "بافيا" مكانًا يليق بكم لتنزلوا فيه. ولذلك، وجدت أنه لن يسوءكم إطالة الطريق بعض الشيء، حتى تبقوا بمكان أقل إزعاجًا لكم، وأكثر أمانًا.

وبمجرد أن قالوا هذا، وسمعوا رد السيد "توريلّو"، إذا بالخدم قد أحاطوهم، فترجلوا من على خيولهم، وأخذ الخدم الخيول لتستريح. واصطحب السيد "توريلُّو" الرجال الثلاثة إلى ثلاث غرف تم إعدادها خصيصًا لهم، فقاموا بخلع أحذيتهم، واحتسوا بعض الشراب البارد المنعش، وأخذوا يتبادلون أطراف الحديث حتى حان وقت العشاء. كان صلاح الدين وزميلاه وخدمه يتحدثون جيدًا اللغة اللاتينية. فكانوا يتحدثون ويتفهمون كلامه كأفضل ما يكون. وظهر لهم بشكل واضح أن هذا الرجل أفضل من لقوه لطفًا وكياسة. وبدا للسي "توريلُّو" أنهم أشخاص رفيعو المقام، وأعلى مكانةً مما ظن حين رآهم، وتضايق من أنه لا يمكنه تكريمهم في هذه الليلة بمأدبة وصحبة كبيرة تليق بقدرهم. وفكر أن يقوم بهذا في اليوم التالي. فأطلع أحد خدمه بما يرغب القيام به، وأرسله إلى "بافيا"، وكانت قريبةً جدًّا وأبوابها لا تغلق مطلقًا، ليبلغ زوجته، وهي سيدة كريمة وتتحلي بالصفات الحميدة، بما عليها القيام به. تمشي مع السادة داخل الحديقة، وسألهم هناك بكل لباقة عن من يكونون، وإلى أين وجهتهم. فرد عليه صلاح الدين:

– إننا تجار قبارصة، أتينا من "قبرص"، ونحن متجهون إلى باريس لإتمام

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أعمال لنا هناك.

فقال السيد "توريلّو":

– آمل من الرب أن يكون في بلادنا سادة نبلاء مثلما أرى فيكم!

انتقلوا من هذا الحديث إلى أحاديث أخرى، حتى أتى موعد العشاء، فدعاهم للجلوس لتناول الطعام. تم تقديم الطعام المعد بسرعة لهم على نحو طيب. وعندما انتهوا من تناول الطعام، نهضوا من على المائدة، وشعر السيد "توريلّو" أنهم مرهقون، فاصطحبهم إلى مكان النوم والراحة في غرف فخمة مخصصة لعلية القوم فقط. ثم ذهب بدوره إلى حجرته ينام. كان الخادم الذي أرسله إلى "بافيا" قد نقل الرسالة للسيدة زوجة "توريلّو"، فبادرت مسرعة بكل حماس، وقامت باستدعاء عدد من أصدقاء "توريلّو"، وقامت بتجهيز الترتيبات اللازمة لتجهيز وليمة رائعة تليق بالضيوف الغرباء، الواضح عليهم أنهم من كبار القوم. وعلى ضوء الشموع، وجهت دعوات لعدد كبير من أهم النبلاء في المدينة. وأخرجت القماش الذي عندها والحرير والجلود والفراء، وجهزت كل ما طلبه زوجها وأكثر.

وحين استيقظ السادة في الصباح، وركبوا فوق أحصنتهم مع السيد "توريلّو"، أمر بجلب صقوره، وأخذهم إلى بحيرة قريبة، ليشاهدوا مهارة صقوره في صيد الفريسة. لكن صلاح الدين سأله إن كان هناك أحد ذاهب إلى "بافيا"، ليرشدهم إلى أفضل مكان ينزلون به. فقال له السيد "توريلّو":

– أنا سوف آتي معكم، فلديَّ ما أقوم به هناك.

صدقوه مبتهجين، واتجهوا صوب طريقهم حتى وصلوا إلى المدينة، وقت الضحى. كانوا يعتقدون أنهم متجهون إلى أفضل نُزل فيها؛ غير أنهم وجدوا

أنهم يدخلون إلى بيت السيد "توريلُّو" الموجود بالمدينة. كان هناك أكثر من خمسين شخصًا من كبار نبلاء المدينة قد أتوا لاستقبالهم والترحيب بهم. ولما وجد صلاح الدين وأصحابه هذا علموا بحقيقة الوضع، فقالوا:

– هذا ليس ما طلبناه منك، ياسيد "توريلُّو". لقد قمت بما يكفي الليلة الماضية، وقدمت لنا الكثير؛ ولهذا فلتسمح لنا بأن نكمل طريقنا من غير أن تشعر بأي تقصير في واجبك تجاهنا.

فقال لهم السيد "توريلُّو":

– أيها السادة، ما قدمت لكم ليلة البارحة لا أدين به لكم، ولكن للقدَر الذي جعلكم تتأخرون، واضطُررتم للقدوم إلى بيتي الريفي المتواضع. أما الآن، فإني مدين لكم بواجب الضيافة الذي تستحقونه، ومعي كل أولئك السادة أعيان المدينة الموجودين للترحيب بكم. فإذا وجدتم أنه من اللياقة رفض تشريفهم بتناول الغداء معهم، فلتكملوا طريقكم إذا أردتم.

قبل صلاح الدين البقاء قليلًا ومعه صحبه الكرام، فنزلوا من على ظهور جيادهم، فقابلهم السادة بسعادة وترحاب بالغين، ثم توجهوا إلى حجرات جُهزت لهم خصيصًا ليستريحوا فيها. خلعوا ملابس السفر، وارتاحوا لبعض الوقت، ثم انضموا إلى الجمع في القاعة الكبرى الفخمة الملحقة ببيت السيد "توريلُّو". بعد غسل أيديهم، جلس الجميع على المائدة بشكل رائع التنظيم، وقُدمت لهم أشهى وألذ المأكولات. في الحقيقة كانت مأدبة طعام ربما لم تُقدم حتى لإمبراطور من قبل. ومع أن صلاح الدين ومن معه كانوا من السادة العظام المعتادين على الفخامة، لكنهم اندهشوا لوضع مضيفهم الذين كانوا

https://telegram.me/maktabatbaghdad

يظنونه سيدًا من الطبقة الوسطى، وليس من كبار النبلاء مـن ذوي المكانـة المرموقة. بعد تناول الطعام، ورفع المائدة، تم تبادل الحديث لبعض الوقت في موضوعات مهمة وراقية، ثم بدأت حرارة الجو تشتد؛ فاستأذن السادة أعيـان المدينة من السيد "توريلُّو"، وذهبوا لينالوا قسطًا من الراحـة. حـين بـقي هـو وضيوفه الثلاثة، أخذهم إلى قاعة أخرى، حتى يتعرفوا على أسرته، ثـم بعـث إلى زوجته الفاضلة، فأتت امرأة جميلة ورفيعة المقـام ترتـدي ثيابًـا رائعـة، ومعها ابناها الصغيران يشبهان الملائكة. ألقت التحية بكـل احـترام على الضيوف. ردوا عليها التحية بتقدير واحترام، ثـم جلـست بيـنهم، وأحـاط طفلاها الجميلان بالضيوف كنوع من الحب والمداعبة. تحدثت معهم بلباقة وأدب، ثم ترك السيد "توريلُّو" القاعة. بعد ذلك سألتهم السيدة بكل مـودة عن بلادهم التي أتوا منه، وإلى أين يتجهون؛ فأجابها السادة بما قالوه لزوجها قبل ذلك، دون تغيير. عندها قالت لهم السيدة بسعادة:

– إني أود أن أهديكم هدية، وأرجوكم أن تقبلوا هديتي المتواضعة الـتي سوف أحضرها لكم، ولا تقللوا من شأنها. فالنساء في العادة لا يقدمن غير الهدايا الصغيرة، لأن قلوبهن صغيرة؛ وأتمنى أن تروا طيب نية مقدمة الهدية وليس قيمتها أو حجمها.

أمرت بإحضار ثوبين لكل منهم، أحدهما من الحرير، والثـاني مـن فـراء السمور[52]، لا يشبهان ما يرتدي الأناس العـاديون أو حـتى التجـار؛ فـهي كملابس كبار النبلاء تمامًا. بعدها أتت بثلاث عباءات من الكتان الناعم،

[52] هو نوع من الثدييات يتبع جنس الخز، من فصيلة العرسيات، وفراؤه غالي القيمة.

وقالت لهم:

– اقبلوا مني هذه الأشياء؛ فهي تشبه ما يلبسه زوجي. حيث أنكم تبعدون عن زوجاتكم، وقد سافرتم طويلًا، وما تزال أمامكم رحلة طويلة؛ لأن التجار رجال يحبون النظافة والأناقة، وقد تنفعكم هذه الثياب وتروق لكم، لكن اعذروا لي ضآلة قيمتها.

دُهش الضيوف، وشعروا أن السيد "توريلُّو" لم يترك شيئًا إلا وقام به لإكرامهم. رأوا فخامة الملابس المقدمة إليهم، وعرفوا أنها من المستحيل أن تكون مما يلبسه التجار مطلقًا. وساورتهم الظنون أن يكون هذا السيد يعلم من يكونون ويعلم حقيقة أمرهم. ومع هذا، فقد قال أحدهم للسيدة:

– إنها هدايا قيمة جدًّا، يا سيدتي، ولا يمكن لنا أن نقبلها بسهولة، لولا رجاؤك الذي لا يسمح لنا أن نفكر في الرفض.

خلال هذا، كان السيد "توريلُّو" قد عاد، فاستأذنتهم السيدة وانصرفت، وذهبت لتقدم لخدمهم الهدايا. ألح عليهم السيد "توريلُّو" أن يبقوا معه لآخر الليل، وأصر عليهم ليبقوا. بعدما ارتاحوا لبعض الوقت، ارتدوا الثياب الجديدة، وامتطوا جيادهم ليقوموا بجولة في المدينة مع السيد "توريلُّو". ولما حل وقت العشاء، تناولوا الطعام مع عدد من النبلاء. ثم اتجهوا للنوم بعدها ببضع ساعات بالغرف التي جُهزت لهم.

في صباح اليوم التالي، استيقظوا فوجدوا بانتظارهم ثلاثة من الأحصنة الأصيلة والقوية حلت محل أحصنتهم المتعبة، وخيول أخرى جديدة لمرافقيهم. ما إن وجد صلاح الدين هذا، حتى التفت إلى صاحبيه وقال لهم:

– أقسم بالرب أني لم أجد أبدًا رجلًا كريمًا ولبقًا وواسع الأفق مثل

https://telegram.me/maktabatbaghdad

السيد "توريلُّو". ولو أن ملوك المسيحيين كلهم مثل هذا الرجل، لما تمكن أمير "بابليونيا" من مواجهة فرد منهم، وليس كل هؤلاء الذين يجهزون لمحاربته ودخول بلاده.

لم يكن من اللياقة رفض تلك الأحصنة. وعلى هذا الأساس، قام بشكر مضيفه بمنتهى اللباقة والاحترام، ثم ركب وأصحابه أحصنتهم. رافقهم السيد "توريلُّو" وعدد كبير من أصدقائه حتى خارج المدينة. ومع أن صلاح الدين قد شعر تجاهه بمشاعر طيبة، بعدما أعجب بشهامته وأخلاقه وفضائله، ومع كل هذا ترجاه أن يرجع إلى مدينته، لأنه مضطر للرحيل، فقال السيد "توريلُّو" وهو يشعر بحزن لرحيلهم:

– أيها السادة الكرام، سأعود إلى المدينة بما أنكم تريدون هذا. ولكنني أقول لكم: أنا لا أعلم من تكونون، وليست لدى رغبة في أن أعلم أكثر مما تودون البوح به. ولكن أيما تكونون، لا يمكنني تصديق أنكم تجار فقط. فلتصحبكم السلامة!

بعد أن استأذنهم صلاح الدين، قال لـ"توريلُّو":

– أيها السيد، قد تتاح لنا فرصة لنريك فيها تجارتنا، ووقتها سيتأكد لك أنا تجار. إلى اللقاء، وليحفظك الرب ويرعاك!

مضي صلاح الدين ومن معه، وقد قرر بداخله- أنه لو قدرت له الحياة وأمد الرب في أجله، ولم تُحدث الحرب المنتظرة ما يحول دون هذا- أن يكرم السيد "توريلُّو" بالشكل الذي يليق به. تحدث عنه كثيرًا مع رجاله ومدحه، وكذلك زوجته، وكل ما لقيه منه. بعدما تجول في أقاليم الغرب كلها، متحملًا عناء السفر، عاد إلى الإسكندرية عبر البحر، وجهز نفسه ليدافع

عن بلده، واستعان بكل ما تمكن من معرفته من معلومات.

وعاد السيد "توريلّو" إلى "بافيا"، وفكر كثيرًا في مَن يكونون هؤلاء السادة الثلاثة. غير أنه لم يتمكن من معرفه الحقيقة، أو حتى الاقتراب منها مطلقًا. ولما اقترب موعد انطلاق الحملة الصليبية في هذا الوقت، وبدأ الاستعداد لها والتدابير تُتخذ في كل مكان، قرر "توريلّو" أن ينضم إلى هذه الحملة. وعلى الرغم من توسلات زوجته ودموعها، إلا أنه قام بتجهيز كل ما يحتاجه، وقبل أن يتجه ليركب جواده، قال لزوجته التي يحبها من كل قلبه:

– إني سأذهب، كما ترين يا زوجتي، للمشاركة في الحملة الصليبية لتكريم جسدي وخلاص روحي على حد سواء. وأنا أعهد إليكِ بكل ما أملك وبشرفي. وإن كنت على ثقة من ذهابي هذا، فإني قد لا أثق في شيء يضمن عودتي لأسباب لا تحصى. لذلك أريد منك شيئًا واحدًا: فمهما يحدث لي، وإن أتى لك خبر يؤكد حياتي أو مماتي، أريد منكِ ألا تتزوجي من أحد إلا إذا لم أعد إليكِ قبل مضي عام وشهر ويوم، تُحسب ابتداء من هذا اليوم الذي أسافر فيه.

فردت عليه السيدة وهى تبكي بحسرة:

– سيدي وحبيبي "توريلّو"، لا أعلم كيف سأتحمل الحزن الذي تتركني فيه؛ ولكن إذا ما قدر لي تحمله والبقاء في هذه الدنيا، فلتكن واثقا، إن كنتَ حيًّا أو ميتًا، أني سأبقي في الموت والحياة زوجة "توريلّو"، مخلصة لذكراه.

فقال لها "توريلّو":

– أثق يا زوجتي في أنك ستقومين بكل ما تقدرين عليه لتنفيذ هذا الوعد. أنتِ امرأة شابة وجميلة، ومن عائلة نبيلة، والكل يعلم مدى فضيلتك

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وطهارتك. ولهذا فأنا على يقين من أن الكثير من النبلاء والسادة، سيطلبون يدك من إخوتك وعائلتك لو حدث لي مكروه أو غابت أخباري. لن تستطيعي وقتها الصمود، وسترغمين على القبول، ولهذا السبب قمت بتحديد موعد، ولا أطلب منك أكثر منه.

فقالت زوجته:

– سأفعل كل ما أستطيع وكل ما لديَّ من قوة؛ ولو اضطررت للقيام بشيء آخر، فسوف أقوم بما تطلبه بلا شك. أدعو الرب ألا يضعك أو يضعني بمثل تلك الخيارات.

قالتها وهى تبكي، ثم عانقت زوجها، ونزعت خاتمًا من يدها، وقدمته له قائلة:

– لو قُدر لي الموت قبل رجوعك، فتذكرني كلما رأيت هذا الخاتم.

أمسك السيد "توريلُّو" بالخاتم، وركب فرسه بعد أن ودع الجميع، وذهب في طريقه. وحين وصل إلى "جنوا"، ركبوا سفينة اتجهت بهم إلى "عكّا"، وانضموا هناك إلى جيش آخر من الجيوش الصليبية. وسرعان ما ظهر في صفوف الجيش مرض فتاك وخطير، وهلك الكثير من الجنود، ومَن بقي منهم حيًّا وقع في الأسر لدى صلاح الدين. وتم تقسيمهم على مدن عديدة ليسجنوا هناك. كان السيد "توريلُّو" أحد هؤلاء الأسرى، وقد أخذوه إلى السجن بالإسكندرية. ولأنه لم يكون معروفًا لهم، وخاف أن يعرف نفسه، فقد قادته الظروف لتدريب الصقور والاعتناء بها. فقد كان ملمًّا بتلك الأمور ولديه خبرة كبيرة. وحين علم صلاح الدين بمهارة مدرب الصقور الأسير الذي لم يره بعد، أمر بإطلاق سراحه وعينه مربيًا لصقوره. لم يتعرف

عليه السلطان الذي كان يناديه بـ"النصراني"، كما لم يعرفه السيد "توريلُّو" بنفسه، لأن تفكيره وقتها كان موجهًا إلى "بافيا" وحدها. حاول الهرب كثيرًا، لكنه لم يتمكن. وفي أحد الأيام أتى بعض سفراء "جنوة" إلى صلاح الدين ليتفاوضوا معه لفك أسر بعض مواطنيهم. وعندما كانوا على وشك الرحيل، فكر السيد "توريلُّو" في أن يكتب رسالة إلى زوجته، ويخبرها أنه على قيد الحياة، وأنه سيرجع إليها في أقرب وقت، ويطلب منها انتظاره. توسل إلى أحد هؤلاء السفراء، وكان يعرفه، أن يوصل أخباره إلى عمه رئيس دير سان بيترو في "سيلدوررو".

أثناء ما كان "توريلُّو" في الأسر، مر صلاح الدين ذات يوم؛ ليرى الصقور، فابتسم "توريلُّو" أثناء حديثه معه، فأحدث حركة بشفتيه انتبه لها صلاح الدين، وتذكر أنه رآها من قبل حين كان عنده في ضيافته في "بافيا". ذكرت تلك الحركة صلاح الدين بهذا السيد؛ فنظر له وشرع يتحقق من ملامحه، وأحس وقتها أنه هو نفس الشخص. فترك ما كان يتحدث فيه وسأله:

– قل لي أيها النصراني، من أين أنت؟

فقال له السيد "توريلُّو":

– أنا لومباردي، يا سيدي، من مدينة تسمى "بافيا". رجل عادي من عامة الناس.

لما سمع صلاح الدين كلامه، أصبح شبه متأكد من أنه هو ذاته مضيفه الكريم، وحدث نفسه فرحًا قائلًا: "لقد منحني الرب الفرصة حتى أعبر عن مدى امتناني لكرم هذا الرجل!" ومن غير انتظار، أمر أن توضع ملابسه كلها

https://telegram.me/maktabatbaghdad

في حجرة واحدة، وأخذ معه الأسير، وقال له:

– أيها النصراني، ابحث بين الثياب، هل رأيت أيّا منها قبل اليوم؟

نظر السيد "توريلّو" للثياب بإمعان، فوجد هذين الثوبين اللذين أهدتهما زوجته للتجار، وفكّر أنه من المستحيل أن يكونا نفسيهما؛ ومع هذا أجاب:

– لا أعرف أيًّا من الثياب، يا سيدي، وإن كان هناك اثنان منهما يشبهان ما كنت ألبسه منذ وقت، وقد أهديت مثلهما لثلاثة تجار استضفتهم في بيتي.

لم يتمكن صلاح الدين من منع نفسه، فعانقه بمحبة وهو يقول:

–أنت السيد "توريلّو دي إيستريا". أنا أحد هؤلاء التجار الثلاثة الذين أهدتهم زوجتك هذه الثياب. جاء الوقت الذي أبرهن لك فيه عن امتهاني للتجارة.

لما سمع "توريلّو" هذا، شعر بمزيج من الفرح والخجل: فرح لأنه استضاف عنده هذا الملك العظيم، وخجل لأنه رأى أنه لم يكرمه كما يليق بقدره، على الرغم مما فعله معه كواجب ضيافة لم يقدم لامبراطور، كما ذكرنا سلفًا.

عندئذ قال له صلاح الدين:

– بما أن الرب قد أتى بك إلى هنا الآن، يا سيد "توريلّو"، فاعتبر من هذه اللحظة أنك أنت سيد هذا المكان، وليس أنا.

وفي التو، أمر أن تُعد له حفلة كبرى، وألبسه ثيابا ملكية، وعرفه على رجاله البارزين. وبعد أن امتدحهم كثيرًا، وأثنى على كرم السيد "توريلّو"

وخلقه، أمرهم بمعاملته بالتقدير والتعظيم نفسه الذي يعاملونه به كسلطان. وابتداءً من هذا اليوم، نفذ الجميع أوامر السلطان هذه، وبشكل خاص السيدان اللذان كانا برفقة صلاح الدين حين ذهب إلى بيت هذا الأسير. هذا الارتقاء المفاجئ من القاع إلى القمة جعل السيد "توريلُّو" ينسى لبعض الوقت ما يشغله في "لومبارديا"، وخاصة أنه كان يأمل أن تكون رسالته قد وصلت إلى عمه وزوجته.

وشاء القدر أن توفي في معسكر الصليبين- في اليوم ذاته الذي أسروا فيه- سيد صغير الشأن من "بروفنس"، يُدعي "توريلُّو دي نيس". ونظرًا لتشابه الإسمين، وبما أن السيد "توريلُّو دي إيستريا" كان معروفًا للجميع بسبب نبله ومكانته، فكان كل من يسمع المنادي يقول "لقد مات السيد "توريلُّو" يعتقد أن الذي مات هو "توريلُّو دي إيستربا"، وليس "توريلُّو دي نيس"، ثم تم أسره بعدها، فلم يتبين للصليبيين معرفة حقيقة ما حدث. وعاد إيطاليون كثيرون لديارهم حاملين هذا الخبر السيء؛ وكان هناك بعض من ادعوا أنهم رأوه وهو ميت، وحضروا دفنه. وحين وصلت تلك الأخبار إلى زوجته وأهلها، أصابهم حزن عميق لا مثيل له، وكل من كان يعرفه شعر بتألم لفقدانه. وليس لدينا الوقت الكافي لوصف مدى الحزن الذي شعرت به زوجته وبكائها المرير على حبيبها. غير أن تلك الأحزان بدأت تقل رويدًا رويدًا بعد الكثير من المعاناة والحزن بسبب هذه المحنة العظيمة؛ فالحزن يبدأ عظيمًا وينتهي صغيرًا، وهذا من فضل الإله على العباد. أصبح سادة "لومبارديا" يحاولون التقرب منها، ويرجونها أن توافق على الزواج من أحدهم.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وشرع إخوتها وذووها يلحون عليها، فكانت ترد عليهم بالرفض في كل مرة يأتون إليها، وهي تبكي بحرقة ومرارة، إلى أن جاء يوم تعبت فيه من كثرة الإلحاح، ورضخت إلى ما يرغب فيه أهلها، لكنها قبلت بشرط ألا تذهب إلى منزل الزوج الجديد إلا بعد مرور الفترة التي وعدت "توريلّو" بمكوثها دون زواج.

وبينما كانت الأمور تجري نحو هذا الدرب، وقبل ثمانية أيام على انتهاء الفترة الذي اتفق مع زوجته عليها، قابل السيد "توريلُّو" في الإسكندرية رجلًا قادما من "جنوة"، وكان قد شاهده من قبل مع السفراء الذين أرسل معهم رسالته. فناداه وسأله عما حدث معهم، وكيف وصلوا إلى "جنوة"، وهل أوصلوا الخبر الذي أراده إلي عمه أم لا، فقال له الرجل:

– كانت رحلة مشئومة، يا سيدي. فقد نزلت من السفينة في "كريت"، وبقيت هناك لقضاء بعض أموري. وعلمت بعدها أن هناك عاصفة شمالية شديدة هبت حينما كانت السفينة تقترب من "صقلية"، وألقت بالسفينة ناحية شواطئ البربر، ولم ينج أحد ممن كان فيها، وكان على متنها اثنان من إخوتي.

تأكد السيد "توريلُّو" مما أخبره به الرجل، فتذكر أن المدة التي حددها لزوجته قد أوشكت على الانتهاء، وأيقن أنهم لا يعلمون عنه شيئا في "بافيا"؛ فأدرك أن زوجته ستتزوج ثانيةً لا محالة. هنا شعر بهم وحزن شديدين، وفقد الرغبة في الأكل، وأصابه المرض. وعندما علم صلاح الدين بما هو فيه، وكان شخصًا مقربًا لقلبه، ذهب ليزوره. وبعد حديث طويل، علم بسبب حزنه ومرضه، ووجه إليه اللوم والعتاب لعدم إخباره بهذا الأمر، وطلب منه أن

يتمسك بالقوة والإرادة. وأنه سيساعده ليصل إلى "بافيا" قبل هذا الموعد، بل أخبره بكيفية هذا. اطمأن السيد "توريلُّو" لما سمعه من صلاح الدين، فقد سمع من قبل عن حدوث أشياء مماثلة، وبدأت حالته تتحسن سريعًا، وطلب من صلاح الدين أن يُسرع قدر ما يستطيع في تلبية طلبه. توجه صلاح الدين إلى ساحر كان قد جرب فنونه قبل تلك المرة، وطلب منه أن يدبر نقل السيد "توريلُّو"، على سرير إلى "بافيا" خلال ليلة واحدة، فأخبره الساحر أنه سيقوم بتنفيذ طلبه، غير أنه يفضل أن ينقله وهو نائم حتى لا يصاب بأذى. بعد ترتيب الأمر، عاد صلاح الدين إلى السيد "توريلُّو"، ووجده مصرًّا على الوصول إلى "بافيا" قبل هذا الموعد، وإلا فالموت عنده أهون، لو لم يتمكن من لقاء زوجته ثانية قبل زواجها. فقال له صلاح الدين:

– إن كنت تحب زوجتك يا سيد "توريلُّو" كل هذا الحب، وتخاف أن تصبح زوجة أحد آخر، فيعلم الرب أني أعذرك؛ فأنا لم أجد في كل من رأيتهم من النساء من هي جديرة بالثناء والمديح أكثر من زوجتك في أخلاقها وخصالها وتصرفاتها. ولن أتحدث عن جمالها، فالجمال وعشق الجسد فانيان، فالجمال جمال الروح، وليس الجسد كما يعتقد الكثيرون من قليلي العقل: لقد كنتُ سعيدًا جدًّا أن ساقك القدر إلى هنا، وتمنيت أن تبقي معي لتتعاون كشريك لي في الحكم؛ ولكن الرب لم يشأ حدوث هذا، لرغبتك في العودة إلى "بافيا" قبل الوقت المحدد، أو أن تموت دون هذا. كم كنت أرجو أن أعلم قبل هذا الوقت، حتى أستطيع تجهيز عودتك لبلدك بالمهابة والقدر الذي تستحقه شيمك وفضائلك. وبما أن هذا صار غير ممكن لرغبتك في الذهاب بأسرع الطرق، فإنني سأساعدك قدر استطاعتي،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وبالشكل الذي حدثتك عنه.

قال له السيد "توريلُّو":

– سيدي، لقد برهنت تصرفاتك قبل أقوالك، بما منحتي وشملتني بلطفك بقدر يفوق ما أستحقه. حقا أسعدتني بهذه الكلمات، وأنا على ثقة تامة بصدق مشاعرك. لكنني مصمم على العودة، وأتمنى منك التعجيل بتحقيق ما وعدتني به، فغدا هو اليوم الأخير في هذه المدة.

قال له صلاح الدين إنه قد رتب كل ما ينبغي ترتيبه لإتمام السفر، والوصول في الوقت المحدد. وفي اليوم التالي، جهز صلاح الدين كل شيء ليرسله في الليل، وأمر بإعداد سرير فخم ومريح في أحد أجمل القاعات، فراشه من ريش النعام وأنفس المفارش الذهبية، تغطيه النقوش العربية، والمجوهرات النفيسة المرصعة بالأحجار الكريمة؛ كان سريرًا لا يقدر بثمن، وربما لا مثيل له في العالم بأسره. وضعت عليه وسادتان تليقان بهذا السرير. وبعد الإنتهاء من التجهيز، أمر صلاح الدين بنقل السيد "توريلُّو"، وهو نائم، إلى السرير، وجعلهم يلبسونه ثياب عربية لم يشاهد مثلها من قبل، ويضعون فوق رأسه إحدى أفضل عمائمه. ولأن الوقت كان متأخرًا، ذهب صلاح الدين إلى حجرة السيد "توريلُّو" ومعه عدد من رجاله، وأخذ يقول وهو حزين:

– لقد أتى وقت الفراق، يا "توريلُّو". ونظرًا لأني لا يمكنني مرافقتك أو إرسال من يكون بصحبتك، نظرًا لطبيعة هذه الرحلة التي ستسلكها، فأجدني مرغمًا على توديعك هنا وبهذه الطريقة المتواضعة. هذا ما أتيت بسببه. وقبل أن أتركك لعناية الرب، أستحلفك بالمحبة والصداقة التي

جمعتنا ألا تنساني، وأن تحاول قدر استطاعتك أن تصلح أمورك في بلدك "لومبارديا"، وأن تزورني ولو مرة واحدة فقط، قبل أن تأتي ساعتنا، لأفرح بلقائك، ولكي أصلح هذا الوداع المتعجل. وحتى تأتي لزيارتي، لا تتوان عن مراسلتي، ولتطلب كل ما تفكر فيه، ولسوف أنفذه لك بكل سرور وعن طيب خاطر، فلا يوجد أحد يسعدني تنفيذ ما يرغب فيه مثلك.

لم يستطع السيد "توريلُّو" منع دموعه، ولم يستطيع النطق بعد سماعه هذه الكلمات الرقيقة، واكتفى بالقول أنه يستحيل عليه أن ينسى أفضال صلاح الدين، وأنه حتما سيزوره بكل تأكيد متى سمحت له الظروف. ثم تعانقا بمودة وحب الأخوة وقال له، والدموع تملأ عينيه:

– فليرعك الرب ويحفظك!

ترك الحجرة، وودع السادة الآخرون "توريلُّو"، واتجهوا جميعًا إلى تلك القاعة التي جهز السرير بها. ولتأخر الوقت، ولكون الساحر ينتظر لتنفيذ ما وعد به، فقد جهز الطبيب دواءً قال إنه مقوٍّ، ويجب على السيد "توريلُّو" أخذه. بعد دقائق معدودة راح في نوم عميق، ونقل وهو نائم، وتم وضعه على السرير الأجمل من العرش، ووضع على السرير تاج نفيس منقوش عليه أنه هدية من صلاح الدين إلى زوجة السيد "توريلُّو". بعدها، وضع بإصبع "توريلُّو" خاتم من الياقوت الأحمر البراق كالنار المتوهجة لا يقدر بثمن؛ ثم وُضع بجانبه سيف مزخرف ومرصع بالأحجار الكريمة، وعلقت على صدره قلادة مرصعة باللؤلؤ الباهر، وأحجار نفيسة أخرى، وأمر أن يوضع بجانبه صندوقان ضخمان من الذهب ممتلآن بالنقود الذهبية، والمجوهرات، والخواتم والأحزمة، وأشياء كثيرة لا حصر لها كانت حوله. وبعد أن انتهي من

https://telegram.me/maktabatbaghdad

هذا كله، قبّل السيد "توريلُّو" ثانيةً، وأمر الساحر أن يقوم بعمله على وجه السرعة. وعلى الفور، وبوجود صلاح الدين، اختفى السرير من هناك وعليه السيد "توريلُّو". بقي صلاح الدين يتحدث عنه مع رجال وحاشيته المقربين مدة طويلة.

وما هي إلا لحظات قلائل، حتى انتقل السرير، وعليه السيد "توريلُّو" وكل ما كان على هذا السرير إلى كنيسة القديس "بيترو في "سيلدورو بـ"بافيا"، كما طلب السيد "توريلُّو" بنفسه. ولما وصل إلى هناك كان ما يزال مستغرقًا في النوم. وحين قرعت الأجراس في الفجر، ودخل الخادم إلى الكنيسة ممسكًا بيده شعلة، تفاجأ حين وجد هذا السرير الفخم، وشعر بالخوف الشديد، فرجع هاربًا من حيث أتى. وحين رآه رئيس الدير والرهبان، تعجبوا وسألوه عن سبب كل هذا الخوف. فقال لهم ما شاهده. قال له رئيس الدير:

– آه! أنت لست طفلًا، ولست جديدًا هنا في الكنيسة لتخاف هكذا. هيا بنا لنرى ما الذي أخافك لهذه الدرجة.

أناروا العديد من المشاعل، ودخل رئيس الدير ومعه الرهبان إلى الكنيسة، وشاهدوا هذا السرير العجيب والمبهر، وعليه الفارس النائم. أثناء ما كانوا يتأملون بذهول، وينظرون إلى الجواهر البراقة من بعيد، انتهي تأثير المخدر، فاستيقظ السيد "توريلُّو" محدثًا زفرة عميقة. لما رأى الرهبان هذا، ومعهم رئيس الدير، أحسوا بالرعب وصرخوا وهم يقولون: "ألطف بنا، يا رب"! ولاذوا بالفرار. وما إن فتح السيد "توريلُّو" عينيه، ونظر حوله، حتى علم أنه في المكان الذي كان يتمنى العودة إليه، ففرح فرحًا جمًّا لذلك؛ واعتدل على السرير، ونظر إلى كل ما كان يحيط به، وبدأ يحدق بكل شيء. على الرغم

من أنه يعرف عظمة صلاح الدين ونبله، غير أنه أدرك أنه أعظم وأنبل بكثير مما تخيل. ومن غير أن يقوم من مكانه، وجد الرهبان يهربون، وفهم لماذا يفعلون هذا. ثم راح ينادى على رئيس الدير باسمه، وأخبره ألا يخاف وقال له: "أنا "توريلُّو" ابن أخيك". لما سمع رئيس الدير هذا، خاف أكثر وأكثر، فقد كانوا يظنون أنه مات منذ شهور. ولكنه بعد قليل، شعر بالأمان وهو يسمع صوته، فرفع الصليب المقدس، واتجه نحوه، فقال له السيد "توريلُّو":

– ماذا يزعجك، ياعمي؟ فما أزال حيًّا والحمد للرب، وقد رجعت من بلاد بعيدة.

ومع أن لحية السيد "توريلُّو" كانت كبيرة، ويرتدي ملابس عربية، إلا أنه عرفه، وتأكد تمامًا من شخصيته، فصافحه قائلًا:

– أهلًا بعودتك، يا بني. عليك ألا تتعجب لخوفنا، لأننا جميعا صدقنا أنك قد توفيت، حتى زوجتك نفسها، السيدة "أداليتا" قد استسلمت لتوسلات أهلها وتهديداتهم، وقبلت مرغمةً الزواج من جديد، ويتم التجهيز لزفافها في الصباح.

نهض السيد "توريلُّو" من على السرير الفخم، وحيا رئيس الدير والرهبان، وطلب منّ الحاضرين ألا يخبروا أحدًا برجوعه، قبل أن ينهي أمرًا ما، ثم ذهب ووضع الجواهر الثمينة بمكان آمن، وحكى لرئيس الدير كل ما حدث معه منذ رحيله حتى مجيئه. تعجب الكاهن مما صار معه، وحمد الرب على عودته سالمًا. سأله السيد "توريلُّو" عن الزوج الجديد لزوجته، فأخبره رئيس الدير من يكون. ووقتها قال السيد "توريلُّو":

https://telegram.me/maktabatbaghdad

– قبل أن تعلم زوجتي برجوعي، أود أن أعلم كيف ستكون في هذا الزفاف؛ ومع أني أعلم أنه ليس من المُتبع الذهاب إلى تلك الحفلات، لكني أتوسل لك حبًّا بالرب أن تتدبر أمر ذهابنا إليهم سويًّا.

أجابه رئيس الدير أنه سيقوم بهذا بكل ترحاب. وحينما أشرقت الشمس، بعث إلى العريس يبلغه أنه يرغب في حضور الحفلة مع صديق له. رد عليه العريس بأنه يرحب به وبصديقه بكل سرور. ولما جاء وقت الغداء، ذهب السيد "توريلُّو" بتلك الثياب التي كان يلبسها، ومعه رئيس الدير إلى بيت العريس، وكان الجميع ينظرون إليه بتعجب من غير أن يتمكن أحد من التعرف عليه. أخبرهم رئيس الدير أنه مُسلم مبعوث كسفير من السلطان إلى ملك "فرنسا". جلس السيد "توريلُّو" إلى مائدة أمام امرأته مباشرةً، وفرح كثيرا لرؤيتها. أحس من ملامح وجهها عدم رضاها عن هذه الزيجة. كانت تنظر إليه بين الحين والآخر، ومع هذا فلم تفكر أنه هو نظرًا للحيته الطويلة، والملابس العربية التي كان يلبسها، فضلًا عن معرفتها أنه مات منذ فترة. ثيابه المختلفة هي ما لفتت انتباهها. ولما وجد السيد "توريلُّو" الوقت المناسب ليعرف إن كانت ما تزال تتذكره، قام بخلع الخاتم الذي أهدته إليه وقت سفره، واستدعى أحد الخدم، وقال له:

– قل للعروس إن المعتاد في بلادي، لو حضر شخص غريب، مثلي حفل عرس أن تقوم العروس بإرسال كأس مملوء بالشراب له لتظهر ترحيبها به، فيشرب الضيف قدرًا منه، ثم يغطيه ويعيده للسيدة لتشرب النصف الثاني من الكأس.

قام الخادم بنقل الرسالة إلى السيدة؛ فوجدت أنه من اللياقة وحسن الخلق

أن تبدي ترحيبها بقدومه. وحتى تبين هذا، أمسكت كأسًا ذهبيًّا كان أمامها، وأمرت بغسله، ثم ملأته بالشراب وأرسلته إلى الضيف. فقام السيد "توريلُّو" بوضع خاتمها في فمه، وقام بإسقاطه في الكأس أثناء شربه، دون أن يشعر أي من الضيوف بما فعل، وترك نصف الشراب في الكأس، ثم غطى الكأس، وأرسله إلى السيدة التي أزالت الغطاء لتشرب ما تبقى في الكأس، لتنفذ هذه العادة. ما إن رفعت الكأس على فمها حتى وجدت الخاتم، فنظرت له بإمعان من غير أن تتكلم؛ وعرفت أنه نفس الخاتم الذي أعطته لزوجها وقت سفره. فعادت تنظر جيدًا للضيف، فعرفت أنه هو "توريلُّو"، وأوقعت المائدة التي كنت أمامها باندفاع وفرحة، وقالت بصوت عال:

– إنه حقًّا ليس حلم. إنه زوجي وحبيب قلبي، السيد "توريلُّو".

ركضت إلى المكان الذي كان يجلس فيه من غير أن تهتم بثيابها أو بالأشياء التي كانت علي المنضدة، ورمت نفسها في أحضانه، ولم يتمكن أيٌّ من الموجودين قول أو فعل شيء؛ فقد أصاب الجميع الذهول. عندئذٍ، قال لها السيد "توريلُّو" اهدئي وتماسكي، فلدينا الكثير من الوقت لنتعانق كما نشاء، فوقفت هادئة.

عمت الفوضى في المكان، فطلب من الجميع أن يسمعوه، وحكى لهم كل ما حدث معه من يوم رحيله إلى أن عاد هذا اليوم إلى بلاده، وقال في النهاية إن السيد الذي كان سيتزوج زوجته، ظنًّا أنه قد مات عليه أن لا يستاء مما حدث؛ فالزوج لا يزال علي قيد الحياة. ومع أن العريس شعر بشيء من سوء الحظ، لكنه أجاب كصديق وبشهامة أنه يسمح للسيد "توريلُّو" عمل كل ما يريد.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

نزعت المرأة الإكليل والخاتم اللذين قدهمما إليها السيد الآخر، وتركتهما هناك؛.ووضعت في إصبعها الخاتم الذي كان بالكأس، ووضع زوجها التاج الذي أهداه السلطان صلاح الدين إليها كهدية، وخرجا من هذا البيت، وتم زفافهما إلى بيت السيد "توريلُّو". فرح بعودته كل الأقارب والأصدقاء، وكل من اعتقد أنه مات فرح بعودته. كان الناس في المدينة ينظرون إليه كأنه بُعث من الموت. أعطى السيد "توريلُّو" بعض الجواهر الثمينة لمن أعد حفل الزفاف، وأيضًا لرئيس الدير وغيرهم. ثم بعث رسولًا إلى صلاح الدين ليخبره برجوعه لموطنه سالمًا، مؤكدًا له أنه سيبقى صديقه الوفي للأبد.

وعاش السيد "توريلُّو" في سعادة وهناء مع زوجته الفاضلة. وبهذا انتهت الأزمات التي واجهت السيد "توريلُّو" وزوجته المحبة. وبسبب كرمه ونبل أخلاقه حصل على تلك المكافئة الغالية.

القصـة العاشــرة

بسبب ضغط وإصرار رجاله على تزويجه، يختار حاكم مدينة "سالودزو" ابنة أحد القرويين، وينجب منها ولدين. ثم يجعل زوجته هذه تعتقد أنه أمر بقتلهما. وأظهر لها أنه لم يعد يريدها، وأنه تزوج من أخرى، ثم يعود إلى البيت ومعه ابنته على أنها زوجته. ويطرد زوجته بقميصها، وحين يجدها تتحمل وتصبر على كل تصرفاته، يزداد حبه لها، ويرجعان معًا إلى البيت، ويجعلها ترى ولديها وقد كبرا، ويكرمها ويعطيها مكانتها التي تستحقها.

حين انتهت القصة الطويلة التي حكاها الملك، ونالت إعجاب كل الموجودين، قال "ديونيو" وهو يضحك:

– ذلك الرجل الطيب الذي كان يرجو أن يُهدَى في ليلة عرسه بلقاء حميمي ممتع فوجئ بعودة السيد "توريلُّو" مثل الشبح؛ ومع ذلك، فإن هذا الرجل لم ينل ولو قدرًا بسيطًا من الثناء الذي تمدحون به السيد "توريلُّو".

بعد هذا، أدرك أنه عليه أن يكمل، فبدأ قصته، وقال:

– سيداتي، كان يومنا كما أرى مليئا بالملوك والسلاطين، ومن هم على شاكلتهم أو يشبهونهم؛ وحتى لا أطيل عليكن في مقدمتي هذه، سأتكلم

https://telegram.me/maktabatbaghdad

اليوم عن "ماركيزي"؛ وهو لم يقم بعمل نبيل، ولكنه تصرف ببلاهة وجنون، لكن قصته انتهت نهاية طيبة. ولا أنصح كائنًا من كان القيام بتلك التصرفات المجنونة التي أقبل عليها بطل رواياتنا، لأن العواقب ستكون وخيمة، وليست سعيدة، كما حدث مع هذا الرجل.

منذ وقت بعيد، كان حاكم مدينة "سالودزو" شاب اسمه "جوالتيري"، ليس عنده لا زوجة ولا أبناء، وكان لا يشغل باله غير الصيد. لم يكن يفكر أبدًا في الزواج أو إنجاب الأطفال مثل أقرانه، لكنه ربما قد يكون على حق. لكن رعاياه لم يعجبهم هذا، وكانوا يلحون عليه في أمر الزواج، حتى يصبح له وريث، ولا يصبحون من دون سيد. كانوا يعرضون عليه أن يبحثوا له عن زوجة تنحدر من أسرة نبيلة ليسعدوا بها. وظلوا يلحون عليه، حتى قال لهم "جوالتيري":

– أيها الأصدقاء، أنتم تجبرونني على أمور كنت مصممًا على عدم الاقتراب منها، بأي حال من الأحوال. فمن وجهة نظري، فإنه من أصعب الأمور أن تجد من يتلاءم مع طباعك، وقد تكون الحياة صعبة جدًّا على من يتزوج امرأة لا تتوافق مع شخصيته، وكذا عاداته وتقاليده. كلامكم الذي تبررون به إصراركم، أن الأبناء يشبهون آباءهم وأمهاتهم في الطباع والعادات، كلام ساذج، لأنني لا أعرف كيف يمكن لكم أن تتأكدوا من هم أباؤهم أو ما تخفيه أمهاتهم. على كل حال، بما أنكم تودون تقيدي بقيود الزواج، فسوف أنفذ طلبكم؛ وحتى لا يكون هناك أي تذمر أو استياء منه، فأود أن أختار زوجتي بنفسي. وأنبهكم أنه يجب عليكم احترامها وتوقيرها، مهما كانت، لأنها ستكون زوجتي وستحمل اسمي. فسوف

أستجيب لرغبتكم على الرغم من أنها تتعارض مع رغبتي الشخصية.

أجاب عليه القوم بأنهم يقبلون بما يقرره، وسيوافقون على من يختارها. كان "جوالتيري" قد أعجبته منذ وقت بعيد تصرفات فتاة فقيرة من قرية تقبع بالقرب من بيته، وكان يراها جميلة، وقدر أنه يمكنه العيش معها بسعادة. لهذا السبب لم يبحث كثيرًا، وقرر الزواج بها. أرسل لوالدها، وقد كان رجلًا بسيطًا فقيرًا جدًّا، واتفق معه على الزواج من ابنته. بعدها، جمع "جوالتيري" كل أصدقائه من الأقاليم، وقال:

– أيها الأصدقاء، بما أنكم ترغبون في أن أتزوج، وحيث أني وعدتكم بأن أقوم بهذا الأمر لأرضيكم، فها أنا ذا اليوم أستجيب لرغبتكم وأفي بوعدي لكم؛ فهل تتذكرون وعدكم لي، أقصد بهذا أنكم وعدتموني أن تعاملوا المرأة التي سأختارها بكل إحترام، كالسيدات النبيلات. لقد أتى الوقت الذي أنفذ وعدي هذا، ولتفوا بوعدكم أنتم أيضًا. فقد عثرت على شابة أعجبتني تسكن قريبًا من هنا، وأرغب في الزواج منها، وإحضارها إلى بيتي خلال أيام قليلة. فهيا جهزوا لإقامة حفل زفاف مناسب يليق بنا، واستقبلوها بتكريم وحفاوة، كي أشعر بالرضا عن وفائي لوعدي لكم.

فرح الأعيان جميعهم، فقالوا إنهم يسعدهم هذا الخبر، وإنهم سيعاملونها حتمًا كسيدة من النبلاء. بالقطع سيعاملونها بالشكل اللائق. أخذوا جميعهم بعدها في التجهيز لحفل زفاف مهيب وعظيم. استعد "جوالتيري"، وقام بدعوة الأصدقاء والأقارب، وعدد كبيرا من السادة والنبلاء، والشخصيات المعروفة بالمناطق القريبة؛ وأمر بشراء الأقمشة وإعداد الثياب الفاخرة والفخمة المناسبة لفتاته، وقاسها على مقاس فتاة تشبه قوامها، لتصبح مناسبة

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لفتاته. اشتري لها أحزمة وخواتم مرصعة بأجمل الحلي، وتاجًا جميلًا، وكل ما تحتاجه العروس من لوازم في هذه الليلة.

ولما أتى اليوم المحدد لزفاف، ركب "جوالتيري" جوداه، ومعه كل من قدم للاحتفال به، وحمل معه كل ما يلزم، وقال:

– أيها السادة، لقد أتى الوقت المناسب لإحضار العروس.

انطلق في موكب عظيم إلى القرية. وبعدما وصلوا إلى بيت والد الفتاة، وجدوها آتية من ينبوع الماء، وكانت تسرع حتى تذهب مع الأخريات لترى عروس "جوالتيري"، دون أن تعرف هي نفسها أنها العروس المنتظرة، التي اختارها "جوالتيري"، واتفق مع أبيها على الزواج منها. حين رآها "جوالتيري" ناداها باسمها، وكانت تدعي "جريزلدا"، وسألها أين والدها، فردت عليه بخجل:

– إنه داخل البيت، يا سيدي.

نزل "جوالتيري" من فوق حصانه، وأمر أن تنتظره حاشيته، ودخل بمفرده إلى بيتهم الفقير، حيث كان والد الفتاة هناك، وكان اسمه "جانوكلي"، فقال له:

– لقد أتيت لأتزوج من "جريزلدا"، لكني أريدها أن تخبرني بأمر في وجودك.

سألها إن كانت ستبذل كل جهدها لتنال رضاه عندما يتزوجها، ولا تغضب منه مهما فعل؛ وإن كانت ستنفذ كل ما يطلب أم لا؟ وأسئلة أخرى شبيهة.

كانت إجابتها على كلامه أنها ستنفذ كل ما يطلب وستفعل كل ما يرضيه. عندئذٍ أمسكها "جوالتيري" من يدها، وأخذها إلى الخارج، وطلب منها أمام

حاشيته والمدعوين أن تنزع ثوبها الخارجي، وأمر بإحضار الملابس التي أمر أن تعد من أجلها، وألبسها الفستان والحذاء، وأمرهم بوضع التاج فوق رأسها كما هي، من دون تمشيط شعرها، وقال وسط دهشة من الجميع:

– أيها السادة، هذه هي التي أريد الزواج بها، إن كانت تقبلني كزوج.

ثم نظر إليها، وكانت في شدة الخجل، وتبدو مرتبكة، وقال لها:

– أتقبلينني زوجًا لك، يا "جريزلدا"؟

فأجابت:

– نعم، يا سيدي، أقبل.

فقال لها:

– وأنا أقبلك زوجة لي.

هكذا تزوجا بحضور الجميع، وأركبها جوادًا، وأخذها إلى بيته وسط موكب كبير. أقاموا حفل زفاف رائع، ووسط احتفالات صاخبة كما لو أنه تزوج ابنه ملك "فرنسا". بدأت الشابة بتغيير سلوكها وتصرفاتها إلى الأفضل، لما ارتدت هذه الثياب. كانت العروس، كما قلنا من قبل، جميلة الوجه ممشوقة القوام. شعر الجميع أن رؤية جمالها الفتان مريح للنظر، وكانت تتصف بالهدوء والوقار أيضًا. كما أن مظهرها وسلوكها تغير، فلم تعد تبدو على مظهرها ابنة "جانوكلي" الفقير، أو كما كانت راعية أغنام؛ فصارت بين ليلة وضحاها مثل النبلاء. فبعد الزواج تعلمت سريعًا، وتعجب كل من عرفها كيف تحولت بهذه السرعة. إضافةً إلى كل هذا، كانت تطيع زوجها في كل شيء، وتهتم به وترعاه بإخلاص، مما جعله أسعد ما يكون. كانت أيضًا تعامل الرعية بكل الطيبة والإنسانية، فجعلت الجميع يحبونها

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ويكرمونها عن حب. وكان الناس يتمنون لها السعادة والخير، ويثنون عليها ويمتدحونها، لدرجة أن بعض الرجال الذين لم تعجبهم فكرة زواج "جوالتيري" من فتاة فقيرة، وقالوا في البداية إنه لم يحسن اختيار زوجته، أصبحوا يقولون إنه كان ذكيًّا وأكثر فطنة من أي رجل في الدنيا. فمن الصعب جدًّا أن يدرك أحد مثله أن الفضيلة والعفة ونقاء النفس يمكن أن تختبئ تحت الثياب البائسة، كالجوهرة التي تحتاج أن يُزال عنها الغبار، لينجلي بريقها. لم ينته الكلام عند مدينة "جوالتيري" فحسب، ولكن ذاعت أخبارها، خلال وقت قصير، في كافة الأرجاء من مشارق الأرض إلى مغاربها. أصبح الناس يتكلمون عن عظمتها وسلوكها الحميد ومكارم أخلاقها. تغير رأي الذين تحدثوا بالسوء عن زوجها، بسبب إقباله على الزواج من هذه السيدة الفقيرة. ولم يمض وقت طويل على زواجهما، حتى حملت منه. وعندما أقبل وقت ولادتها، وضعت أنثى، وفرح "جوالتيري" بمجيئها، وأقام حفلة كبرى.

لكنه بعد هذا، فكر بشكل عجيب وغريب، فأراد أن يعلم إلى أي مدى يمكن لزوجته أن تصبر وتتحمل عبر اختبار قاس يجهزه لها خصيصًا وعن قصد. بداية شرع في إهانتها بأفظع الكلمات، وذلك بإظهار الغضب حيالها، وقال لها إن رعيته في حالة ضيق لكونها من أصل فقير، وبشكل خاص حين علموا أنها أنجبت طفلة، ولا يتوقفون عن الهمس عنها وعن الطفلة المولودة. لما سمعت السيدة هذه الكلمات لم تنفعل، أو تتغير ملامح جهها، بل قالت له بكل هدوء:

– سيدي، افعل معي ما تجده مناسبًا لشرفك وسعادتك، وسوف أقبل

تمامًا كل ما تفعله. وأنا على يقين من أن قدري قليل مقارنة بمكانتك، ولست جديرة بالشرف الكبير الذي أكرمتني به.

أعجب ردها هذا "جوالتيري"، وعلم أن حياتها معه وكل ما أحاطها به من تشريف وتكريم لم يغير منها، ولم يجعلها تشعر بالتعالي والتكبر. بعدها بقليل، قال لزوجته بشكل مبهم إن رعاياه لا يريدون الطفلة التي أنجبتها. وأرسل لها ذات يوم أحد خدمه ليقول لها متألما:

– سيدتي، يجب عليَّ تنفيذ أمر سيدي، وإلا فسوف أموت. أمرني أن آخذ ابنتك هذه، وأن...

ولم يكمل كلامه.

عندما سمعت السيدة كلام الخادم، ووجدته شاحبًا، تذكرت كلام زوجها؛ وعلمت أنه أمرهم بقتل الطفلة. ساعدت بإمساك ابنتها من سريرها، فقبلتها وباركتها، وأعطتها للخادم دون أن تُبدي أية ملامح ضجر على وجهها، مع أنها كنت تعتصر من شدة الألم في قلبها، ثم قالت للخادم:

– خذها. وقم بما أمرك به سيدك وسيدنا؛ لكن لا تجعل الوحوش والطيور تأكلها، إلا إذا كانت هذه رغبته.

أخذ الخادم الطفلة، وأخبر "جوالتيري" بما قالته السيدة، فاندهش من شدة جلدها. لكنه تمادى، وأرسل الطفلة إلى "بولونيا" لتعيش عند أحد أقربائه، بعد أن اتفق معه على ألا يُعلم أحدًا مَن تكون، وأن يرعاها ويربيها بعناية واهتمام.

بعد مرور فترة من الزمن، حملت السيدة ثانيةً. ولما حان موعد الولادة، وضعت صبيًّا، ففرح "جوالتيري" بشدة. لكنه لم يكفه ما فعله من قبل،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

فقام بجرح زوجته بشدة من جديد، فقال لها وهو غاضب في إحدى الليالي:

– من يوم إنجابك لهذا الطفل، يا امرأة، ما عدت أستطيع العيش مع رعيتي. إنهم يتحسرون بشدة لأنه حفيد رجل وضيع، أعني أبيك، وسيصبح سيدًا عليهم بعدي. وإن كنت أريد الحفاظ على وضعي، فيجب علينا التخلص منه، وأيضًا على أن أتركك وأتزوج من أخرى.

سمعت المرأة بصبر كلماته، ولم تقول سوي:

– لا تقلق عليّ، يا مولاي، وافعل ما يرضيك وينفعك؛ وستجدني راضية بما ترى وتأمر. لا أرغب بغير سعادتك.

بعد عدة أيام، وكما فعل مع الطفلة، أرسل لها هذه المرة لطلب الصبي. وادعي أنه سيقتله، وأرسله هو الآخر إلى "بولونيا"، كما فعل مع ابنته. لم تفعل المرأة أي شيء غير ما قالته، حين أخذوا منها طفلتها في المرة الأولى. ازداد تعجب "جوالتيري"، وتأكد تمامًا أنه لا توجد امرأة أخرى تتحمل كل ما تحملته هذه السيدة الصبورة المثابرة. ولولا أنه يعلم علم اليقين كم هي حنون وكم تحب طفليها، وأنها تقبل كل هذا لترضيه بكل انصياع، لاعتقد أنها متبلدة المشاعر ولا تهتم بأطفالها. كان الذين صدقوا أنه قتل طفليه يلومونه بشدة، ويقولون إنه رجل غليظ وبلا قلب، ويرثون لحال زوجته ويشفقون عليها. إلا أن الزوجة، لم تقل للنساء شيئًا ولم تشتكِ، بل كانت تقول إن والدهما هو من أراد هذا. بعد مضي سنوات عديدة على ولادة المولود، بدا لـ"ماركيز جوالتيري" أنه حان موعد الاختبار الأخير، فأشاع بين خدمه أنه لم يعد يريد الاحتفاظ بـ" جريزلدا" كزوجة له، وأنه قد تسرع وأساء التصرف بزواجه منها، ولذلك فسيذهب إلى البابا من أجل أن يسمح

له بالزواج من جديد، وترك "جريزلدا". وجه الخيرون من أصدقائه أصابع اللوم إليه على هذا، لكنه رد عليهم أنه لا بد من تسوية هذا الوضع بأي شكل عاجلًا أو آجلًا.

حين وصل هذا الكلام إلى مسامع زوجته، وعلمت أنها سترجع إلى بيت والدها، وأنها قد تعود لرعي الأغنام، كما كانت من قبل، وستأتي امرأة أخرى فتأخذ منها الرجل الذي طالما أحبته، وتحملت من أجله، شعرت بألم يمزق قلبها وكل جوارحها. لكنها كما تحملت نكبات القدر السابقة التي لا يتحملها بشر، بقيت صامدة وتحملت بصبر وسلوان ما يحدث لها. وبعد فترة قصيرة، أحضر"جوالتيري" وثيقة مزورة ادعى أنها من "روما"، وأكد لأتباعه أنها من البابا، يسمح له فيها بالزواج، وترك "جريزلدا"؛ ثم أرسل إليها، وقال لها في حضور الكثيرين:

– لقد أخذت إذنًا من البابا باختيار زوجة جديدة، وتركك إلى حال سبيلك. فعائلتي كلها من النبلاء، وأسياد هذا الإقليم، بينما أهلك وأسلافك من الفلاحين؛ ولذلك فيجب ألا تبقي زوجة لي، وعليك بالعودة إلى بيت أبيك "جيانكولو"، ومعك الدوطة التي آتيتي بها. بالنسبة لي، سوف أبحث عن امرأة مناسبة لأتزوجها.

حين سمعت قوله تمالكت نفسها بصعوبة بالغة وبمشقة مؤلمة، "أمر يفوق قدرة النساء"، لتمنع دموعها، وقالت:

– سيدي، أعلم طول الوقت فقر عائلتي وعدم مناسبتها بأي شكل لمقام حضرتكم الرفيع. وكل ما نلته كان منك وإليك، وأعلم أنه بفضلك بعد الرب. كنت على علم طوال الوقت أن ما أنا فيه وضع مؤقت، وليس لي،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ويسعدني رده إليك. ها هو خاتمك الذي تزوجتني به أرجعه إليك. طلبت أن آخذ معي الدوطة التي جئتك بها، غير أني أتذكر جيدًا أني لم أقدم لك مالًا ولا متاعًا، وأنك أخذتني حتى من دون ثياب؛ وإن كنت تجد أنه من اللائق والمشرف لك أن أكشف جسدي الذي حملت به طفلين منك، فإني مستعدة للرحيل عارية. لكنني أستحلفك ببراءتي وعذريتي التي أتيت لك بهما، ألا تتركني أخرج عارية، واسمح لي بأخذ قميص من الملابس الموجودة هنا فقط لأستر جسدي.

أحس "جوالتيري" برغبة في البكاء كثيرًا، ولكنه مع هذا تماسك، وقال بوجه لا يبدو عليه الإحساس، ويغلبه التبلد:

– خذي معك قميصًا، إذن.

مع أن كل من حوله طالبه بأن يعطيها ثوبًا محترمًا، حتى ولو من باب أنها كانت زوجته طوال ثلاثة عشر عامًا، ولا ينبغي أن تخرج من عنده فقيرة مهانة بهذا الشكل؛ لكن رجاءهم جاء بلا فائدة. ودعتهم السيدة وهي حافية ومكشوفة الرأس، لا ترتدي غير قميص قيم. خرجت من البيت عائدة إلى بيت أبيها وسط حزن ودموع كل من شاهدها.

أما والدها، فكان لا يصدق أن "جوالتيري" سيبقيها زوجة له طوال العمر، وكان ينتظر قدوم هذا اليوم، ولذلك كان محتفظًا بملابسها التي خلعتها يوم زفافها على "جوالتيري"، فقدمها لها ولبستها ثانيةً، وعادت لتساعد والدها كما كانت تفعل من قبل، وهي تتحمل بجلد وصبر قسوة الزمان وغدره.

علاوةً على كل ما فعل، أخبر "جوالتيري" مَن يعملون لديه أنه قام باختيار ابنة الكونت "بانجانو" ليتزوجها؛ وأمرهم بتجهيز احتفالات مهيبة استعدادًا

للزفاف، ثم أرسل ليطلب "جريزلدا"، وقال لها:

– ستأتي السيدة التي أرغب في الزواج منها، وأود تكريمها على نحو طيب وقت قدومها. أنت تعرفين أنه لا توجد في البيت نساء ليقمن بتجهيز الحجرات، والقيام بتحضير متطلبات حفل الزفاف، وأنت خبيرة بمثل هذه الأمور. لذلك أريدك أن ترتبي ما يجب ترتيبه، وتوجهي الدعوة للسيدات، وتقومي بالترحيب بهن كأنك سيدة البيت؛ وبعد نهاية الحفل، بإمكانك الرجوع إلى بيت والدك من جديد.

ومع أن كلماته كانت شديدة القسوة تمامًا كنصل خنجر ينغرس في قلبها، أجابت كمن لا تقدر على التخلص من حبها له:

– أنا مستعدة للمساعدة، وسأقوم بكل ما تريد، يا سيدي.

دخلت بثيابها المهلهلة الباهتة إلى هذا البيت الذي خرجت منه، ولم يمض وقت طويل على خروجها منه، وهي تلبس قميصًا فقط. بدأت تنظف المكان وترتبه، وتعلق الستائر وتفرش السجاد بالقاعات، وتنظف المطبخ وكل ركن في البيت. كانت مثل الخادمة، ولم تسترح حتى أصبح المكان وكل شيء جاهزًا، كما يجب أن يكون حقًّا. ثم أعدت الدعوات باسم "جوالتيري" لسيدات المنطقة، وانتظرت موعد الحفل.

وفي يوم الحفل، وقفت بثيابها البائسة، وهي مبتسمة ترحب بالمدعوات، وتقابلهن مبتهجة. أما "جوالتيري"، فقد وفر لابنته الجميلة ذات الاثنتي عشرة ربيعًا كل شيء في منزل قريب في "بولونيا". وكان ابنه قد أتم السادسة من عمره، وقد أرسل رسالة إلى قريبه في "بولونيا" يطلب منه القدوم إليه، وزيارته ومعه ابنته وابنه، وأن يحضر معه عددًا كبيرًا من السادة النبلاء،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ويخبر الجميع أنه سيتخذ من الفتاة زوجة له، ولا يخبر أي شخص أنها ابنته. قام هذا السيد بما طلبه "الماركيز"، وما هي إلا أيام قلائل، حتى وصل إلى "سالدزو" ومعه الفتاة وأخوها، في موكب يعج بالأعيان والنبلاء؛ وصلوا في وقت الغداء، وكان هناك جمع من المواطنين والفلاحين يقفون مجتمعين بانتظار وصول الزوجة الجديدة لـ"جوالتيري". وقوبلت الفتاة من ناحية النساء بأحسن استقبال، وأخذوها إلى القاعة التي أعدوا فيها الموائد. وهناك كانت "جريزلدا"، فقابلتها مبتهجة بالترحاب، وهي ما تزال على مظهرها هذا، وقالت لها:

– أهلًا ومرحبًا بك، يا سيدتي!

طلبت السيدات من "جوالتيري" أن تبقى "جريزلدا" في إحدى الغرف، أو أن يُسمح لها أن تلبس أحد الأثواب التي كانت لها، لكنه رفض. وهكذا، جلسوا إلى المائدة، وكانت "جريزلدا" تقوم بخدمتهم. كان الجميع ينظرون إلى الفتاة العروس الجديدة، ويقولون إن "جوالتيري" قد تغير ذوقه وتحسن، و"جريزلدا" نفسها أثنت على الفتاة وأخيها. وحين وجد "جوالتيري" أنه قد اختبر صبر زوجته لأبعد مدى، ووجد أن كل ما فعله وقاله لها لم يغير من طباعها، وتيقن من حسن أخلاقها وصبرها وجلدها وتحملها المصاعب. فوجد أن الوقت صار مناسبًا ليخرجها من هذا الوضع المؤلم، والعذاب الذي تخفيه بداخلها بسكوتها؛ أمرها بالقدوم إليه، وسألها مبتسمًا في وجود الجميع:

– ما رأيك في زوجتي؟

ردت عليه "جريزلدا":

– إنها تبدو جميلة، يا سيدي، وأتمنى أن تكون فطنة وعاقلة، مثلما هي

جميلة. أنا واثقة أنك ستصبح معها أسعد الرجال في الدنيا. ولكني أرجوك ألا تسبب لها العذاب الذي سببته لي. فلا أعتقد أنها يمكنها التحمل، بسبب صغرها وتربيتها المترفة، في حين أن التي جرحتَها- وهي أنا- قد عانت منذ طفولتها الكثير من الصعوبات والمشاق المتواصلة.

لما وجد "جوالتيري" أنها متأكدة من أن هذه الفتاة ستصبح زوجته، وأنها لم تقل أي كلام غير لائق، طلب منها أن تجلس بجواره، وقال لها:

– لقد أتى الوقت الذي تنالين فيه حصاد ثمار تحملك وصبرك الطويل. وليعلم كل من اعتبرني قاسيًا وظالمًا ومجحفًا، ولا أتصرف بإنسانية، أن كل ما قمت به كان لهدف وسبب محدد، أردت منه تعليمك كيف تكونين إمرأة بالمعنى الحقيقي، وتعليم الآخرين كيف يختارون المرأة المناسبة. فعلت هذا من أجل أن أحيا بهدوء وبسلام بقية العمر الذي سنعيشه سويًّا. فحين اضطررتُ للزواج، كنت أخاف ألا ينجح هذا؛ ويثبت لك هذا، الطرق التي كنت أجرحك بها وأهينك؛ ومع هذا فلم تقومي بجفائي أو عدم تنفيذ رغباتي، بشكل لم أر أو أسمع عنه أبدًا؛ فعلمت أني قد وجدت فيك ما كنت أتمني. أرغب الآن أن أعيد إليك كل ما أخذته منك على مدار السنوات الماضية، وأن أداوي بكل رقة وعذوبة كل ما سببته لك من جراح. ولذلك، فاستقبلي بكل الفرحة من اعتقدتِ أنها زوجتي، وأخوها، لأنهما في الحقيقة ابنك وابنتك. هما من اعتقدت واعتقد الناس، لسنين طوال، أني أمرت بقتلهما قسوةً مني. أنا زوجك الذي يحبك أكثر من أي أحد في هذا العالم، ويمكنني القول أنه لا يوجد رجلٌ مثلي سعيد بزوجته وفخور بها مثلي.

بعدما أنهي كلامه، عانقها وقبلها، وقام ليقف بجوارها، وهي تبكي من

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الفرح، وذهبا نحو ولديهما اللذين كانا يستمعان مندهشين من كل ما سمعوا. سارعت تعانق ابنتها وابنها واحتضنتهما بحنان. ثم قامت السيدات من على المائدة بسعادة، وذهبن مع "جريزلدا" إلى غرفتها، وخلعت الثياب البالية، ولبست أفضل الثياب والحلي، وعادوا معها إلى القاعة مستعيدة بذلك مكانتها التي كانت مفقودة، بشكل مؤقت، فكانت تبدو كما كانت في سابق عهدها وقت زواجها من "جوالتيري". فرح بها ابنها وابنتها، وكان الكل في حالة من الفرح، واستمر الاحتفال لعدة أيام.

تعجب الناس من تفكير السيد "جوالتيري" وفلسفته في الحياة وقدرته، واعتبروا أن اختباراته كانت قاسية. بعد عدة أيام، أحضر "جوالتيري" والد "جريزلدا" من مكان عمله، ومنحه مكانة عالية وتكريمًا يليق بمن ربى هذه السيدة الفاضلة. أما ابنته فزوجها زواجًا يليق بها، وعاش مع "جريزلدا" حياة سعيدة هنيئة.

وهذه القصة تبرهن لنا بالدليل القاطع أن البيوت الفقيرة لا تخلو منها الفضيلة، كما أظهرتها "جريزلدا". والمحن هي التي تظهر المعدن الحقيقي لكل إنسان.

انتهت قصة "ديونيو"، وتحدثت السيدات عنها كثيرًا، وعلقوا عليها؛ فبعضهن يرون أمرًا، وأخريات تختلفن معهن؛ ومنهن من تلومه، وغيرها تثني عليه. وأخيرًا رفع الملك نظره إلى السماء، ووجد الشمس تميل صوب الغروب، فنهض من مكانه وقال:

– سيداتي الرائعات، أعتقد أنكن تعلمن أن الحس السليم لدى البشر لا يقتصر على تذكر ما صار في الماضي، ومعرفة الحاضر؛ ولكن في معرفة

الطريقة التي تجعلنا نجمع بينهما لنرى المستقبل. وغدًا، كما تعرفون، سنكون قد أمضينا خمسة عشر يومًا على سفرنا من "فلورنسا"، لنبحث عما يسلينا ولنبقى بصحتنا أحياء، لنبعد عن الهموم والآلام المتواصلة في بلدتنا، بعدما انتشر الوباء اللعين في كافة ربوعها. وقد قمنا بهذا، كما يبدو لي، بشكل متميز ومشرف. وبالرغم من بعض القصص التي تستثير الرغبات، ومع الأكل والمشروبات الفاخرة، والموسيقى والأغاني "وهي أمور قد تجعل النفوس الضعيفة تفكر بأمور ليست نزيهة"؛ لكن هذا لم يحدث، ولم يُقَل أي كلام، من أي طرف، يستحق اللوم أو التأنيب، وكل ما رأيته كان عفة ممتدة، ووئامًا دائمًا، وأخوة عائلية نزيهة، بعيدة عن التصرفات المشينة التي يمكن للبعض أن يعتقد حدوثها. كما أجد أنه إذا ظللنا على العادة نفسها فيمكن لهذا أن يجعلنا نشعر بالضيق والانزعاج. وحتى لا يلومنا الناس على الغياب الطويل، وبعد أن حظي كل فرد منا على يوم من التشريف والتتويج بالتاج الملكي، كما حدث معي اليوم، فإني أجد- لو وافقتموني الرأي- أنه أصبح من الجيد أن نرجع إلى مدينتنا التي تركناها؛ مع الانتباه، فيما لو دققنا النظر، إلى أن كثيرين يعلمون بوجودنا هنا، ويمكن لهم اختلاق أقاويل بشكل تفسد علينا سعادتنا. فإن كنتم تقبلون قولي، فإني سأحتفظ بالتاج الذي توجتموني به حتى يأتي موعد رحيلنا. و برأيي، علينا أن نعود في الصباح الباكر. وإن كان لكم رأي آخر، فقد فكرت فيمن يجب أن يتوج كملك علينا في الغد.

حدث جدال طويل بين السيدات والشبان، لكنهم اتفقوا في آخر المطاف على قبول نصيحة الملك، كونها لمصلحتهم وتحفظهم، كما اتفقوا على تنفيذ ما قاله. وهكذا استدعى الملك القهرمان، واتفق معه على ما سيفعله في

https://telegram.me/maktabatbaghdad

صباح الغد، ثم نهض قائمًا، وسمح للجميع بالانصراف حتى يأتي وقت العشاء. أما أغنية هذا اليوم فكانت كلماتها تقول:

لو كان الحب بلا غيرة يبقى ولا يبلى،
لكنت أسعد النساء في دنيتي،
ولما سعدت في الكون امرأة مثلي،
متعة الشباب في حبيب القلب تسري،
وكل ما تهواه المرأة في الرجل ينجلي،
كالأخلاق والإصرار والإقدام،
الشهرة والفحولة
أو الموهبة، أو المكانة والوجاهة، أو اللياقة واللطافة،
أو الأصالة ونخوة الرجل،
فإني أجد كل هذه الخصال مجتمعة في حبيبي،
هذا لأني أموت في عشقه الأبدي،
وأكاد أرى في الكمال بعيني.
بيد أنني لما أرى أخريات فطنات شأني،
أكاد أموت خوفًا من أن إحداهن تستولي،
على روحي وحبيبي الغالي،
على من تكمن فيه رغبتي وكامل حياتي،
فأشعر بالحزن، وتغمر المرارة أيامي،
خوفًا من زوال فرحتي.

لو كنت أبصر قدر الوفاء من سيدي،
مثلما يمتلك من شجاعة وإقدام،
لما عرفت الغيرة طريقي،
إلا أن الكثيرات من نساء العالمين تبحثن عن حبيب،
وبالتالي فالشك حيالهن جميعًا ينتابني؛
وهذا ما يؤرقني ويقلقني.
سأموت باكرًا عن موعدي،
هذا هو إحساسي،
فكلما تنظر إليه إحدى النساء تثير ريبتي،
وأخاف أن تسلبني روحي.
أستحلفكن بالرب تقبلن توسلاتي،
وفي هذا الأمر لا تحاولن إهانتي،
فإن جرؤت إحداكن في يوم من الأيام،
حتى لو بمجرد الكلام أو الإشارات أو حتي أي شيء،
على أن تضرني،
فحتمًا وأنا صادقة في قولي،
سأجعلها تشقى ما تبقى لها من إصباح،
وقطعًا ستندم على جنونها الذي أودى بها إلى نهاية المآل.

ولما أن فرغت "فياميتا" من أغنيتها، قال لها "ديونيو" المجاور لها، وعلامات البسمة ترتسم على شفتيه:

https://telegram.me/maktabatbaghdad

- كم ستكون لمسة لطف منك أن تخبري صديقاتكِ عن ماهية حبيبكِ، كي لا تنتزعه واحدة منهن دون أن تدري من هو، وبالتالي تبنشأ بينكن المشكلات.

تلت الأغنية المسرودة أعلاه هذه العديد والعديد من الأغنيات الأخرى. ولما أوشك الليل على حلول منتصفه، أمر الملك أن يذهب الجميع للنوم والراحة. ولما استيقظوا في صبيحة اليوم التالي، كان القهرمان قد أرسل أمتعتهم وكافة مستلزماتهم إلى "فلورنسا"، فتوجهوا بدورهم إلى هناك بصحبة الملك. ولما بلغوا كنيسة "سانتا ماريا نوفيلّا"، أقصد المكان الذي خرجوا منه أول مرة، ودَّع الشبان الثلاثة السيدات السبعة، وذهبت كل واحدة منهن إلى بيتها. وهنا أسدل الستار على اليوم العاشر.

الخاتمــة

سيداتي النبيلات، لكي أفرِّج عنكن، وأمتعكن بهذه الروايـات المائـة، بذلت جهدًا شاقًّا وطويلًا، وأعتقد أني انتهيت- بفضل دعـواتكن لي الـتي استجاب الرب لها وأعانـني، ولـيس بـسبب مهـارتي أو مـوهبتي- مما قـد وعدتكن به، وقتما بدأت كتابة هذا العمل. ولذلك، وقبل أن أُنـحي ريـشتي جانبًا وأتركها لتستريح، وأضع حـدًّا للتعـب الذي أصـاب يـدي مـن كـثرة الكتابة، فإني أشكر الرب أولًا قبل كل شيء، ثم أتوجه بالشكر لكُن سيداتي الفضليات. وأود قبل أن أنهي كلامي التحدث باختصار عـن بعـض الأمـور الهامة. فقد تقول إحداكن أو غـيركن إن هـذه المواضـيع ليـست أهـم مما تعرضت له في بداية اليوم الرابع؛ لكن هدفي كان الإجابة عن بعض الأمـور التي تحيك في النفوس، وتكمن بين السطور. وقد تقول بعضكن إنـني قـد أعطيت لنفسي متسعًا من الحرية في كتابة هذه الروايات، حين جعلت بعض الشخصيات تتحدث- في بعض الأحيان- عن موضوعات لا يجدر لـسيدات فاضلات التحدث عنها أو سماعها. وهـذا أمـر لا أنكـره، لأننـا لا نـشعر بالحرج أو الاستياء- وإن كان القصد غير نزيـه- إذا مـا تحـدثنا بكلمـات

https://telegram.me/maktabatbaghdad

راقية شريفة عن أمر مبتذل وضيع. وأعتقد أنني قمت بهذا بالشكل المناسب. أما إذا ما افترضنا أن الوضع كما قلـتن، ولا أرغـب في الدخـول معكـن في جدل، وأنكن قد تغلبتن عليّ، فإني أقول ردًّا عليكن، إن ما قـادني للقيـام بذلك أسبابٌ وأمور كثيرة تطرأ بديهيًّا على تفكيري الآن: أولهـا، لأن نوعيـة هذه الروايات تستدعي هذا؛ ولو شاهد الناضجون هذه القصص بعين العقل، لوجدوا أنه من غير الممكن قـصها بـشكل آخـر، دون أن يختـل مـضمونها. فتلك القصص بها عبارات أو كلمات أكثر إباحية مما يقبله أو يتغاضى عنـه المنافقون، الذين يتظاهرون بالأخلاق والشرف، وهم في الواقع يستاؤون مـن بعض الكلمات بأكثر من القيام بممارسة تلك الأفعال على أرض الواقـع؛ بـل يدَّعون الوقار والتهذيب، على خلاف ما يضمرون في أنفسهم. هنا، أقول لهـم إنه لا يجوز لكم لومي على كتابتها بأكثر من لوم الرجال والنساء عمومًا حين يقولون كلمات كـ"ثقب"، "هاون"، "وتد"، "نقانق"، وغيرها من الكلمات الـتي ربما تحمل مدلولًا آخر. ومع هذا، فيمكنني القول إنه يجب منح قلـمي قـدرًا من الحرية والسلطة لا يقل عن تلك التي تُمـنح للرسـام الذي يمكنـه رسـم القديسين، كالقديس "ميكائيل" يقضي على الأفـعى بـسيفه، ورسـم القـديس "جورجيو" يقذف التنين برمحه. فالرسام حر في رسـوماته لدرجـة أنـه يرسـم المسيح رجلًا، وحواء امرأة، ويرسم مَن يـضحي بنفـسه حـتى ينجـو البـشر، مصلوبًا ومثبتًا على الصليب بمسمار أو اثنين. فالقصص لا تروى في أماكـن العبادة؛ فهي أماكـن يجب أن يكـون كل مـا يقـال فيهـا عفيفًـا وطـاهرًا؛ والقصص أيضا لا تُحـكى ولا تُـدرس بمـدراس الفلاسـفة، حيـث يكـون الشرف فضيلة نسعى لتعلمها؛ فهي لا تحكى بين الكهنة ولا الفلاسـفة في أي

مكان، لكنها تحكى بالحدائق والمتنزهات، للتسلية لمن هم في عمر الشباب، وهم أفراد ناضجون، لا يمكن للقصص أن تغير ما بداخلهم. ففي الزمن الذي ضاعت فيه القيم، كان الرجل يضع سروالًا داخليا على رأسه، لينجو بعمره، ولا يعتبر أمرًا سيئًا بنظر الشرفاء. فالقصص، مهما كانت، تستطيع- مثل كل الأمور الأخرى- أن تدفع إلى الخير أو الشر، على حسب من يستمع إليها. فلمن لا يعلم أن شرب الخمر مفيد للبشر، وفق قول "شينشيليوني" و"إسكولا ريو" وآخرين، لكنه أيضًا يضر مَن هو مصاب بمرض الحمَّى، فهل تعلمون هذا؟ أنقول حينها إنه سيء لتسببه بالأذى لمرضى الحمى؟ ومن لا يعلم أهمية النار ونفعها، وكونها ضرورة من ضروريات حياة البشر، يقول إنها سيئة لأنها تتسبب في حرق البيوت والقرى والمدن؟ كذلك الأمر بالنسبة للأسلحة؛ فهي تمكن الفرد من حماية نفسه، والدفاع عنها في مواجهة الأشرار، وتكفل له الحياة بأمان؛ ولكنها في المقابل تسبب الموت لكثير من البشر أحيانًا، لا لأنها هي السيئة، ولكن لسوء من يستخدمها. ولا يستطيع العقل المنحرف أن يعي المعنى القويم للكلمة؛ ولذلك فليس بمقدوره أن ينتفع من الكلام الشريف الطاهر، كما لا تقدر الكلمات المبتذلة أن تلوث العقل والقلب الممتلئان بالخير. ويستحيل على الوحل أن يفسد ضوء الشمس، ولا يمكن للشوائب الأرضية أن تفسد جمال السماء، بأي حال من الأحوال. فأية كتب، وأية كلمات أو أوراق أكثر قداسة وجديرة بالاحترام من الكتب المقدسة التي نزلت من السماء؟ ومع هذا، ومع الأسف، فهناك من فهموها بشكل خاطئ على أهوائهم، وغيرهم ممن يتمسكون بالنصوص ومفهومها الظاهري، وينسون الجوهر، فتاهوا. فكل أمر له نفع في

https://telegram.me/maktabatbaghdad

حينه وسياقه، ويمكن لشيء أن ينفع في أمر، لكنه لا يكون نافعًا في مواضع وحالات أخرى عدة. وبالتبعية، فإن هذه القصص ينسحب عليها الأمر نفسه. فهناك من يفهم ويتعلم منها الخبيث أو الأفعال الذميمة، ولا يقدر أحد على منعه من ذلك، إن كانت هذه الصفات بداخله؛ وهناك من يحورها ويفسرها وفق أهوائه ورغباته الشخصية؛ وهناك من يرى فيها الطيب لينفعه، ويستفيد منها، ويترك مالا ينفعه وينحيه جانبًا. فيجب علينا أن نستقي النافع، ونترك الضار مما يقابلنا في الحياة، وعلينا أن نأخذ بالجوهر، وننأى بأنفسنا عن الشكليات والأفكار المضمحلة. وهذه الكيفية يمكننا أن نطبقها في مطالعتنا لهذه الروايات التي تضمنتها صفحات هذا الكتاب. وهناك من يقول إنه كان من الأفضل عدم تضمين هذا الكتاب بعض القصص بعينها. وأجدني أتفق معه في هذا الرأى، ولكني لم أتمكن إلا من أن أكتب القصص التي رويت، ولذلك كان يتوجب على من حكوها أن يحكوها بشكل طيب؛ عندئذ لكنتُ وقتها قد نقلتها بشكل أفضل. أما لو افترضنا جدلًا أني أنا مؤلف القصص ومبدعها، وهذه ليست الحقيقة، فأقول إنني لا أخجل منها لكونها ليست جميعها على نفس القدر؛ فالكمال لله وحده، فهو وحده الذي أحسن كل شيء خلقه. حتى "شارلمان"، وقد كان أول من ابتدع نظام الفرسان، لم يتمكن من أن يُعلم كثيرين ليكونوا جيشًا كل رجاله على نفس المستوى من المهارة. فالتنوع والاختلافات تضفي بريقًا وإبرازًا للمحتوي، وليس نظام القالب الموحد هو الأهم، حتى في الحقول،

مهما تمت زراعتها بشكل مثالي. فإنك تجد بعض الزعرور أو القراص[53] والأشواك. كل هذا من غير الانتباه إلى أنه حين أتحدث إلى شابات بسيطات، كما هي حال معظمكن، أرى أنه من العبث أن نضيع الوقت في البحث عن أسلوب متوازن رصين لأحكي به هذه الحكايات، خاصةً أن الهدف منها ينصب في المقام الأول على التسلية والمتعة. واختصارًا للقول، فيمكن لقارئ هذه الروايات أن يضع ما يضايقه جانبًا، ويقرأ منها ما يعجبه؛ ولهذا، فإن كل قصة منها، وحتى لا يستاء أحد، يُكتب في أولها ملخص لما بداخلها؛ ومن ثم فمن أراد أن ينتقي واحدة دون الأُخرى، فله حرية الاختيار في ذلك، وليس مجبرًا على مطالعة كافة الروايات المائة الواردة بالكتاب.

وأظن أن هناك من سيقول إن من بين هذه القصص قصص طويلة جدًّا؛ وهنا أقول لهم إن من لديه عمل آخر ليقوم به فليقم به، فلا يقوم بحماقة بإضاعة وقته وقراءتها، حتى وإن كانت قصيرة وموجزة. وعلى الرغم من الوقت الطويل الذي مضى منذ وقت البدء بكتابتها، وحتى هذا الوقت الذي أصل فيها إلى نهاية مجهودي وتعبي الشاق؛ مع هذا فقد ظلت بداخلي فكرة أني أكتب هذه الروايات لمن لا يقومون بعمل، لا لسواهم. فمن يقرأ ليمضي الوقت لا يشعر بطوله، طالما أن هذا ينفعه، فيما يهدف إليه من تسلية وانقضاء للوقت. والأمور الموجزة تفيد الطلاب- فهم مضطرون لاستغلال

---

[53] **الزعرور**: نبتة شوكية معمرة يصل ارتفاعها إلى حوالي مترين. القراص: نباتات عشبية، لها شوك على شكل شعور دقاق، إذا مستها الإنسان بيده نشبت فيها وانكسرت، وسالت منها عصارة محرقة تؤلم اليد.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كل الوقت وليس إهداره– وليس لكن أيتها النساء الفضليات، فإن الوقت الذي لا تقضونه في الغراميات هو وقت إضافي. علاوةً على ذلك، فلا توجد بينكن من تذهب إلى الدراسة، وطلب العلم في "أثينا أو "بولونيا" أو "باريس" مثلا؛ ولذلك فإن الحديث الممتد معكن يبدو مناسبًا أكثر من التحدث مع مَن هم مشغولون بالدراسة. ولا يراودني أي شك في أنهم سيقولون إن تلك القصص مملوءة بالسخرية والمزاح، وقد يكون من غير الملائم لرجل رصين وصاحب وزن ومقام أن يكتب بهذا الشكل. وعلى هذا لا يسعني سوى أن أشكر كل من تبنى وجهة النظر هذه على خوفهم على سمعتي، وأقول لهم: أنا معترف أنني رجل ذو وزن، وقد كنت هكذا في أوقات كثيرة في حياتي، ولهذا أتوجه لمن لا يعرفون وزني، وأقول لهم إنني غير ثقيل، ولكني خفيف للغاية بشكل يمكنني من الطفو على سطح الماء. وتقديرًا مني لهذه النصائح والعظات الغالية، التي يقولها الكهنة حتى لا يقوم الناس بأخطائهم، فإن أغلبها ممتلئ بالكلمات الساذجة، والمزاح، والسخرية، وأعتقد أن وجود هذه الأشياء في قصصي لا يضر؛ فهي كُتبت لتبهجكن، وتبعد اليأس والكآبة عن قلوبكن. وقد يكون هناك من يتهمني بسلاطة اللسان، لكتابتي في بعض قصصي عن الرهبان الذين يتصنعون ليخفوا حقيقتهم. وأقدر في هؤلاء حسن النوايا، فهم مدفوعون بمبرر عادل، فالرهبان أناس طيبون لا يحبون المضايقة وإيذاء الناس حبًّا بالرب، ويحصدون ما يغرسه غيرهم؛ ولولا رائحتهم التي تفوح منهم، لصار طعامهم أطيب كثيرًا. غير أني أرى مع هذا أن أغلب الأحوال في دنيانا لا تعرف البقاء في نفس الحال؛ فهي متغيرة ومتبدلة بشكل مستمر. ومع عدم ثقتي

برأيي، يزداد شكي فيه حين يتعلق الأمر بشيء يخصني تحديدًا، مع أن إحدى من يسكنون بجواري قالت لي ذات مرة، منذ وقت بعيد، إن لساني هو الأكثر عذوبة ورقة في هذه الدنيا؛ والواقع لقد قيل لي هذا الكلام أثناء قرب إنهائي من كتابة أغلب القصص. وفي نهاية المطاف، أدع كل فرد من القراء الآن ليقول ويعتقد ما يعجبه. ولذلك فعليَّ أن أشكر في آخر كلماتي هذه كل من ساعدني بفضله ودعمه، وبعد مجهود شاق، من الاقتراب والوصول للهدف والغاية المنشودة من وراء كتابة هذا الكتاب. أما بالنسبه لكُن سيداتي اللطيفات، فأرجو لكن أن تنعمن بفضله بالأمان، وأن تتذكروني حين تجدن في بعض ما تقرأن ما يسعد قلوبكن.

وهكذا انتهى اليوم العاشر والأخير من "الديكاميرون"، أو "الأمير جاليوتّو" كما يطلق عليه البعض.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

المحتــويات

https://telegram.me/maktabatbaghdad

https://telegram.me/maktabatbaghdad

تغرم السيدة "ليديا" زوجة "نيكوستراتو" بــ"بيرُّو". وحتى يصدق مدى حبها له، يطلب منها ثلاثة أشياء لتنفذها. وبالفعل، تنجح في تنفيذها كلها، بل تضاجعه في حضور زوجها "نيكوستراتو"، الذي تجعله يعتقد أن ما يرى لا يمت للحقيقة بصلة.

شابان من "سيينا" يغرمان بامرأة، هي عرابة أحدهما. يموت العراب، ويظهر بعد ذلك لرفيق دربه، ويروي له كيف تسير الأمور في الآخرة.

انتهى اليوم السابع من الديكاميرون، ويبدأ اليوم الثامن تحت حكم "لوريتا"؛ وتدور فيه القصص حول الحيل التي تمارسها النساء على الرجال، أو التي يمارسها الرجال على النساء، أو الرجال فيما بينهم.

يأخذ "جولفاردو" من "جواسبارولو" نقودًا، على سبيل السلفة؛ ثم يتفق مع زوجة هذا الأخير على مضاجعتها مقابل مبلغ من النقود؛ إلا أنه يعطيها ما كان قد اقترضه من زوجها. وبعد ذلك، يقول- بحضور "جواسبارولو"- إنه قد أعاد النقود إلى زوجته، فلا تستطيع الإنكار.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

https://telegram.me/maktabatbaghdad

https://telegram.me/maktabatbaghdad

أخرى.

يظن أحد الفرسان القائمين على خدمة ملك أسبانيا أنه لا يعطيه الأجر الذي يستحق نظير خدماته، فيوضح له الملك أنه لم يتعمد هذا الخطأ، وإنما سوء حظه هو السبب؛ ثم يقوم بمكافأته بكرم منقطع النظير.

يقوم "جون دي تاكو" بأسر رئيس دير "كلوني"، ويعالجه من آلام في بطنه، ثم يتركه حرًّا طليقًا بعدها؛ ويرجع رئيس الدير إلى بلاط روما، ويعقد صلحًا بين "جون" والبابا "بونفاتسيو"، فيتم تعيينه راهبًا بالمستشفى.

يفعم الحقد والغيرة "متريدنيس" من حسن ضيافة "ناتان" وكرمه، فيفكر في قتله. ويقابله من غير أن يعرفه؛ ويعلم منه ما سيفعله حتى يحقق مراده. ثم يقابله بالغابة، كما عرفه "ناتان" نفسه من قبل، وعندما يعرف أنه هو نفسه، يشعر بالخجل من نفسه؛ ويصبحان صديقين بعد ذلك.

يصل السيد "جينتيلي دي كاريسيندي" من "مودونا"، ويخرج امرأة كان يحبها من القبر، بعد ظن الناس أنها ماتت فدفنوها، فيجد فيها الروح، وتُعاد ثانيةً إلى الحياة، ثم تضع مولودًا ذكرًا. ثم يعيدها

https://telegram.me/maktabatbaghdad

يذهب "جيزيبُّو" إلى بلد صديقه، وهو في حال يرثى لها، ويظن أنه سُيعامل بمهانة من ناحية صديقه "تيتو"، حتى يحكم عليه بالإعدام لاتهامه بقتل شخص. هناك يتعرف عليه "تيتو"، ويحاول إنقاذه مدعيًا أنه هو القاتل وليس "جيزيبُّو". ولما يشاهد القاتل الحقيقي .هذا الوفاء وهذه التضحية، يعترف بالحقيقة. عندئذٍ، يقرر الإمبراطور"أوتّافيانو" إطلاق سراحهم جميعًا. ثم يزوج "تيتو" أخته لـ"جيزيبُّو"، ويعطيه نصف ما يملك.

يستضيف السيد "توريلُّو" صلاح الدين المتنكر، ويكرمه، ويحسن ضيافته. بعدها، ينضم السيد "توريلُّو" إلى حملة صليبية، ويقول لزوجته إنه لو لم يعد بعد وقت معين فعليها أن تتزوج من آخر غيره. ثم يقع أسيرًا في الحرب، ويقدَّم إلى السلطان لكونه ماهرًا في تدريب الصقور، فيعرفه، ويذكره بلقائهما السابق، ويكرمه إكرامًا بالغًا. يمرض السيد "توريلُّو"، ثم يُشفى، وينتقل عن طريق السحر، في ليلة واحدة فقط، إلى "بافيا"؛ فيصل أثناء حفل زفاف زوجته على شخص آخر، وتتعرف عليه، ويرجعا معًا إلى منزلهما.

بسبب ضغط وإصرار رجاله على تزويجه، يختار حاكم مدينة "سالودزو" ابنة أحد القرويين، وينجب منها ولدين. ثم يجعل زوجته هذه تعتقد أنه أمر بقتلهما. وأظهر لها أنه لم يعد يريدها، وأنه تزوج من أخرى، ثم يعود إلى البيت ومعه ابنته على أنها

https://telegram.me/maktabatbaghdad



جوفـاني بوكاتشـو:

أحد أساطين الأدب الإيطالي والعالمي (1313-1375)، وخاصةً برائعته الفريدة "**الديكاميرون**"، بواقعية التصوير والحوار، السابقة لعصره بكثير، ونزعته "الإنسانية" الرائدة في عصر النهضة؛ وأعماله الشعرية المكتوبة بالعامية الإيطالية.

من أهم أعماله: قصائد "**مطاردة ديانا**"، "**الرؤيا العاشقة**"، "**ثيسيوس**"، وروايته "**المتيَّـم**"، و"**ملهاة حوريات فلورنسا**"، ورواية "**مرثاة السيدة فياميتا**"، و"**سقوط المشاهير من الرجال**"، و"**نساء مشهورات**"، و"**أنساب الآلهة الوثنية**".

د. عبدالله عبدالعاطي النجار

خريج كلية الألسن، قسم اللغة الإيطالية كلغة أولى، والمجرية كلغة ثانية. درس بجامعتي "ديبرتسن"، و"بيتش"، وأخيراً جامعة "سجد" بالمجر، التي حصل منها علي درجة الدكتوراة بتقدير امتياز. له العديد من الأبحاث العلمية المنشورة بدوريات دولية محكمة، وكتب مؤلفة، ومترجمة من الإيطالية والمجرية؛ من بينها "أجمل الحكايات المجرية" لــ"ألك بندك"، والرواية الإيطالية "**Terra di Cleopatra**" إلي العربية، فضلًا عن ترجمة كتاب قصص الأطفال الإيطالي "**Favole Al Telefono**" بالاشتراك مع عصام السيد، وترجمة أفلام وثائقية إلى المجرية والعربية.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

عصـام السيد:

تمهيدي ماجستير في علم اللغة الإيطالية، بكلية الألسن، جامعة عين شمس. مدرس مساعد بمركز اللغات والترجمة، أكاديمية الفنون. شارك في عدد من المؤتمرات العلمية، فيما شارك في ترجمة كتاب قصص الأطفال الإيطالي " Favole Al Telefono" بالإشتراك مع د. عبدالله النجار.

د. حسـين محمود:

عميد كلية اللغات والترجمة بجامعة بدر بالقاهرة، ورئيس قسم اللغة الإيطالية وآدابها بكلية الآداب جامعة حلوان بالقاهرة (سابقًا). دكتوراه الأدب المقارن (**ألف ليلة وليلة والديكاميرون**: *دراسة مقارنة*، مع *ترجمة لعشر قصص من الديكاميرون)*. جائزة فلايانو العالمية في الثقافة الإيطالية. فضلًا عن أنشطته الأكاديمية بالجامعات الإيطالية والمصرية، وترجماته من العربية إلى الإيطالية، فله العديد من الترجمات من الإيطالية إلى العربية، من بينها "**سيدة ميناء بيم**" لأنطونيو تابوكي؛ ولدانتي مارياناتشي "**المقهى المجري**"؛ ولأومبرتو إيكو "بندول فوكو"؛ ولإليو فيتوريني "محادثة في صقلية"؛ وغيرها.. فضلًا عن عشرات المقالات والدراسات بمجلات مصرية وعربية وإيطالية مختلفة.

سلسلة
آفاق
عالمية

مكتبة بغداد

ها هو الجزء الثاني من «الديكاميرون»، تحفة بوكاتشُو النادرة؛ بل إحدى روائع الإبداع العالمي، على مَر العصور. حالةٌ فريدةٌ من الحَكي المتواصل، بلا انتهاء؛ وعالمٌ ساحر يتولّد من مزيج الواقع والخيال معًا، بلا خطوط حمراء، ولا تخوم.

مائة قصة أو حكاية، تتوزع في الجغرافيات والتواريخ والأساطير، تكشف- في عمقها- الجوهر الإنساني والحضور الدامغ لجدلية الروح والجسد.

وهي الترجمة العربية الأولى الكاملة عن الأصل الإيطالي؛ فيما تجمع بين الدقة- المحافِظة على السمات الأسلوبية لبوكاتشو- وسلاسة الأداء اللغوي والأسلوبي،

اللوحة للفنان الإيطالي: ساندرو بوتيشيلي - رسم جوفاني بوكاتشو في الخلفية حفر على المعدن للإيطالي: رافائيلو مورجين - تصميم الغلاف: أحمد اللباد



www.gocp.gov.eg

https://telegram.me/maktabatbaghdad